في سلسلة

أعداء الإسلام

٤

الكيد الأحمر

دراسة واعية للشيوعيّة وجذورها وأفكارها
وخرافة حتمياتها وأحلام وعودها الكاذبة
وواقع تدميرها الثوري لحقود لحود
وجحيم تطبيقاتها

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

دار القلم
دمشق - بيروت



في سلسلة

أعداء الإسلام

٤



دراسة واعية للشيوعية وجذورها وأفكارها

وخرافة حتمياتها وأحلام وعودها الكاذبة

وواقع تدميرها الثوري الحقود الحسود

وجحيم تطبيقاتها

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

دار القلم

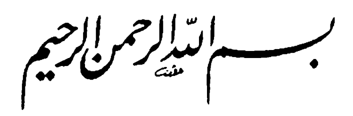
دمشق - بيروت

الطبعة الأولى

١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م

دار القلم
دمشق - بيروت

الإدارة : دمشق - حلبوني - ص.ب ٤٥٢٣ - هاتف ٢٢٩١٧٧



المقـدِّمَة

الحمد لله منزل الكتاب ، وهازم الأحزاب ، ومظهر دينه على الدين كلّه ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، وناصر عباده المؤمنين مهما اشتد بهم البلاء ، وتكالب عليهم الأعداء ، إذا صدقوا في إيمانهم ، وعملوا الصالحات التي أوصاهم بها بارئهم ، وتواصوا بالحق الذي عرّفهم به ، وتواصوا بالصبر الذي أرشدهم إليه ، وقاموا بما فرض عليهم من إعداد وجهـاد ، وأصلحوا ما بأنفسهم ، واستقاموا على الطريقة ، وتوكلوا على ربّهم ، وفوضوا أمرهم إليه ، وبعد :

فهذه دراسة للشيوعية بمنظار اسلامي ، ومنظار انساني ، ومنظار باحث عن الحقّ حذرٍ من مداخل الشيطان وشبهاته ومغالطاته .

اقدمها لمؤتمر نهاية القرن الرابع عشر الهجري ، وبداية القرن الخامس عشر ، استجابة للتوجيه الذي تفضّلَت به أمانة المؤتمر الموقرة ، إذ دعتني للمشاركة في المؤتمر ببحث من قائمة بحوث اشارت إليهـا ، ثم رغبتْ بعد إعلامها بأني مستعد للمشاركة ببحث أو بأكثر ، أن اكتب حول الشيوعية بوصفها حركة هدّامة .

وأقدّمها أيضاً لقرّاء العربية وللمسلمين جميعاً في كلّ مكان من الأرض ، عسى أن يتبصر بها الجاهلون بحقيقة الشيوعية وهويتهـا واعمالهـا ، ويتنبّه الغافلون ، ويتعظ بالعبرة من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

وقبل البدء بموضوعات هذه الدراسة أقـول : إذا كانت ستون عاماً مرّت في تاريخ الحكم الشيوعي غير كافية لتحقيق الاصـلاح المنشود ، رغم تفرّد الحزب الشيوعي بكل السلطات ، وفرضه استبدادية « دكتاتورية » مطلقة لا نظير لها في التاريخ شدّة وعنفاً وضبطاً ، ورغم امتلاكه لكل القوى المالية والعسكرية والفكرية والثقافية والفنيّة ، ورغم تحكّمه بكل القوى البشرية ، وإحـاطته دولته بالستار الحديدي ، وإقامته نظامه بالحديد والنار ، فمعنى ذلك ودلالته أنّ النظرية الشيوعية باطلة من اساسها ، وهي وهم في وهم ، وخيال في خيال ، ولعلّها اعظم خرافة في تاريخ الانسان استطاعت أن تخدع جماهير بشريّة بالشعارات المزيفة المزخرفة ، والبيانات الكاذبة الخـادعة .

وحين يعتذر الشيوعيون بأنّ السبب في عدم نجاح الثورة الشيوعية في تحقيق الاصلاح المنشود ، يرجع إلى أن الشعوب لم تتعاون مع الأحزاب الشيوعية الحاكمة في تحقيق الاصلاح المنشود ، فمعنى ذلك أيضاً أنّ الشيوعية وانظمتها تتنافى تنافياً تاماً مع الفطرة الانسانية ، وما يتنافى مع الفطرة البشرية لايمكن ان يكتب له النجاح في الواقع البشري ، ومعنى ذلك أيضاً انّ الشيوعية باطلة من اساسها ، وفاسدة في مضمونها ، وانّ فرضها بالقوة لايضمن بقاءها ، وأنّ الشعوب المغلوبة على أمرها من السلطات الشيوعية تتربص الفرصة ، حتى تتخلص من الجحيم التي هي فيه ، ومن المعاناة التي تكتوي بنارها من قبل الحكم الشيوعي ونظامه القاهر للحرّيات ، والمستأثر بكل شيء ، والمستبدّ استبداداً مطلقاً .

وإذا كان لنا أن نتنبأ عن المستقبل فإنّ لنا أن نقول : إنّ الشيوعية وانظمتها ستتساقط في كلّ ارجاء العالم ، طال الزمن او قصر ، متى وهنت القبضة الحديدية الخانقة لرقاب الشعوب المحكومة بهـا ، أو متى استنفد الذين دفعوا إليها واقاموا انظمتها اغراضهم منها ، وغدت عبئاً عليهم ، أو تعمل ضدّ مصالحهم . وكذلك متى عرفت الدول الغربية أنّ مصالحها مرتبطة بتقدّم الدول والشعوب الاسلامية ، وإبعاد شبح الشيوعية عنها ، وبدعم الاسلام والتعاون معه ضدّ الإلحاد والشيوعية ، وبإزالة

إسرائيل من المواقع التي يمكن ان تتسلل خراطيمها منها إلى منابع الطاقة في الشرق الأوسط .

وبودّ العالم الاسلامي لو انّ الدول الغربية رفعت من رؤوسها الفكرة التي اقنعتها بها اليهودية العالمية واجراؤها ، وهي الفكرة التي جعلت هذه الدول تتخوّف من الاسلام وهو الحقّ من ربهم ، وتتخوّف من المسلمين الملتزمين به ، أكثر من تخوّفها من أيّة قوة اخرى في العالم ، مع أنّ المسلمين لاخوف منهم لو عرفوا طبيعة الاسلام الحقّ غير المشوّه ، إنما الخوف كلّ الخوف من تمكين اليهود في العالم ، لأنهم هم الذين يعملون للسيطرة على العالم كلّه ، وامتلاك كل مقدّراته ، وإسقاط كلّ الدول والشعوب ، وقد حققوا من مخططاتهم الشيء الكثير ، حتى وصلوا الآن إلى عتبة تحقيق حلمهم الأكبر .

والعقلاء في الشعوب الاسلامية ينادون الدول الغربية وجميع شعوب العالم لإدراك هذه الحقيقة ، حتى ينقذوا أنفسهم من هاوية هم على عتبتها .

والعقلاء في الشعوب الاسلامية يعلنون للناس جميعاً أن الاسلام هو سبيل الانقاذ وخير الانسانية جميعاً ، وأنّ المسلمين الملتزمين باسلامهم هم الثّقل الخيّر في العالم ، وهم القوة التي يمكن أن تحمي العالم شرّ مكايد الشياطين ، وأنهم بالنسبة إلى مبادئهم وعقائدهم حملة دعوة لمن اراد ان يستجيب لها ، وهم يعتقدون أنهم يقدّمون للناس منهاج سعادة البشرية ، ولا يحملون أنانية شخصية ولا عرقية ضدّ أيّ شعب من شعوب الأرض ، ولا رغبة بالاستيلاء على خيرات أحد من الناس ، ما دام موقفه منهم موقف المسالم الذي يفتح صدره للحوار المتكافىء ، ويفتح صدره لدعوة الحق والخير ، سواء استجاب لها او لم يستجب .

* * *



الفصل الأول

تعريفات وتقويم عام



- ١ -
فكرة عـامـة

الشيوعية تنظيم بقيادة يهودية ، ذو هيمنة عقائدية ، ووسائل تستدرجُ مغريةً بالشهوة الإباحية ، والنفعية الميكيافلّية ، وتسيطر بالاستبداد المطلق المقرون بالعنف الدموي ، والارهاب المعطّلِ لطاقات الحرّية العملية والفكرية • والهدفُ الغائي من هذا التنظيم تحقيق جانب من المخطط اليهودي العالمي الرامي إلى تدمير الأمم والشعوب والأديان وكلّ قيم المجتمع البشري ، تمهيداً لإقامة الدولـة اليهودية العالمية ، التي يحلُم قادة اليهود بأنهم سيصلون إليهـا ، عن طريق مخططاتهم التي يعملون على تنفيذها بكلّ ما أوتوا من مكر وقوة •

هذه زبدة ما انتهيت إليه بعد دراسة مستفيضة للشيوعية من جذورها ، إلى قادتها وزعمائها ، إلى مذهبها وأفكارها ، إلى تنظيماتها وما ظهر للمتتبعين من حركاتها وأعمالها ، إلى واقعها التطبيقي بعد أن وصلت إلى السلطة المطلقة التي كانت تحلُم بها ، في جزء كبير من العالم •

- ٢ -
ما هية الشيوعية

باستطاعتنا أن نستنبط ماهيّة الشيوعية بوصفها فلسفة مادّية، وحركة تنظيمية لمجموعة بشرية ، من خـلال دراستها دراسة متعمّقة ، لجانبهـا النظري الخيالي ، وجانبها التطبيقي الواقعي • فنقول :

أولاً : الشيوعية عقيدة جبريّة مادّية إلحادّية غير أخلاقية •

إنها عقيدة جبرية مادّية ، لأنّها تتصوّر أنّ حركة المادة الذاتية غير العليمة وغير الحكيمة ، وذاتِ المظاهر النظامية الارتقائية المتقنة ، حركة ذات قوانين حتمية

من ذاتها ، وذات نتائج حتمية ، دون غاية حكيمة من جهة ، ودون أن تكون بحاجة لقدرة قادر عليم حكيم يهيمن عليها ، ويسيرها وفق خطّة قضاها وقدّرها بعلمه وحكمته ، ونفّذها بقدرته . وتتصوّر كذلك أنّ حركة المجتمع البشري الذي لا يملك الأفراد له تغييراً هي أيضاً حركة ذات نتائج حتمية لا مجال للإمكان فيها ولا للتغيير .

إذن فعلى الانسان أن يعتقد بها كما هي ، وعلى وفق ما توصّل إليه صاحب فلسفتها « كارل ماركس » بمعونة صديقه « إنجلز » ، وعلى الانسان أن يستسلم لمقاديرها بحسب ما تتطوّر إليه في واقعها ، ولكن ضمن مفاهيم المذهب الشيوعي وضمن حركةتنظيماته ، وعليه أن ينطلق في حياته بموجب ذلك ، دون أن تكون له خطة أو فكرة في تغيير أيّ شيء ، إلاّ السّير فيما قررته النظرية في أطوارها ، ويمليه قادة الحزب من أوامر . فالقصة قصة حتميّات توصّل مفلسفو المذهب إلى معرفتها دون غيرهم من الفلاسفة والمصلحين ، والأنبياء والمرسلين ، فليس في الامكان التعديل فيها .

وهذه العقيدة أوهمت معتنقيها بأنّ واضعيْها « كارل ماركس » وصديقه « إنجلز » قد توصّلا إلى إدراك الأطوار الحتمية لحركة المادّة ، والأطوار الحتمية لحركة المجتمع البشري .

إذن ، فهم يسعَون مع تيّار هذا القدَر المادي الحتمي ، ليغنموا منافع الطور الذي هو قادم لامحالة ، وليكسبوا شرف المساهمة في تحقيق الطور الأفضل في تصورهم الخيالي .

وتتمثّل هذه العقيدة الوهمية الخرافية الجبرية فيما يلي :

- في عقائدهم حول الحتميات المادية العامّة .
- وفي عقائدهم حول التفسير المادّي للتاريخ وحتمياته .
- وفي عقائدهم حول حتميّات تطور المجتمع البشري .

ويلزم من تصوّرات هذه العقيدة المادّية إلغاء فكرة مسؤولية الانسان عن أي تصرّف يتصرّفه ، وأيّة جريمة يرتكبها ، تجاه أية قوة ، غير الواقع البشري وصراعاته ، التي تخضع هي أيضاً بموجب العقيدة الشيوعية لقوانين لا تتبدّل ، وهذه القوانين ذات آثار ونتائج حتمية .

وهذا أيضاً يستلزم إسقاط الأخلاق والقيم الفضلى ، إذْ لا مسؤولية ، وما الأخلاق والقيم وفق هذه العقيدة المادّية إلاّ أمور اعتبارية من وضع الناس أو من وضع فئات منهم لضمان مصالحهم ، تجاه تحرّكات الآخرين ، وللحدّ منها .

فلا توجد وفق العقيدة الشيوعية حقائق كلية ، ولا توجد قوّة عظمى مهيمنة حكيمة قديرة ترعى هذه الحقائق .

هذه هي ماهية العقيدة الشيوعية بجذور خرافاتها .

ثانياً : والشيوعية استبدادية (ديكتاتورية) شاملة ، تحت ستار مصلحة المجتمع ، وأنّ الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد .

وذلك لأنّ الشيوعية ذات تنظيم هرمي انضباطي شديد الضبط ، عنيف الإلزام ، لا حرية فيه لما دون قمّة الهرم ولا خيار ، في أي أمرٍ تقول فيه القمة كلمتها ، أو تعلن فيه عن رغبتها ، فقمة هرم هذا التنظيم هي الفكر له ، وهي الارادة له ، وما دونها أعضاء تنفيذ ، عليهم أن يفعلوا ما يؤمرون به ، والويل لهم إذا عصوا .

والفرق بين هذا التنظيم والفكر والارادة في الجسد الواحد ، أن الفكر والارادة في الجسد يشاركان أعضاء الجسد آلامها ولذاتها ، أمّا هرم التنظيم الشيوعي فله على الذين دونه حقّ الطاعة المطلقة ، دون أن يشاركهم في آلامهم ، أو يحزن لأحزانهم ، أو يشعر بمشاعرهم ، أو يمدّ يد المساعدة والعون لهم ، إلاّ في حدود ما يخدم غايات التنظيم وأهدافه .

إنّه لا حرّية للفرد الشيوعي ولا رأي له أمام سياسة الحزب المتمثل بزعامته الاستبدادية (الديكتاتورية) سواء أكانت فردية أو مؤلفة من عدّة أفراد محصورين. كلّ حرية الفرد الشيوعي تدور في مجال شهواته الإباحية الخاصة التي لا تمسّ

مصالح الحزب ، ولا مصالح السياسة للدولة الشيوعية ، ولا النظـام الاقتصادي المفروض ، ولا منهج العمل المحدّد •

هذه هي ماهية التنظيم للحركة الشيوعية •

ثالثاً : والشيوعية أنانية استئثارية بامتلاك كلّ شيء ، حتّى الكتل البشرية التي تستطيع أن تخضعهم لسلطانها •

وذلك لأنهـا حين تسيطر على كلّ الممتلكات وكلّ الطـاقات البشرية وغير البشرية ، ووسائل الانتاج ، وجميع مقدّرات الأمة ، ويكون حقّ التصرّف بهـا في أيدي زعماء الحزب الشيوعي وقياداته ، دون أن يكون فوقهم رقيب ولا محاسب؛ فلا بدّ أن يتصرّف هؤلاء بما وضعوا أيديهم عليه على وفق أهوائهم وشهواتهم الخاصة ، متسترين بالشعارات التي سبق أن نادوا بها ، ضماناً لاستمرار بقائهم في قمة هرم التسلط ، الذي يملك كلّ شيء ويستبدّ بكلّ شيء •

هذه هي ماهية غاية الحركة الشيوعية ، أخذاً من واقعها ، وما لا بدّ أن تنتهي إليه ، لا من فلسفتها النظرية المجرّدة •

يقول « ميلوڤان دجيلاس » [1] في كتابه (الطبقة الجديدة) :

« إن السلطة كانت منذ الأساس وما زالت هي غاية الزعماء الشيوعيين ، بالرغم من ادعائهم بأنهم يستخدمون السلطة وسيلة لتحقيق غاية مثالية » •

فالشيوعية متمثّلةً بقادتهـا وزعمائهـا ، ومتحققةً بملكيتها لكلّ شيء ، واستبداديتها الشاملة ، ووسائلها غير الأخلاقية ، تمثـل الربوبية البشريـة بأقبح صورها ، وأوسع أشكالها •

---

(١) ميلوڤان دجيلاس : شيوعي ثوري وصل إلى مركز نائب للرئيس تيتو ، ثم ثاب إلى رشده ، وترك الشيوعية ، وحوكم مـن أجل ذلك ، وكتب حول الشيوعية كتاب (الطبقة الجديدة) وغيره .

والشيوعية متمثلةً بجنودها وقاعدتها ، تمثّل العبوديّة الذليلة بأقبح صورها وأسوأ أحوالها ، تجاه ربوبية عنيدة مستبدة غير رحيمة ، وهي أيضاً تمثل الغطرسة المتألهة تجاه سائر الشعب غير المنتظم في الحزب الشيوعي ، وتجاه مادونها من طبقات هرم تنظيمها وشرائحه الأفقية .

الإجمال لماهية الحركة الشيوعية في العالم :

من العناصر الثلاثة السابقة نستطيع أن نجمل الماهية الكلية للحركة الشيوعية في العالم بما يلي :

الشيوعية : عقيدة جبرية مادّية إلحادية غير أخلاقية استبدادية (ديكتاتورية) شاملة تحت ستار مصلحة المجتمع ، وأنّ الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد . أنانية استئثارية بامتلاك كل شيء ، حتى الكتل البشرية التي تستطيع أن تخضعهم لسلطانها .

فهي تمثّل الربوبيّة البشرية بأقبح صورها من جهة ، والعبودية الذليلة البائسة بأقبح صورها من جهة أخرى .



المنهج العملي لوصول الشيوعيين إلى أهدافهم

باستطاعتنا أن نلخص المنهج العملي الذي اعتمدته الشيوعية لبلوغ أهدافها في العناصر الأساسية التالية :

١ ـ إقامة المنظمات الشيوعية في مختلف بلدان العالم ، وفق أرقى التنظيمات الحزبية الانضباطية ، الخاضعة لرؤسائها خضوعاً تاماً ، ولها في الاستدراج إلى التنظيم وسائل شتّى ، تعتمد على إرضاء الشهوات دون حدود ولا قيود ، وتهييج المطامع بالوعود ، وشراء الضمائر ، وإثارة أنواع الحسد والحقد الطبقي ، وغرس العداوة والبغضاء، وفتنة الأفكار بالمبادىء الشيوعية، وسلخ جذور الدين والأخلاق من أعماق النفوس .

٢ ـ اعتماد وسيلة الثورات الدموية العنيفة لقلب أنظمة الحكم ، واستيلاء الشيوعيين عليه . ولمّا لم يكن بإمكان المنظمات الشيوعية في العالم أن تقيم بنفسها الثورة الدموية ، التي تستجيب لها النسبة الكافية من جماهير الشعب ، كان لا بدّ لها من استغلال عناصر غير شيوعية تدفعها للقيام بثورتها ضدّ نظام الحكم القائم ، حتى إذا نجحت أو قاربت النجاح ، بدأ الشيوعيون يزحفون إلى مراكز الصدارة في الثورة ، وبوسائل المكر يسرقون الثورة شيئاً فشيئاً ، حتى إذا بدا لهم أنهم أمسوا قادرين على الاستئثار ، أخذوا بإبعاد العناصر غير الشيوعية ، أو إبادتها ، وأقاموا ثورتهم الحقيقية ضدّ الثائرين غير الشيوعيين أوّلاً ، ثمّ ضدّ كلّ المعارضين من جماهير الشعب .

٣ ـ بعد الوصول إلى الحكم يتجه الشيوعيون لتصفية كلّ العناصر المضادّة، ثم العناصر غير ذات الولاء التام ، ثم العناصر التي يمكن أن تكون منافسة أو مضادة في المستقبل ، بحكم دكتاتوري صارم لا يعرف الرحمة الانسانية .

٤ ـ محاربة جميع الأديان لاسيمّا الاسلام ، باستثناء اليهودية ، فإن لليهود في معظم أنظمة الحكم الشيوعي تمكيناً سرّياً ، ومعاملة خاصّة فيها حماية لهم ، وعدم تعرّض لقضاياهم الدينية الخاصة .

٥ ـ القضاء على رجال الدين والدعاة إليه ، لاسيما على المسلمين ورجال الدعوة إلى الاسلام ، وذلك بالنفي ، أو القتل ، أو الحبس في السجون القاتلة ، أو التضييق الشديد الذي تتمّ به التصفية التدريجية ، وكذلك القضاء على الأشراف وكل ذي مكانة اجتماعية في قومه .

٦ ـ فرض ضرائب باهظة على أفراد الشعب ، لإرهاق الشعب إرهاقاً مادّياً شديداً ، حتى يصل إلى مستوى من الضرورة يجعله يقبل الشيوعية أو نظام الحكم الشيوعي ، لأن ضروريات العيش مرتبطة بالحكم ، فمن لم يقبل نظامه فليس له وسيلة رزق عنده . وهذه الضرائب تسمى في الاتحاد السوفياتي « نلوك » ومن تأخر عن دفع هذه الضرائب تصادر أمواله المنقولة وغير المنقولة حالاً .

٧ ـ القضاء على الملكية الفردية للأرض الزراعية ، وجعل الزراعة كلها تحت إدارة الحكومة الشيوعية ، وقد أقامت أنظمة الحكم الشيوعي لذلك ما أسمته « كولخوزات » وهي هيئات لادارة المزارع الجماعية .

٨ ـ امتلاك المصانع على اختلافها ، وجعلها تحت ادارة الدولة ، والتصرف بها وفق أهواء السلطة الشيوعية المباشرة أو العليا تسلسلاً حتى القمة .

٩ ـ الاستيلاء على التجارة استيلاءً كاملاً ، وجعلها تحت سلطة الحكم الشيوعي ، والتصرف بها وفق أهواء عناصر هذه السلطة ، فالاستيراد في يدها باحتكار صارم ، والتصدير في يدها باحتكار صارم ، وهي التي تفرض أسعار البيع ، وهي التي تفرض أسعار الشراء ، دون منافس، فتؤسس المؤسسات لاستيراد مختلف الأصناف ، ولتصدير مختلف الأصناف ، وتقيم مراكز التوزيع للمستهلك بالأسعار

التي تفرضها [1] ، وبذلك تحدّد ما تشاء من أصناف . وما تستورده أو تضعه للمستهلك من جيد أو رديء فعلى المستهلك أن يأخذه أو يكون محروماً .

ومن وراء ذلك الاستئثار بالمنافع الخاصة وبأجود الأصناف للمحظوظين الذين بأيديهم السلطة ، ولذويهم وأنصارهم .

١٠ ـ القضاء التامّ على الأخلاق الفاضلة ، وإقامة أخلاق حزبية خاصّة تخدم مصالح قادة الحكم الشيوعي ، وتوجب طاعة أفراد الحزب وجميع أفراد الشعب للسلطة الديكتاتورية المستبدة بكل شيء .

١١ ـ إشاعة الاباحية الجنسية ، ودفع المرأة إلى التحلّل الكامل من ضوابط العفة ، ومبادىء الشرف ، ونزع النخوة والغيرة من رؤوس الرجال .

١٢ ـ تقسيم الشعب إلى طبقتين :

الأولى : طبقة السادة ، وهم الشيوعيون ومعهم الخانعون الذين قبلوا نظام الحكم الشيوعي ، وخضعوا له ، وآزروه ، وعملوا على تدعيم سلطانه ، وتمكينه ، وخدمته .

والثانية : طبقة المنبوذين ، وهم الذين لم ينتظموا في الحزب الشيوعي ، ولم يقبلوا نظام حكمه ، أولم يخضعوا له ، ولم يعلنوا ولاءهم التامّ .

١٣ ـ الاستيلاء التامّ على كلّ التعليم ، فلا يسمح بتعليم ما أيّاً كان شأنه إلاّ أن يكون عن طريقهم ، وضمن خططهم ومناهجهم ، وبذلك يقضي الحكم الشيوعي على المدارس الاسلامية ، ويمنع كلّ صور التعليم الديني ، حتى في الكتاتيب والبيوت ، فلا مجال لتعليم القرآن ، أو الحديث النبوي الشريف ، أو العقيدة الاسلامية ، أو الفقه الاسلامي . وكما تعرّض الاسلام لهذه الحرب على

---

(١) أقيم لها في البلاد الشيوعية ما يسمى « كوء براتيف » .

أيدي الشيوعيين ، تعرضت النصرانية كذلك ، ولكن بنسبة أقل عنفاً ، وأخف إلحاحاً ومتابعة ، أمّا اليهودية فهي بمعزل عن هذه الحرب ، وتُكلّف أن تظلّ متوارية ، حتى لايكون ظهورها محرجاً لنظام الحكم الذي يعلن حربه ضدّ كلّ الأديان •

١٤ ــ القضاء على المعابد الدينية قضاءً شبه كلّي ، إلاّ قليلاً منها يترك للدعاية الخارجية فقط ، وللتغطية السياسية ، وقد تمّ في الاتحاد السوفياتي هدم المساجد ، والكنائس ، أو تحويلها إلى مصالح أخرى ، قد يكون بعضها مباءة فسق وفجور •

١٥ ــ إقامة السياسة الدكتاتورية المستبدة بكلّ شيء ، وبهذه السياسة تصادر جميع الحرّيات الفردية والجماعية ، باستثناء الحرّيات الشخصية الضيقة التي منها الاباحية الجنسية •

١٦ ــ إقامة شبكة تجسّس واسعة على كلّ أفراد الشعب ، وتكليف كلّ فرد قانوناً بأن يبلّغ عن كلّ ما يراه مخالفاً لسياسة الدولة أو لأي نظام من أنظمتها ، حتى ولو كان المخالف أباه أو ابنه أو أمه أو أخاه ، وإلاّ كان مجرماً بجرم السكوت عن التبليغ ، ويستحقّ عليه العقاب بالسجن ، فما فوقه ، وقد يكون بمثابة شريك في الجرم •

وبلغ الأمر في بعض الأنظمة الشيوعية حدّاً صار يخاف فيه كلّ فرد من أفراد الحزب الشيوعي أو أفراد الشعب ، من أي شخص آخر ، إذ يخشى أن يكون جاسوساً للدولة ، أو يخشى أن يبلغ عنه ما يقوله ، أو ما يعمله •

١٧ ــ نشر الشيوعية بمختلف وسائل الاقناع والترغيب والترهيب بين أفراد الشعب ، وفي الشعوب غير الخاضعة للحكم الشيوعي • والتحريض على إقامة الثورات الشيوعية في كلّ بلدان العالم ، لإسقاط الحكومات غير الشيوعية ، واتهامها بأنّها حكومات رجعية •

قال « لينين » : « ما دامت الدول الرأسمالية قائمة فإنها ستبقى معادية للاتحاد السوفياتي » •

١٨ ــ العمل على تحويل العالم إلى دولــة شيوعية واحدة خاضعة للأيدي القابضة على الأنظمة الشيوعية من وراء الستار ، ويطمع الحكم الشيوعي الروسي بأن يكون هو المسيطر على كلّ الأنظمة الشيوعية في العالم ، وبأن يقيم الحكومات الشيوعية في كلّ مكان على أن يكون هو المسيطر عليها •

عوامل الاستبداد المطلق للحكم الشيوعي

ترجع ظــاهرة الاستبداد المطلق والوحشية الشــرسة للحكم الشيوعي إلى العوامل التالية :

العامل الأول : العقيدة الشيوعية القائمة على المادية البحتة ، والإنكار الكامل للخالق وعلمه وحكمته وعدله •

العامل الثاني : استئثار زعامة الحكم الشيوعي بالسلطات كلّها ، التشريعية، والادارية ، والعسكرية ، حتى الفكرية •

العامل الثالث : ملكية جميع مقدّرات الأمة وممتلكاتها ، بوضع يده ذات التصرّف المطلق على ما يسمى بالملكية الجماعية لجميع الأمة ، وتسخيرهــا لمصالحه الخاصة ، ولذّاته ، وشهواته ، وأهوائه ، وأنانيته المختلفة ، وتسخيرها أيضاً لدعم استمرارية حكمه وتسلّطه على كل شيء •

العامل الرابع : خوفه الدائم من ظهور أية قوة معارضة ، يمكن ــ ولو توهماً ولو في المستقبل البعيد ــ أن تنزعه ماظفر به من حكم وتسلّط على كلّ شيء عن طريق الثورة الدموية الشرسة ، واللّذين لايستمرّان في مثل نظام الحكم الشيوعي إلاّ باستمرار أعمال القمع العنيف ، والتعذيب غير الشريف ، والإبادة الهمجيــة الوحشية لكل المعارضين ، سواء أكانوا من خارج الحزب الشيوعي أو من داخله •

استحالة تحقيق الأهداف السامية عن طريق الاستبداد المطلق او بالوسائل الهمجية غير الأخلاقية

لقد أثبتت وقـائع التاريخ الانساني أنّ الغايات المثالية النبيلة والأهـداف السامية لايمكن أن تتحقق عن طريق الاستبـداد المطلق ، أو عن طريق استخدام الوسائل الهمجية غير الأخلاقية وغير الانسانية •

ولمّا كانت الحركة الشيوعية تعتمد على عنصري الاستبداد المطلق« الدكتاتورية المتناهية » والوسائل غير الأخلاقية ، فانها غير مؤهلة بطبيعتها لأن تحقق أهـدافاً خيرة لصالح الانسانية ، مهما طال بها العهد ، ومهما توطّد لها الحكم ، هذا شأن الشيوعية حتى ولو سار الشيوعيون بقناعة إلى تحقيق أهداف يتصوّرونها إنسانية نبيلـة •

فالاستبداد المطلق لا يكون إلاّ خادماً للأنانية الفردية ، وسلاحاً فتّاكاً في أيدي مصالح المستبدين الشخصية ، لاسيما إذا لم يكن لهم من الايمان بالله والخوف من عقابه عاصم •

واستخدام الوسائل غير الاخلاقية المناقضة للفضائل والمتسمة بالهمجيةالمجرمة، تورث نفوس مستخدميها شراسة سوداء ، وتقتلع منهـا جذور الأهداف السامية والغايات النبيلة ، لأنها مناقضة لها ، فهي لاتجتمع معها بحالٍ من الأحوال •

يقول « دجيلاس » :

« والجدير بالذكر أنّ جميع الأنظمة « الدكتاتورية » غير الأخلاقية قد برّرت ذاتها بالأهداف المثالية الرفيعة ، غير أنّ من الثابت أن أي نظام استبدادي لم يستطع بلوغ غايات سامية • والواقع أنّ البربرية المطلقة التي تتسم بها الحركة الشيوعية ـ التي لا تتردد مطلقاً في استخدام أشرس الوسائل لتبرير ذاتها عندما تقتضي الحاجة لذلك ـ تتطابق مع الأهداف الشيوعية القائمة على أساس العظمـة الجوفاء غير الواقعيّة •

لقد استطاعت الشيوعية باعتمادها الأساليب الإرهابية الدموية الطاحنة أن تهدم شكلاً من أشكال المجتمع لتقيم عوضاً عنه مجتمعاً عبودياً عبر أساليب استبدادية » .

ثم استشهد « دجيلاس » بما كتبه « دستوفسكي » في روايته « الأبله » مصوراً فيه واقع المجتمع الشيوعي ، يقول « دستوفسكي » :

« ... إن كل فرد من أفراد المجتمع يتجسس على الآخرين ، لأن من واجباته الوشاية بهم ، لاسيما أن رائده لذلك المبدأ القائل : « الفرد للجميع والجميع للفرد » ... إن الجميع هنا هم عبيد أرقاء متساوون في عبوديتهم ، وفي الحالات الضرورية القصوى ينادون بضرورة استخدام القتل والتشهير ، إلا أن الأمر الهام يظل هو المساواة في العبودية ... فمن المنطقي أن يكون العبيد متساوين فيما بينهم بدرجة عبوديتهم » .

ثم يقرّر « دجيلاس » أن الاهداف المثالية المدعاة للحركة الشيوعية تبقى في حدود الأمور الضبابية البعيدة عن الواقع ، أمّا الوسائل الرهيبة الاجرامية فهي الأمور الواقعية الملموسة بشراستها غير المحتملة ..

الردّة عن العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها

إن الردّة عن العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها من الأمور التي تستوجب إنزال أشد أنواع العقاب ، وأقصى صور العذاب ، إذا كان هذا التشكيك يمسّ مصالح الشيوعيين ومكتسباتهم التي وصلوا إليها عن طريق الشيوعية .

يقول « دجيلاس » [1] بعد أن يقرّر أن الشيوعية المعاصرة مرت بمراحل ثلاث :

« فمنذ المرحلة الأولى ــ أي في عهد لينين ــ برز دور العقائدية الشيوعية التي تداخلت في مهمة بناء النظام الاشتراكي . وفي المرحلة الثانية لم يتخلّ الشيوعيون عن

---

(١) في كتابه الطبقة الجديدة .

الثورية والعقائدية أثناء توطيد دعائم الحكم الشيوعي . أما فيما يتعلق بالمرحلة الراهنة للشيوعية اللامذهبية فتظل لامذهبية شرطية ، وذلك لأنها لاتقبل عملياً التخلي عن أبسط مكاسبها ومصالحها لأسباب عقائدية ، في حين أنها لاتتوانى مطلقاً في سبيل تلك المكتسبات والمصالح أن توقع أقصى أنواع الظلم فيمن يشكك بصواب العقيدة الشيوعية » .

فالعقيدة الشيوعية متى تعارضت مع مصالح الزعماء الشيوعيين ومكاسبهم كانت فكرة متروكة غير محترمة وغير معمول بها ، بل هي أمر نظري غير قابل للتطبيق أما حينما تدعم مصالح الزعماء الشيوعيين وتحافظ على مكتسباتهم ، فإنها تكون حينئذٍ سلاحاً خطيراً جداً في أيدي هؤلاء الزعماء ، ومبرراً لإنزال أشد أنواع العقاب في خصومهم ، على أساس أنهم مرتدون عن العقيدة الشيوعية ، أو مخالفون لها ، أو مشككون في صحتها .

الوصول إلى السلطة والاستئثار بالحكم
هو الهدف الضمني للزعماء الشيوعيين

لدى البحث عن الغاية الحقيقية الدائمة لزعماء الحركة الشيوعية تبين أنها هي الوصول إلى السلطة والاستئثار بالحكم ، فالسلطة كانت دائماً هي هدفهم المكتوم، مهما تستروا بشعارات أخرى .

هذا ماتبين لكل الباحثين ، وتكشف للجميع بعد وصول هؤلاء إلى الحكم .

يقول « دجيلاس » [١] :

« ولكن علينا أن نوضح هنا أنّ السلطة كانت منذ الأساس وما زالت غاية الزعماء الشيوعيين ، بالرغم من ادعائهم بأنهم يستخدمون السلطة كوسيلة لتحقيق غاية مثالية ، بدون أن يعلنوا عما في دخائل نفوسهم ، من أن السلطة هي غاية نهائية بالنسبة إليهم ... » .

---

(١) في كتابه الطبقة الجديدة .

ثم أكد « دجيلاس » أن الوصول إلى السلطة يشكل الماهية الجوهرية للحركة الشيوعية ولأهدافها النهائية ، ثم قال :

« وبما أن الحركة الشيوعية قد انكفأت على نفسها كعقيدة ، فانها عملت على إبقاء السلطة وتوطيدها للهيمنة على الشعب ، لكسب معركة البقاء ....

وهذا ما يجعل من السلطة المدخل الأساسي للحركة الشيوعية ونهايتها المحتومة، حتى وإن أرادت وقف ذلك فلن تستطيع أبداً ....

إن جميع أساليب الحكم هي هدف أولئك الذين يرغبون في تسلّم السلطة ، إلى جانب كونها وسيلة . أمّا بالنسبة إلى الحركة الشيوعية فإن السلطة تعتبر هدفاً بحدّ ذاتها ، لأنها تشكل ضمانة للقادة ، لحماية مصالحهم وامتيازاتهم المادية ، وتملكهم للثروة القومية ، وعن طريق السلطة يعمد الزعماء إلى السيطرة على الفكر، وتقويم الآراء ، وقمع الاتجاهات المعادية » .



الأممية في العقيدة الشيوعية
والقومية والنزعات الاستعمارية لدى الشيوعيين

١ ـ لم تستطع الفكرة النظرية الأمميّة في الشيوعية أن تلغي النزعة القومية لدى الشيوعيين ، على خلاف الدعاوى الكاذبة التي يعلنونها •

لكنّ النظرية الأمميّة استطاعت أن تخدع صغار الشيوعيين ، وأتباع العقيدة الشيوعية من مختلف الشعوب ، في مرحلة إيمانهم بالأفكار التي جعلتها الشيوعية مُثُلاً لها • بيد أنهم حين يتسلسلون ارتقاءً في السلّم الحزبي ، تتكشف لهم حقائق كانوا يجهلونها من قبل ، ويتضح لهم زيف الأفكار ، وأنها ليست أكثر من شعارات للتضليل والخداع ، فإذا استمروا في الحزب بعد ذلك تساقطت من نفوسهم وقلوبهم المبادىء الأولى ، وبقيت عندهم شعارات للدعاية والتصدير ، ونمت لديهم الأنانيات الفردية ، وظهرت لديهم النزعات القومية الخاصة ، وظلّت هذه مع ذلك مغلّفة بأقنعة المبادىء الأولى التي لاتنال من الواقع أي تطبيق •

نقول : إن النظرية الأممية في الشيوعية لم تستطع أن تلغي النزعة القومية لدى الشيوعيين ، لأن العقيدة الشيوعية في مضمونها خادمة لمصالح فردية ، فهي غير قادرة بشكل فعلي أن تنسخ من نفوس الشيوعيين نزعاتهم القومية ، لأن النزعات القومية ، موصولة بجذور الأنانيات الفردية ، وما دامت العقيدة الشيوعية ستاراً لخدمة هذه الأنانيات الفردية فهي لاتستطيع بحال من الأحوال أن تزيل العصبيات القومية الموصولة بها •

هذه الأممية الشيوعية تختلف اختلافاً تامّاً عن الأممية التي تدعو إليها الشرائع الربّانية • إن الأممية في الشرائع الربانية الصحيحة ذات مضمون متصل بعقيدة صحيحة ثابتة غير مزيفة ، وهي خاضعة لأوامر ربانية ، والأخوة الانسانية فيها أخوة عقدها الله بالايمان الصحيح الصادق ، فمن التزم بعقيدة الايمان الذي أمر الله

به ، والتزم بأوامر الله لعباده ، واستجاب وأطاع ، نسخ من نفسه النزعات العرقية والعنصرية واللغوية والوطنية الخاصة واللونية ، وشعر بالأخوة الايمانية الانسانية التي لاتعترف بالفوارق الموصولة بالأنانيات الخاصة ، ووضع نصب عينيه ابتغاء مرضاة الله ، ورجاء ثوابه العظيم في جنات النعيم .

٢ ــ يقول « دجيلاس » :

« إن الأممية الشيوعية قد تحولت إلى مجموعة من البيروقراطيات الشيوعية الحاكمة المتصارعة فيما بينها ، بسبب النزعات القومية لديها . وفي الوقت نفسه لم تعد « البروليتارية » الأممية إلا مجرد عبارات جوفاء ، ومذاهب سخيفة تخدم مصالح الزعماء الشيوعيين في كلّ دولة من الدول الشيوعية . .

وبالرغم من أن أساليب الحكم الشيوعية هي واحدة ومتجانسة في طبيعة ملكيتها ومواقفها من القضايا الدولية وارتباطها بالأممية الشيوعية ، إلا أن من الخطأ الفادح تناسي الاختلافات القائمة ما بين الدول الشيوعية أو الاستهانة بها ؛ وذلك لأن جميع أنظمة الحكم الشيوعية ذات طابع قومي ، مهما تماثلت فيما بينها وتجانست ، فالقومية هي شرط أساسي في الدولة الشيوعية لتستطيع صيانة وجودها ...

غير أن هذا كله لا يستطيع أن يجعل الشيوعيين قادرين على التخلي عن نزعتهم القومية أثناء ممارستهم السلطة ، إذا ما أرادوا الانتصار بالثورة ، والاستمرار في الحكم ...

ويمكن القول : بأن مجموعة الدول الشيوعية في أوروبا الشرقية لم تذعن للتبعية السوفياتية راضية أو لأنها تجني المكاسب منها ، ولكن لأنها لاتستطيع أن تخرج من دائرة هذه التبعية . إلا أن المشاعر القومية في هذه الدول هي على أشد ماتكون غلياناً وتأجّجاً لتحقيق الاستقلال التامّ عن النير الاستعماري السوفياتي ، وسوف تحقق هذا الأمر عندما تمكنها قواها الذاتية من ذلك ...

إن جماهير الدولة الشيوعية الخاضعة لسيطرة دولة شيوعية أخرى ، تتحرك بشكل تلقائي في سبيل تحقيق الاستقلال الكامل ، وهي لاتقبل مطلقاً أن تقف على

الحياد عندما يقع الاصطدام الذي يحمل طابع النزعة الاستقلالية لدى أمتهم ، وتوقها إلى الخروج من دائرة التبعيّة ...

لقد ألفت الحكومة السوڤياتية المركزية نفسها واقعة في مأزق حرج ، نتيجة النزعة القومية القائمة في الجمهوريات السوڤياتية ...

إن النزوع التحرّري إلى تحقيق الاستقلال القومي الناجز يتطلب قوّة دافعة عظيمة لتحقيق أهدافه ، ومن العسير جدّاً القضاء على المطامح القومية ، بل العكس هو الصحيح تماماً ، فتلك المطامح تزداد قوة وصلابة كلما تعرّضت للضغوط أو القمـع ...

وقد غدت النزعة القومية كظاهرة طبيعية في نطاق جميع الأحزاب الشيوعية ، باستثناء الحزب الشيوعي السوڤياتي الذي تتجه تلك النزعة ضده مباشرة ...

والجديد بالذكر أنه في بدء توطد الحكم الشيوعي في الاتحاد السوڤياتي المرافق لصعود « ستالين » اتنهجت الحكومة السوڤياتية سياسة ذات نزعة قومية ، ضاربة بعرض الجدار الشعارات الأممية الزائفة ... » .

٣ ــ النزعة القومية لدى الشيوعيين والمقرونة بأنانياتهم المفرطة ، يلازمها دائماً رغبات وأطماع استعمارية ، مهما تستروا بطبقة العمال والكادحين « البروليتاريا » الأمميّـــة .

يقول « دجيلاس » :

« إن الاجراءات التي يتخذها الاتحاد السوڤياتي لاتتوقف عند مصالح الحركة الشيوعية ، بل تتجاوزها إلى الأطماع الاستعمارية لروسيا العظمى . وعلى الرغم من أن الاستعمار الايديولوجي دؤوب على تبديل سحنته وأساليبه ومناهجه ، إلاّ أنّ ذلك لايعني مطلقاً اختفاءه عن المسرح التاريخي ، شأنه في ذلك شأن شعوب الدول الشيوعية الأخرى ، التي تطمح للاستقلال والتمرّد على قيود التبعية الثقيلة ، وهذا لا يمنع بدوره أن تكون لدى هذه الدول الشيوعية مطامح في أن تكون بدورها دولاً استعمارية ...

ولا يخفى أنّ الاتجاهات الاستعمارية لدى الاتحاد السوفياتي قد مرّت في مرحلتين اثنتين :

● فقد ارتكزت المرحلة الاستعمارية الأولى على الأساليب الدعائية الايديولوجية التي ظهرت في ثناياها وأثنائها بوادر الميول الاستعمارية العنيفة .

● بينما بدأت المرحلة الاستعمارية الثانية مع انطلاقة حركة التصنيع ، وصعود الطبقة الجديدة ، وتسنّمها دست الحكم ، وتوطيد سلطانها على المجتمع ...

وتكمن الدوافع الرئيسية للسياسة الاستعمارية التي انتهجها الاتحاد السوفياتي ، في الطبيعة الاستبدادية الاستثمارية للطبقة الجديدة ، لاسيما بعد أن ظهرت كقوة ذات امكانات وفيرة في إبّان اندلاع الحرب العالمية الثانية ، مستغلّة تلك الظروف لضمّ دول البلطيق الصغيرة ، بحجة صيانة الدولة السوفياتية المترامية الأطراف ...

ولقد تطور الاستعمار السوفياتي لدى أوروبا الشرقية في محاولة السيطرة على اقتصاديات هذه البلدان ، عن طريق إنشاء سوق اشتراكية دولية مصطنعة ، والهيمنة العقائدية على نشاطات الأحزاب الشيوعية الأخرى ، وتغذية المشاعر لدى الشيوعيين على حبّ الوطن الاشتراكي الأمّ ، بدلاً من محبتهم لأوطانهم ، ورفع « ستالين » والأساليب الشيوعية إلى مرتبة القداسة والألوهية ...

ومن المفيد أن نذكر على سبيل المثال الدور الذي لعبته الشيوعية القومية اليوغسلافية في هجومها على حصون الاستعمار السوفياتي .... » .

٤ ـ القناع الذي تتستر به النزعات الأنانية والقومية والمصالح الخاصة والمطامع الاستعمارية لدى الشيوعيين ، هو قناع العقائدية الوهمية ، التي توهم طبقات العمال والكادحين بأن المبادىء الشيوعية والأنظمة الشيوعية كفيلة بإنصافهم وإسعادهم ، وجعلهم سادة أنفسهم ، لتحقيق ما يرغبون فيه من عيش أفضل ، والتي تلهب في نفوسهم دوافع الثورة لتدمير الأنظمة القائمة ، وإقامة الشيوعية ، والتبعية للدولة الشيوعية الكبرى في العالم .

وبعد أن يذهبوا وقوداً للثورة ، يقوم النظام الشيوعي ليحقق مصالح الأفراد والزعماء الشيوعيين ، على حساب اضطهاد الطبقة التي أقامت الثورة ، وأسقطت نظام الحكم السابق ، وليسير الحكم الشيوعي في فلك مصالح الدول الشيوعية الكبرى التي يرتبط بها ، ويحقق لها مصالحها القومية ، ومصالح زعمائها ، أو ليقوم الصراع القومي بينه وبينها .

يقول « دجيلاس » :

« إن النزعة الشيوعية السوفياتية تتجه منذ أيام ستالين حتى اليوم إلى فرض نظامها على العالم ، وتقسيمه حسب مصالحها ، وهذا ما زاد من عزلة النظام الشيوعي السوفياتي وانغلاقه ... » .

بطلان النظرية الشيوعية من أساسها

لقد أثبت الواقع التجريبي أن النظرية الشيوعية باطلة وفاسدة من أساسها ، وذلك لأن الواقع الانساني لايملك المقوّمات اللازمة لتطبيقها في حياة الناس ، فهي تنافي الفطرة الانسانية وتنافي طبيعة المجتمع البشري .

أمّا أنظمة الحكم القائمة في العالم باسم الشيوعية أو باسم الاشتراكية العلمية كما يدّعون ، فانها تحكم بطريقة استبدادية غاية في الاستبداد ، واستئثارية غايةٍ في الاستئثار ، على خلاف النظرية المكتوبة في الأوراق ، والمقولة بالألسنة ، وهذا الخلاف يصل إلى حدّ التباين والتناقض تماماً . لذلك فهي أنظمة مقضي عليها بالتساقط وانتهاء دور تجربتها تاريخياً ، بَعُدَ زمان سقوطها أو قرب ، إن لها أجلاً محتوماً ، ولكل أجل كتاب .

كيف لاتسقط أنظمة الحكم الشيوعي وقد أثبت الواقع التطبيقي فشلها وخيبتها في تحقيق النظرية ، التي كانت الأحزاب الشيوعية تنادي بها ، وكان مؤسسو الشيوعية الحديثة قد وضعوا نظريتها وبرنامج إقامتها ، وتفجير ثوراتها .

إن تساقط هـذه الأنظمة الشيوعية رهن بأن تأتي الظروف العالميـة المواتية لإسقاط أنظمة التسلّط الاستبدادية « الدكتاتورية » القابضة على رقاب الشعوب بقوتي الحديد والنار •

يقول « دجيلاس » :

« إن تطور الأوضاع العالميـة في المرحلة الأخيرة قد أثبت بطلان النظريـة الشيوعية التي تدّعي إمكانية إقامة مجتمع اشتراكي في نطاق دولة واحدة ، إذ لانرى أيّ مظهر من مظاهر الاشتراكية لدى الدول الشيوعية ، فالحقيقة الثابتة هي أنّ هناك طبقة استبدادية غاشمة تتحكم بالشعوب ، متوسلة بالأساليب الارهابية للحكم الدكتاتوري المطلق ، المكبّل للحريات ، والخانق للفكر الحر ، إن ظهـور الدول الشيوعية في العالم لايقود إلا إلى العزلة الخانقة لمجموعـة شعوب هـذه الدول وانعزالها عن منطق التطور التاريخي ••• » •

أسباب تماسك الحزب الشيوعي وبقائه دون أن يكون عرضة للانهيـار السريع

الذي يحفظ للحزب الشيوعي بقاءه الانضباطي ، هو المبدأ الذي يعمل القادة الشيوعيون على فرضه كعقيدة أساسية في التنظيم الشيوعي ، والذي يقضي بضرورة الوحدة السياسية للحزب ، وهـذه الوحدة ذات طابـع مهيمن على أفكار الأفراد ومشاعرهم •

إن مبدأ الوحدة السياسية للحزب لايسمح لأي فرد بأن يخرج على الرأي الذي تفرضه القيادة الحزبية ، أو الزعامة السياسية للحزب ، أو أن يناقش فيه ، أو أن يكون له حوله رأي مخالف • وإلاّ تعرض للعقوبةالصارمة ، ثمالتصفية النهائية•

لذلك فالفرد الشيوعي يعيش في حالة رهبـةٍ دائمة مـن أن يكسر الوحدة السياسية بمخالفة الرأي الذي تمليه الزعامة الشيوعية ، إذ الغايات المثلى للشيوعية توجب ذلـك • فالفرد الشيوعي جنديٌ انضباطي ، وهـو رهن إشارة قياداته ،

ومفروض عليه أن يطيع الأوامر ، وإلا كان خارجاً على الحزب ، ومرتداً عن الشيوعية ، ومستحقاً لأشد أنواع العقاب .

إنه لا حرية للفرد الشيوعي مطلقاً ، ولا رأي له أمام سياسة الحزب ، واستبداديته المطلقة ، كل حرية الفرد تدور في مجال شهواته الخاصة التي لا تمس مصالح الحزب ولا مصالح الزعامة السياسية للدولة الشيوعية، ولا النظام الاقتصادي المفروض فرضاً ، ولا منهج العمل المحدد .

يشمل هذا الكلام الدول الشيوعية ، والمنظمات الشيوعية المنبثة في العالم ، التي لم تصل بعد إلى استلام السلطة في بلدانها . وهذه المنظمات الشيوعية هي بدورها خاضعة بالانضباطية نفسها لزعامة الدولة الشيوعية التي ترتبط بها .



بنظر أعور ، وبصيرة منطمسة، وعاطفة متحجّرة ، وحقدٍ دفين، وكيدٍ مدبّر، ورغبة قومية بالسيطرة والاستئثار بخيرات الأرض وطاقاتِ الناس ، أقامت الشيوعية العالمية نظريتها في الاقتصاد والاجتماع والفلسفة . وبشّرت بها عن طريق الشعارات الخادعة الكاذبة ، والمغالطات الجدلية المزخرفة بالأقوال والآراء الخادعة التي تحمل زيفاً كبيراً متستّراً بدعاوى العلمية . وحرّضت بها العمال والكادحين على الثورة الدموية الحمراء التي لا تشعر بأية عاطفة إنسانية كريمة . ولم تقبل من رفقائها مساعي الاصلاح الاجتماعي التطوّري التدريجي ، لأنّ غرضها التدمير الثوري ، لاحداث الانقلاب الكلّي دفعة واحدة ، الأمر الذي يجعل السلطة كاملة في قبضة الأيدي الخفيّة التي تحرّك من وراء الستار ، ولا يسمح بمشاركة عناصر أخرى قد يكون لها أهداف إصلاحية صادقة .

وأقامت الشيوعية ثوراتها الدموية الرهيبة ، مستخدمةً لمدّ سيطرتها ونفوذها المتوحشين العُمْيَ ، والطامعين ، والجانحين ، والمعقّدين المجرمين ، والموتورين ، والمغفلين .

ولعبت بأذهان ونفوس العمّال والكادحين والشغّيلة ، وأثارت مطامعهم ، وشحنتهم بالحقد والضغينة والحسد المقيت ، وكلّ مسبّبات العداء الطبقي ، لدفعهم للتحرّك الثوري المدمّر .

واستطاع الذين يحملون نفوساً مجرمة حقيرة ، ومطامع استبدادية خطيرة ، ورغبات تسلّط وعدوان ، وأحقاداً دنيئة مبعثها الأنانية المفرطة والحسد اللئيم ، أن يجدوا في الشيوعية مناخاً ملائماً لهم ، وأفكاراً يتخذون منها قناعاً لتبرير جرائم سفك الدماء ، والإفساد في الأرض ، وتدمير العمران ، وتنظيماً يتلاقى فيه الأشباه

والنظراء ، كما يتلاقى أفراد عصابات السلب والنهب والسطو ، للقيام بجرائمهم التي تحقق أهدافهم ، متآزرين متعاونين على الإثم والعدوان ، والظلم والبغي والطغيان ، وحماية أنفسهم من أن تصل إليهم يدُ العدالة من البشر .

وكم يسير مع ركب المجرمين مخدوعون مفتونون ، تفتنهم دعاوى الشيوعية الكاذبة ، وتصويراتها الخيالية للمستقبل السعيد للمجتمع البشري ، ولكنّ المخدوعين أو"لا" متى طال عليهم الأمد عرفوا الحق ، وكشفوا الزيف ، وظهر لهم الكيد الذي كان خفيّاً عنهم ، واستبانت لهم خرافة الاصلاح الانساني الشامل الذي تسير الحركة الشيوعية إليه ، وخرافة رفع مستوى العمال والكادحين ، ورفع الحيف عن مهضومي الحقوق في المجتمات غير الشيوعية . وحين يكتشف المخدوعون بالشيوعية هذه الحقائق المستورة ، ويظهر لهم زيف الشيوعية ، فلا بدّ أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويتوبوا إلى بارئهم ، ويرتدوا عن الشيوعية ارتداد الناقم العنيف الذي خاب أمله الكبير الذي ضحّى في سبيله بالشيء الكثير ، كالعاشق الذي يكتشف أنّ عشيقه الذي كان يخدعه ليبتزّه هو عدو لدود له منذ البداية ، وهؤلاء قليلون جداً لأن الارهاب والتورط في القبائح يمنعانهم من الردة . وإما أن يتحولوا بمؤثرات بيئة التنظيم الشيوعي إلى مجرمين محترفين جنودٍ من مستوى القاعدة ، أو قياديين من دون مستوى القمة ، وهم في الحقيقة جنود تُمنح لهم في التنظيم قيادات وهمية على من دونهم ، ولا عمل لهم إلا تنفيذ الأوامر العليا ، وسَوْق من دونهم في التنظيم .

ولما كان باطن الشيوعية كذلك ، كان لا بدّ لها من أن تلبس في ظاهرها ألبسة وأقنعة تستُر بها حقيقتها ، وكان لا بدّ لها من أن تحمل باستمرار شعارات كاذبة ، وأن تتصنع بما يحسّنها للناظرين ، ويستر القبح الرهيب الذي في أنيابها وأظفارها المفترسة ، والذي في نفوسها الحاقدة اللئيمة الشرسة . وكان لا بدّ لها من أن تُلَفّق المعاذير الكاذبة باستمرار لأعمالها التي تناقض ما تعلنه من شعاراتها ، وأن تجدّد طرائقها ووسائلها المخادعة كلّما اكتشف الناس ما تمارسه من طرائق ووسائل . وكان لا بدّ لواقع حالها من أن يكون على الطرف المناقض لما تعلنه من

مذهب اجتماعي ، وأفكار إصلاحية ، وحرّية ، وديمقراطية ، وعدالة اجتماعية ، وغير ذلك من أقوال وشعارات .

هذا ما قرّره وأعلنه كلٌّ الذين خدعتهم الشيوعيــة أوّلاً ، فضحّــوا في سبيلها تضحيات جُلّى،ثمّ لمّا اصطدموا بخيبة آمالهم حين اكتشفوا جحيمها وكذب شعاراتها ، ثابوا إلى رشدهم ، وارتدّوا عنها ناقمين ساخطين أعداءً لها أشدّ عداوة من أعدائها الأصليين ، ومن هؤلاء :

١ ــ (ميلوڤان دجيلاس) وهو يوغسلافي شيوعي ثوري مناضل ، شغل عدّة مناصب في الدولة الشيوعية اليوغسلافية ، فكان وزيراً في حكومــة تيتو ، وتولّى رئاسة العديد من الوفود والبعثات إلى الكثير من البلدان الاوروبية والأقطار الآسيوية ، وفي عام (١٩٥٣ م) انتخب في يوغسلافيا نائبــاً للرئيس « تيتو » ، وعضواً في المجلس اليوغسلافي الأعلى للدفاع . ثم دبّ الخلاف بينه وبين قــادة الحزب الشيوعي اليوغسلافي ، وفي مطلع عام (١٩٥٤ م) شرع ينتقد الأوضــاع السائدة ويدعو إلى معالجتها وإصلاحها ، ويكتب العديد من المقالات التي تكشف مساوىء النظام الشيوعي في يوغسلافيا ، وتنادي بالعودة إلى الحرّيات الديمقراطية، فغضب عليه الحزب الشيوعي ، ثم أعفي من جميع مناصبه الحزبية ، ثمّ عزل مــن منصب نائب رئيس الدولة ، ثم حكم عليه بالسجن ثلاث سنوات مع وقف التنفيذ مراعاة لخدماته السابقة للحزب !! ثمّ انتقد السياسة التي انتهجها « تيتو » بصدد المسألة المجرية ، فحكم عليه كمرتدّ بالسجن ثلاث سنوات ، كتب خلالها كتابــه « الطبقة الجديدة » واستطاع أن يهرّبه إلى بلاد الغرب ، وينشره هناك ، فحكم عليه بالسجن من أجل ذلك خمس سنوات . ثمّ ألفّ عدة مؤلفات أخرى ، فأثارت مؤلفاته غضب السلطات الشيوعية عليه ، وفي عام (١٩٦٢ م) أصدرت محكمــة بلغراد حكمها عليه للمرة الثالثة بالسجن تسع سنوات ، بسبب مواقفه الفكريــة ومؤلفاته التي تفضح جوهر الأنظمة الشيوعية وحقيقتها .

٢ ـ (قدري قلعجي) كاتب وأديب عربي سوري وطني قومي ، خدعته الشيوعية فانتمى إليها وخدمها بصدق ، ولمّا اكتشف زيفها وكذب شعاراتها وخياناتها الوطنية ثاب إلى رشده وارتدّ عنها ناقماً ساخطاً ، وكتب كتابه « تجربة عربي في الحزب الشيوعي » •

٣ ـ (د• مصطفى محمود)طبيب ومفكر وكاتب عربي مصري عميق التفكير، خدعته الشيوعية فانتمى إليها ، ثمّ لمّا اكتشف زيف شعاراتها وفساد تطبيقاتها ثاب إلى رشده وارتدّ عنها ناقماً ساخطاً ، مفنّداً آراءها وأفكارها ، ومعلناً التزامه طريق الايمان بالاسلام ، وداعياً له ومبشراً به •

٤ ـ الستة أصحاب كتاب « الصنم الذي هوى » وقد ذكروا فيه ما اكتشفوه في الشيوعية إذ اتنموا إليها وأخلصوا لها ، ثمّ ارتدوا عنها ناقمين ساخطين ، معرّين قبائحها وفضائحها ، وهم من كتاب أوروبا الكبار : « رتشارد رايت » و « آرثر كستلر » و « اكناز سيلوني » و « أندريه جيد » و « ستيفن سبندر » و « لويس فيشر » •

والكتاب المذكور ترجمه إلى العربية « فؤاد حمودة » المدرس بجامعة دمشق•

٥ ـ وغير هؤلاء كثيرون •

وقد لخّص « قدري قلعجي » تجربته في انتمائه إلى الشيوعية بقوله (١) :

« لقد خيّل إليّ وأنا أخطو هذه الخطوة الجريئة في حياتي أني على موعد مع الشمس ، فاذا بي على موعد من الظلام والعفن والصقيع •

وكنت أكافح الفاشستية ، فإذا بي أكتشف أنّ الشيوعية إنما هي فاشستية مقنّعة تتغنّى بالحرية والديمقراطية لتفترسهما وتقيم على أنقاضهما أرهب دكتاتورية في التاريخ ، فالماركسية الشيوعية كما يقول غاندي ، هي فاشستية حمراء•

---

(١) من كتاب « تجربة عربي في الحزب الشيوعي » لقدري قلعجي .

وكنت أنشد السلام في حركة تزعم أنّها تدعو إلى السلام ، فإذا بها حركة تعمل على تأجيج الكفاح الطبقي ، وافتعال الضغائن والأحقاد ، وإشعال الحروب الأهلية، منادية بالعنف ، داعية إلى سفك الدماء ، جاعلة من الهدم والبطش والإرهاب سنناً وطرائق للوصول إلى أسوأ الغايات .

وكنت أعتنق فلسفة زعمت أنها جاءت لسعادة بني الانسان ، فاذا بها تهدف في الواقع إلى عكس ما تدّعيه ، لأنّها أشادت عمارتها الفلسفية بمعزل عن الذات الانسانية ، وعن الانسان الفرد نفسه ، معتبرة إيّاه مادّة سلبيّة صمّاء تجري عليها عوامل التعرية والنحت والتغيير ، دون أن يكون له بذلك وعي" أو علم أو انفعال ، عاملة على تجريده من العواطف والمشاعر الانسانية ونوازع الابداع والطموح .

وكنت أبحث عن الحريّة والسيادة والاستقلال ، فاذا بي أعمل مع التبعية والانهزامية والضلال ، وأخدم استعماراً جديداً أين منه الاستعمار القديم الراحل ! وأناضل لبناء إمبراطورية جديدة تُحكِم قبضتها على الشعوب ، وتشدّد عليها الخناق ، وتعزلها عن العالم ، وتعرّضها لعملية صهر وتذويب وإبادة لم يعرف التاريخ مثيلاً لها من قبل .

لن أتحدّث عن الفضائح الكثيرة التي عرفتها عن قادة الحزب ، والتي أرجو ألاّ يضطرني الشيوعيّون روايتها مرفقة بالتواريخ والأسماء . ولكنّي سأتحدث عن الفضيحة الكبرى التي تنتظم تاريخ الحزب وتدمغه بطابعها الصارخ ، وهي فضيحة الشعوبية والتبعية ، فمنذ تأسس الحزب الشيوعي في سورية ولبنان وهو ينكر القومية العربية ويعمل على محاربتها ، ويؤمن بالتبعيّة ويناضل في سبيل توسيعها ، بحيث تنتقل من نطاق الحزب إلى نطاق الوطن بأسره .

والحديث عن التبعية طويل ، تشير إليه بالأصابع العشر حقيقة فاضحة ، وهي أنّ الشيوعية لم تدخل البلاد العربية كحركة وطنية تنبثق من البيئة القومية وتتفاعل معها ، وأنّ مؤسسي الحزب الشيوعي لم يكونوا مواطنين عرباً من أبناء البلاد ، وإنما كانوا رسل « الكومنترن » أو الشيوعية الدولية « لهدايتنا » إليها ، في وقت لم يكن الاتحاد السوڤياتي قد أقام علاقات ديبلوماسية مع بلدان الشرق الأوسط .

وكان أولهم يهودي بولوني يدعى « جوزيف برجر » أطلق عليه لقب « عين موسكو » •

ثم تلاه « عين موسكو » الثاني وهو يهودي ليتواني يدعى « إلياهو تيبر » •

وهنالك « عين موسكو » الثالث وهو يهودي روسي من أوديسا يدعى « نخمان لتيفنسكي » •

وجميع هؤلاء « العيون » جاؤوا إلى بيروت عن طريق حيفا ، وعملوا على تأسيس الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، على أن يكون تابعاً للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين •

وبعد التبعية للحزب الشيوعي اليهودي كانت التبعية للحزب الشيوعي الفرنسي• ثم كانت العلاقة المباشرة مع السفارة السوفياتية في بيروت ودمشق » •

وقال أيضاً تحت عنوان « جراح الخيبة الكبرى » :

« وقد تأكد لي أنّ المرء إنما ينتسب إلى الحزب الشيوعي وهو في سنّ المراهقة أو سنّ الشباب ، عن عاطفة نفسية لا عن اقتناع فكري ، ثمّ يحاول إقناع نفسه عن طريق ما يقرأ أو يسمع ، وهو لا يحبّ أن يقرأ أو يسمع إلاّ ما يدعم هذه المحاولة الجاهدة ، يأخذ كلّ ما يدعمها ويرفض كلّ ما يهدمها ، ومن النادر جداً أن يستيقظ بعد ذلك وتسقط الغشاوة عن عينيه ، لأن جوّ الافتتان المسحور الذي يعيش فيه سرعان ما يعطّل عقله ، ويفسد حكمه على الأمور ، وينتزع من نفسه تلك الفضائل المثالية التي كانت دافعة للانتساب إلى الحزب ، كالأخوة والمحبّة والطيبة والشعور الوطني والانساني ، لأنّ الحزب إنما يعمل أوّل ما يعمل على قتل هذه الفضائل ، وتعيير صاحبها بها ، بحجة أنّها فضائل برجوازية ، ورواسب إقطاعية يجب التحرر منها • ولهذا ، بقدر مايكون الاندفاع نحو الشيوعية سهلاً يكون التحرّر منها شاقاً وعسيراً • وقد كنت أرى المساوىء فأنكرها ، وأشهد المخازي فأخادع نفسي بشأنها ، حتى كانت أحداث فلسطين أشبه بالقطرة التي تطفح بها الكأس المترعة ، فانطلقتُ من شراك العنكبوت الشيوعي غير متحرّج ولا نادم ، وبقيت سنوات عديدة وأنا أمسح جراح الخيبة الكبرى » •

١ ــ حمل الشيطان رسالة التضليل والإغواء لذرية آدم،لما ضلّ هو وغوى، إذ أبى أن يطيع أمر ربّه بالسجود لآدم استكباراً وحسداً ؛ فأعلن رسالته هذه لربه فقال له كما جاء في سورة (ص) :

[قال : فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين (٨٢) إلاّ عبادك منهم المخلَصين (٨٣) قال : فالحقُّ والحقَّ أقول (٨٤) : لأملأنّ جهنم منك وممّن تبعك منهم أجمعين (٨٥)] .

فأقسم إبليس بعزّة ربّه أن يسعى في إغواء بني آدم أجمعين ، واستثنى منهم عبادَ الله المخلَصين ، وأقسم الله أن يملأ منه وممّن تبعه منهم جهنم دار العذاب .

وكما جاء في سورة (الأعراف) :

[قال : فبما أغويتني لأقعدَنّ لهم صراطك المستقيم (١٦) ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين(١٧)] .

أي فبسبب حكمك عليّ بالغواية لأني أبيتُ أن أسجد لآدم كما أمرتني ، لأحيطنّ ببني آدم من كلّ جانب ، ولآتينهم بكل وسيلة لإغوائهم . فأبان هذا النصّ سبب الكيد الشيطاني لذرية آدم ، وخطة الإحاطة بهم لإغوائهم وصدّهم عن صراط الله المستقيم ، وإخراج سالكيه عنه .

وكما جاء في سورة (الاسراء) :

[وإذْ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس قال أأسجد لمن خلقتَ طيناً (٦١) قال : أرأيتكَ هذا الذي كرّمت عليّ ، لئن أخّرتَنِ إلى يوم القيامة لأحتنِكَنّ ذرّيته إلاّ قليلاً (٦٢) قال : اذهب فمن اتبعك منهم فإنّ جهنّم جزاؤكم جزاءً موفوراً (٦٣) واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلِبْ عليهم بخيلك ورَجِلكْ ، وشاركهم في الأموال والأولاد،وعِدْهم، وما يعدُهم الشيطان إلاّغروراً(٦٤) إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلاً (٦٥)] .

لأحتنكن ذريته إلا قليلاً : أي لأستأصلن في الإغـواء ذرية آدم إلا قليلاً ، أي كما يستأصل مثلاً الجراد بحركة حنكه الزرع • أو لأقودنّهم إلى الغواية كما تُقاد الدابّة من مقودها المعقود في حنكها ، فهي تسير وراء قائدها •

فأبان هذا النص خطّة التصميم الشيطاني على استئصال ذريّة آدم بالإغواء، وهذا يستلزم في عمليات التضليل استخدام عدة وسائل :

أ ــ فهو يستلزم استخدام وسائل الدعوة الكلامية المزخرفة ، التي يطلق فيها داعي الإغواء الأباطيل المقنعة بالشعارات الكاذبة البرّاقة ، لذلك قال الله له : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » •

ب ــ ويستلزم أيضاً استخدام جنود الإرهاب والقسر ، لذلك قال الله له : « وأجلب عليهم بخيلك ورَجِلك » •

جـ ــ ويستلزم أيضاً استخدام أسلوب التسلّط على الأموال ومصادرتها ، والقبض على وسائل الرزق ، لإكراه إرادات الناس بذلك على تنفيذ مخطط الإغواء، واستخدام أسلوب التسلّط على تربية الأولاد وتنشئتهم على الكفر والضلال ، ولذلك قال الله له : « وشاركهم في الأموال والأولاد » •

د ــ ويستلزم أيضاً استخدام أسلوب المواعيد الكاذبة ، لخدع الناس بها ، ولذلك قال الله له : « وعِدهم » • وأبان الله أن وعد الشيطان لايكون إلا وعد غرور ، فقال تعالى : « وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » •

ثم قال الله تعالى للشيطان : « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » أي لأنهم متوكلون على الله ، دل على هذا قوله تعالى : « وكفى بربك وكيلاً » •

وكما جاء في سورة (الحجر) :

[قال : رب بما أغويتني لأزينَنّ لهم في الأرض ، ولأغوينهم أجمعين (٣٩) إلا عبادك منهم المخلَصين (٤٠) قال : هذا صراط عليّ مستقيم (٤١) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعكَ من الغاوين (٤٢) وإن جهنّم لموعدهم أجمعين (٤٣)] •

فجاء في هذا النصّ بيان وسيلة التزيين من خطط الشيطان في الإغواء . وتعهّد الرحمن بأن يحمي عباده من أن يكون للشيطان عليهم سلطان ، أمّا سلطان الشيطان فهو على من يتبعه من الغاوين باختيارهم .

*　*　*

٢ ــ ولمّا رفض قادة يهود نبي الله ورسوله عيسى عليه السلام ، ونبيّ الله ورسوله محمداً ﷺ وأبَوا اتباع الحق واستكبروا وحسدوا ، وأوهموا أنفسهم أنّهم أبناء الله وأحبّاؤه ، حملوا للنّاس رسالة الإغواء الشيطانية ، فوضعوا دستور التضليل والإغواء في « بروتوكولاتهم » وقالوا في دستورهم كما سيأتي بيانه[1] :

« يجب علينا أن نزرع الألغام لتهديم الايمان ، وأن نمحو من عقول الأميين مبادىء الله والروح ، وأن نبدل هذه المبادىء بحسابات رياضية ورغبات ماديّة ..

ولقد خدعنا الجيل الناشىء من غير اليهود وجعلناه فاسداً متعفناً ، بما علّمناه من مبادىء ونظريّات معروف لدينا زيفها التامّ ، وكنّا نحن أنفسنا الملقنين لها ...

لاتتصوروا أنّ كلماتنا جوفاء ، ولاحظوا هنا أنّ نجاح « دارون » و « ماركس » و « نيتشه » والأثر غير الأخلاقي لاتجاه هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد ...

إننا نقصد أن نظهر كما لو كنّا محرّرين للعمّال ، جئنا لنحرّرهم من هذا الظلم، وحينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين ، والفوضويين ، والشيوعيين ، ونحن على الدوام نتبنّى الشيوعية ونحتضنها ، متظاهرين بأننا نساعد العمّال طوعاً لمبدأ الاخوة والمصلحة العامة للانسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية .

ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤجّجها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كلّ من يصدّوننا عن سبيلنا .

---

(١) تحت عنوان : « جذور نشأة الحركة الشيوعية ودور اليهود فيها » .

وحين يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها ، أي نستغلّ الغوغاء كيما تحطّم كلّ شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا ... » .

*   *   *

٣ ــ والتزاماً برسالة التضليل والإغواء التي حملها الشيطان من قبل ، وحملها جنوده قادة صهيون من بعد ، قام مؤسسو الشيوعية وحمَلَة رسالتها بإعلان حربهم الشعواء ضدّ الدين والأخـلاق ، وضدّ كلّ القيم التي تضبط سلوك الإنسان ، وتهديه إلى صراط الخير والنفع والسعـادة العاجلة والآجلة ، وتصرفه عن سبُـل الغواية والشرّ والضرّ والأذى والشقاء العاجل والآجل .

وفيما يلي مقتطفات تكشف هذه الحقيقة وتوضّح مذهب الشيوعيين القائم على إلغاء الأخلاق والأديان والقوانين ، واعتبارها أوهاماً موضوعة لمصالح طبقية :

أ ــ جاء في البيان الشيوعي الذي أصدره معلّم الشيوعية الأول اليهودي « كارل ماركس » ورفيقه « إنجلز » والذي صار فيما بعد دستور الشيوعيين وأساس عقيدتهم ما يلي :

« إنّ القوانين والقواعد الأخلاقية والأديان أوهام" بورجوازية تتستّر خلفها مصالح بورجوازية » .

وجاء فيه أيضاً عن الدين ما يلي :

« إنّه الأفيون الذي يخدّر الشعب لتسهل سرقته ، وإنّ الدين كان وسيلة الإخضاع الروحي ، كما كانت الدولة وسيلة الإخضاع الاقتصادي » .

وجاء فيه أيضاً :

« أمّا ما وجه للشيوعية من تهم دينية وفلسفية وأخلاقية فلا يستحق بحثـاً عميقاً ...!! » (١) .

---

(١) بكل هذه البساطة تردّ قضايا الدين والأخلاق والفلسفة التي شغلت الفكر الانساني منذ نشأته وما تزال تشغله ما دام في الناس فكر حصيف ومنطق سديد ، إن هذه القضايا الكبرى لا تستحق عند ماركس بحثاً عميقاً . لذلك فهي ترد دون أي دليل . ما هذا السخف ؟

ب ـ وقال « إنجلز » : « إننا نرفض شتّى المحاولات التي تحاول أن تفرض علينا أخلاقاً تستند إلى المثاليات ، ذلك لأننا نؤمن أن الأخلاق هي نتاج الأوضاع الاجتماعية ، ولمّا كانت الأوضاع الاجتماعية متغيرة ، فإنّ مفاهيم الأخلاق التي نؤمن بها هي كلّ عمل يؤدّي إلى تحقيق انتصار مبدئنا مهما كان هـذا العمـل منافياً للأخلاق » .

جـ ـ وقال « لينين » : « يجب على المناضل الشيوعي الحقّ أن يتمرّس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل ، فالكفاح من أجل الشيوعية يبارك كلّ وسيلة تحقق الشيوعية » .

وقال أيضاً : « إذا لم يكن المناضل الشيوعي قادراً على أن يغيّـر أخلاقه وسلوكه وفقاً للظروف ، مهمـا تطلّب ذلك من كذب وتضليل وخداع ، فإنّه لن يكون مناضلاً ثوريّاً حقيقيّاً » .

وقال أيضاً : « إنّ المناضل الشيوعي الثوري الحقّ هو ذلك الذي يبذل كلّ تضحية يفرضهـا عليه تحقيق الهدف الشيوعي ، ولو تطلب الأمر التضحيـة بالأخلاق والكرامة والضمير ، فالهدف المثالي الحقّ هو تحقيق المجتمع الشيوعي وتدعيمـه » .

وقال أيضاً : « ويجب علينا أن نتوسّل بكل أنواع الحيل والمناورات والوسائل غير القانونية لتحقيق أهدافنا الشيوعية » .

وجاء في خطاب له ألقاه في المؤتمر الثالث لمنظمة الشباب الشيوعي ، الـذي عقد في تشرين الأول من عام (١٩٢٠ م) ما يلي :

« إننا لا نؤمن بإله ، ونحن نعرف كلّ المعرفة أنّ أرباب الكنيسة والإقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الإله إلاّ استغلالاً ومحافظة على مصالحهم ، إننا ننكر بشدّة جميع هذه الأسس الأخلاقية التي صدرت من طاقات وراء الطبيعة غير الانسان ، والتي لا تتفق مع أفكارنا الطبقية . ونؤكد أنّ كلّ هـذا مكر وخداع ، وهـو ستار على عقول الفلاحين والعمال لصالح الاستعمار والإقطـاع .

ونعلن أنّ نظامنا لا يتبع إلاّ ثمرة النضال « البروليتاري » فمبدأ جميع نظمنا الأخلاقية هو الحفاظ على الجهود لطبقة « البروليتاريا » أي العمال والكادحين » .

وحين سمع الكاتب الروسي « ماكسيم جوركي » هذا الكلام من « لينين » لم يرض عنه ، فامتنع عن حضور جلسات الحزب ، ولمّا افتقده « لينين » فترة من الزمن أرسل إليه من يحضره ، فامتنع عن الحضور بحجّة أنّه يبحث عن الإله .. فكتب إليه « لينين » يقول له :

« إنّ البحث عن الله لا فائدة منه ، ومن العبث البحث عن شيء لم يخبأ ، وبدون أن تزرع لا تستطيع أن تحصد ، وليس لك إله لأنّك لم تخلقه بعد ، والآلهة لا يُبحث عنها وإنما تُخلَق » !!

د ــ وقال « ستالين » : « إنّ الأخلاق الصالحة في نظرنا هي تلك التي تيسّر لنا القضاء على النظام القديم ، وهي تلك التي تدعم النظام الشيوعي ، ولا شيء غير هذا يمكن أن يسمّى أخلاقاً فاضلة » .

هـ ــ وقال « مالينكوف » : « إنّ الأخلاق الفاضلة في نظرنا هي كل الوسائل التي تؤدّي إلى القضاء على النظام القديم ، بينما تؤدي في الوقت ذاته إلى تدعيم النظام السوڤياتي » .

وحين هاجمت بعض الصحف العالمية موجة الالحاد في الاتحاد السوڤياتي ، وقالت :

« إنّ هذا شيء مخالف لطبيعة النفس البشرية ، وكيف يتسنّى للانسان أن يعيش دون حقيقة يؤمن بها ، ويعمل من أجلها ... ؟ » .

خرجت صحيفة « براڤدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي ، والمعبّرة عن سياسة ومبادىء السلطة الحاكمة في الاتحاد السوڤياتي تدافع عن العقيدة الشيوعية بقولها :

« ومن قال : إننا لا نؤمن بشيء ؟ . إنّ من يقول ذلك يتجنّى علينا ولا يذكر حقيقة وضعنا . نحن نؤمن بثلاثة أشياء « كارل ماركس » و « لينين » و« ستالين» . ولا نؤمن بثلاثة أشياء : « الله ــ الدين ــ الملكية الخاصة » .

وقد أصبحت هـذه الأقوال وأمثالها مشهورة شهرةً تغني عن نسبتهـا إلى مصادرهـا ، وإنّما ألحّ القادة الشيوعيون في العالم على محاربة الدين والأخلاق بهذا الشكل العنيف لينزعوا من نفوس أتباعهم كلّ ما تبقى فيها من وجدان ، وكلّ ما خلّفته الموروثات الفاضلة فيهـا ، حتى لا تبطّئهم عـن ارتكاب أيّة جريمة في الشعوب ، متى كانت الجريمة سبباً لتحقيق أهداف القادة الشيوعيين في استعباد الشعوب .

وبعد هذه الأقوال التعليمية وأمثالها التي وجّهها القادة الماركسيـون إلى جميع الأحزاب الشيوعية في العالم قامت التطبيقات لها على نطاق واسع .

ففي سنة (١٩٢٣ م) أعلن المؤتمر الشيوعي الذي عقد للبدء بالحرب ضدّ الأديـان ما يـلي :

« يوجد داخل اتحاد الجمهوريّات السوفياتية ثلاثون مليوناً مـن المسلمين ، كانوا يعيشون حتى الآن دون أن يمسّهم شيء ، كما أنهم يحافظون على عقائد باطلة، وخرافات من العصور الوسطى لها صلة بالدين ، وغايتها الاضرار بالثورة ، وبعـد أن نظرنا في هذا كلّه ، ودرسنا خصائص كلّ أمّة على حِدَة ، قرّرنا القيـام بالخطط والتدابير الواجب عملها لإزالة هذه العقائد الباطلة من أوساط هذه الأمم » .

وجاء في برنامج المؤتمر الشيوعي الدولي السادس المنعقد سنة (١٩٢٨ م) ما يلي : « إنّ الحرب ضد الدين ــ أفيون الشعوب ــ تشغل مكاناً مهماً بين أعمال الثورة الثقافيـة » .

وكان من ثمرة هذه القرارات الشيوعية منع التعليم الاسلامي داخل الاتحاد السوفياتي ، وإغلاق المساجد ، حتى تم إغلاق خمسة وعشرين ألف مسجد ، وتحويلها إلى مراكز لكثير من الأمور الحقيرة .

وأخذت المعارف الشيوعية تتجنّى على الحقائق الاسلامية ، تجنّياً واضـح الكذب والتلفيق ، بعيداً عن أدنى الأمانة العلمية التي يجب على الباحث العلمي أن يتحلّى بها ، ويلتزم بواجباتها .

ومن أمثلة خيانة الحقائق العلمية المتعلقة بالاسلام ما جاء في دائرة المعارف السوڤياتية لدى التعريف بالقرآن، إذ جاء فيها ما يلي[1] :

« القرآن : الكتاب المقدّس الأساسي للمسلمين .. مجموعة من المواد الدينيّة المذهبية، والأسطورية القانونية، وقد وضع القرآن وشرع خلال حكم ثالث الخلفاء العرب « عثمان » ثمّ أدخلت عليه فيما بعد حتى بداية القرن الثامن ـ وفق ما بلغنا من المعلومات ـ بعض التغييرات . ووفقاً للتراث الاسلامي للتاريخ الديني يعتبر محمد هو مشرّع القرآن، كما يعتبر مؤسس الاسلام، على أنّه وفقاً للتحليل الموضوعي للقرآن، هناك نظرية تقول : إن جزءاً معيّناً منه فقط ينتمي لعصر محمد، أمّا الأجزاء الأخرى من هذه المجموعة فلا بدّ أنها تنتمي لعصور متقدّمة أو متأخرة عنه، ويمكن أن يتبين هذا من وجود عدد من الأساليب المختلفة في القرآن، يمكن أن تُعزى لتطوّر اللغة العربية، ولزمن ظهور السّوَر ومكانها . وتستخدم الطبقاتُ الاستغلالية القرآن ورجال الدين الاسلامي الرجعيين سلاحاً لخداع الجماهير الكادحة وكبحها » .

دائرة المعارف السوڤياتية جـ١٢ ص٥٦٤

فكم في هذا التعريف بالقرآن العظيم من أكاذيب وتلفيقات صريحة، لاتتفق مع أقل مستوى من الأمانة العلمية، وكان باستطاعة دائرة المعارف هذه التي لايؤمن كاتبوها بالاسلام ولا بالقرآن ولا بأي دين، أن تذكر ما يقوله المسلمون عن قرآنهم، وأن تتبرّأ من الاعتقاد بما يقوله المسلمون، دون دخول في تفصيلات تلفيقية لا أساس لها مطلقاً .

واشتمل دستور الاتحاد السوڤياتي على نص يفيد أن حريّة الدعوة ضدّ الدين مكفولة، أي بخلاف الدعوة إلى الدين فهي جريمة ! لكن وجد بدل حرية الدعوة إلى الدين ما يفيد حرية العبادة الدينية فقط، ومعلوم أن العبادات الدينية

---

(١) اقتباساً من مقال للدكتور « عبد الرحمن حميدة » في مجلة الدعوة العدد٦٨٣

تنقرض بانقراض المتدينين السابقين ، فقد جاء في المادة (١٢٤) من دستور الاتحاد السوفياتي الصادر في سنة (١٩٣٦ م) ما يلي :

« لكي يستمتع المواطنون بحريّة الضمير تفصل الكنيسة في الاتحاد السوفياتي عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، ويكفل لجميع المواطنين حريّة العبادة الدينية ، كما تكفل لهم حريّة الدعوة ضدّ الدين » .

فحصر هذا النصّ الحرية الدينية بحريّة العبادة الدينية فقط ، دون الأمور الدينية الأخرى التي تشمل جميع شؤون الحياة ، ودون حريّة الدعوة إلى الدين .

واشتملت المادة (١٢٢) من قانون الجنايات في الاتحاد السوفياتي على : « تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية ، سواء في مدارس الحكومة ، أو المدارس الخاصة ، أو المعاهد التعليمية المختلفة » وجعلت كلّ مخالفة في هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحي مع الأشغال الشاقة مدّة لا تزيد عن سنة .

ووضعت المادة (٥٨) من القانون المذكور جميع المتعبّدين تحت باب « أعداء الثورة » وأباحت لرجال الشرطة في شتى الظروف السياسية أن يقتحموا بيوت هؤلاء المتعبدين ، ويتولّوا أمورهم بطريقتهم الخاصة .

وهدف الشيوعيين من اضطهاد المتدينين القضاء على الدين نهائيّاً ، وحرمانه من أسباب الحياة ، وتركه حتى يذبل وينتهي وكأنه مات ميتة طبيعية ، بعد تعقيمه بقطع وسائل تكاثره ، وقتل ذراريه ، وإسقاط أجنته .

وكان هذا بالطبع تطبيقاً لتعاليم « ماركس » التي يقول فيها :

« لا غناء في الوقت الحاضر عن شنّ أشدّ الحرب على تعاليم الدين وأوهامه وخزعبلاته » .

وتنفيذاً للمخطط اليهودي العالمي .

ويخدع الشيوعيون القادة جماهير العمال والكادحين باتهام الدين بأنه وسيلة في أيدي المستغلين لتخدير الفقراء ، حتى لا يثوروا عليهم ، ويسقطوا سلطانهم . من ذلك قول « ماركس » : « الدين أفيون الفقراء أو أفيون الشعوب » . وقول

« لينين » في فصل له عن « الاشتراكية والدين » : « الدين يعلّم هؤلاء الذين يكدحون طوال حياتهم في الفقر الاستسلام والصبر في هذه الدنيا ، ويغريهم بالأمل في المثوبة بالعالم الآخر » .

و ــ من أقوال القادة الشيوعيين لأتباعهم التي يردّدونها عند كلّ مناسبة حتى غدت تعاليم ثابتة ، يقولونها ، ويعملون بمقتضاها ، إبان الثورة ، وبعد الاستئثار بالحكم والسلطة ، وبشكل مستمر ما يلي :

« إنكم لاتحتاجون إلى الكثير من الجهد لاختيار الوسائل الواجب استخدامها بدقة ضدّ القوى المضادة ...

إن من الواجب عليكم ألاّ تقفوا عند حدود إنزال أشدّ أنواع العقاب بالخونة ، إذ يجب أن تقتصوا من كلّ الجماعات غير المبالية بما يجري حولها ، ومن كلّ الفئات الخاملة التي لاتقوم بأي مجهود في سبيل تقدّم الدولة » .

« إنّ الغاية هي الأساس ، وكلّ ما عداها يعتبر من الأمور التافهة التي لاتثير الاهتمام » .

« إنّ أهمّ شيء في نظرنا هو تحقيقنا الاشتراكية ، فعندنا نظام اشتراكي » .

بهذه العبارات يحاول الشيوعيون تبرير مظالمهم وجرائمهم وقبائحهم وعدم أخلاقيتهم .

ز ــ الوسائل الهمجية المتوحشة التي لا تقيم وزناً لأية قيمة أخلاقية ، والتي يستخدمها الشيوعيون لإقامة ثورتهم وتوطيد حكمهم ، تزداد همجية وشراسة وعنفاً ، كلّما توطّد النظام الشيوعي وطال أمد حكمه .

وقد فاقت الحركة الشيوعية في وسائلها الهمجية العنيفة التي ليس فيها ذرّة رأفة أو رحمة أو عاطفة إنسانية كلّ الهمجيات التي مرّت في تاريخ البشرية ، كمّاً وكيفاً واستمراراً وشمولاً .

لذلك فهي ترتكب أبشع أنواع المظالم ، وتقترف أقبح الجرائم ، وسائل لتحقيق مصالحها الأنانية ، وتزداد شراسة وإرهاباً وقبحاً ، كلّما غدا من العسير عليها تحقيق مآربها .

ولدى محاولة تقصّي المبرّرات والأسباب لهذه الظاهرة ، تتكشف الحقيقة الجليّة ، التي تؤكد افتقار الشيوعيين إلى المبادىء الأخلاقية والاجتماعية ، وتؤكّد أنّ اتجاه أساليبهم مبنيٌ أصلاً على الاستهانة الشنيعة بالقيم الانسانية والأخلاقية ، الأمر الذي يصبغهم بالصبغة الهمجية ، ويجعل وحش نفوسهم المسعور ينفلت من عقاله على شكل طغيان رهيب مدمّر •

وهذا نتيجة واقعية لما خططت له القيادات اليهودية الصهيونية حين قررت إقامة الحركات المدمّرة للعالم، والقائمة على الحرب المسعورة ضدّ الدين والقيم الأخلاقية، والنظم الاجتماعية ، والدول القائمة في العالم ، تمهيداً لتحقيق حلم اليهود في حكم العالم حكماً مباشراً •

ح ـ يقول « ميلوڤان دجيلاس » (١) :

« وبذلك لن يكون بمستطاع أي إنسان أن يجد أيّة مبررات أخلاقية ، للأعمال التي يرتكبها الشيوعيون بحقّ الانسانية ، فوسائلهم تقرّر بذات نفسها أنّ الشيوعيين أناس قساة مجرمون بحقّ الانسانية ، لا يعرفون الشفقة أو الرحمة • إنّ أساليبهم لم تتبدّل مطلقاً جوهريّاً ، بالرغم من تصفيتهم كلّ الطبقات التي كانت موجودة قبل وصولهم إلى الحكم ،غير أنّ هذا الواقع لا يمنع مطلقاً أن تزداد أساليبهم إرهاباً ووحشية •

إنّ الطبقة الجديدة حين تتربّع على دست الحكم ، وتتسلّم مقاليد السلطة ، لا تتردد مطلقاً في تبرير أساليبها غير الأخلاقية بحجج واهية عن غايات مثالية •

فوحشية « ستالين » قد بلغت أوجها حين تمّ له بناء المجتمع الاشتراكي •

ولقد بلغت صفاقة الحكم الشيوعي درجة أخذت الطبقة الجديدة معها بالإعلان عن أنها حين تهدف للوصول إلى غاياتها المثالية الرامية إلى تحقيق مصلحة المجتمع

---

(١) سبق أن عرفنا أنه شيوعي يوغسلافي ، وصل إلى نائب الرئيس تيتو ، ثم فاء إلى رشده ، وارتد عن الشيوعية ونشر فضائحها ، وما ننقل من كلامه فهو من كتابه « الطبقة الجديدة » .

الانساني ، لا بدّ أن تغضّ الطرف عن أساليبها العدوانية • فالغاية هي الأساس ، وهي المبرّر للوسائل التي تمكنها من إحكام قبضتها على السلطة ، واحتكار الحكم ، والاستبداد بالفكر •••» •

ط ـ الحزب الشيوعي وأهدافه وتحقيقُ أهداف زعمائه وقادته ، هو القيمة الوحيدة الجديرة بالاعتبار في واقع الأنظمة الشيوعية ، وهو الأقنوم العظيم ذو المكانة السامية التي لا تدانيها في قدسيّتها التي تخوّلها كلّ صور الاستبداد والظلم والعسف والعنف ، كل القيم والأقانيم المتعصبة التي سلفت في تاريخ الناس •

مع العلم بأن أهداف الحزب الحقيقية تتلخص بوصول الشيوعيين إلى الحكم، وامتلاك كلّ ممتلكات الشعب ومقدّراته ، والتصرف فيها على هوى القادة والزعماء ، دون أن يكون لأحد اعتراضٌ على مايعملون ، ولا رأي فيما يتصرّفون به ، مهما كان مخالفاً لمصالح الشعب ورغباته وشروط رفاهيته وسعادته وحياته حياةً كريمة •

يقول « دجيلاس » وهو الزعيم الشيوعي الخبير الذي فاء إلى رشده :

« أصبح الحزب أقنوماً عظيماً ذا مكانة سامية ، شبيهة بالمكانة التي احتلّتها الكنيسة في مرحلة القرون الوسطى •••

فالعقائدية الشيوعية تحمل في طيّاتها الكثير من أشكال التعصب وروح الاستبدادية الديكتاتورية •••

إنّ الطبقة الجديدة الحاكمة لم تنبثق عن الفراغ ، بل إنها نشأت باديء ذي بدء في قلب القوى الثورية • وما كادت تتحول إلى طبقة ذات امتيازات حتى تحجّرت في طبقة رجعيّة معادية للتقدّم الفكري والاجتماعي • وخلال مرحلة تبدّلها هذه ، تطوّرت مناهجها في الوقت نفسه ، فتحوّلت من ثوريّة عنيفة ، إلى استبدادية غاشمة ، وانقلبت من وقائية إلى ديكتاتورية رهيبة •••

إنّ الشيوعيين لا يستطيعون التخلّي عن أساليبهم القديمة ليثبتوا أساليب جديدة محدثة ، وذلك بدافع أنانيتهم المفرطة بالاستئثار بالحكم •••

إنّ الشيوعيين بسبب رغبتهم في أن يكونوا الطغاة وأصحاب المتلكات الواسعة ، والامتيازات الكبيرة ، مجبرون على استخدام الوسائل والأساليب التي تحقق لهم غايتهم في الحكم ، وذلك لأن نظام الحكم نفسه يقودهم إلى استعمال جميع الوسائل الضرورية لصيانة مصالحهم ، وهـذا ما يجعلهم المدافعين عن كل الأساليب الإرهابية المستجدّة ، تتيجة كونهم أصحـاب المصلحة الأولى في تطبيق الوسائل المكيافلية التي تحقق لهم غاياتهم ... » .

ي ـ القيمة الأخلاقية لدى الشيوعيين تدلّ عليهـا العبـارات الجوفاء التالية وأمثالها :

- المعنويات الشيوعية العالية .
- الانسان الاشتراكي الجديد .
- القيم الثورية .
- أعداء الثورة الاشتراكية .
- أصحاب المصلحة الحقيقية من إقامة الثورة الشيوعية والحكم الشيوعي .
- الثوريّون الحقيقيون .
- أخلاقيـات الثورة .
- القياديون الأبطال .

إلى غير ذلك من قاموس الجمل الفارغة التي يطلقونها ، وكلّ هذه العبارات إنما تطلق في سبيل تحقيق هدف عملي يرمي إلى ضمّ الصفوف داخـل الحركـة الشيوعية ، وإلى توطيد نظام الحكم ، ومحاربة القوى الأخرى . فهي بعيدة عن أن تشتمل على أيّ مفاهيم أخلاقية صحيحة .

يقول « دجيلاس » وهو الخبير المجرّب :

« وبما أنّه من الأمور البعيدة عن الواقع ، والمستحيلة التحقيق ، تكويـن إنسان اشتراكي متميّز ، فإنّ من الأمور السائدة لدى الشيوعيين ، سعيهـم إلى

تنمية روح التمييز الطبقي والتفرقة الاجتماعية ، ليس لأنها مبادىء مطلقة ، بل لأنها تشكل لديهم مفاهيم ومعايير أخلاقية متميّزة في صلب النظام الشيوعي المبني على أساس هرمي ، يكون كلّ شيء فيه مباحاً على مستوى القمة الحاكمة ، ومحرّماً على القواعد الحزبية ... » .

ك ـ الأخلاق عند الشيوعيين ذات مفاهيم ومعايير خاصة ، تؤمّن للطبقات الفوقية في الحكم وفي الحزب القائم على نظام هرمي ، أن تسيطر سيطرة تامّة على الطبقات التحتية ، والويل كلّ الويل لمن يخرج عليها ، ويتعدى صلاحيات شريحته، والأخلاقيات المفروضة على القاعدة الحزبية تجاه من فوقها ثقيلة التكاليف والمسؤوليات ، وهي مطالبة بتضحيات لاحدود لها ، ومطالبة بالتفاني والإخلاص التام في سبيل المثل العليا التي هي مبادىء الشيوعية في نظر المغرّر بهم ، وهي مصالح الزعماء في الواقع ، وكم في القاعدة من مغفلين أغرار ، يتخذهم شياطين الحزب مطايا وضحايا ، ويرضى هؤلاء الأغبياء بما يقدّم لهم من بعض الشهوات،وبعض المكافآت.

وتتنازل هذه الأخلاقيات كلّما ارتقت الشريحة في اتجاه القمة ، وحين تكون الشريحة هي قمة الهرم تسقط كلّ المفاهيم والمعايير الأخلاقية الخاصة بالحكم الشيوعي وبالحزب الشيوعي ، ويمسي هوى الزعيم القائد أو الزعماء القادة هو المعيار لكلّ القيم والمبادىء ، سواء في داخل الحزب ، أو في معاملة الشعب .

أمّا المعايير الأخلاقية ذات الصبغة الانسانية العامة ، فلا وجود لها لدى الشيوعيين إطلاقاً .

يقول « دجيلاس » وهو الخبير المجرّب :

« إنّ الحركة الشيوعية لا تسفر عن وجهها الحقيقي إلاّ بعد أن تتسلّم السلطة ، عن طريق حمّامات الدّم ، وبوسائل الإرهاب والقتل الجماعي ، عند ذاك يخبو البريق المضلّل للكثير من المنخدعين بالمثل العليا من الناس البسطاء الطيبين ..

إنّ الحركة الشيوعية إذْ تصل إلى الحكم تكون قد استطاعت جرّ القوى المنخدعة ، المؤمنة بالمثُل الثورية العليا ، إلى منزلق الحرب الأهلية الطاحنة ، عند ذاك

يمكن تفريق الشيوعيين المثاليين، المنخدعين بالشعارات الكاذبة البراقة، عن الشيوعيين الانتهازيين ، الذين يتسلّقون درج السلطة متوسلين ظهر الفريق الأول ، منذ اللحظة التي تخوض الحركة فيها معركتها الطاحنة لتسلّم زمام الحكم ...

ومع تسلّم الشيوعيين الحكم ، وارتقائهم درج السلطة والملكية الكاملتين ، تبدأ مرحلة جديدة من اضمحلال وزوال ضباب الشعارات والمثل الزائفة ، كما تميع تلك الصلابة العقائدية ، وتذوب الوحدة المادّية ــ الروحية ، عندئذٍ لا تبقى إلاّ سيطرة القوة الغاشمة ، التي تفرض أشكال شعائرها الخاصة الخالية من أي مضمون حسيّ حقيقي ...

فالطبقة الجديدة حين ترتفع إلى مصافّ الحكم ، تعمد إلى قمع كلّ النزعات التحرّرية ، عن طريق التعصّب والتحجّر ، والعمل للسيطرة على حياة الأفراد الشخصية ، والتشدّد على الطابع الروتيني ، وتكريس الانتهازية ، وحبّ الظهور ، وارتكاب الموبقات ...

وبذلك يتم تحويل المبادىء الثورية المخادعة لحركة معزولة ، إلى مبادىء شرسة غير إنسانية ، بعيدة عن روح التسامح والإخاء ، بعد انكشاف القناع عن الوجه الحقيقي للطبقة صاحبة السلطة والامتيازات ...

ومن هنا نجد أنّ كثيراً من القيم تتبدل داخل الحركة الشيوعية ، فيحلّ الخنوع والاستسلام والتزلّف والوصولية ، مكان الاستقامة الظاهرية الكاذبة ، التي كانت الثورة تتمسّك بأهدابها قبل وصول الشيوعيين إلى الحكم ...

أمّا أولئك الثوار المنخدعون بالمبادىء الشيوعية ، الذين كانوا لا يتردّدون مطلقاً بالتضحية بأرواحهم رخيصة في سبيل أهدافٍ ومثُلٍ زائفة ، فإنّهم يصبحون في نظر الثورة جبناء مغرورين مخادعين ،ومن المفروض على الثورة أن تزيحهم عن الطريق ، إن لم يكونوا قد قضوا نحبهم كبش فداء في محترقها ، أو أنهم ينساقون وراء مصالحهم الخاصة ، فيتخلّون عن قيمهم السابقة ، ويقبلون الانحطاط إلى أدنى دركات الخسّة والوضاعة ، في سبيل الاحتفاظ بمكانة لهم في صفوف الطبقة الحاكمة الجديدة ، أو في مجال الأجهزة الإدارية ...

إنّ التاريخ لم يشهد أناساً كالشيوعيين ينقلبون بين عشية وضحاها ، من رجال يقبلون التضحية في سبيل مبادئهم الثورية ، إلى أشخاص فارغين محطّمين ، تعوزهم الأخلاقيات والمثل ، وإلى مجرد أدوات سخيفة تكرر ببلاهة الشعارات الفارغة من كلّ محتوى ، بعد وصولهم إلى سدة السلطة ...

وبذلك تصبح روح التسلّط ، والتحزّب ، واطّراح المبادىء الأخلاقية والابتعاد عن المثل الانسانية الفاضلة ، من الشروط الجوهرية التي تعطي الحركة الشيوعية قوتها المحرّكة ، وتمنحها الطاقة على الاستمرار .

إنّ سقوط القناع البرّاق ، من قيم الشرف والتضحية التي سبق للحركة الشيوعية أن تسترت به ، يسفر عن تفشي روح الخداع والدجل المتعمّد ، واستشراء الأعمال الاستفزازية البغيضة ، لأنّ هذه الأمور تشكّل الطبيعة الحقيقية الحتمية للطبقة الجديدة ، ولقوّتها الغاشمة ... » .

* * *

الماركسيّة والصِّراع الطبَقِيّ

القائم على الحسد والحقدوالكراهية والبغضاء والعداء العنيف بين الطبقات والثورة الدموية

أخذ « ماركس » وصديقه « انجلز » المذهب الاشتراكي ، والفكرة الشيوعية، من فلاسفة سبقوهما ، أمثال : « هيجل » و « بفوريه » و « أوين » ولكن هؤلاء في نظرهما كانوا مثاليين ، إذْ لم يعتمدوا في تغيير المجتمع على الثورة التي تقوم على الصراع الطبقي الذي يغذّيه الحقد والحسد والعداء العنيف بين الطبقات .

ولمّا كانت الخطّة اليهودية المدبرة في الأوكار المظلمة ، قد صمّمت على أن تدمّر المجتمعات والدول غير اليهودية ، لتظفر بتحقيق حلم اليهود في حكم العالم ، فقد بدا للفلسفة الماركسية أن ترفض رفضاً قطعيّاً أيّة فكرة لتغيير المجتمعات إلى ما تزعم أنه إصلاح عن طريق التدرّج ، أو عن طريق مصلح مثالي نزيه من طبقة من يسمَّوْن « الارستقراطيين » أو يسمّون « الاقطاعيين » أو يسمَّوْن « البورجوازيين » . ورأت أنه لا بدّ من ثورة دمويّة هائجة تقوم بها طبقة العمّال والكادحين ، وطبيعي أنّ من شأن مثل هذه الثورة تهيئة المناخ الملائم لعبث الشياطين اليهود ، وظفرهم بتحقيق أهدافهم ، ماداموا قلّة عدديّة في العالم ، فالطبقة التي يريدون إثارتها هي أصلح طبقات المجتمع للتسخير ، دون وعي منها لما يراد لها ، نظراً لحرمانها من الثقافة الكافية وإمكان شحنها بما يلزم من عداء شديد ضد كل الطبقات .

واستفاد « كارل ماركس » فكرة الصراع الطبقي من قراءاته للمؤرخين الفرنسيين ، بعد رجوعه إلى باريس ، أمثال « أوجستين تييري » و « جيزون » .

فقد قدم « أوجستين تييري » في كتابه « تاريخ فتح انكلترا » الفتح النورماني في صورة صراع طبقي بين الفاتحين والسّكسون .

وأبان « جيزون » في كتابه « تاريخ الثورة الانكليزي » مرتكزات الصراع الطبقي بين الطبقة الوسطى والملكية ، من وجهة النظر البورجوازية .

فأخذ « ماركس » فكرة الصراع الطبقي واعتبرها الأساس الواجب ، الذي لايجوز العدول عنه لإحداث التغيير الاجتماعي ، وإقامة المذهب الاشتراكي ثم الشيوعي في العالم .

والصراع الطبقي لا يمكن أن يكون سليماً ما دام نزاعاً على المصالح الطبقية ، بل لابد أن يكون دموياً وعنيفاً وبمنتهى القسوة . وظاهر أنّ هذا من شأنه إحداث التدمير السريع ، ومن شأنه سقوط الثوريين سقوطاً كاملاً في قبضة الذين يحركون ثورتهم في الخفاء ، ويدفعون بهم إلى ساحات الهياج الدموي المحروم من الوعي ، ومن أيّة بصيرة تهديهم السبيل .

ومن أجل إقناع أنصار المذهب الاشتراكي بضرورة التغيير الثوري المفاجىء الذي لايجوز أن يعتمد على أسلوب التغيير المتدرج ؛ وضعت الماركسية فلسفةً قائمة على المغالطة ، ادّعت فيها أنّ التغيير المفاجىء غير المتدرج هو أسلوب الطبيعة في تحوّلاتها ، وأنّ التاريخ كلّه عبارة عن صراعات متعاقبة بين الطبقة المستغِلّة والطبقة المستغَلّة ، وأنّ هذه الصراعات نتيجة لطرق الانتاج السائدة في الحقب المختلفة .

ولكي يضمن « ماركس » محافظة طبقة العمال الشيوعيين على مفاهيم الثورة الدموية العنيفة المفاجئة ، لإحداث التغيير الكلّي الجذري ، فقد كان شديد الحذر من تسرّب مفاهيم العدالة الاجتماعية ، والتكافل ، والحبّ الأخوي ، لأنّ ذلك قد يقطع طريق المخطّطات اليهودية العالمية ، فلا يسمح لها بأن تصل إلى أهدافها التدميرية للدول والشعوب .

لذلك لم يكن في وسع « كارل ماركس » أن يرضى في التنظيم الشيوعي العمّالي الذي هيمن عليه أفكارَ « فايتلنج » التي ضمّ بها مئات الرجال تحت راية مدركات العدالة والتكافل والحبّ الأخوي ، ولا أفكار الألماني الشيوعي«كريجه» الذي ذهب إلى الولايات المتحدة ، وأصدر صحيفة شيوعية تدعو إلى إنماء روح الحب ـ فأبعدهما عن الحزب الماركسي • وهكذا كان يبعد بتصميم عنيد كل عنصر لا يؤمن بالثورة الدموية العنيفة المفاجئة ، التي لا يصح أن تقوم حتى تكون قادرة فعلاً على التغيير الكلّي جذريّاً •

وكذلك لم يكن في وسع « كارل ماركس » أن يرضى عن أي تنظيم شيوعي يطالب الحكومات بالاصلاح الذي يحقق مطالب العمّال ، والكادحين ، والفقراء ، لأنّ الاصلاح يخمد نار الثورة التي تريد اليهودية العالمية تأجيجها ، وإمدادها بالوقود باستمرار ، ووقود هذه الثورة يتألف من الجوع والفقر والحرمان ، وما تولّده هذه من حسد ، وحقد ، وبغضاء ، وعداءٍ ثائر مهتاج •

ويشهد لهذا أنّه اضطرّ أن يحلّ جماعة الشيوعيين في « كولونيا » التي كان يرأسها الطبيب اليهودي « جوتشالك » الذي هو ابن لجزارٍ يهودي ، وذلك لأنّها نظّمت مظاهرة طالبت فيها الحكومة بالاصلاح •

ودخل « جوتشالك » على أثرها السجن ، ولمّا خرج منه هاجم « كارل ماركس » وعناصره ، وقال عنهم : « إنّهم ليسوا جادّين في رفع الظلم عن المظلومين، فمحنة العمال ، وجوع الفقراء ، لا يعنيهم إلاّ من حيث هو مادةٌ للبحث العلمي »•

ويبدو أن « جوتشالك » لم يكن يدرك مرامي الخطة اليهودية التي كان «كارل ماركس » يضطلع بأعبائها ، ويحملها في رأسه ونفسه ، موجّهاً من القيادة اليهودية العالمية الخفية ، والتي تريد التدمير لا الإصلاح ، للوصول إلى الأهداف اليهودية المرسومة •

وبناءً على هذا الخلاف انقسم اتحاد العمال على نفسه بين « ماركس » و « جوتشالك » •

وسارت الماركسية بعد ذلك وفق هذا المنهج الدموي الثوري العنيف ، وحققت في بقاع من الأرض ما كانت تهدف إليه القيادات اليهودية القابعة في الظلام .

وسار الشيوعيون في كل بلد بعد ذلك على مخطط « ماركس » المعادي لمطالب الاصلاح التدريجي ، والمعادي بعنف كلّ مصلح اجتماعي ، وكلّ فكرة إصلاحية في المجتمع ، لأنّ ذلك يقطع عليهم طريق تهيئة المناخ المناسب لاقامة الثورة الدموية المدمّرة ، وإقامة الحكم الشيوعي على أنقاض التدمير ، وإحكام القبضة اليهودية عليه .

وهذا هو الذي يفسر لنا ما كنّا نشاهده من مقاومة الشيوعيين لتطبيق نظام الزكاة في البلدان الاسلامية ، ومقاومتهم للجمعيّات الخيرية التي تضطلع بمهمة مساعدة ذوي الفقر والحاجة ، وتوجيه النقد الشديد اللاذع ضدّ كلّ صور البذل في الخير ، زاعمين أنّ الشيوعية تجعل الفقراء يشاركون في كلّ شيء ، ولا تجعل الكادحين والعمال وذوي الحاجات يتقبّلون إحسان المحسنين ، متجاهلين أنّ الاسلام قد جعل للفقراء حقّاً في أموال الأغنياء ، فما يأخذونه باسم الزكاة يأخذونه على أنه حقّ لهم ، وليس إحساناً ، يتفضّل به الأغنياء عليهم .



* * *

الفصل الثاني

جُذور الحركة الشيوعية

وقصة نشأتها وقيام أنظمتها

جُذور الحركة الشيوعيّة
ودور اليهود فيها

لا يستطيع باحث متقصٍ لحقيقة الشيوعية وسائر المذاهب الهدّامة المفسدة للمجتمع البشري ، والمقوّضة لأسس أركان الحضارة الانسانية ، إلاّ أن يقف عند مخططات اليهودية العالمية والحركة الصهيونية الحديثة ، ليجد لديها الجذور الدافعة لتأسيس هذه المذاهب ، وتنظيم هــذه الحركات ، مع ما يلاحظه من بروز العناصر اليهودية القيادية ، التي حملَتْ كبْر تأسيس هذه المذاهب ، والدعوة الملحّة إليها ، والإشراف على حركاتها ،وتنظيماتها ، وبروز المؤسسات والهيئـات والتنظيمـات اليهودية العاملة على نشرها ، والترويج لها ، وتسخير الأجراء والعملاء لذلك ، بالمال وبذل الشهوات المحظورة ، وغير ذلك من وسائل كثيرة غير أخلاقية وغير إنسانية .

ولنا من أقوالهم وأعمال منظماتهم أدلة كثيرة تدلّ على هذه الصلة الجذرية :

١ ــ جاء في البروتوكول الثالث من بروتوكولات قادة صهيون قولهم :

« سنحاول أن نوجّه العقل العامّ نحو كلّ نوع من النظريّات المبهرجــة ، التي يمكن أن تبدو تقدّمية أو تحرّريّة ، لقد نجحنا نجاحاً كاملاً بنظريّاتنا التي ألبسناها ثوب التقدم في تحويل الرؤوس الفارغة من العقل نحو الاشتراكية . ولا يوجد عقل واحد بين غير اليهود (= الجوييم) يستطيع أن يلاحظ أنه في كل حالة وراء كلمة التقدّم يختفي ضلال وزيغ عن الحقّ ، ما عدا الحالات التي تشير فيها هذه الكلمة إلى كشوف ماديّة أو علمية ، إذْ لا يوجد إلاّ تعليم حقّ واحد ، ولا مجال فيه للتقدم ، إنّ التقدّم ــ كفكرة زائفة ــ يعمــل على تغطية الحق ، حتى لا يعرف الحقّ أحدٌ غيرنا ، نحن شعب الله المختار ، الذي اصطفاه ليكون قوّاماً على الحــقّ ...

وحين نستحوذ على السلطة سيناقش خطباؤنا المشكلات الكبرى التي تحيّر الانسانية ، لكي ينطوي النوع البشري في النهاية تحت حكمنا المبارك .

ومن الذي سيرتاب حينئذٍ في أننا نحن الذين كنّا نثير هذه المشكلات وفق خطّة سياسية ، لم يفهمها إنسان طوال قرون كثيرة ؟!» .

٢ ــ وجاء في البروتوكول التاسع قولهم :

« ولقد خدعنا الجيل الناشىء من غير اليهود (= الجوييم) وجعلناه فاسداً متعفّناً بما علّمناه من مبادىء ونظريّات معروف لدينا زيفها التامّ ، وكنّا نحن أنفسنا الملقّنين لها ... » .

٣ ــ وجاء في البروتوكول الثاني قولهم :

« إنّ الأمّيين (أي غير اليهود = الجوييم) لاينتفعون بالملاحظات التاريخية المستمرة ، بل يتبعون نسقاً نظريّاً من غير تفكير فيما يمكن أن تكون تنائجه ، ومن أجل ذلك لسنا بحاجة إلى أن نقيم للأميين وزناً ... دعوهم يتمتّعوا ويفرحوا بأنفسهم حتى يلاقوا يومهم ، أو دعوهم يعيشوا في أحلامهم بملذّات وملاهٍ جديدة، أو يعيشوا في ذكرياتهم للأحلام الماضية .

دعوهم يعتقدوا أنّ القوانين النظرية التي أوحينا إليهم بها إنما هي حقائق ثابتة، يتمشّى عليها العلم من الوجهة النظرية ، وسنعمل على أن نزيد ثقتهم العمياء بهذه القوانين زيادة مطردة ، وذلك بتقييد أنظارهم ، وبمساعدة ما تبثّه صحافتنا في عقولهم . إنّ الطبقات المتعلمة ستختال زهواً أمام أنفسها بعلمها ، وستأخذ جزافاً في مزاولة المعرفة التي حصّلتها من العلم الذي قدّمه إليها وكلاؤنا ، رغبة في تربية عقولهم حسب الاتجاه الذي توخيناه .

لا تتصوّروا أنّ كلماتنا جوفاء ، ولاحظوا هنا أنّ نجاح (دارون) و (ماركس) و (نيتشه) والأثر غير الأخلاقي لاتجاه هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد ... » .

٤ ــ وجاء في البروتوكول الثالث قولهم :

« إنّنا نقصد أن نظهر كما لو كنّا محرّرين للعمّال ، جئنا لنحرّرهم من هذا الظلم ، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين ، والفوضويين ، والشيوعيين ، ونحن على الدوام تتبنّى الشيوعية ، ونحتضنها ، متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامّة للانسانية ، وهذا ماتبشر به الماسونية الاجتماعية .

إنّ الارستقراطية التي تقاسم الطبقات العاملة عملها ، قد أفادها أنّ هذه الطبقات العاملة طيبة الغذاء ، جيدة الصحة ، قوية الأجسام ، غير أنّ فائدتنا نحن في ذبول الأمّيين وضعفهم ، وإنّ قوّتنا تكمن في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين ، لأنّنا بذلك سنبقيه عبداً لإرادتنا ، ولن يجد فيمن يحيطون به قوةً ولا عزماً للوقوف ضدّنا ، وإنّ الجوع سيخول رأس المال حقوقاً على العامل أكثر ممّا تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخوّل الارستقراطية من الحقوق .

ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤجّجها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بها بعيداً كلّ من يصدّوننا عن سبيلنا .

وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسّك بهذه الوسائل نفسها ، أي : نستغلّ الغوغاء كيما نحطّم كلّ شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا ... » .

٥ ــ وجاء في البروتوكول الرابع قولهم :

« يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول الأميين (الجوييم = غير اليهود) وأن نضع مكانها عمليّات حسابية ورغبات مادّية .. » .

وجاء فيه أيضاً قولهم :

« يمكن أن لا يكون للحرّية ضرر ، وأن تقوم في الحكومات والبلدان من غير أن تكون ضارّة بسعادة الناس ، لو أن الحرّية كانت مؤسسة على العقيدة

وخشية الله ، وعلى الأخوة والانسانية ، نقية من أفكار المساواة التي هي مناقضة مناقضةً مباشرة لقوانين الخلق ، والتي فرضت على الناس التسليم .

إنّ الناس المحكومين بمثل هذا الايمان سيكونون موضوعين تحت حماية هيئاتهم الدينية،وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة ، تحت إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض ، ولهذا السبب يتحتّم علينا أن نزرع الألغام لتهديم الايمان ، وأن نمحوَ من عقول الأميين (الچوييم = غير اليهود) مبادىء الله والروح ، وأن نبدّل هذه المبادىء بحسابات رياضية ، ورغبات مادّية .

ثمّ لكي نحوّل عقولهم عن إدراك سياستنا سيكون حتماً علينا أن نبقيهم منهمكين في الصناعة والتجارة ، وهكذا ستنصرف كلّ الأمم إلى مصالحها ، ولنّ تفطن في هذا الصراع العالمي إلى عدُوّها المشترك ... » .

٦ ــ ولمّا كانت الماسونية يهودية الجذور يهودية القيادة والتوجيه ، كان من الطبيعي أن تسيرمحافلها وتعمل عناصرها ضمن الخطّ اليهودي الصهيوني نفسه ، فتساهم في إنشاء وتدعيم الحركة الشيوعية ، وصناعة مذهبها ، والترويج له ،والدفع إليه ولو سرّاً .

ولذلك كان دور الماسونية في دعم الحركة الشيوعية دوراً مُهماً وخطيراً :

أ ــ جاء في بيان المشرق الأعظم الفرنسي الماسوني لعام « ١٩٠٤ م » في الصفحة (٢٣٧) ما يلي :

« إنّ الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية ، لأنّ مؤسسَيْها « كارل ماركس » و « انجلز » هما من ماسونيي الدرجة الحادية والثلاثين ، ومن منتسبي المحفل الانكليزي ، وإنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية ، وبفضلها أصدرا « البيان الشيوعي » المشهور ... » .

ب ــ وأعلنت المجلة الألمانية الماسونية « لاتونيا » فرحها واستبشارهاباتنشار الاشتراكية ، في مقال لها بتاريخ « ١٢ تموز سنة ١٨٩٤ م » وقالت :

« إنّ الماسونية قد وجدت في المبادىء الاشتراكية خير معوان لها ، فلا بدّ لنا من معاضدتها » .

جـ ــ وجاء في مجلة « أكاسيا » الماسونية لعام ١٩٠٣ م قولهم :

« إنّ الماسونية التي هيأت الجوّ لثورة سنة « ١٧٨٩ م » ــ أي الثورة الفرنسية ــ عليها الآن أن تهيىء الجو للثورة الماركسية ، وعلى الماسونيين أن يعملوا بالاشتراك مع العمّال ، لأنّ الماسونية تملك القوى الفكرية والامكانات العقلية ، وإنّ العمال يكوّنون عدداً هائلاً ، ويملكون القوى التدميرية ، وباجتماع هاتين القوّتين يتولّد الاضطراب الاجتماعي » .

د ــ وفي سجلّ مؤتمر المشرق الأعظم الماسوني لسنة « ١٩٢٣ م » ما يلي :

« إنّ النضال بين الرأسمالية والطبقة العاملة آخذٌ بالازدياد في مختلف مناحي الحياة ، وعلى الماسونية أن تختار بعزم وتصميم أحد طرفي النضال ، يجب العمل على تأميم كافة الصناعات بشتى الوسائل والطرق . إنّ المحفل الماسوني في أمريكا الذي يدير الماسونية الكونية (وكلّ أعضائه من كبار زعماء اليهود وحدهم) قد عقد في أوائل القرن العشرين مؤتمراً صدر عنه قرار تعهد بتنفيذه خمسة من اليهود أصحاب الملايين ، وهو يتضمّن خراب روسيا القيصرية ، بانفاق مليار دولار ، وتضحية مليون يهودي لإثارة الثورة في روسيا ، وهؤلاء اليهود الخمسة الذين تبرعوا بالمال هم : إسحاق موتيمر ، وشيستر ، وليفي ، ورون ، وشيف » .

٧ ــ ويرى الأميرال « وليام غاي كار » صاحب كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » أنّ المنظمات الشيوعية والنازية التي نشأت مضادّة لها لم تكن سوى مطية للنورانيّين والكهان المهيمنين على الكنيس اليهودي للوصول إلى أغراضهم»[١] .

٨ ــ ويقول أحد اليهود في كتاب له اسمه (الرحل) أي السامية :

« إنّ تروتسكي يعني أقصى اليسار ، وروتشليد أقصى اليمين ، يمثلان

---

(١) انظر الصفحة (٣٨) من كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج »

تموّجات العقل اليهودي ، وبين هذين المفهومين تتقلص الحضارة في القرن العشرين »[1] .

٩ ـ جاء في تاريخ اليهودي « موسى هيس » رائد فكرة الصهيونية الحديثة ، وصاحب كتاب « روما القدس » الصادر سنة « ١٨٦٢ م » ما يلي :

أ ـ أنه كان صديقاً واستاذاً « لكارل ماركس » وزميله « انجلز » . وأن « كارل ماركس » اعترف بتأثير « هيس » عليه ، وإعجابه به وبآرائه إلى حدٍّ بعيد، حتى عدّه من الرواد ، واتخذه قدوة ومثالاً .

ب ـ وأنّ « موسى هيس » كان يعقد مع « انجلز» اجتماعات لطبقة العمّال، بغية تحريضهم على الانضمام إلى الشيوعية ، وتأسيس المنظمات الثورية .

جـ ـ وأنّ من أقوال « موسى هيس » التي اشتمل عليها كتابه :

« لا يمكن للشعب اليهودي أن يضمن لنفسه البقاء إلاّ بأن تكون له دولة ، وأن الشعب اليهودي سيحيا حياة مستقلة وحرّة دينيّاً وسياسيّاً في دولة تقوم بفلسطين » .

فالعمل الصهيوني كان مع العمل الشيوعي خطّةً وفكراً ورجال قيادة وتنفيذ منذ البداية ، وإن افترقا بعد ذلك افتراقاً ظاهرياً ، لأن أسباب نجاح العملين معاً توجبان ذلك كخطة سياسية .

١٠ ـ ويؤكد صلة الشيوعية الجذرية بالقيادة اليهودية العالمية ، واستمرار هذه الصلة حتى يوم الناس هذا أمور كثيرة :

أ ـ أنّ معظم مؤسسي المنظمات الاشتراكية والشيوعية في العالم ، ومعظم زعمائها القياديين هم من اليهود .

ب ـ وأنّ الثورة الشيوعية في روسيا قد قامت بدعم وتمويل أصحاب رؤوس الأموال الكبرى من اليهود في أمريكا .

---

(١) من محاضرة للمهدي بن عبود ، مجلة المجتمع العدد٢٣٤في ١٣٩٥/١/١٥ هـ .

جـ ــ وأنّ زعامة هذه الثورة الشيوعية قد كانت في أيدي اليهود ،واستمرت في أيدي اليهود ، وما تزال الأيّام تكشف رؤوساً يهودية كبرى في كلّ تنظيم شيوعي ، وكلّ تنظيم هدّام في العالم ، وقد كانت هذه الرؤوس مكتومة الأصل اليهودي ، أو مقنّعة بأقنعة مختلفة ، وسيأتي بعض تفصيل لهذه الحقيقة في فصول قادمة إن شاء الله •

د ــ وأنّ الدعم الشيوعي لدولة إسرائيل دعم لم ينقطع منذ إعلان دولة إسرائيل حتى يومنا هذا ، وإنْ نافقت الدول الشيوعية لبعض البلدان العربية بعض الوقت لتغنم من هذه البلدان لأنفسها منافع اقتصادية ، ومسيراً في ركبها العقائدي والسياسي •

١١ ــ ويقول « فرانك • ل• بريتون » في كتابه « الصهيونية والشيوعية » :

« الحقيقة الراهنة أنّ الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد ، وغايتهما واحدة ، وجوهرهما واحد ، وما اختلافهما في الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح في السعي إلى الغاية الواحدة ، حتى إذا تحقّقت الثقة بالنجاح الكامل اتحدتا معاً للسيطرة على العالم •• » •

ويقول « روبرت وليمز » في كتابه « اليهود في أمريكا » :

« الصهيونية شقيقة الشيوعية وأمّها » •

* * *

قِصّة نشأة الحركة الشيُوعيّة
ودور اليهود فيها(*)

(١) كانت الشيوعية والاشتراكية أفكاراً مبعثرة ، تظهر في كتابات بعض الكتّاب الأوروبيّين وغيرهم ، وتنطلق على ألسنة طائفة من الذين تصوّروا أنّ خلاص الطبقات المقهورة المستغَلّة في ظلّ النظُم الاقطاعية والرأسمالية إنما يكون بتطبيق الشيوعية التي تحتل أقصى الطرف المقابل،أو بتطبيق الاشتراكيات المتوسطة. واتجهت أفكار قسم منهم إلى منهج الاصلاح التدريجي عن غير طريق العنف ،ورأى آخرون أنّ التغيير لا يكون إلاّ مقروناً ببعض وسائل العنف الثوري .

* * *

(٢) وكان كثير من أصحاب هذه الأفكار مدفوعاً بدافع إنساني ، ويرى في اتجاهات الكنيسة سنداً للظلم الاجتماعي القائم في بلاده ، ويجهل أنه يوجد في العالم نظام ربّاني صحيح النسبة ثابت الأصول ، له منهج عظيم يحقق العدالة الاجتماعية، ويحمي الناس من ظلم بعضهم لبعض ، بطريقة رائعة صالحة للتطبيق ، في نظام شامل للحياة هو نظام الاسلام ، وهذه الطريقة الاسلامية الرائعة لا إفراط فيها ولا تفريط ، بل هي منهج وسط على قمة تقع بين منحدرين : هذا من ذات اليمين ، تنحدر فيه النظم الرأسمالية ، وفي أسفل المنحدر تتجمّع أوحال الأنانية الفردية المتسلطة المستأثرة المستعبدة للناس بسلطان القوة . وهذا من ذات الشمال ، تنحدر فيه النظم الاشتراكية ، وفي سحيق المنحدر تتجمع أوحال الشيوعية الاباحية الماديّة الملحدة ، التي تنتهي حتماً إلى الأنانية الفردية المستبدة استبداداً مطلقاً ، والمستعبدة

(*) للتوثق مما جاء في هذه الفقرة يرجع الى كتاب « تاريخ الفكر الاشتراكي المعاصر » وكتاب « التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية » .

المتسلطة بسلطان القوة ، والمستأثرة لنفسها بكلّ شيء ، تحت القناع المزيف المرقوم عليه شعار مصلحة الجماعة ، ومصلحة العمال ، والكادحين والشغّيلة .

*   *   *

(٣) وفي بقع مظلمة من الأرض ، لا تقع عليها الأضواء الكاشفة لتحركات المجرمين ، تقبع قيادات يهودية من الحاخامين وأصحاب رؤوس الأموال العالمية الكبرى ، ويعرف فريق منهم بجماعة النورانيين . وهذه القيادات اليهودية مازالت تعمل في الخفاء وتنظّم المنظمات السرّية ، لتدمير الدول القائمة في العالم ، وتدمير الأديان والنظم والقيم غير اليهودية ، وإفساد عقائد الشعوب وأخلاقها ، بغية الوصول إلى حكم العالم كلّه ، وامتلاك كلّ ثرواته وخيراته وطاقات الشعوب ، عن طريق دولة يهودية دكتاتورية شاملة ، سرّيّة أولاً ، ثمّ ظاهرة معلنة حينما يحين الوقت الذي يستطيعون فيه إعلان أنفسهم ، دون أن تستطيع مقاومة دولية كفّ أيديهم ، وقطع ألسنتهم ، ودحر قواهم .

*   *   *

(٤) وفي أواسط القرن الثامن عشر نشطوا في تأسيس بعض المحافل الماسونية ، لتكون دوائر بين النور والظلام ، تحجب القيادات اليهودية الخفية من جهة ، وتكون أدوات لتحريك الثورة العالمية التي يراد منها تحقيق الأهداف اليهودية في العالم ، مع ما تقوم به من التحكم بسياسات الدول عن طريق الأعضاء الماسونيين ، وتجميع المعلومات التي تهمّها عن كلّ شيء .

*   *   *

(٥) وفي عام (١٧٧٣ م) أسّسوا الماسونية التابعة لمحافل الشرق الأكبر لهذا الغرض [١] .

وانتظم في المحافل الماسونية يهود وغير يهود ، ووضعت الأغشية على أبصار وبصائر المنتظمين فيها من غير اليهود ، علماً بأنّ الأيدي اليهودية الخفية هي التي

(١) انظر الصفحة ٣٩ من كتاب « احجار على رقعة الشطرنج » .

تحرّك هذه المحافل وتسوقها ، وتمتطي صهوتها ، وتشدّ أعنتها متى شاءت وفق مصالحها ، وترخيها متى شاءت حين لا يتعارض ذلك مع مصالحها .

* * *

(٦) وفي هذه الحقبة من الدهر نضجت لدى القيادات اليهودية الخفية فكرة إقامة المذاهب العقائدية (الايديولوجية) ،والاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، المتضادّة في العالم ، مع تعميق وترسيخ عوامل التضاد الفكري والنفسي ، وتحريكها تحريكاً موجّهاً ، وتحريش بعضها على بعض ، لتتصارع فيما بينهما تصارعاً عالميّاً عنيفاً قد يصل إلى حروب كونية كبرى .

والمستفيد الوحيد من حلبات صراع الأضداد هو المحرك لها ، والمشرف عليها ، والمدبر لكل تحركاتها ، والذي يدسّ شياطين من عناصره الخبيرة الموجهة لإحكام عمليّات القنص في كلّ فريق من الفرقاء المتصارعة ، وهذا ما أشار إليه اليهودي صاحب كتاب (الرحل) إذ قال : « إن تروتسكي يعني أقصى اليسار ، وروتشيلد أقصى اليمين ، يمثّلان تموّجات العقل اليهودي ، وبين هذين المفهومين تتقلّص الحضارة في القرن العشرين » .

* * *

(٧) وبتدبير سرّي خبيث دفعت القيادة اليهودية الخفيّة ، لتأسيس الشيوعية الحديثة ، وقد بدأ ذلك عام (١٧٧٣ م) من مجموعة من سادة المال العالميين اليهود .

ويرى الأميرال « وليام غاي كار » صاحب كتاب « أحجار على رقعة الشطرنج » أنّ المنظمات الشيوعية والنازية التي نشأت مضادّة لها لم تكن سوى مطية للنورانيين والكهّان المهيمنين على الكنيس اليهودي للوصول إلى أغراضهم .

ثم قام اليهودي الألماني « موسى هيس » في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي بالدعوة إلى الشيوعية والصهيونية معاً ، فكان رائدهما ، وكتب كتابه

« روما القدس » وصار يعقد الاجتماعات مع العمال لحثهم على الأخذ بالشيوعية ، والانتظام في نشاطاتها وحركاتها •

ولم يزد مؤسس الصهيونية الحديثة اليهودي المجري « تيودور هرتزل » على أفكار « موسى هيس » إلاّ أنه بسّطها وأقام لها تنظيمها السياسي المعروف بالحركة الصهيونية •

* * *

(٨) وكان لا بدّ للشيوعية من فلسفة ومنهج عمل ، وتنظيمات لاقامة ثورتها ضدّ النظم القائمة التقليدية ، ليتسلل اليهود عن طريق هذه الثورة إلى مراكز القيادة والتوجيه في البلدان التي تظفر فيها بالنجاح • فاستغلّت القيادة اليهودية الخفية ذكيّاً من أذكياء اليهود ، من سلالة الحاخامين ، لوضع فلسفة للشيوعية ، ووضع منهج عمل لاقامة ثورتها وتنظيماتها ، إنه « كارل ماركس » •

« كارل ماركس » يهودي من ألمانيا ، عاش في القرن التاسع عشر بين عامي (١٨١٨ ـ ١٨٨٣ م) وتنقل في أوروبا ، إذْ طُرد من ألمانيا ، ثم من فرنسا ، بسبب نشاطه الثوري،فآوته انكلترا إليها،إذ كان لليهود فيها تأثير يستطيع أن يحمي أمثاله•

يقول « إدموند ولسون » في كتابه « تاريخ الفكر الاشتراكي المعاصر »[١] وهو مؤيّد هذا الفكر :

« لقد تركّز في عروق « كارل ماركس » دم سلالات مختلفة من حاخامات اليهود ، وظهر الحاخامات في أسرة أمّه على مدى قرن من الزمان على الأقل ، وأنتجت أسرة والدي أبيه كليهما تسلسلاً غير منقطع من الحاخامات ، وكان بعضهم من المعلمين المرموقين في القرن الخامس عشر والثامن عشر ، فكان جدّ « كارل ماركس » لأبيه حاخام « ترير » وأصبح أحد أعمامه الحاخام من بعده هناك •••

وبدأ « كارل ماركس » فعلاً في طريقه لكي يصبح أكبر حاخام علماني في القرن الذي يعيش فيه •••

---

(١) انظر الصفحات ص ٩٩ ـ ١٠٦ من الكتاب المذكور .

وهو أيضاً أحد (المعلمين) بالمعنى التقليدي عند اليهود ...
وكان يهودياً بكل العمق والشمول الذي يمكن إضفاؤه على هذا الوصف.»

وذكر صاحب الكتاب المذكور أيضاً :

« إن كبرياء « ماركس » واستقلاله ترجع جذورها إلى الأيام العظيمة لإسرائيل القديمة ... » .

ويقول الحاخام « لويزبرونس » وهو أحد أقطاب الصهيونية الحديثة : « إنّ كارل ماركس حفيد الحاخام « مردخاي ماركس » كان في روحه واجتهاده وعمله ونشاطه وكلّ ما قام به وأعدّ له ، أشدّ إخلاصاً لاسرائيل من الكثيرين ممن تتشدّقون اليوم بدورهم في مولد الدولة اليهودية » .

وذكر العقاد في كتابه « الشيوعية والانسانية » بناء على تتبعاته التاريخية لـ « كارل ماركس » ما يلي :

« كان كارل ماركس يوجّه بعض حملاته ضدّ اليهودية ، رغم أنه يهوديّ في أعماقه ، ويحاول في مظهره أن يتشبّه بالأسلاف والآباء اليهود كما جاء وصفهم في التلمود ، فيرسل لحيته ، ويطلق جمته ، ويحبّ أن يتراءى للناس كأنه أب من آباء العبرانيين في أيّام إسرائيل الأولى .

وقد فسّر الباحثون حملاته ضدّ اليهودية بتفسيرات مختلفة ، وتؤثر منها ما غدا معروفاً عن المخططات اليهودية الرامية إلى هدم عقائد الشعوب وأديانها وأخلاقها ، وهو التفسير الذي يرى أن حملاته ضدّ اليهودية ليست إلاّ عملاً ظاهرياً ، وحيلة تجعل حملته على الأديان غير اليهودية أمراً مقبولاً ومنسجماً مع مذهبه الإلحادي الذي أعلنه ، وتظاهر به ...

وكان « كارل ماركس » مفرطاً في أنانيته ، وسوء أخلاقه ، وعجبه بنفسه ، واستئثاره ، وديكتاتوريته في قيادة تحركات العمل الاشتراكي الذي تصدّى لوضع نظريته ..

في صدره منبع ثرّ من التعالي على الناس وازدرائهم ، وعلى لسانه منبع من الشتائم القذرة ، وألفاظ السخرية والتهكم التي يوجهها لكل من يخالف رأيه أو

يكون له بروز وظهور بعمله ،ولو بين الحركات الاشتراكية التي تخدم فكرته التي ينادي بها ، وذلك لأنه لا يسمح بعمل اشتراكي لا يخضع لمخططه الذي يرمي إلى ربط الحركات الاشتراكية به » •

أقول : أو لربط الحركات الاشتراكية بالقيادة اليهودية السرية التي سخرته ، لضمان الحركات الاشتراكية من أن تخرج من أيدي القيادات اليهودية التي تهدف إلى استثمارها لمصلحة اليهودية العالمية واضعة خططها •

❋ ❋ ❋

(٩) درس « كارل ماركس » فلسفة « هيجل » (١) وتأثر بها ، ثم درس فلسفة « فيورباخ » المادّية ، واعتمدها أساساً لمذهبه •

وفي عام (١٨٤٢ م) بدأ يكتب في صحيفة (الرّين) وهي صحيفة (ليبرالية) تحرّرية تصدر في كولونيا • ثمّ تولّى رئاسة تحريرها ، واستمرت تحت إشرافه خمسة أشهر ، أوقفت بعدها عن الصدور نتيجة تدخّل السفير الروسي ، بسبب نقدها لحكومة القيصر •

ثم انفصل عن فلسفة القانون عند « هيجل » وبدأ صراعه معه •

وعكف على دراسة الشيوعية التي لم يكن يعرف عنها إلاّ القليل جدّاً •

وحينما كان رئيس تحرير صحيفة (الرّين) زاره أحد الشبان الخارقي الذكاء، ممّن كانوا يبعثون بكتاباتهم إلى صحيفته ، إنه « فريدرك إنجلز » وكان هذا

---

(١) هو « جورج ڤلهلم فريدرك هيجل » (١٧٧٠ ــ ١٨٣١) فيلسوف ألماني ، فلسفته مثالية مطلقة ، مؤدّاها أن للكون روحاً يبتدىء في مراحل تطوّرية يعينها المنطق الجدلي ، ومحصّله أنّ فكرة تولّد نقيضها ، ومن تفاعل النقيضين تنتج فكرة جديدة تؤلف بينهما ، ثمّ تأخذ الفكرة الجديدة المراحل الثلاث المذكورة نفسها ، وهكذا .

وعلى أساس فلسفة « هيجل » قامت الفلسفة السياسية الألمانية بعدئذٍ ، وعلى أساس منطقها الجدلي قام مذهب المادية الجدلية عند ماركس .

قد اعتنق الشيوعية ، في حين أن « كارل ماركس » كان قد بدأ بدراسة الشيوعية ، وكان استقبال « ماركس » للزائر « إنجلز » بارداً .

و « إنجلز » يصغر « ماركس » بعامين ، فهو من مواليد (١٨٢٠ م) .

وفي أوائل (١٨٤٤ م) اطلع « ماركس » على مقال كتبه « انجلز » من انكلترا ، فأعجبه ، فبدأ من فوره في مراسلة « إنجلز ».وفي العام نفسه زار « إنجلز » « ماركس » في فرنسا ، وتلاقت أفكارهما ، وقضيا عشرة أيام معاً ، وبدأ تعاونهما في الأدب والفكر من ذلك الحين ، وكان تفكيرهما يسير في اتجاه واحد ، ويصلان إلى نتائج متماثلة ، واتفقا على فلسفة الشيوعية ، ووضع برنامج عمل سياسي لتحويلها إلى واقع دولي . وعملا فعلاً حتى وضعا ما عزما عليه ، أمّا « كارل ماركس » فبوزنه وقوة إرادته ، وأمّا « إنجلز » فبقدرته على الكتابة بوضوح ويسر ، وبذكائه المتوقد .

وينبغي أن نستحْضر في ذاكرتنا دفع القيادة اليهودية الخفية لهما معاً ، عن طريق الماسونية التي تجمعهما ، وعن طريق أستاذهما الصهيوني « موسى هيس » المحرض على الشيوعية من قبلهما . وأن نعلم أن إنجلز و « موسى هيس » كانا يصدران صحيفة في « البرفلد » . وأنّ « ماركس » اتصل بموسى هيس عام (١٨٦٢ م) وأعجب به ، وكتب عنه فيما بعد قوله : « لقد اتخذت هذا العبقري لي مثالاً وقدوة ، لما يتحلّى به من دقة في التفكير ، واتفاق آرائه مع عقيدتي وما أومن به ، إنه رجل نضالي الفكر والسلوك » .

* * *

(١٠) وأخذ « إنجلز » يدعو إلى الشيوعية بقوّة في « بارمن » حتى علم أن الشرطة تزمع إلقاء القبض عليه فرحل عن « بارمن » في ربيع عام (١٨٤٥ م) .

واندفع الرجلان بقوّة ــ ومن ورائهما ثقل الكيد اليهودي ــ يعملان في نشر الشيوعية التي فلسفاها ووضعا برنامج عمل لها .

* * *

(١١) وفي شتاء عـام (١٨٤٨ م) أصدر « كارل ماركس » و « فريدريك إنجلز » ما هو معروف بـ « المانفستو الشيوعي » الذي كتبـاه لجماعة الشيوعيين الدولية • وهو بيان مكثف يلخّص في نحو خمسين صفحة النظرية الماركسيـة التي اعتبراها نظرية عامة للتاريخ ، وتحليلاً للمجتمع الأوروبي ، ومنهجاً للعمل الثوري•

أمّا المنهج الذي رسماه في « المانفستو الشيوعي » للعمـل الثوري فقـد تضمّن ما يلي :

« الإطاحة بالنظام الاجتماعي الحالي كلّه عن طريق القوة » •

وتضمّـن أيضاً تنفيذ المقرّرات التالية :

١ ــ مصادرة ملكية الأرض ، واستخدام إيجار هـذه الأرض في سـدّ نفقات الدولـة •

٢ ــ فرض ضريبة تصاعدية فعّالة على الدخل •

٣ ــ إلغاء حق الإرث •

٤ ــ مصادرة أملاك المهاجرين من البلاد والمتمرّدين عليها •

٥ ــ تركيز إعطاء القروض في يد الدولة عن طريق بنك وطني ، رأس ماله ملك للدولة ، وله الاحتـكار المطلق لهذا العمل •

٦ ــ تأميم وسائل المواصلات وجعلها ملكاً للدولة •

٧ ــ زيادة عدد المصانع المملوكة للدولة ، وزيادة أدوات الانتاج •

٨ ــ فرض التزام شامل بالعمل على كلّ فرد بالتساوي ، وإنشاء جيوش للعمل ، وخاصة في الزراعة •

٩ ــ تعمل الزراعة في الريف والصناعة في المدن يداً في يـد ، بحيث تمحى الفروق بين القرية والمدينة تدريجيّاً •

١٠ ــ التعليم العام بالمجّان لجميع الأطفال،وإلغاء النظام الحالي لعمل الأطفال في المصانع ، وضمّ التعليم إلى نظام العمل في المصانع •

ويلاحظ أن في بعض فقرات هذه المقررات ما هو نافع ومفيد ومُغرٍ بأنه من خطط الاصلاح ، ولكنّ الإعلان شيء والتطبيق شيء آخر ، ولا بدّ لكل برنامج ـ ولو كان الغرض من مجموعه التدمير ـ من أن يشتمل على عناصر تغري الجماهير، حتى تندفع في تأييده .

* * *

(١٢) وفي عام (١٨٨٣ م) أنشئت فرقة « تحرير العمل » وهي أول فرقة ماركسية ، نظمها في جنيف بسويسرا « بليخانوف » وعاونه ثلاثة من اليهود هم: « زاتسولتش » و « ليودويتش » و « أكسلرود » .

وكانت مهمة هذه الفرقة ـ ومن ورائها دعم المنظمات اليهودية المختلفة ـ نشر آراء ماركس .

وكتب « بليخانوف » كتابه « دراسة حول تطور المفهوم الوحداني للتاريخ » ونشره عام (١٨٩٠ م) . وقد وصف « لينين » هذا الكتاب بأنه ثقف جيلاً كاملاً من الماركسيين الروس ، وذكر أن هذه الفرقة قد أسست الاشتراكية نظرياً .

* * *

(١٣) ثم أسس اليهودي « فيدوتسايف » حلقة ماركسية في « قازان » التحق بها اليهودي « لينين » عام (١٨٨٧ م) و « لينين » يهودي روسي ، واسمه اليهودي « زيدر بلوم » . ولهذا الرجل مساهمة كبرى في تأسيس الشيوعية ، وإذا كان « كارل ماركس » صاحب النظرية الشيوعية ، فإنّ « لينين » منفذها وموضح عويصها مع بعض زيادات تفصيلية .

* * *

(١٤) وفي عام (١٨٩٣ م) ذهب « لينين » إلى « بطرسبورغ » فأقام فيها ، وأنشأ حلقة ماركسية انضمّ إليها عدد واسع من اليهود ، ثم قام بمهمة توحيد الحلقات الماركسية في المدينة ، وكان يزيد عددها على العشرين ، فجمعها في « اتحاد النضال لتحرير الطبقة العاملة » .

ثم اعتقل « لينين » عام (١٨٩٥ م) ، وما لبث الأمر بعد اعتقاله أن تبدّل اتجاه الاتحاد بدخول عناصر جديدة ، فقاومهم « لينين » بعد الافراج عنه بكل قسوة ، خشية أن يفلت الأمر من أيدي العناصر اليهودية الموجهة لكلّ العمل .

* * *

(١٥) وفي عام (١٨٩٧ م) قام في المستعمرات اليهودية الواقعة في الولايات الغربية من روسيا حزب « البوند » أي « الاتحاد العام للحزب الاشتراكي الديمقراطي اليهودي » .

* * *

(١٦) وفي عام (١٨٩٨ م) التقت الأحزاب والمنظّمات والاتحادات العمالية والاشتراكية ، وعقدت مؤتمرها الأول في مدينة « منسك » في شهر آذار من العام المذكور ، وسمي هذا المؤتمر « المؤتمر الأول لحزب العمّال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا » .

ولم يحضر « لينين » هذا المؤتمر ، لأنه كان منفياً في سيبريا .

* * *

(١٧) وفي أوائل عام (١٩٠٠ م) عاد « لينين » من المنفى عازماً على إنشاء صحيفة تنطق بلسان الحركات الماركسية ، وتعمل على توحيدها ، وكانت هذه قد اختمرت لدى الماركسيين اليهود .

فسافر « لينين » إلى خارج روسيا ، لتحقيق هذه الغاية ، فالتقى في الخارج بـ « بليخانوف » ورفاقه ، واتفق معهم على إصدار صحيفة « إسكرا » أي الشرارة ، أو الشعلة ، وصدر أول عدد منها في « ميونيخ » سنة (١٩٠٠ م) .

وقد تألف مجلس إدارة هذه الصحيفة من :

أ ـ بليخانوف .

ب ـ زاتسوليتش . وهو يهودي .

جـ ــ اكسلرود • وهو يهودي •

د ــ لينين • وهو يهودي •

هـ ــ يوتريسوف •

و ــ مارتوف • وهو يهودي !!

ثم انضم إليهم اليهودي « تروتسكي » عام (١٩٠٢ م) • وقامت «كروبسكايا» زوجة « لينين » بأمانة السرّ •

وقال « لينين » عن هذه الصحيفة : إن هذه الصحيفة لن تكون أداة دعاية وتحريض جماعية فحسب ، بل هي أداة للتنظيم الجماعي أيضاً •

* * *

(١٨) وفي عام (١٩٠٣ م) انعقد في « بروكسل » عاصمة « بلجيكا » المؤتمر الثاني للمنظمات والاتحادات العمّالية والاشتراكية ، بهدف جمع الحركات الماركسية كلّها تحت لواء حزب العمّال الاشتراكي الديمقراطي •

وقد حضر هذا المؤتمر الثاني ستون عضواً بينهم ثلاثة وأربعون من اليهود •

ولم يستكمل هذا المؤتمر أعماله في بلجيكا ، لأنّ الحكومة البلجيكيّة أبعدت بعض أعضائه ، فانتقل إلى انكلترا ، وفي هذا المؤتمر انشطر المؤتمرون إلى شطرين :

الأول : البولشفيك ، بقيادة اليهودي « لينين » •

الثاني : المنشفيك ، بقيادة اليهودي الارهابي « مارتوف » •

وأيّد «الاتحاد اليهودي» وأنصار «روزا لوكسمبورغ» مبدئياً «مارتوف»• وظلّ هذان الشطران منقسمين حتى عام (١٩١٧ م) ، إلاّ أنهما قد اندمجا ظاهرياً في هذا العام بالحزب الشيوعي ، وصار الجميع شيوعيين لينينيين •

وفي هذا المؤتمر تمّ إقرار برنامج « لينين » الذي يشتمل على حدّين : أدنى ، وأقصى •

أمّا الحدّ الأدنى : فيتضمّن أنّ مهمّة الحزب الآنية هي قلب الأوتوقراطية القيصرية ، وإقامة الجمهورية الديمقراطية ، وتنفيذ بعض البرنامج الاشتراكي .

وأمّا الحدّ الأقصى : فيتضمّن أنّ مهمة الحزب الكبرى المستقبلة ، هي الثورة الاشتراكية ، وقلب سلطة الرأسماليين ، وإقامة « ديكتاتورية البروليتاريا » أي حكم العمال المستبد .

* * *

(١٩) وتتالت المؤتمرات الحزبية ، وفي (أيار ـ حزيران) من عام (١٩٠٧م) انعقد في « لندن » المؤتمر الحزبي الخامس والأخير قبل الثورة ، وحضره (٣٣٦) مندوباً عن المنظمات والاتحادات العمّالية والاشتراكية ، منهم (٢٢٠) يهودياً ، أمّا قيادات هذه المنظمات فكانت جميعها في أيدي اليهود :

- فمنظمة « البلشفيك » زعيمها اليهودي « لينين » .
- ومنظمة « المنشفيك » زعيمها اليهودي « مارتوف » .
- ومنظمة « الديمقراطيين الاشتراكيين » زعيمتهم اليهودية « روزا لوكسمبورغ » .
- ومنظمة « الاتحاد اليهودي » زعيماه اليهودي « رفائيل ابراموفيتش » ، واليهودي « م٠١٠ ليبر غولدمان » .
- ومنظمة « الديمقراطيين الاشتراكيين الليتوانيين » زعيمهم اليهودي « دانيشفسكي ـ هرمان » .

* * *

(٢٠) وبعد المؤتمر الحزبي الخامس والأخير ، تمّ إصدار صحيفتين للمنظمات الماركسية :

الأولى : صحيفة « بروليتاريا » وهي تمثل « البلشفيك » ويحرّرها :

أ ـ اليهودي « لينين » .

ب ــ واليهودي « زينوفييف » •

جـ ــ واليهودي « كامينيف » •

د ــ و « بروفنسكي » وهو ليس معروفاً بأنه يهودي •

الثانية : صحيفــة « غولوس سوسيال ديموكرات » أي صوت الاشتراكي الديمقراطي ، ويحرّرها :

أ ــ اليهودي « مارتوف » •

ب ــ واليهودي « أكسلرود » •

جـ ــ واليهودي « دان » •

د ــ واليهودي « مارتينوف ــ بيكل » •

هـ ــ و « بليخانوف » ، وهو ليس معروفاً بأنه يهودي •

* * *

(٢١) وأصدرت « عصبة الديمقراطيــين الاشتراكيــين الروس » مجلــة « رابوشي دبلو » أي « قضية العمال » وهي مجلة ماركسية يهودية ، تولّى رئاسة تحريرها وتوجيه سياستها اليهودي الماركسي « تيودوردان » •

واستطاعت هذه المجلة أن توجه مجموعات من العمال في روسيا ، وتحرّكهم ضمن المخطط اليهودي الماركسي العام •

* * *

قصّة الثورة الشيوعيّة في روسيا
ودور اليهود فيها (*)

(١) في القرن الرابع عشر استوطن اليهود « بولونيا » بدعوة من ملكها «كازيمير الأول » إذ كان متأثراً بنفوذهم • وتجمع اليهود في « بولونيا » وكان لهم فيها نشاط كبير أدّى إلى بسط نفوذهم الاقتصادي فيها •

وفي أواخر القرن الثامن عشر في عام (١٧٩٣ م) اقتسمت روسيا وبروسيا أراضي بولونيا ، وكان من نصيب روسيا القسم الأعظم من يهود « بولونيا » •

وفي كلتا الدولتين بدأ نشاط اليهود الكبير بغية إسقاطهما وتسلّم مقاليد السلطة فيهما •

أمّا روسيا فوقعت فيما بعد فريسة الشيوعية اليهودية ، وأمّا ألمانيا فتمزّقت فيما بعد بمكايد اليهود وغرور هتلر وحماقته في الحرب العالمية الثانية ، وكلتا الدولتين تحملتا متاعب جمة من قبل اليهود قبل ذلك •

* * *

(٢) وفي القرن التاسع عشر بلغ يهود روسيا ذروة السيطرة المالية والمهنية ، وكان اتجاه القياصرة الروس أن يصهروا اليهود في المجتمع الروسي ، حتى لا يكون لهم انفصال متميّز ، إلاّ أنّ اليهود يرفضون ذلك بدافعين ديني وعرقي •

ثمّ كانت محاولة اغتيال « اسكندر الثاني » فبدّل هذا سياسته تجاه اليهود التي كانت سياسة انفتاح وتسامح شديد •

(*) للتوثق من كثير مما جاء في هذه الفقرة يرجع إلى كتاب « التاريخ السرّي للعلاقات الشيوعية الصهيونية » تأليف « نهاد الغادري » .

عندئذٍ نقم اليهود على القيصر ، وأسسوا جمعية سرّية إرهابية ، هي جمعية « نارودنايافوليا » أي إرادة الشعب ، وظلّوا يأتمرون به ليقتلوه ، حتى نجحت مؤامرة اغتياله في آذار سنة (١٨٨١ م) وكان رؤوس المؤامرة جميعهم من اليهود ، وفي مقدمتهم اليهودية « هيسيا هيلفمان » .

وفي هذه المؤامرة أعدم « الكسندر أوليانوف » وهو شقيق « لينين » الأكبر .

وكان لاغتيال « اسكندر الثاني » ردود فعل روسي معادٍ لليهود ، وعندئذٍ نشطت الحركتان الشيوعية والصهيونية نشاطاً كبيراً في صفوف اليهود .

* * *

(٣) واتجهت الخطة اليهودية لتقويض القيصرية الروسية ، وإقامة النظام الشيوعي في أوروبا الشرقية .

فأخذ اليهود يدبّرون المكايد ، ويحيكون الدسائس ، وينظمون الجمعيات السرّية اليهودية ، لتقويض نظام الحكم القيصري في روسيا ، ليكون لهم في النظام المرتقب حظّ الأسد من الفريسة ، أو حظّ الثعلب من قالب الجبن .

فكان من المنظمات اليهودية السرّية التي أنشئت وأخذت تعمل في غفلة عن نظام الحكم القيصري الروسي ، منظمة « اتحاد العمال اليهودي » التي سبقت الاشارة اليها .

وكان لهذه المنظمة ـ بالإضافة إلى المنظمات الأخرى ـ نشاط واسع اعتمدت فيه على وسيلتين :

الوسيلة الأولى :

تأجيج عوامل الثورة ضد نظام الحكم القيصري الذي كان يسير وفق النظام الاقتصادي الحرّ ، المعتمد على الاقطاع والرأسمالية . وتأجيج عوامل هذه الثورة قد كان ببث النظريات الشيوعية التي نادى بها من قبل اليهودي « كارل ماركس » وصديقه « فريدرك انجلز » واستاذهما مؤسس الصهيونية الحديثة اليهودي « موسى هيس » .

وكان ذلك بغية جذب أنصار النظرية من عمال وكادحين لتأييد حركتهم اليهودية المقنعة •

وبالترويج لهذه الأفكار ظفروا بجلب جمهور كبير من الأنصار الذين لم يكونوا يعرفون الهدف البعيد للخطة اليهودية •

وخلال كل التحركات كان همّ القيادة اليهودية السرية أن تحكم قبضتها على نواصي كل المنظمات الاشتراكية والشيوعية ، والمنظمات الثورية ، التي أخذت تعمل لإقامة الثورة الشيوعية وتقويض القيصرية الروسية ، حتى لا يفلت الأمر من أيدي اليهود ، وحتى لا تنحرف الحركات عن المسار المرسوم في المخطط اليهودي العام •

ولذلك كانت العناصر القيادية الموصولة بالقيادة اليهودية الصهيونية السرية ، لا تسمح بحالٍ من الأحوال لأحد أن يحول حركات هذه المنظمات عن مسارها المرسوم ، مهما كان مخلصاً لفكرة المذهب ولمنهاج الحركة ، ولا تسمح لأحد أن يخرجها من أيدي العناصر الذين تعينهم لهذه الغاية ، وتوجههم باستمرار لما يحقق الأهداف الخفية للمخطط اليهودي الصهيوني •

وفي هذا نلاحظ بوضوح الحرص الشديد على الاستئثار بالمراكز القيادية في الحركات ، فهو أمر لا يقبل المساومة ، كما نلاحظ الحرص الشديد على أفكار المذهب الأساسية ، مهما كانت الأفكار الأخرى أكثر ملاءمة ، وأفضل وأصلح •

ومن هنا وجدنا « كارل ماركس » لا يسمح لأي عنصر قيادي غيره أن يبرز ، ولا يسمح لأية فكرة تخالف ما رسمه وأعلنه أن تظهر ، مهما كانت تخدم قواعد مذهبه ، إذ كان يخشى أن تخرج الفكرة عن هدفها المرسوم إلى هدف إصلاحي سليم ، ويخشى أن يبرز قياديون من غير اليهود يكون لهم مطامع ومطامح خاصة ، عندئذٍ من الممكن أن يفلت الأمر من قبضة القيادة اليهودية السرية العالمية •

جاء في المجلد الثالث من مختارات « ماركس » :

« إنه لا يعتبر مخالفيه أعضاء في حزبه ، بل يعاملهم معاملة الأعداء ، ويتخذ في مناقشتهم أسلوباً مقصوداً لاثارة البغضاء والنفور والازدراء ••• مقصوداً لغير

الاقناع بل لتحطيم الصفوف •• أو مقصوداً لغير تصحيح الخطأ بل للإتلاف ومحو الخصم من ظهر الغبراء •••

وهذا الأسلوب الذي استخدمه إنما يراد به أن يثير أقبح الظنون وأقبح التهم والشبهات حول الخصم ، ويدعو حقاً على خلاف أسلوب الاقناع والتصحيح إلى بلبلة الآراء بين الطبقة العاملة • • وإذا سئلتُ : أأنت معترف بأن هذا الأسلوب غير مقبول ؟ فجوابي : نعم ، مع قيد صغير ، وهو أنه غير مقبول مع أعضاء حزب متّحدين ، وإنما يعني الاختلاف بينهم فصم كل عروة من عرى الألفة والوئام ، ونقل العراك من التأثير داخل الحزب إلى التأثير في خارجه ، أو نقله من الصحيح وإقناع الزملاء إلى هدم نظامهم وإهاجة العمال عليهم ، ومع العمال جمهرة الشعب على الاجمال »[1] •

الوسيلة الثانية :

الاتصال بكبار أصحاب الأموال الضخمة في العالم من الرأسماليين اليهود ، لتمويل حركتهم الشيوعية اليهودية •

وتحقيقاً لهذه الوسيلة فقد اتصلوا بمصارف « واربوغ » و « ليب » و « كوهين » اليهودية في « نيويورك » فأمدتهم بأموال ضخمة ، وضعوها تحت تصرف « لينين » و « تروتسكي » وأعوانهما لتغذية الثورة الشيوعية ، وهذه الأموال تبلغ عشرات ملايين الدولارات ، الأمر الذي جعل المليونير اليهودي « يعقوب شيف » يعلن على رؤوس الأشهاد بعد انتصار الثورة الشيوعية أن هذه الثورة قد انتصرت بفضل معوناته المالية وقال : « إنه عمل على تحضيرها مع تروتسكي » • وقد أثبت بعض الباحثين المطلعين أن « يعقوب شيف » قد دفع لتغذية الثورة البلشفية في روسيا ما يزيد على عشرين مليون دولار ، يضاف إليها ما كان يبذله غيره من اليهود لإنجاح الحركة اليهودية ضد القيصرية •

---

(١) نقلا من كتاب « الشيوعية والانسانية » للعقاد صفحة (١٠١ ــ ١٠٢) •

وقد أصبح أمر هذه الحقيقة من البدهيات التي لا تحتاج إلى إقامة أدلة عند الباحثين ، فهذه مجلة « فرنسا القديمة » في عددها (١٦٠) لعام (١٩٢٠ م) تقول :

« إن اليهود هم الذين دبروا الثورة الروسية بدسائسهم ، وبذلوا الملايين في سبيلها ، وأثاروها انتقاماً من الشعب الروسي » .

نعم لقد أخذت بيوت الأموال الكبرى الرأسمالية اليهودية في الغرب تمد المنظمات الماركسية بالأموال اللازمة لاقامة الثورة الماركسية في روسيا ، وذلك بتوجيه وأمر من القيادة اليهودية السرية في العالم ، وغدا هذا الأمر حقيقة مقررة عند كل الباحثين والمؤرخين .

فمن الوثائق والدلالات الثابتة إضافة إلى ما سبق ما يلي :

أ ـ تقرير رفعته المخابرات الأمريكية عام (١٩١٦ م) ووجهته لجميع الدول الديمقراطية الكبرى ، ومنها فرنسا وانكلترا ، وقد جاء في هذا التقرير ما يلي :

في شباط سنة (١٩١٦ م) علمنا للمرة الأولى بأنّ ثورة تهيّأ في روسيا ، واكتشفنا بأن الأشخاص والبيوتات التالية مرتبطة بهذا العمل التخريبي :

١ ـ جاكوب (يعقوب) شيف .

٢ ـ مورتيموف شيف .

٣ ـ كوهين ولويب وشركاه .

٤ ـ أوتوكاهن .

٥ ـ فيليكس واربورغ .

٦ ـ جيروم هاهدر .

٧ ـ كاغنهايم .

٨ ـ ماكس بروتينغ .

ب ـ ثبت أنّ اليهودي « ماكس واربورغ » في « ستوكهولم » كان ينفق بسخاء على هدم النظام القيصري بسبب عدائه لليهود .

جـ ـ ثبت أنّ من الذين موّلوا الثورة الماركسية من أصحاب الملايين اليهود « والف أشبورغ » و « جيفولوفسكي » الذي تزوج ابنتــه اليهودي الشيوعي القيادي (تروتسكي) . ومنهم البارون « هيرش » وهذا هو الذي كوّن الفرق العسكرية اليهودية ، وافتتح في أمريكا فرعاً لشركته ، ووضعه تحت أمر اليهودي المليونير « يعقوب شيف » لامداد الثورة الماركسية ، وموّل المستعمرات اليهودية الأولى بفلسطين .

د ـ أشارت مجلة « فرنسا القديمة » إلى ارتباط البيوتات المالية اليهوديـة التاليــة :

١ ـ « كاهن ، لوب وشركاه » في أمريكا .

٢ ـ « لا زار » في باريس .

٣ ـ « غونسبرغ » في بتروغراد ـ باريس ـ موسكو .

٤ ـ « سباير » في لندن ـ نيويورك ـ فرانكفورت .

٥ ـ « بنك نيي » في ستوكهولم .

وبما أنّ هذه البيوتات اليهودية مترابطة فيما بينها ، وبما أن بعضها قد قام فعلاً بتمويل الثورة الماركسية بطريقة مكشوفة ، فإنّ لنا أن نقرر أنّها جميعـاً مشتركة سرّاً بهذا الأمر ، فهي جزء لا يتجزأ من الحركة اليهودية السرّية العالمية .

هـ ـ تؤكد مجلة « فرنسا القديمة » في عددها ذي الرقم (١١٥) الصادر عام (١٩١٩ م) أنّ إقامة دولة يهودية في فلسطين هو الهدف من تمويل المنظمات الماركسية في العالم .

و ـ جاء في كتاب « اليهودي العالمي » ما يلي :

« إنّ الصهيونية بمعناها السياسي المعاصر قد نشأت عنصريّاً وجغرافيّاً في المكان نفسه الذي نشأت فيه البلشفية ، وهو روسيا ، وإنه كان ثمة علاقة وثقى

دائماً بين صهيونيي روسيا و « كيهيلا نيويورك = مجلس الطائفة اليهودية » كما ظهر في التصريحات العلنية التي قيلت في روسيا بعد نجاح الثورة ، والتي مجّدت فيها الكيهيلا » .

ز ــ نشرت صحيفة « الجويش كرونيكل » الكندية ــ وهي الصحيفة الناطقة بلسان اليهود ــ من أقوال اللورد « بيرسي » ما يلي :

« إنّ الشيوعية والصهيونية تنموان في أوروبا الشرقية جنباً إلى جنب ، تماماً كما قام النفوذ اليهودي بصياغة الفكر الجمهوري والاشتراكي طوال القرن التاسع عشر ، إلى أن وصل إلى ثورة تركيا الفتاة في القسطنطينية » .

* * *

(٤) وبدأت المنظمات اليهودية الشيوعية في روسيا القيصرية حركتها .

ومع بداية القرن العشرين كانت روسيا مسرحاً لنشاط ثوري أسّسه اليهود وأشرفوا عليه ، واستطاعت التنظيمات السرّية الارهابية اليهودية اغتيال عدد من الزعماء الروس ، بينهم عمّ القيصر ، ووزير المعارف ، ووزير الداخلية ، وحاكم إحدى المقاطعات ، وجنرال كبير ، وفي عام (١٩٠٤م) اغتيل رئيس الوزارة الروسي .

وقد نظم سلسلة الاغتيالات اليهوديان « غروشوني » و « يفنو آزيف » وهذا الأخير قد أعدم عام (١٩٠٩ م) إذ أدين بتنظيم مؤامرة لاغتيال القيصر نقولا الثاني آخر القياصرة الروس .

أما « غروشوني » فهو رئيس المنظمة الارهابية التي أطلقت على نفسها « الحزب الاشتراكي الثوري » وأما « آزيف » فهو رئيس القسم الخاص بالاغتيال والقتل في هذه المنظمة .

* * *

(٥) وفي عام (١٩٠٥ م) قامت في روسيا أول ثورة شيوعية نظّمها اليهود ، إلاّ أنها فشلت ، ولم يتمكن اليهود عن طريقها من فرض الماركسية يومئذٍ على روسيا .

ومن أقطاب هذه الثورة اليهودي « تروتسكي » وهو أحد أعلام الحركة الشيوعية كما سبق بيانه ، وهو أبرز عناصرها الفكرية بعد لينين ، وهو الذي أسس فيما بعد الجيش الأحمر •

ووقف اليهود في وجه جميع الاصلاحات التي قام بها القيصر « نقولا الثاني » عقب فشل ثورة (١٩٠٥ م) واعتبروا التدابير الاصلاحية خطراً يهدّد برنامجهم الثوري ، فحاربوا الاصلاح بعنف شديد •

واضطر عدد ضخم من أعضاء الاتحادات الاشتراكية اليهودية في روسيا ، أن يهاجروا من البلاد عقب فشل هذه الثورة ، فاختاروا الارتحال إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وسرعان مازرعوا فكرتهم في البلد الذي ارتحلوا إليه ، وسرعان مابدأت المنظمات العمالية اليهودية الكبيرة تتشكل في هذه البلاد على نطاق واسع • ولم تكن هذه المنظمات إلاّ نبتة مباشرة للاتحادات الاشتراكية اليهودية في روسيا ، التي انتقل كثير من أعضائها إليها ، وأخذ هؤلاء يبذلون جهودهم المختلفة لبلشفة النقابات اليهودية في الولايات المتحدة • حتى غدت القوة المولّدة للنفوذ الشيوعي والدعاية الشيوعية في هذه البلاد قائمة في النقابات اليهودية ، التي أخذت تعتنق بلا استثناء البرنامج الماركسي للصناعات المختلفة وللبلاد في مجموعها •

جاء في كتاب « اليهودي العالمي » ما يلي :

« وقد انبثقت البلشفة الروسية من الجانب الشرقي من نيويورك ، حيث تقوّت بالتشجيع الديني والأخلاقي والمالي من القادة اليهود •

فلقد كان « ليون تروتسكي برونشتاين » يهودياً من الجانب الشرقي من نيويورك ، وقد تركّزت القوى التي دعمت كلّ ما يمثله في مجلس الطائفة اليهودية المسمّى « الكيهيلا » وفي اللجنة اليهودية الأمريكية •

واهتمت الهيئتان بالعمل الذي ندبا أنفسهما للقيام به •••

وساعد الذهبُ اليهودي في أمريكا البلشفية الروسية في تحقيق أهدافها » •

* * *

(٦) وفي عــام (١٩١١ م)اغتال المحامي اليهودي « مردخاي بوخروف » وزير القصر الأول ــ رئيس مجلس الوزراء الروسي « ستولبين » ؛ لإيقاف برنامجه الاصلاحي الواسع • وذلك لأن برنامجه الاصلاحي يحبط برنامج اليهود لإقامــة ثورتهم الشيوعية ؛ دلّ على هذا أنّ لينين قد اعتبر الثورة في سباق مع إصلاحات « ستولبين » وأنه إذا ما تأجلت الثورة وأتيح لهذه الاصلاحات أن تعطي نتاجهــا استحال على الشيوعيين أن ينتصروا •

* * *

(٧) وفي ٩ كانون الثاني من عام (١٩١٧ م) بدأت في موسكو الاضطرابات ضدّ نظام الحكم القيصري ، نتيجة ضعفه ، وكثرة المؤامرات ضدّه ، والحرب المضنية التي كان يخوضها على الجبهة الألمانية •

وظلّت الاضطرابات تنتشر وتستفحل حتى بلغت حدّ الثورة التي استطاعت أن تسقط نظام الحكم القيصري في شباط من سنة (١٩١٧ م) •

وكانت الثورة ثورة ديمقراطية ذات اتجاه إصلاحي في أوّل الأمر ، ولم تكن في بدايتها شيوعية ، ولم يظهر الشيوعيون على السطح المعلن ، وقامت الحكومة المؤقتة برئاسة الأمير « لفوف » واشترك فيها اليهودي « كيرنسكي » ممثلاً للاشتراكيين الديمقراطيــين •

واتخذت هذه الحكومة المؤقتة بعض التدابير الأوّلية للتهدئة ، ظنّاً منهــا أنها تفعل ذلك لمصلحة روسيا ، فأصدرت قراراً باعادة جميع المنفيين في سيبريا ، والسماح لمن كان يقيم في الخارج أن يعود إلى البلاد •

ومن الجدير بالذكر أنّه لمّا هبّت هذه الثورة كان أعضاء « منظمة العمّال اليهودية » أول من حمل لافتات الثورة المكتوب عليها العبارة التالية : « ياصعاليك العالم اتحدوا ، وحرّروا أنفسكم من استعباد القيصر وأعوانه ، ومــن تحكّم الرأسماليــة » •

وهذا إعلان للشعار الذي كان قد أعلنه من قبل « كارل ماركس » وصديقه « انجلز » إذ جاء في آخر بيانهما المعروف بـ « المانفستو الشيوعي » ما يلي :

« دعوا الطبقات الحاكمة ترتعد من توقع حدوث الثورة الشيوعية ، إن البروليتاريين ليس لديهم مايخسرونه غير قيودهم . وأمامهم عالم بأسره ليكسبوه . أيها العمال في كل مكان اتحدوا » .

* * *

(٨) وفي نيسان من عام (١٩١٧ م) عاد إلى موسكو قادة المنظمات اليهودية الماركسية .

فمن سويسرا عاد اليهودي « لينين » ورفاقه « مارتوف » و « رادك » و « كامينيف » وآخرون . وكانت عودتهم عبر خطوط النار بطريق ألمانيا ، وبمعرفة السلطات الألمانية لتخريب المجهود الحربي الروسي ، وتمّ ذلك بمفاوضات طويلة مع السلطات الألمانية قام بها اليهودي « الدكتور هلفاند » في « ستوكهولم » ، واليهودي « غرينتزكي » في « كوبنهاغن » .

ومن سيبيريا عاد « ستالين » و « سفردلوف » و « زينوفيف » .

ومن نيويورك عاد « تروتسكي » مع مئات من الشيوعيين اليهود .

وبلغ عدد من سمحت لهم الحكومة المؤقتة الجديدة بالعودة تسعين ألف روسي معظمهم من المثقفين اليهود .

* * *

(٩) وفي شهر نيسان نفسه من عام (١٩١٧ م) اجتمع البلشفيك برئاسة « لينين » ووضعوا مخططاً لتحويل الثورة لمصلحتهم ومصادرتها بأية وسيلة .

وفي شهر تشرين الأول من عام (١٩١٧ م) استطاع البلشفيك الاستيلاء على السلطة ، واعتقال الحكومة المؤقتة ورئيسها « كيرنسكي » مع العلم بأن هذا يهودي أيضاً .

وعندئذٍ أمست السلطة كلّها في يد الشيوعيين « لينين » وأنصاره ، ومعظم قادتهم وأعضائهم من اليهود ، وتولى رئاسة الجمهورية اليهودي « كامينيف » •

وقد جاء في صحيفة « فرنسا القديمة » العدد (١٦٠) الصادر في سنة (١٩٢٠ م) سرد لأسماء اليهود الذين قاموا بالثورة ، وأولهم « لينين » وقالت الصحيفة : « وجميع هؤلاء الذين مرّ ذكرهم يهود قد اتخذوا لهم اسماء روسية مستعارة » !!

وبعد استيلاء البلشفيك على السلطة في روسيا اتحدت ظاهرياً المنظمات الماركسية وخضعت لجهاز مركزي واحد ، فرض على روسيا حكماً شديد العنف والصرامة ، مستخدماً كلّ وسائل القمع بالحديد والنار ، غير تارك أي منفذ لحريّة ، لكن المنظمات الأخرى تمت تصفيتها فيما بعد على أيدي البلشفيك ، ثم تمت تصفية معظم العناصر البلشفيك أيضاً على يد « ستالين » •

وكانت العناصر اليهودية هي العناصر ذات السيطرة المطلقة على أجهزة الحكم ، وعلى سبيل المثال كان أول مجلس شيوعي يتألف من (٥٤٧) عضواً منهم (٤٤٧) من اليهود • وتأسست اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في بداية الحكم من (٣٨٨) عضواً ، منهم (٣٧١) من اليهود و (١٦) من الروس وزنجي واحد •

في ٧ تشرين الثاني (١٩١٧ م) كان الرئيس الثاني للجمهورية السوفياتية الشيوعية اليهودي الارهابي « سفردلوف » وهو الذي رأس اللجنة التي وضعت دستور الاتحاد السوفياتي •

ويلاحظ أنّ قادة الثورة والحكام بعدها لروسيا هم اليهود الخمسة : « لينين » و « زينوفييف » و « كامينيف » و « تروتسكي » و « سفردلوف » •

لذلك عملت العناصر اليهودية على منح اليهود في روسيا حماية تامة ،وامتيازات لم تعطَ لغيرهم ، وإطلاقاً كاملاً لأيديهم ، منها ما يلي :

أ ــ قرار أصدره « لينين » بتجريم العداء لليهود والمعاقبة عليه قانوناً •

ب ــ إطلاق أيدي اليهود في إقامة مؤسّساتهم والمؤسسات التي تخدم مصالحهم ، فمن ذلك :

- مدارس تعلّم لغة اليهود في روسيا •
- مسارح يهودية بلغت ١٦ مسرحاً •
- ثلاث صحف يومية تصدر باللغة اليهودية في روسيا ،وقد بلغ عدد نسخ المطبوعات منها (١٠١٣٥٠٠٠) نسخة •
- مجالس وطنية يهودية بلغت (٢٧) مجلساً عام (١٩٣٢ م) في روسيا البيضاء ، و (١٦٠) مجلساً في أوكرانيا ، وتألفت فروع يهودية انبثقت عن منظمات الحزب •
- سيطر الفكر اليهودي ، والفنّ اليهودي ، على مختلف جوانب الفكر والثقافة والفنّ في أنحاء روسيا ، ثم الاتحاد السوفياتي •

وهكذا استطاع اليهود أن يجعلوا اليهودية وما يتصل بها في معزل عن محاربة الثورة لها ، على الرغم من أنّ الشيوعية قائمة على الالحاد ومحاربة الأديان وهدم كل مجد أخلاقي بنته الأمم خلال قرون • واستطاع اليهود أيضاً أن يستغلّوا الثورة لدعم اليهود في روسيا ، وفي كلّ مكان ، وأن يتغلغلوا في معظم مراكز الدولة ذات الخطر ، وأن يحتلّوا معظم مقاعد الصف الأول •

* * *

(١٠) أخذ الدعم الروسي لليهودية العالمية يظهر بقوة عند كلّ مناسبة ، فمن ذلك ما يلي :

أ ــ إعلان أصدره « لينين » عام (١٩١٧ م) وعد فيه بتأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، وكان ذلك مقارناً للوعد الذي أعطته انكلترا لليهود ، والمعروف بوعد « بلفور » الذي صدر في ٢ تشرين الثاني من عام (١٩١٧ م) من « بلفور » وزير الخارجية البريطاني إلى اللورد « روتشيلد » أحد زعماء اللجنة الصهيونية •

ب ـ نداء الحزب الشيوعي الروسي للمسلمين يتضمن تحريض المسلمين ضدّ الغرب ، وضدّ الشركات البترولية في منطقة الشرق الأوسط ، لا خدمة لقضية الحريّة ، ولكن تمهيداً لإقامة الثورات الاشتراكية التي تكون مناخاً ملائماً لخدمة المصالح اليهودية ، وإقامة وتأمين الدولة اليهودية في فلسطين وإحباط كلّ نضال يدعم حقّ أهل فلسطين الأساسيين .

وقد صدر هذا النداء عن المؤتمر الذي أوصت بعقده اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في روسيا ، لتحديد اتجاه ومبادىء السياسة السوفياتية في منطقة الشرق الأوسط ، وتجاه المسلمين بوجه عامّ طبق ما توخّى اليهود ، ويلاحظ في هذا المؤتمر ما يلي :

- تولى رئاسة المؤتمر اليهودي « زينوفييف » .

- تولى صياغة نداء المؤتمر والاشراف على موضوعاته اليهودي الثوري « رادك » وهو رفيق « لينين » .

- وقّع النداء ممثّلون عن الأحزاب الشيوعية في العالم ، وكلّهم من اليهود ، وهم : « بيلاكون » عن هنغاريا . و « روزمار » عن فرنسا . و « ريد » عن أمريكا . و « رادك » عن روسيا . و « شتاين هارد » عن النمسا . و« جانسين » عن هولنده .و « شابلين » عن البلقان .

* * *

(١١) لمّا تمّ نجاح الثورة الشيوعية في روسيا ، عقدت الجبهة الشيوعية في أمريكا مؤتمر فرحة احتفالاً باتتصار رفاقهم في روسيا ، وكان معظمهم من اليهود ، وكانت أولى البرقيات التي وصلت إلى هذا المؤتمر ، برقية المليونير اليهودي « يعقوب شيف » مدير مصارف « كوهين » و « ليب » ، وقد جاء في هذه البرقية الاعراب عن فرحة الشعب اليهودي لهذا النصر الذي ننتظره من سنين طويلة ...

فدلّ هذا على أن اليهود كانوا ينتظرون هذا النصر الشيوعي منذ سنين ، لأنهم كانوا يدبّرون مكايده ودسائسه ومؤامراته ويبذلون في سبيل ذلك مئات الملايين .

*　*　*

(١٢) وهكذا تعاونت الشيوعية سرّاً ــ وهي ملتزمة أقصى اليسار ــ مع أثقال عالمية أخرى ملتزمة أقصى اليمين ، على أساس اقتسام المغانم في بنود التعاون ، مع إضمار تربّص الفرص التي يمكن أن تسنح للاستئثار بخيرات الأرض والناس ، والغدر بشريك لعبة القنص .

والسبب في ذلك أن من وراء الشيوعية والاشتراكيات ومن وراء أضدادها الرأسماليات المختلفة ، محرّكاً شيطاناً يستفيد من لعبة صراع الأضداد لنفسه تجميع ثروات الأرض ، وأثقال القوة الحربية ، وأثقال القوى الأخرى المادّية والمعنوية ، تحضيراً لإقامة الدولة العالمية الكبرى ذات النجمة السداسية ، والمتوجة بتاج داود ، واستعباد شعوب الأرض ، وإعادة غير اليهود إلى موقعهم الطبيعي الذي تراه العقيدة اليهودية لمن يطلق عليهم اليهود عبارة (الجوييم = غير اليهود) وهذا الموقع الذي تحتلّه (الجوييم) هو الموقع الذي تحتله البهائم ، إلاّ أنّ (الجوييم) بهائم ناطقة خلقت كذلك لينعم أبناء الله وأحباؤه بهذه البهائم التي سخّرت لخدمتهم .

والخطة من لعبة صراع الأضداد التي دبّرتها اليهودية العالمية بمكر عظيم ودهاء منقطع النظير تتلخص بوضع الشعوب ومبادئها بين حجري رحا يدوران دورتين متعاكستين : هذا يدور على قطب الدكتاتورية المقنّعة برأس المال ، دورة من اليسار إلى اليمين ، في ظل ديمقراطية اجتماعية عامة ، والثاني يدور على قطب دكتاتورية الحزب الحاكم المتمثلة بدكتاتورية هرمه ، دورة من اليمين إلى اليسار ، في ظلّ دعاوى ديمقراطية العمال ، ومظاهرها التطبيقية في مجالات النقابات ونحوها .

حتى إذا تمّ لهذه الرحا أن تحطم الشعوب ومبادئها وقيمها ، وتطحنها طحناً ، عندئذٍ يقوم المدير الخفي لهذه الرحا بتكسير حجريها معاً بعضهما ببعض ، ثم تحطيمهما بمطارق فولاذية معدّة في السرّ داخل مخابىء بعيدة عن الأنظار تماماً .

وبذلك يتحقق لواضعي الخطّة كما يتصوّرون إقامة دولتهم العالمية القادرة على امتلاك الأرض واستعباد الشعوب •

* * *

(١٣) نقل الأستاذ « محمد خليفة التونسي » في كتابه « الخطر اليهودي ــ بروتوكولات حكماء صهيون » عن كتاب « روسيا اليهودية » ما يلي :

(إن معظم أعضاء المجلس الشيوعي الذي يحكم روسيا الآن (سنة ١٩٥١ م) هم من اليهود الصرحاء ، فالأعضاء سبعة عشر هم : « ستالين » رئيس المجلس • و « كاجانوفتش » نائبه • ثم « بيريا » و « فيرشيلــوف » و « مولوتــوف » و « شفيرنيــك » و « كيرتشينستين » و « جوركــين » و « إليا أيرهمــيرج » و « ديفنسكي » و « هينسيرج » و « ميخليس » و « فرمين » و « جــودي » و « لوزوفسكي » و « كافتانوف » و « وبيترليفنتسكي » •

وهؤلاء يهود صرحاء ، إلاّ ثــلاثة هم : « ستالــين » و « فيرشيلــوف » و « مولــوتوف » ولكن زوجات هؤلاء الثلاثة يهوديات ، وفيهم يهودي الأمّ أو الجدة ، أو صنيعة مجهول النسب من صنائع اليهود •

كما أنّ أسماء كثير من اليهود بينهم مزدوجة ، فلكلٍّ منهم اسمه اليهودي الأصيل المستور ، واسمه الحركي المشهور الذي يخفي الاسم اليهودي الأصيل ، وهذه عادة كثير من اليهود حيث احتاج الأمر إلى التخفّي أولاً ، ولو لم يكن داع إلى التخفّي أخيراً ، فيبقى الاسم المزيف المشهور ، دون الاسم الأصيل المغمور) •

* * *

(١٤) نشرت جريدة المدينة المنورة بتاريخ ٢٥ رجب ١٣٩٩ هـ و ٢٠ حزيران ١٩٧٩ م (العدد ٤٦٢٢) ما يلي :

هاتفياً ــ من عبد الباري عطوان :

لندن ــ وزعت في لندن أمس الثلاثاء منشورات صادرة عن منظمة انكليزية امريكية مناهضة للشيوعية والصهيونية فيها حقائق مدعومة بالأرقام والأسماء ،

تقول : إن « مجلس السوفييت الأعلى والمكتب السياسي فيه » يتألف من ٩٠٪ من اليهود السوفييت ، وإنّ أبرز الزعماء السوفييت ينتمون إلى الصهيونية ، حتى إنّ « ليونيد بريجنيف » وهو الشخص الوحيد من بين كبار الشخصيات السوفيتية الذي ليس يهودي الأصل والديانة متزوج من يهودية ، وإن جميع أولاده تربّوا على الطريقة اليهودية ، ويجيدون اللغـة العبرية ، ونالوا قسطاً وافراً من الثقافة الصهيونية •

وذكرت هذه النشرة أنّ هؤلاء الصهاينة تنكروا تحت أسمـاء روسيّـة ، وتخلّوا عن أسمائهم اليهودية ، ومن بين هؤلاء على سبيل المثال وزير الدفـاع السوفيتي ، ووزير الخارجية « أندريه جروميكو » ورئيس هيئة الاستخبارات السوفيتي ، وقائد القوات الجوية ، وكذا سلاح المدرّعات ، ورئيس هيئة الأركان •

وأشار التقرير أيضاً إلى أنّ ٩٠٪ من سفراء الاتحاد السوفيتي في الخارج هم من اليهود ، وعلى رأسهم سفير الاتحاد السوفيتي في واشنطن ، وان جميع هؤلاء يرفعون شعـار الشيوعية ويتلقّبون بألقابها إمعانـاً في التنكر ، لممارسة أعمالهم في هدوء وبعيداً عن الشكوك •

وذكر التقرير أيضاً أن ذلك يفسر التسهيلات التي يجدها اليهود السوفييت للهجرة الى فلسطين المحتلة،ويفسر أيضاً الاضطهاد الذي يجده المسلمون والمسيحيون على حدّ سواء في روسيا الحمراء •

* * *

(١٥) ومما يؤكد الصلة العميقة بين الشيوعيةـ وفي الاتحاد السوفياتي بخاصةـ وبين اليهوديّة العالمية وقيادتها الرأسمالية والحاخامية ، ما جاء في الوثيقة التالية :

نشرت الدورية المسمّاة « الصليب والعلم »[١] في عددها الصادر في أواخر سنة (١٩٥٥ م) ـ وهي النشرة التي تصدرها جمعية وطنية أمريكية ، تعنى بكل مـا

---

(١) نقلاً عن كتاب « مؤامرة الصهيونية على العالم » تأليف الاستاذ أحمد عبد الغفور العطار ص ٦٢ •

يتعلّق بالأمن الوطني ــ وثيقة جعلت عنوانها : « الحاخام جوهاشيم برنز يشرح وثائق المخطط السرّي اليهودي الأخير » .

ورئيس تحرير مجلة « الصليب والعلم » هو « جير الدسميث » ويساعده اثنان هما « توني سكوت » و « شارل روبرتسون » وهم الذين نشروا ما أفصح لهم به أحد أغنياء اليهود الأمريكيين ، وقد طلب إلى رئيس التحرير أن يسمح له بمقابلته ، ورجا أن تكون الآن ، وكان يحدّثه بالهاتف من مكان قريب من إدارة المجلة ، فاستقبلوه وتحدّث إليهم بهذا النص المنشور :

« أنا أحد أثرياء اليهود الذين جاؤوا إلى هذه البلاد (أمريكا) من أوروبّا ، وكنت في بلدي الأوروبّي سعيداً في حياتي ، وذا مكانة طيبة لدى الجميع ، ولكن المجلس اليهودي الأعلى في بلدي الأوروبّي قرّر الإطاحة باقتصاده ، تنفيذاً للمخطّطات السرّية ، ولما كنت منهم ، وكانوا حريصين على ألاّ أصاب بما سيصاب به أغنياء النصارى ، أمرني المجلس أن أغادر البلاد مصحوباً بأموالي ، وأجعل مركزي ومقامي في أمريكا .

وأصيبت اقتصاديّات ذلك البلد الأوروبّي بالانهيار الذي خطّطوا لوقوعه ، وسلمت أنا وأمثالي من أثرياء اليهود .

ويبدو أن من أغراض المجلس بإرسالنا إلى أمريكا « تجميع » رؤوس الأموال اليهودية فيها .

ومنذ أربعة عشر عاماً وأنا هنا في أمريكا تحت سيطرة المجلس ، وألبّي كلّ ما يطلبه مني أسوة بغيري من أغنياء اليهود ، فالمجلس يطلب منّا دائماً معونات مالية يرسلها إلى الجهات المتعدّدة بحجّة مساعدة المناضلين من أبناء قومنا .

وعندما نشبت المعارك في فلسطين فرض المجلس علي مبلغاً ضخماً من المال ، قدّمته بمجرّد طلبه .

وأقول لكم الحق : إنني أفدت كثيراً من هذه البلاد ، وعاملني أهلها منذ وصولي إليها معاملة كريمة ، وكنت سعيداً إلى أن أكرهت على الانضمام إلى المجلس

اليهودي الأعلى ، وأسندوا إليّ فيه مركزاً جدّ مرموق ، وفرض علينا المجلس حضور اجتماعات دورية نعقدها في مقرّه ، حيث تلقى علينا المحاضرات السياسية **المتعلقة باقامة الدولة اليهودية العالمية ، ويشرحون لنا الأمور السرّية المنبثقة من بروتوكولات صهيون ،** وينفثون في نفوسنا مبادىء الحقد والكره للشعوب غير اليهودية ، ويدرّبوننا على الأساليب المعادية لغير اليهودية ، ويؤكّدون لنا أنه ليس لليهود أصدقاء سوى أبناء قومهم ، ولهذا يطلبون إلينا عدم الثقة بغير اليهود ، والعمل على تدمير كلّ ما يخصّ الشعوب الأخرى من الأمور المادّية والمعنوية ، **كما أنهم فرضوا علينا استظهار مواد البروتوكولات .**

وإنّ جميع أثرياء اليهود ملزمون بحضور هذه المحاضرات والاستماع إليها ، حتى يتأصّل في نفوسنا الايمان بأنّ اليهود أمّة فوق الأمم ، ونعمل لتحقيق سيادتناعلى العالم أجمع !! وهكذا كانوا يلقّنوننا الحقد والكراهية لكلّ الشعوب الأخرى ، وهذا النوع المدمّر من التوعية فعل في نفوسنا فعله المسيء ، حتى إنّ الكثير منا اعتقدوا أنّ ذلك حقيقة ، وكنت أنا غير راض بكلّ دعاواهم ، وما أكثر ما قرّرت الانقطاع عن حضور هذه الاجتماعات التي تلقننا المبادىء التي لا تتفق مع الأخلاق ، وتفرض علينا نكران الجميل ، والتنكّر لهذا البلد الذي آوانا ، ومعاداة أبنائه الذين أحسنوا معاملتنا ، وحمونا من أعدائنا ومن غوائل الدهر .

وفكّرتُ في ابني البكر الذي قتل في الحرب العالمية الثانية تحت علم أمريكا دفاعاً عنها ، وتخيّلته وهو يعاتبني على انجرافي خلف هذه الفئة اللّئيمة الحاقدة ، التي تكيد لهذا البلد الذي أقمنا فيه بكل فخر واعتزاز ، وضحّى ابني بدمه في سبيل نصرته ، فكّرت في هذا كلّه فانتابني الحياء ، وقلت في نفسي وأنا أحاسبها : أليس من الحقّ أن نصادق أبناء هذا البلد الكريم ، وأن نخلص له ولهم ، ونقاتل مع أبنائه لكي نحميه وننصره ، ولنفيَ بعض ماله ولهم علينا من فضل بدلاً من الغدر به وبهم دون أي وازع من ضمير ، أو اعتراف بالجميل ؟

عندئذٍ كبر الأمر واحتقرتُ نفسي ، وذات مساء ــ بعد أن غادرت الاجتماع ــ قرّرت أن أعود لإنسانيتي ، وأن أعمل للحيلولة بين المجلس الأعلى وما يريد ،

ولكنني كنت اجهل السبيل إلى تنفيذ ما أردت وقرّرت ، لأنني كنت أعلم حقّ العلم ان إفشاء أسرار بني قومي للصحافة امر مستحيل ، فالصحافة في أيديهم ، والبوح لها بما اعتزمت عليه يكفي للقضاء عليّ ، دون أن تظهر كلمة مما سأقوله لها إلى الشعب .

ولمّا كنت وحيداً لا معين لي ، وكان خصومي بالآلاف بل بالملايين حرتُ في أمري ، ومع هذا ظللت مصرّاً على أن أعمل شيئاً مهما كان الأمر ، وكتمت أمري هذا ارتقاباً للوقت المناسب .

وذات يوم حدث ما لم يكن في الحسبان ، وهو أنّ « بنيامين شولتز » حاخام مدينة نيويورك ، وأحد أعضاء المجلس الأعلى اليهودي ، خرج على المجلس ، وأعلن عليه الحرب الضروس ، وجمع حوله حشداً من أنصاره ، ثمّ أصدر بياناً استنكر فيه المبادىء الهدّامة وتعليمات البروتوكولات ومسألة الارتباط والتعاون بين الصهيونية والشيوعية ، وطلب في بيانه من جميع اليهود في العالم أن يخلصوا للبلدان التي يقطنونها ، ويوحّدوا جهودهم مع أبناء البلاد التي يعيشون فيها ، وينبذوا الأفكار والمبادىء المسيئة لمصلحة البلاد التي تؤويهم .

وما كاد يصدر بيان « بنيامين شولتز » حتى جُنّ جنون الصحافة العالمية اليهودية ، ونادت بالويل والثبور ، وكالت لشولتز التهم جزافاً ، ووصفته بأنه صديق هتلر القديم ، والنازي العريق ، والمرتشي من المحافل النازية السابقة ، والفاشي القذر ، المستحق لأقصى العقوبات تلقاء وقاحته وسفالته وشتمه شعب الله المختار .. الخ .

« ولكن « شولتز » لم يجزع ولم تهن عزيمته ، وتصدّى للتحدّي بالتحدّي ، ووسع نشاطه المناوىء للمجلس الأعلى ، فسرى الرعب في الأوساط اليهودية ، وأصدر المجلس لنا أمره بعقد اجتماع عام ، فلبينا جميعاً أمره ، وانعقد الاجتماع الذي حضره خلق كثير ، وكان على رأس المجتمعين مئتان وخمسون غنيّاً من أغنى اليهود في البلاد ، وكان المكان رحيباً ، ذا أسوار عالية ، وأحيط برجال مدجّجين

بالأسلحة والمدافع الرشّاشة ، ويراقبون بدقة ويقظة كلّ كبيرة وصغيرة ، وبعد أن كمل عقد المجتمعين اعتلى زعيمنا المنصة ، وبصحبته رجل قدّمه لنا باسم السيد « مورجا نسترن » ثم أردف قائلاً :

إنّ السيد « مورجا نسترن » موفد اللجنة الروسية المختصة في مراقبة الشؤون الأمريكية ، وحضر إلى أمريكا ليطلع عن كثب على ما توصّلنا إليه ، وهو أشهر مختص في روسيا في شؤون الدعاية المضادة ، وهو من خيرة إخواننا اليهود ، وسيتحدّث إليكم الآن في شأن الإهانة التي لحقتنا جميعاً على يد المارق المدعو « شولتز » • وهنا تقدم « مورجا نسترن » من المذياع وقال :

اعلموا أن « شولتز » وهو أحد أبناء إسرائيل تجاسر على توجيه الاهانة إلى بني قومه بكلّ وقاحة وسفالة ، وموقفه هذا أغضب المشرفين على دائرة (M. V. D) ودفع بهم إلى الاهتمام بالأمر ، ونحن بدورنا بادرنا إلى اتخاذ جميع الاحتياطات الواجبة لمجابهة موقف « شولتز » هذا ، ومن بينها أننا دسسنا بين أتباعه بعض رجالنا ، لنكون على علم سابق بكلّ ما يدبره لنا من المكايد •

ثمّ انتقل الخطيب فجأة إلى الحديث في التعاون الوثيق بين الصهيونية والشيوعية ومتانة الارتباط بينهما ، والنصر اليهودي المرتقب الذي سيحققه هذا التعاون ، وفي المكاسب التي سيغنمها اليهود عقيب هذا النصر المنتظر •

وأنهى خطبته بكلمة عن قرب قيام الدولة اليهودية العالمية نتيجة لهذا التعاون القائم بين الصهيونية العالمية والشيوعية •

ثم انفضّ الاجتماع ، وخرجنا من البهو واليأس آخذ مني كلّ مأخذ ، لأنني كنت قبل أن أسمع تصريحات « مورجا نسترن » عازماً على الانتساب إلى جماعة شولتز ، ولكن بعد أن سمعت بوجود الخونة في صفوفه خارت عزيمتي ، فلم يسعني إلاّ العدول عن الانتساب إليه ، واكتفيت بأن بعثت إليه رسالة شرحت فيها كلّ ما سمعته ، وأسباب عدولي عن الانتساب لجماعته • وأعقب هذا الاجتماع اجتماعات أخرى دعينا إليها كالعادة ، كما عقد المجلس عديداً من الاجتماعات المماثلة في جميع المستعمرات اليهودية ، حيث ألقيت الخطب ووجّهت التهديدات بسحق كلّ من ينضمّ إلى شولتز •

ومع كثرة التهديدات التي كانوا يسمعوننا إيّاها كانت عزيمتي تشتد أكثر ، لأن ضميري لم يعد يحتمل كلّ هذا السيل من المساوىء بحقّ الانسانية ، ولكنّني كنت عاجزاً عن العثور على المخرج المناسب لتحقيق رغبتي •

وفي غضون هذه الأيام العصيبة كنت أسمع حولي همساً يدور عن وجود خطة سرية ، فلفت هذا الهمس انتباهي ، وصرت أبحث عن الوصول إلى حقيقة الموضوع الذي يدور حوله الهمس ، وكان الناس عند بحثهم عن هذه الخطة السرية ـ التي أطلقوا عليها اسم خطة (ب .P) ـ يخفضون أصواتهم ، ويخرجون الكلمات من أفواههم وهي أشبه بالفحيح منها بالكلمات ، مخافـة أن يتسرب أمر خطتهم إلى خارج المحيط اليهودي ، وكنت أتساءل عن كنه هذه الخطة وأقول في سرّي : أهي خطة لإزالة « شولتز » من الوجود ، أم أنّها خطة لتدمير بعض المنشآت الأمريكية المناوئة لمصالح بني قومنا ؟!

وبعض الأحيان كنت أظن أنها ترمي إلى القيام بعمليات تخريبية واسعة ، أو البحث عن وثائق تتعلق بالأسلحة النووية ، أو ربما كانت تعني عمليات تجسّس واسعة النطاق ، ولكنّ تكهناتي كلها ذهبت سُدى ، وعلمت فيما بعد أن الخطة ليست أحد هذه الأمور ، بل هي في مظهرها تافهة جدّاً ، ولكنها في مراميها ونتائجها كانت أشد خطراً من كل ما تكّهنّا به جميعاً •

وهنا توقف محدثنا الذي أطلقنا عليه اسم « روفائيل فتزجرالد » صوناً لحياته، وإخفاءً لهويته الأصلية عن الكلام ، وظهرت على محيّاه علائم الارتياح ، وكأنّ عبئاً أزيح عن كاهله ، وكنّا وهو يتحدث نستمع إليه وكأنّ على رؤوسنا الطير ، فلما توقف بادره « جيرالد سمث » قائلاً : نحن نعلم أنّك يهودي ، ومع ذلك نراك تفشي لنا أسراراً غاية في الخطر أنت أدرى من غيرك بما سيترتب على هذا الإفشاء من خطر عليك ، فلماذا تلقي بنفسك إلى التهلكة ؟ •

فأجاب « روفائيل » : لأنني واثق منكم كل الثقة ، ولأنني مطمئنّ إلى أنكم لن تتخلوا عن ابني وزوجتي إذا ما أصابني مكروه •

فبادر « شارل روبرتسون » إلى القول : لاتقلق يا صديقي ، فليس في الأمر ما نخشاه ، وإذا وقع مالم يكن في الحسبان فلن نكون وحدنا ، بل ستهبّ أمريكا بأسرها لتحمينا من كلّ شرّ ، وبخاصة ستبقى هويتك مجهولة ، ولن يعرفها أحد ، وسنحرص على سلامتك بكل ما أوتينا من قوة وعزيمة .

فردّ عليه « روفائيل » : على أي حال أرى من واجبي أن أعطيكم اسمي وعنواني الكاملين ، حتى تتمكنوا من الاتصال بي إذا ماكنتم في حاجة إليّ .

ولمّا قدّم لنا هويته أخذ منا العجب مأخذه ، فقد عرفناه جميعاً ، فهو من أشهر أثرياء اليهود ، وصاحب مؤسسات تجارية معروفة في طول البلاد وعرضها .

ثم تابع اليهودي حديثه قائلاً : إنّ خطة (ب . P.) المقطوعة من كلمة PISCE بمعنى السلام ، نعم ، إنّها خطة السلام السرية ، أو عملية السلام القاتلة ، أو خطة إفناء الشعوب !! ولقد عرفناها منذ ثلاثة أيام،وذلك عندما دعينا إلى اجتماع عامّ ، وكان المكان كالعادة محاطاً بالحرّاس المُسلحين ، فلمّا دخلنا بهو الاجتماع وجدت فيه كثيراً من الوجوه التي أعرفها ، وما كان أصحابها من قبل يشاركوننا الحضور إلى اجتماعاتنا ، كما أنّ الأعضاء الدائمين كانوا قد حضروا جميعهم ، وكان السكون يخيّم على الحاضرين في جو مشبع بالخطر ، وبعد مضي فترة أغلقت الأبواب ، ودخل البهو الحاخام « جو آشيم برنز » تحيط به زمرة من الرجال الأشداء ، فنهضنا جميعاً إجلالاً له ، وأنشدنا النشيد الصهيوني المعروف «هاتكفاه» ثم أشار لنا الحاخام بالجلوس وبدأ حديثه قائلاً :

أيها السادة ، كلكم يعرف **مدى الصلة القائمة بيننا وبين إخواننا اليهود في روسيا ، وما لهم من أيادٍ كريمة في مساعدتنا ، وعلى سبيل المثال أذكركم بموقفهم منا إبان حرب فلسطين ، وهذا الموقف رجح كفتنا ، ومكننا من طرد العرب الغزاة عن أرض وطننا المقدس ، ولو لم تكن الأسلحة التي أمدونا بها والتي نقلتها إلينا طائرات أصدقائهم في الوقت المناسب لما قامت إسرائيل البتة ، والأسلحة التي ندافع بها اليوم عن حدودنا في إسرائيل هي أيضاً مما ارسله لنا إخواننا اليهود الموجودون هناك .**

وعدا هذا فإن روسيا كانت على رأس الدول التي اعترفت باستقلالنا ، كما انها اقامت منطقة « بيروبيجيان » اليهودية في أخصب بقعة من بلادها ، وهي التي دفعت بالألوف من يهودها للالتحاق بالقوات الإسرائيلية ليساعدونا في حرب التحرير ، ومع كل ذلك ما تزال تساعدنا حتى اليوم تلقاء ما قدمناه لها في ثورتها ، وتنظيم شؤونها ، وتثبيت دعائم الشيوعية في أرجائها ، وهذه الخدمات التي نتبادلها هي التي تربط بعضنا ببعض بأوثق الروابط ، وأكثر من هذا فنحن نعتبرها المركز الرئيسي لتحقيق سيطرتنا العالمية ، ولهذا فهي بمنزلة وطن ثانٍ ، لأن نظامها ودولتها من صنع ايدينا .

اما إسرائيل فليست حتى الآن إلا مركزاً أدبياً ودينياً ، ومنطلقاً لمبادئنا وتعاليمنا التي نصدرها للشعوب ، مع أنني لا أنسى ما لها من أهمية استراتيجية لو قوعها على سواحل البحر الأبيض المتوسط ، هذا البحر الذي سيكون ذات يوم بحرنا ، لأن من يملك إسرائيل يسهل عليه امتلاك البحر المتوسط والبلاد الواقعة على سواحله بشرط أن يحسن التأهب لذلك .

والآن أيها الرفاق ، **لنعد إلى موضوعنا الأساسي ، وهو أن الرفاق في بلاد السوفييت اتفقوا على المثابرة لتبادل المعونة فيما بيننا ، وهذا معناه العمل الدؤوب لمصلحتنا ، لأن انتصار السوفييت في الوضع الراهن هو انتصارنا ، ولقد اتفق الجانبان على مخطط موحد ، وأرسلت التفصيلات إلينا لنقوم نحن بما يترتب علينا .**

والتخطيط المتفق عليه سهل في مظهره وفي تنفيذه ، ولا يعرض من يعملون لتحقيقه إلى أي نوع من الخطر ، وكل ما في الأمر يتلخص في كتمان القصد من الدعوة لهذا المخطط حتى لا يكتشفه أحد .

ولقد أطلق على هذا المخطط اسم « مخطط السلام »، والعمل لتحقيقه لا يتطلب منا سوى الالحاح والمثابرة على الدعوة للمحافظة على السلام ، والقصد منه ذو شقين :

أحدهما : الحصول على الوقت اللازم لنا ولحلفائنا لكي نتمكن من تسليح جيوشنا ، وتقوية أجهزتنا الحربية ، لأننا في هذا الوقت لم نستكمل العدة لخوض حرب عالمية ثالثة تكفل لنا النصر .

وأما **الشق الآخر : فهو وقف سباق التسلح السائد الآن لدى الدول المعادية لنا ولحلفائنا ، وإرغام الدول على تدمير أسلحتها الذرية ، وتخفيض جيوشها الجرارة،** وقتل الروح العسكرية في الأوساط الشعبية ، ودفع الجماهير إلى غير الجندية ، وتنفيرهم منها ، **بينما سنثابر نحن وحلفاؤنا على التسلح إلى أبعد مدى مستطاع .**

ولنتوصل إلى تحقيق هذه الأهداف عليكم العمل دون هوادة على دعوة الناس إلى مناصرة السلام ، وتسفيه كل منهاج أو رأي يدعو إلى التسلح ، والهجوم على كل من يناصر الجندية ، وإثارة الأفكار على كل مشروع دفاعي ، وتحريض الناس على الامتناع عن الاسهام في الأغراض العسكرية ، **والتنديد بكل ما ينفق في أمور الحرب ، والدعوة لمبادىء الشيوعية الدولية (١) .**

وإذا أجدنا القيام بدورنا في هذا المضمار فسترون في المستقبل القريب أنّ جميع الدول ستنساق وراء هذه الدعوة ، وتنبذُ مشروعاتها الحربية ، وتقلّص عدد فرقها العسكرية ، كما ستشاهدون الشعوب وقد جرفها هذا التيّار ، وتصدّت للجندية والتسلّح بالانكار والمناوأة ، ودبّ الفساد الخلقي في أفرادها ، وتنكّرت لمبادئها وتقاليدها ، وضربت بمفاهيم الوطنية والقومية عرض الحائط ، وألقت بنفسها في مُتيهات الصراع الطبقي والحزبي ، وأضاعت مقوّماتها القومية والوطنية ، وحينئذٍ نكون نحن قد اقتربنا من النصر المحقق .

أيها الأخوة ، ربّما استغرب أحدكم انقلابنا المفاجىء ، وسأل عن الأسباب التي دفعتنا إلى أن نكون دعاة سلم بعد أن كنّا دعاة حروب وثورات ، واعلموا ـ إذن ـ **أنّ الأسباب التي حملتنا في الماضي على إشعال نار الثورة الفرنسية ثم الروسية، ولافتعال الحربين العالميتين هي نفسها التي تدفعنا إلى الدعوة إلى السلام لأوّل مرّة في التاريخ ، وما هذه الأسباب بخافية عليكم ، فهي ما تعرفونه من أهدافنا الخاصة ، والتي يتطلب تحقيقها تجريد خصومنا من أسلحتهم ريثما نتمكّن من التسلح والتأهب لجولاتنا القادمة .**

---

(١) ما جاء في هذا المخطط يذكرنا بالدعاية الجنونية التي قام بها الشيوعيون في البلاد العربية ، لدعم فكرة السلام التي نادت بها روسيا بقوة في الخمسينات ، ويلفت أنظارنا إلى مؤتمرات ومفاوضات السلام بين الدول الكبرى .

والآن ، بعد أن شرحت لكم الأمر أرجو أن يعمل كلّ فرد منكم بكل قدرته على الدعوة للسلام ، وبغية تعميم الفكرة أطلب إليكم أن تنقشوا على مصنوعاتكم ما يرمز إلى فضائل السلام وما يحبّذ الحفاظ عليه ، فلتصنع مصانعكم « كبريت السلام » و « صابون السلام » و « أقلام السلام » الخ ، حتى نغرق الناس في بحر السلام ، ولتقم أجهزة إعلامكم وصحافتكم بالاصرار على الدعوة إلى السلام ، والإشادة بفضائله وحسناته ، والتنديد بالحرب ، وتعداد مساوئها ، وتهويل ويلاتها، كي نخيف الناس من الحرب في كلّ مكان ، وتحريضهم على من يبحث عنها ، وفي الوقت نفسه نكون قد أتممنا استعداداتنا ووسعنا شبكات تجسّسنا في أجهزة الدول المعادية لنا ، وأوصلنا أتباعنا إلى مراكز الجاه والنفوذ في كلّ مكان ، واستولينا على إدارات المؤسسات المختلفة .

وهكذا ستصبح جميع أسرار أعدائنا في متناول أيدينا ، كما ستكون مقدّرات بلادهم في أيدي أنصارنا ، وعندها سنختار الزمان والمكان لزج العالم في حربه الثالثة ، إذ يكون ميزان القوى قد اختلّ تماماً ، وأصبح التفوق في العدد والعتاد رهن إشارتنا ، **وعندما تحين ساعة الصفر سنوعز للأحزاب التابعة لنا في كلّ مكان ان تهبّ لنشر الفوضى ، وتعميم الصراع الطبقي في كلّ بلد وفق تعاليمنا وأوامرنا ، كما ستعمد أجهزتنا الخفية إلى توسيع نطاق الدعايات الرامية إلى الالحاد والإباحية والمسفهة للمثل والقيم الأخلاقية .**

وعندما تيقّن من نجاح مخطّطاتنا هذه ستكون ساعة الصفر قد أزفت ، فتزحف جيوشنا إلى الميادين المعينة لها ، وتقضي سريعاً على مقاومة أعدائنا التي ستكون حتماً هزيلة ، ونزيل الدول المنهارة عن طريقنا ، **ثم نعلن للعالم انتصارنا ، ونفرض عليه سيادتنا تحت ظلّ الدولة العالمية الموحدة ، وعلمها ذي النجمة المقدّسة، وبعد ذلك سنمحو كلّ أثر للمدنيات العريقة ، ونحرق المؤلفات غير اليهودية ، دون استثناء ، وسنفرض على العالم ثقافتنا ، ومن ثمّ سنقضي على اللغات المستعملة الآن ، وسنرغم الشعوب على دراسة اللغة اليديشية (١) وحدها التي ستكون اللغة**

---

(١) اليديشية : هي اللغة العامية اليهودية .

العالمية للشعوب كافة ، وسنختص نحن باللغة العبرية الأصليّة ، لغة السادة والشعب المختار ، وسنمنع اتخاذ اللّغات الأخرى ، ونلقن العالم تاريخنا وحده .

امّا ما تبقى من الحضارات والمؤلفات فسندمّره عن بكرة ابيه حتى لايبقى في العالم سوى حضارتنا ، وفي غضون بضعة أجيال لن يبقى في الأرض سوانا نحن والشعب اليديشي [1] .

وبمجرّد انتصارنا فسوف نقاضي جميع مجرمي الحرب والقادة والمثقفين وكلّ من ناوأنا على مرّ الأيام ، وسنقضي عليهم القضاء المبرم . ثم سنعمد إلى إجراء تبادل بين سكان البلاد ، فننقل مثلاً المصريين إلى إيطاليا ، والإيطاليين إلى مصر ، لنقضي على نزعة تعلق الشعوب بأوطانها . كما أننا سننظّم طريقة لتنشئة الأجيال على أسس جديدة ، وذلك بأخذ الأطفال من أهليهم في سنّ معينة ، وتدريبهم على تقبّل عبوديتنا ، والخضوع لرغباتنا ، وهكذا سنزيل من أدمغة الأجيال القادمة كلّ ميل إلى التفكير والاستنتاج ، ونلقنها نظريتنا الحديثة ، **حتى لا يبقى في العالم من ينزع إلى التفكير في مقاومتنا او من يجرؤ على الادعاء بوجود جنسية او قومية غير القومية اليهودية .**

والجدير بالذكر هو اننا **اوعزنا إلى عملائنا في اروقة الأمم المتحدة أن يعملوا ضمن هذا المخطط ، وبما أنّ أكثرهم يمثّل المراكز الرفيعة في هذه المؤسسة التي تعتبر النواة الأولى لمؤسستنا العالميّة المقبلة ، فانهم جميعاً الآن على أتمّ الاستعداد لنشر مبادئنا الجديدة ، والعمل على إنجاحها !!**

ويبدو أنّهم خطوا في هذا المضمار خطوات واسعة ، لأن البوادر تشير إلى أنّ الدعوات القومية والوطنية في الأمم المتحدة أصبحت مكروهة من قبل الجميع ، وتمجّها نفوس أكثر أعضاء هذه المؤسسة ، كما أننا نلاحظ أنّ الأمم المتحدة أصبحت تحبّذ الاختلاط بين الشعوب ، وتعمل على صهر القوميّات بعضهافي بعض ، وتدعو إلى قيام الدعوة العالمية الواحدة انسجاماً مع مخططاتنا ، ولقد تبنّت ألوان

---

[1] الشعب اليديشي : هو الشعب المستعبد لليهود .

علمنا لتشكل منها علمها الذي يظلّل ممثلي دول العالم ، ومع كلّ هـذا لم يتنبه أحدٌ إلى سلوكها ، ولم يخطر ببال ممثلي دولها أنّ دعوتها لإقامة الدعوة العالمية الموحدة ، وسعيها لتوسيع نفوذها على العالم **مما اوحـي إليها مـن قبـل الرئيس « روزفلت » نبيّنا ونصيرنا في القرن العشرين** . وإنّ تحقيقها لن يفيد أحـداً سوانا .

وهؤلاء الأغبياء يظنّـون أنّ الدعوة لاقامة الدولة العالمية والسعي لبسط نفوذ مؤسسـة الأمم المتحـدة سيقودانهم إلى إنشاء دولة أمميّة ، **وانّ الدعـوة للسـلام هو الوسيلة الوحيدة لانشائها** ، مع انّ الدولة العالمية التي ينشدونها لن تكون سوى دولتنا ، **والدعوة للسلام هي السلاح الخطير الذي سيخضعهم في النهاية لسيادتنا : سيادة بني إسرائيل** ، لانهم لا يعلمون انّ هذه الدعوة هي المخـدر الـذي نستعمـله لتنويمهم ، لكي نتمكن من إكمال استعداداتنا التي ستقضي على وجودهم ، وسيرون أيّ سـلام سعوا إلى تحقيقه وإدامته ، وذلك عندما سيدفعون ثمـن غفلتهـم هذه غاليـاً .

وثقوا أيّها الإخوة أنّ هذه المرّة لن يتمكّن أحدٌ من شلّ تقدّمنا نحـو أهدافنا ، ولن نسمح بعد اليوم لأناس أمثال هتلر وموسوليني ، ومن وقف بجانبهما في الماضي أن يعكروا صفو أيامنا المقبلة .

لهذا أرجوكم أن تضاعفوا الجهود وتتوسعوا في الدعوة إلى السلام حتى نصل بسرعة إلى أهدافنا ، ونرضي « يهوه » الذي منحنا بركاته ،وقيض لنا هذه المناهج القويمة التي وضعها شيوخنا لتحقيق رغباتنا .

أيّها الرفاق ، إنّ أسلافنا كافحوا آلاف السنين لتطبيق تعاليم مشيختنـا ، وضحّـوا في سبيلها بدمائهم ، وعرّضوا أنفسهم للمخاطر والعذاب ، وتحمّلوا من الآلام ما تنوء تحت ثقلها الجبال ، وكلّ ذلك ليمهدوا لنا هذا اليوم السعيد .

فيابني إسرائيل ، إنّ يومنا الموعود في متناول ايدينا ، ولن تمنعنا قوى الأرض مجتمعة من اللّقاء به ، وإن اوجب الأمر فلن نتردّد عن إزهاق ملايين الأرواح من غير اليهود ، وتدمير ألوف المدن بقنابلنا الذرية في سبيل تحقيقه ، ولهذا يحسن بنا ان نسرع في تجريد أعدائنا من قواهم الدفاعية ليصبحوا لنا لقمة سائغة .

أيها الرفاق هنيئاً لكم قرب تحقق وعود « يهوه » و « آدوناي » الكبير رب الأرباب ، هذه الوعود هي أكثر مما نستحق ، فلنتضرّع إلى الآلهة لتستجيب دعاءنا .

يابني إسرائيل ، انني أرى واشعر بقرب مجد عجلنا الذهبي ، فلترتفع أصوات ابواقنا لتنهار قلاع الأعداء امامنا .

وهنا رفع الجميع عقيرته بترتيل دعاء الشكر ، وتعالت الأصوات الصاخبة ، وبدأت الحركات الهستيرية تحت قيادة الحاخام « جوآشيم برنز » . وفجأة تعالت أصوات الأبواق من كلّ جانب ، فكنت ترى الحضور يتعانقون ويتبادلون القبل ، وطفرت الدموع من مآقي بعضهم فرحاً ، وهكذا ساد المكان نوع من الهرج الجنوني ، وأصبح خانقاً للأنفاس ، أمّا المظاهر الهستيرية التي سادت المجتمعين فكانت مما تمجّه النفوس ، فلو حضر هذه الجلسة موسى نفسه لما وجد خيراً من أن يبصق في وجوه الحاضرين لأنهم لا يستحقون أكثر من هذا !! أمّا أنا فلم أحتمل طويلاً هذا الجوّ ، وانسللت خارجاً لئلا ألفت انتباه الآخرين ، ولما وجدت نفسي خارج البهو لعنت الساعة التي اتنسبت فيها إلى هذه الزمرة الفاجرة .

والآن وقد سنحت لي الفرصة بأن أقابلكم فإنني أخبركم بالواقع إرضاءً لضميري ، واعترافاً بجميل هذا البلد ، وأخيراً حفظاً للجنس البشري وإنقاذه مما تبيته لهم هذه الطغمة الكافرة من الشرور الرامية إلى تدمير كلّ شيء في هذا الوجود ، وبخاصة هذا البلد الذي أكرمنا ، والذي سفك ابني البكر دمه دفاعاً عنه ، وبعد أن أعلمتكم بكل شيء أرجو أن تبادروا إلى إيقاظ أمريكا والعالم أجمع ، وأن تفهموا الدنيا كلّها أنه كفاها غفوة وغفلة ، وأن تدفعوا بالشعوب لتضع حدّاً لشرور هذه الفئة الضالة المضلة ، وأرجو أن تبقى هويتي مجهولة .. الخ » .

* * *

الثّورات والمنظّمات الشيوعيَّة في غير روسيا
ودور اليهود فيها ..

يرى المتتبعون أنّ كلّ الأحزاب الشيوعية في العالم وكلّ الثورات الشيوعية كانت صناعة يهودية ، وكان تنفيذها على أيدي قيادات يهودية ، ألمانيا ، المجر ، تشيكوسلوفاكيا ، رومانيا ، يوغسلافيا ، بولونيا ، وغيرها .

ومن المعروف أن الحزب الشيوعي قد استولى على السلطة في بلدان أوروبّا الشرقية بقوة الجيش الأحمر الروسي لا بثورات محلية داخلية .

(١) فبعد نجاح الثورة الشيوعية الأولى في روسيا عام (١٩١٧ م) قامت في ألمانيا عام (١٩١٨ م) ثورة مماثلة بقيادة الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي يقوده اليهود ، وكان لليهودية الشيوعية « روزا لوكسمبورغ » الدور القيادي الأول في إقامة هذه الثورة ، مع الإشارة إلى أنّها كانت ذات نشاط قيادي في التنظيمات الماركسية الأولى خارج الاتحاد السوفياتي .

ولكن لم تكن هذه الثورة في أوائلها ثورة شيوعية متطرفة ، لذلك أرادت العناصر اليهودية الشيوعية المتطرّفة الاستيلاء على الثورة ، فتحركت عصابة « روزا لوكسمبورغ » اليهودية المسمّاة « عصبة سبارتاكوس » وقامت في كانون الثاني من عام (١٩١٩ م) بثورة دامية ضدّ الثورة ، بغية سرقة الثورة ودفعها في اتجاه التطرف كما حصل في روسيا ، إلاّ أنّ هذه الثورة قد قمعت ، ثم أعدمت اليهودية « روزا لوكسمبورغ » ، وفي أعقاب فشل « روزا لوكسمبورغ » بعث اليهود الشيوعي القياديّ « كارل رادك » لقيادة الحزب الشيوعي الألماني ، ثمّ تبعته اليهودية الشيوعية « روث فيشر » .

* * *

(٢) وفي عام (١٩١٩ م) قام اليهودي الشيوعي « بيلاكون » بثورة شيوعية دامية في « هنغاريا » ذهب ضحيتها عشرات آلاف المواطنين من مختلف طبقاتهم .

و « بيلاكون » هذا كان قد اشترك في ثورة روسيا ، وبعد نجاحها اتجه للمجر بجواز سفر مزوّر ، وما لبث أن قلب فيها نظام الحكم ، وغدا دكتاتورها الأحمر . وأخذ يطبّق بعنف النظام الشيوعي، ويستولي على وسائل الانتاج ومصادر الثروات ، وكان حصاد أعماله مجاعة عامّة أدّت إلى إسقاطه ، فلما سقط عاد إلى روسيا ليتسلّم فيها إدارة منظمة الإرهاب في الجنوب .

* * *

(٣) وفي « رومانيا » كانت سكرتيرة الحزب الشيوعي « أنّا باوكر » وهي يهودية من أبوين يهوديين ، ولدت في بوخارست ، وعاشت مدّة في أمريكا ، وهاجر أبوها وأحد إخوتها إلى إسرائيل .

وهذه اليهودية استطاعت أن تبلغ ذروة السلطة في الحزب الشيوعي الذي تسلّم الحكم من الجيش الأحمر بعد الحرب العالمية الثانية .

* * *

(٤) وفي « بولونيا » ظلّ يحكمها مدّة طويلة أربعة يهود شيوعيون ، وهم : « مينك » و « سكريبزفسكي » و « مودزيلفسكي » و « برمان » وكان هذا الأخير يعيش في روسيا ، ثم اختارته موسكو ليكون حاكم « بولونيا » الخفي بعد الحرب .

* * *

(٥) وفي « المجر » بعد الحرب العالمية الثانية ظلّ يحكمها طويلاً ثلاثة يهود شيوعيون ، وهم : « ماتياس راكوزي » و « اير نوجيرو » و « زولطان فاس » .

* * *

(٦) وفي « تشيكوسلوفاكيا » استطاع اليهودي « سلانسكي » أن يفرض عليها دكتاتورية حمراء •

ثم خلفه عناصر يهودية أخرى ، وظلّت « تشيكوسلوفاكيا » تحت سلطة اليهود الشيوعيين ، وتمكن هؤلاء من مساعدة إسرائيل عام (١٩٤٨ م) عسكرياً وبشرياً ، وأمدّوها بالكثير من أسباب القوة ، وصاروا يمدّونها بالأنباء المتعلقة بأسرار تسليح الدول الشيوعية لبعض البلدان العربية ، وأسرار أخرى تتعلّق بمواقع الجيوش العربية ، وكفاءاتها ، وتنظيماتها وكلّ ما يتصل بأسرارها العسكرية •

* * *

(٧) أكّدت بحوث المتتبعين في الستينات أنّ أصول وزراء المعارف في جميع بلدان أوروبّا الشرقية هم من اليهود بغير استثناء •

وهذا يدلّ على عناية اليهودية العالمية باستلام قيادة التعليم ، لتصنع أفكار أجيال الأمم وفق المخطّط اليهودي المرسوم ، الذي يهدف إلى محاربة الأديان ، والأخلاق ، وتفتيت الشعوب ، ودعم الحركة اليهودية العالمية ، الرامية إلى إحكام سيطرتها على العالم كلّه ، بعد توطيد الدولة اليهودية في فلسطين •

* * *

(٨) غدا من الأمور البدهية لدى جميع الباحثين أنّ المنظمات الشيوعية في العالم مرتبطة جميعها بلا استثناء بالمصانع اليهودية العالمية، للتنظيم الفكري،والحزبي، والعمل الحركي السياسي ، وذلك لأنّ المنطلقات الفكرية ، والمخططات التنظيمية ، وعناصر العمل القيادية والتوجيهية التي قامت عليها هذه المنظمات قد كانت يهودية بكلّ العنصرية اليهودية •

ويذهل الباحثون حينما يجدون أنّ الآلية اليهودية هي المحركة والموجهة والعاقدة للصلات ، والباذلة للأموال ، والجامعة لمختلف الأوصال ، وأمّا العناصر غير اليهودية فجنود تنفيذ وإن وصلت إلى مراكز قيادية مرموقة في الأحزاب الشيوعية ، أو في الدول الشيوعية •

ومع أنه قد كان من المفروض أن تكون الشعوب العربية وسائر الشعوب الاسلامية أبعد الشعوب عن التأثر بالحركات اليهودية الشيوعية ، باعتبار آلامهم من قضية فلسطين وباعتبار الحصانة الاسلامية الجذرية ضدّ المبادىء الشيوعية وفي مقدّمتها الالحاد ، إلاّ أننا نجد مع ذلك أن الأحزاب الشيوعية فيها قد كانت طلائعها وقياداتها الأولى يهودية بحتة ما في ذلك ريب ، والسبب في ذلك أمران :

الأول : انسلاخ الشيوعيين الحقيقيين عن دينهم وأمتهم ، انسلاخاً كاملاً ، بمؤثرات الفلسفة المادية الالحادية ، والاباحية الشهوانية ، وإثارة الأهواء والأحقاد والمطامع المعمية للأفكار والبصائر .

الثاني : انخداع الشيوعيين البسطاء السذّج بأكاذيب الاصلاح الاجتماعي ، ورفع الظلم الطبقي ، التي تطلقها شعارات الشيوعية ودعاياتها .

* * *

(١) اول حزب شيوعي في البلاد العربية :

أوّل حزب شيوعي أنشىء في البلاد العربية هو الحزب الشيوعي الفلسطيني ، فقد تأسس عام (١٩١٩ م) ، وجميع عناصره من اليهود الروس القادمين إلى فلسطين، تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية ، والقيام بالأعمال التي تحقق أهداف اليهودية العالمية ، وكان ذلك في هجرة عام (١٨٨٢ م) وما بعدها ، التي جاءت عقب اغتيال قيصر روسيا بتدبير اليهود كما سبق بيانه ، وتيجة ردود الفعل العنيفة التي توجّهت ضدّ اليهود بسبب ذلك .

* * *

(٢) في سورية ولبنان :

أ ــ ثمّ تأسس الحزب الشيوعي في لبنان عام (١٩٢٤ م) وهو لسورية ولبنان معاً ، ويبرز من أسماء المؤسسين « يوسف يزبك » و « فؤاد شمالي » وعناصر يهودية وفدت من فلسطين ، وهي التي أوكلت إليها مهمة نشر الفكرة الشيوعية والإشراف على تنظيم خلاياها في المنطقة العربية .

ب ــ يروي « قدري قلعجي » قصة البداية : بأنّ « يوسف يزبك » زاره في مكتبه بلبنان يهودي بولوني من خبراء « الكومنترن »[1] في شؤون الشرق الأوسط يدعى « جوزيف بيرجر » ، ويقيم بجبل الكرمل بحيفا ، وقدّم نفسه إليه على أنه صحفي يدرس الأوضاع الاجتماعية في لبنان . وكانت زيارة هذا اليهودي له

---

(١)الكومنترن : مؤسسة روسية شيوعية للاشراف على الأحزاب الشيوعية في العالم .

عقب مقال كتبه « يوزبك » رثى فيه الأديب الفرنسي « أناتول فرانس » وذكر في مقاله عنه أنه كان نصيراً للعمال والفلاحين وصديقاً للفقراء والمظلومين ، وأخرج « بيرجر » من جيبه المجلة التي فيها مقال « يوزبك » وسأله عمّا يقصد بقوله عن « أناتول فرانس » : إنه كان نصيراً للعمّال والفلاحين ؟ فقال « يوزبك » : إن « فرانس » قد اعتنق في السنوات الأخيرة من حياته المبادىء الاشتراكية ، وذكر « يوزبك » أنه هو نفسه اشتراكي . فأثنى « بيرجر » عليه وأخذ يحدثه عن المبادىء الاشتراكية ، ودعاه إلى زيارته في الغرفة التي استأجرها في منزل « آل المن » بحيّ اليهود المعروف بوادي جميل ، فلبّى الدعوة وتعدّدت الزيارات ولمّا استأنس بعضهما ببعض ، ووثق اليهودي من « يوزبك » صارحه بأنه مندوب الحزب البولشفيكي في فلسطين ، وقد عُهد إليه بتأليف فرع له في لبنان ، وتمّ الاتفاق بينهما على تأسيس فرع للحزب الشيوعي في لبنان . فأخذ يدعو « يوسف يزبك » لذلك ، واجتمع حوله « فؤاد الشمالي » و « الياس قشعمي » و « بطرس حشيمي » و « فريد طعمة » و «شفيق مظهر» . وبعد أن أعطاهم « بيرجر » دروساً في الشيوعية، وضرورة تحرر الشيوعي من القومية والدين ، وأغراهم برحلات الترفيه في الاتحاد السوفياتي ، أعلنوا تأليف حزب شيوعي بولشفيكي في لبنان ، متستراً باسم « حزب الشعب » وانتخب « يوسف يزبك » سكرتيراً عاماً له ، واعتبر هذا الحزب تابعاً بقيادته للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين .

جـ ـ وبعد أن انتهى « بيرجر » من تأسيس الحزب، جاء من حيفا إلى بيروت يهودي آخر ليتواني الأصل يدعى «الياهو تيبر»، فتفقد أحوال الحزب،ودرس المنطقة وإمكانية نشر الشيوعية فيها ، وإمكانية تحريك العمال والفلاحين ، ثم رجع إلى فلسطين ليرسل مكانه مرة أخرى « بيرجر » ، وكان « بيرجر » يعرف بأنه « عين موسكو » .

ثم عاد « تيبر » واتصل سرّاً بفؤاد الشمالي ، وقال له : إن الحزب قد تركزت دعائمه ، ووجب نقل قيادته إلى أيدي العمال ، وأخذ يعمل لإحلال « الشمالي » بدل « يوزبك » في سكرتارية الحزب .

ولاحقت السلطات في لبنان « تيبر » فاضطر هذا أن يتخذ سبيلاً للعودة إلى موسكو .

د ـ وخلف « تيبر » يهودي شيوعي بولشفيكي آخر ، مكتوم الاسم كبير السن ، وصف بأنه داعية شيوعي خطير ، وأنه كان رفيقاً لـ « لينين » في سويسرا، ومن رجالات « الكومنترن » البارزين ، وقد انتدب لتنظيم الدعوة الشيوعية في البلدان العربية ، بعد أن نجح نجاحاً واسعاً في فلسطين .

هـ ـ ثم صار هذا الحزب تابعاً فيما بعد للحزب الشيوعي الفرنسي ويتلقى منه المساعدات المالية .

ولكن الحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين لم يتخلَّ عن « وصايته » على الحزب الشيوعي في لبنان ، وكان « الوصي » الذي أشرف على توجيه الحزب خلال مرحلة الانتقال يهودياً بولونياً يدعى « نخمان لتيفنسكي ».وكان هذا يختار الشبان الذين سيفدون إلى موسكو لتلقي التعاليم الماركسية في « معهد الشيوعيين الشرقيين » الذي يديره الرفيق « مانويلسكي » أحد أقطاب الحزب البلشفي .

و ـ وفي سنة (١٩٢٥) انتسب إلى الحزب شابّان أرمنيان ، هما « آرتين مادويان » و « هيكازون بوياجيان » كانا يترأسان حركة أرمنية يسارية تدعىحركة « سبارتاكوس » فأرسلهما فؤاد الشمالي إلى سورية ، لتأسيس فروع للحزبهناك، وكان الحزب قد بدأ يبث دعايته باسم « الحزب الشيوعي في سورية ولبنان » ، فاستطاعا تأسيس عدّة فروع في ضمن الأقلية الأرمنية ، وفي ضمن الأكراد ، وكان انتقال العدوى إلى ذراري المسلمين بطيئاً .

ز ـ وفي سنة (١٩٣٠ م) انتسب « خالد بكداش » إلى الحزب ، واكتشف اليهودي « نخمان لتيفنسكي » فيه الصفات القيادية ، والطموح المستعد للتضحية بكل شيء مقابل وصوله إلى الزعامة ، فاستمسك به ، وأرسله إلى موسكو ، فدرس أسس الماركسية في « معهد الشيوعيين الشرقيين » وعطف عليه عميد المعهد « مانويلسكي » ودعمه كي يحقق له طموحاته .

ح ـ وفي عام (١٩٣٢ م) استطاع أن يحتل مركز سكرتارية الحزب بدل « فؤاد الشمالي » الذي أقصاه عن هذا المركز •

ثم انتسب إلى الحزب « فرج الله الحلو » و « نقولا شاوي » فضمهما « خالد بكداش » إلى كتلته التي استأثرت بتوجيه الحزب •

وفي عهد « بكداش » تركّزت تبعية الحزب للحزب الشيوعي الفرنسي ، في الارتباط التنظيمي ، وإن كانت التبعية الحقيقية لموسكو •

وفي عام (١٩٤٤ م) أمست تبعية الحزب للاتحاد السوفياتي مباشرة •

ط ـ وقد فضح عدد من الذين رجعوا إلى رشدهم وانسحبوا من الحزب الشيوعي السوري اللبناني أعمال الحزب وخياناته ، وعمالته الحقيرة ، وتبعيته الذليلة للشيوعيين اليهود وللاتحاد السوفياتي ، في بيانات نشروها ، منها ما كتبه « رفيق رضا » الذي كان عضو اللجنة المركزية في الحزب ، ونشره خطاباً مفتوحاً يخاطب به قيادة الحزب ، بتاريخ ١٣ تموز سنة (١٩٥٩ م) وقد جاء فيه ما يلي[١] :

« في عام (١٩٣٢ م) وفد إلى بيروت عدّة مندوبين شيوعيين يهود ، حملوا مبالغ وافرة من المال إلى قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، وأذكر منهم « أميل » و « أوسكا » و « مولر » وقد أبدلت لهم شخصيّاً قسماً من الأموال التي حملوها بالعملة المحلية آنذاك •

وفي عام (١٩٣٨ م) حملت إلى الحزب مبلغ خمسة وعشرين ألف فرنك ، كان الحزب الشيوعي الفرنسي قد قرّر آنذاك وضعها تحت تصرّف الحزب الشيوعي السوري اللبناني ، لتوسيع حملته من أجل إقرار المعاهدة الفرنسية السورية البغيضة ومحاربة الاتجاه الوطني في ذلك التاريخ • هذا مع العلم بأن « خالد بكداش » قد نقل بنفسه مبلغاً آخر حين كان في باريس ، واشترك في مؤتمر « آرل » الشيوعي الفرنسي » •

---

(١) انظر « كتاب التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية » لنهاد الغادري ص ١٦٠ وكتاب « تجربة عربي في الحزب الشيوعي » لقدري قلعجي ، ص ٥٦ .

ثم نشر بتاريخ ١٥ تموز ١٩٥٩ م ما يلي :

« وفي عام (١٩٣١ وإلى عام ١٩٣٤ م) وإلى ما بعد عام (١٩٤٣ م) كنتم على أحسن حال مع الشيوعيين اليهود ، وكنتم تبادلونهم وداً بود ، وتتبادلون معهم البعثات ، وتشركونهم في بحث سياستكم ، وأوضاع بلادكم . وقد أرسلتم فرج الله الحلو إلى تل أبيب ، ليستطلع رأي الشيوعيين اليهود خطة حزبكم ،ثم استقدمتم إلى بيروت الشيوعي اليهودي « نخمان لتيفنسكي » ليستأنسوا برأيه في أحد مؤتمرات الحزب ، وقد حضر فعلاً واشترك بأعمال المؤتمر المذكور ، وأوصاكم أن تعدلوا موقفكم من الأحزاب والجماعات الوطنية في سورية ولبنان ،وأن تتشددوا في الحملة عليها ، على اعتبار أنها أحزاب انتهازية ، هذا في وقت كان فيه الاستعمار الفرنسي يمعن في بعض الأحزاب اضطهاداً ونفياً وتشريداً .

« ثم كان منكم أيضاً بدافع الأمانة لوصية « نخمان » اليهودي ، أن سعرتم نار حملتكم على الجمعية التأسيسية وعلى أعضائها ، والمندوب السامي يهدد بحلها، ويسجن نوابها المعارضين ، لأنهم رفضوا أن يضعوا بيده مفتاح سيادة الأمة ، ومقاليد أمورها ، وهكذا استويتم والاستعمار على صعيد واحد !!

«وقبل نخمان كان مستشاركم السياسي «بيجر»،وبعد«بيجر» و «نخمان»وفد عليكم العديد من المستشارين اليهود،الذين كانت لهم الكلمة الأولى في سياسة حزبكم، وهؤلاء جميعاً حملوا إليكم الأموال الأجنبية ، ونقلوا إليكم التوجيهات الأجنبية ، ولا أكون متجنياً عليكم إذا قلت إنكم تواصلون إرسال التقارير المتضمنة أخبار نشاطكم إلى موسكو وباريس وغيرهما ، وإنكم كنتم تتلقون الأجوبة عليها مرفقة بالنصائح والتوجيهات ، وأنكم كنتم تتقبلونها وتعملون بمقتضاها »

نشرت في كتاب « اخترنا الحرية » ص ٧٥ ــ ٩٩ .

ي ــ وقد أصدر الحزب الشيوعي السوري اللبناني صحيفة أخفى نسبتها إليه باسم « صوت الشعب » وهذا الاسم تعريب لاسم الجريدة العبرية للحزب الشيوعي الفلسطيني اليهودي « كول هاعام » .كذلك فعل الحزب الشيوعي العراقي.

وأصدر صحيفة أخرى ناطقة باسمه علناً ، أطلق عليها اسم جريدة (النور) وذلك سنة (١٩٥٦ م) وظلت حتى سنة (١٩٥٨ م) ، وهذا الاسم هو اسم أيضاً لصحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي التي أصدرها عام (١٩٣٤ م) في فلسطين •

* * *

(٣) في العراق :

وأثبت المتتبعون الباحثون أنّ الحزب الشيوعي العراقي قد أشرف على تأسيسه ثلّة من اليهود ، كما أمدّه في معظم مراحلة عناصر يهودية ذات غنى ، مع أنها بحسب الظاهر من طبقة الرأسماليين لا من طبقة الكادحين ، وفيما يلي لمحة عن هيكل هذا الحزب :

اللجنة المركزية الاولى :

كان المسؤول عن المكتب السياسي للحزب في بغداد عام (١٩٤٧ م) اليهودي « يهودا صدّيق » • وكان المسؤول الأول عن عمّال بغداد ، اليهودي « يوسف زلّوف » الذي صار بعدها المسؤول عن تنظيم مدينة البصرة • وممّن تناوب على تحمّل مسؤولية العمّال ، اليهوديّان « حزقيل صدّيق » و « موشى مراد كوهين» •

وكان المسؤول الأول عن مجلّة العصبة الشيوعية اليهودية « يوسف زلخة » •

وكانت لجنة الترجمة الرئيسية للحزب والتي يعتمد عليها التثقيف الحزبي مكوّنة من ثلاثة أعضاء يهود ، هم « ساسون دلاّل » و « موشى مختار » و « إبراهيم شاؤول » •

اللجنة المركزية الثانية :

كان المسؤولون عن اللجنة العمالية في هذه اللجنة سبعة أشخاص ، أربعة منهم يهود ، وهم : « سليم منشي » عن عمّال الأحذية ، و « موشى كوهين » عن عمّال الخياطة ، و « يوسف زلّوف » عن عمّال الصياغة ، و « حزقيل إبراهيم » عن عمّال النجارة •

اللجنة المركزية الثالثة :

كان المسؤول الأول فيها اليهودي « ساسون شلومو دانيال » وكان ساعده الأول وأحد القادة المنظمين ، اليهودي « ساسون دلاّل » .

وكان من أصحاب التأثير الكبير في هذه اللجنة المركزية اليهودي « حزقيل مناحيم قوجمان » .

وكان المسؤول عن إدارة المطبعة السرّية للحزب اليهودي «يعقوب ميرمصري» .

وكان المسؤول عن المدارس والكليات اليهودي « موسى سليمان » .

وكانت المسؤولة عن نساء بغداد اليهودية « سعيدة ساسون » .

وكان المسؤول عن عمّال الخياطة والأحذية اليهودي « زكي يوسف » .

اللجنة المركزية الرابعة :

وكان لليهود في هذه اللجنة أيضاً اليد العليا في إدارة الحزب ، فالمنظم الأعلى للعمّال هو اليهودي « منشي يعقوب عبد الله » . وكان منظم الثانويات اليهودي « ناظم يعقوب يونا » . وكانت المسؤولة عن تنظيم النساء في السليمانية اليهودية « حنينة هارون زلخة » .

وكان الممولون الرئيسيون اليهوديَيْن « شلومو دانيال »و« داود دانيال » .

اللجنة المركزية الخامسة :

وهـذه اللجنة كانت تشتمل على ثلاثة أعضاء أحدهم اليهودي « يعقوب قومجان » وهذا الشخص نفسه تسلّم قيادة اللجنتين المركزيتين الخامسة والسادسة في بعض الأوقات ، وهو الذي شكل اللجنة المركزية السادسة للحزب .

وكان منظم القطاع الجنوبي اليهودي « سعيد سلومو بن صيون خلاصجي » .

وكان مراسل اللجنة المركزية مع فرع البصرة اليهودي « يوسف ساسون » .

وكان المسؤول عن مركز تبادل مراسلات الحزب في بغداد اليهودي « شنطوب شميل » .

* * *

(٤) في مصر :

وفي مصر انطلق الحزب الشيوعي المصري على أيدي اليهود أيضاً ، وقد بدأ هذا الحزب قبيل الحرب الفلسطينية .

تأسست الحلقات الشيوعية الأولى في مصر باشراف مندوبي « الكومنترن » وهما اليهودي الروسي « أفجيدرو » واليهودي الروسي « ناداب » .

وانضمّ إلى هذه الحلقات الأولى « أنطون مارون » و « سلامـة موسى » ـ وكان أبرز مثقفيها ـ و « روزتنال » و « حسني العربي » ـ أبرز قيادييها ـ .

ثم تأسست المنظمات الشيوعية الأولى باشراف اليهود أيضاً ، فأسس اليهودي الإيطالي الأصل المليونير « هنري كورييل » المنظمة التي أطلق عليها « الحركة المصرية للتحرر الوطني » . وأسس اليهودي « هيلل شفارتس » منظمة « إيسكرا » أي الشرارة أو الشعلة ، وقد تولى رئاستها اليهودي « إيلي شوارتز » .

وأسست اليهوية « مرسيل إسرائيل » منظمة « تحرير الشعب » .

ثم انضمت منظمة « إيسكرا » إلى « الحركة المصرية للتحرر الوطني » تحت زعامة اليهودي « هنري كورييل » وصارت تعرف باسم « حدتو » وأصدرت صحيفة أسبوعية متقطعة باسم « الجماهير » .

ومن المنظمات الشيوعية التي ظهرت في مصر ، منظمة « دال شين » التي كان يرئسها اليهوديان « يوسف درويش » و « ريمون دويك » . ومنظمة « ميم شين ميم » التي كانت ترئسها اليهودية « أوديت سلامون » .

* * *

(٥) في الجزائر :

وفي الجزائر كان الحزب الشيوعي الجزائري جزءاً من الحزب الشيوعي الفرنسي .

ثم بتوجيه من هذا الحزب انفصل الحزب الشيوعي الجزائري بقيادة خاصة عام (١٩٣٦ م) لكنه ظلّ تابعاً له ومرتبطاً به وبتوجيهاته وكلّ سياسته .

* * *

إضافة إلى الارتباط الجذري للشيوعية والشيوعيين في العالم بالقيادة اليهودية الخفية ، المسيّرة والموجهة للمنظمات الشيوعية ، ولو جهل بعض الشيوعيين أنفسهم هذه الحقيقة ــ تؤكّد الظواهر كلّها ، والوثائق التي وقعت في أيدي المتتبعين من أفراد وحكومات،أنّ المنظمات الشيوعية في البلدان التي لم يصل فيها الشيوعيون إلى الاستئثار بالحكم استئثاراً يستطيع أن يحمي نفسه عالميّاً ، هي بمثابة أحجار على رقعة الشطرنج في أيدي الدول الشيوعية الكبرى التي ترتبط بها ، وهي عميلة لها ، تنفّذ تعليماتها ، وتطبّق مخططاتها ، وتدعم سياساتها ، وتتلقّى المساعدات منها .

فقسم مرتبط بالاتحاد السوفياتي ، يمنحه ولاءه كلّه وتبعيّته الكاملة ، وقسم" مرتبط بالصين الشيوعية يمنحها ولاءه كلّه وتبعيته الكاملة . وقد يبدو مع ذلك عند بعض الأحزاب الشيوعية نزعات قومية ، كالنزعة الموجودة لدى الحزب الشيوعي الفرنسي .

باستثناء الشيوعيين أصحاب الانتماء السياسي الخفي والعمالة السرّية للغرب ، فهؤلاء ثنائيّون كما رسم لهم سادتهم الغربيون ، أمّا المبادىء فهي إلحادية شيوعية ذات وجوه متوجهة شطر الشرق الشيوعي ، وأما التطبيقات السيّاسية والارتباطات الحقيقية الخفية فلها أسباب خفية داخلية معقودة بدولة من دول الغرب ، فولاؤهم كلّه لها ، يعرف هذا من راقب هؤلاء وعلاقاتهم ، وراقب مهاجرهم لدى ملاحقتهم من قبل أنظمة حكم قاومتهم .

وأمّا الذين وصلوا في بلدانهم إلى الحكم واستأثروا به بالوسائل الشيوعية الدموية العنيفة المعروفة أو عن طريق الجيش الروسي الأحمر ؛ فهؤلاء على أقسام ثلاثة :

القسم الأول :

قسمٌ شعر بنفسه أنه يملك قوة الاستقلال عن الروس وهيمَنتهم ، فظهرت لديه النزعة القومية الخاصة ، وإن تستر بالخلاف العقائدي مع الروس ، وكان هذا ردة فعل طبيعية للنزعة القومية الأنانية لدى الروس ، ورغبتهم بالهيمنة المطلقة على كل الدول الشيوعية ، أمّا الفكرة الأممية فإنها أمست شعاراً للتصدير فقط ، وللتغرير بالشعوب ، وليس لها مضمون تطبيقي مطلقاً ، ويتمثل هذا القسم بالصين الشيوعية .

القسم الثاني :

قسم لم يستطع أن يفلت من قبضة المهيمنين الروس ، فاضطر أن يسير مرغماً في فلك الاتحاد السوفياتي ، ويخضع لأوامر القادة السوفيات ، مع تأجج النزعات القومية الخاصة المضادّة للنزعة القومية المهيمنة لدى العناصر الروسية ، ويتمثّل هذا القسم بدول أوروبّا الشرقية الشيوعية ، الخاضعة لنظام الاتحاد السوفياتي .

القسم الثالث :

الدول الشيوعية الصغرى التي مازالت في دور النشأة ، فهذه لم تشعر بَعْدُ بقدرتها على الاستقلال عن دعم الاتحاد السوفياتي لها ، فالحزب الشيوعي فيها يشعر بأن بقاءه رهن بدعمه من قبل دولة شيوعية كبرى ذات وزن عالمي ، لذلك فهو مايزال يشعر بتبعيته الكاملة للدولة التي تحميه ، فهو عديم الارادة الخاصة ، ولم يصل إلى المرحلة التي تبرز فيها نزعته القومية ، ضدّ هيمنة النزعة القومية التي يمارس بها الروس تصرّفاتهم .

وهكذا تظهر الفكرة الأممية لدى الشيوعيين قناعاً لتسلّطٍ عرقي على الأعراق الأخرى ، وكلّ مقدراتها .

* * *

الفصل الثالث

الشيوعيّون والقضايا العربيّة والإسْلاميّة

والمؤثرات اليهوديّة



مواقف الأحزاب الشيوعية العربية
من القضايا العربية والإسلامية

خيانة الأحزاب الشيوعية العربية للقضايا العربية والقضايا الاسلامية من الحقائق المعروفة المشهودة لدى جميع العارفين بهذه القضايا، والمتابعين لها، والباحثين فيها .

فحيثما وجدت مصلحة الاتحاد السوفياتي، أو مصلحة إسرائيل، فالأحزاب الشيوعية العربية تنحاز إلى ذلك ضدّ المصالح العربية والمصالح الاسلامية، وضدّ الحقّ الطبيعي والحقّ التاريخي للعرب وللمسلمين .

وأوامر الحزب الشيوعي اليهودي في إسرائيل أوامر مقدسة تنفذها الأحزاب الشيوعية العربية دون اعتراض .

وحركات التحرّر العربي التي قامت ضدّ فرنسا وضدّ بريطانيا هي حركات بورجوازية انتهازية في نظر هذه الأحزاب، وهي لاتستحق الدعم ولا التأييد، بل تستحق المعارضة والكفاح .

وكلّ وجهة نظر سوفياتية تتعلق بالقضايا العربية والقضايا الاسلامية هي وجهة النظر الحق التي لايجوز العدول عنها، وعلى الشيوعيين وكل المنظمات الوطنية أن تؤيدها وتدافع عنها وترفع لواءها، وكلّ وجهة نظر أخرى تعتبر لدى الشيوعيين تعبيراً عن مصالح البورجوازيين ومصالح الامبريالية العالمية، مهما كانت تخدم المصالح الوطنية ومصالح جميع طبقات الشعب وفئاته، ويجب مقاومتها ومكافحتها بكلّ قوة .

وقد تلجأ هذه الأحزاب إلى ألوان شتى من المخادعات، حينما تكون خياناتها للقضايا العربية غير محتملة بأي وجه من الوجوه لدى الجماهير العربية .

كما تلجأ إلى إطلاق الشعارات الكاذبة لاستغلال المشاعر العامة ، وجعلها ترضى عن تحركات الشيوعيين ، أو تسير معهم في بعض تحركاتهم ، أو تلتقي معهم فيما يسمّونه بـ « الجبهة الوطنية » أو « الاتحاد الوطني » أو « المؤتمر الوطني » .

يقول « مصطفى الزين » الشيوعي الذي فاء إلى رشده فانسحب من الحزب الشيوعي السوري ، في كتابه « خمس سنوات مع الشيوعية » [1] ص ٧٠ — ٧١ :

« أخذنا ندعو إلى « توحيد الصفوف » من أجل إعطاء الطلاب حقهم في ممارسة السياسة ، والدفاع عن « مصالح بلادهم القومية » ومساهمتهم في « النضال الوطني من أجل تحرير البلاد من الاستعمار » والدفاع عن « حق الشعب في الاستقلال والسيادة » إلى آخر هذه الشعارات التي كنا نعلم بأنها تحظى بتأييد جماهير الطلاب البعثيين والقوميين العرب ، حتى والذين لا ينتمون إلى أي هيئة أو حزب سياسي .

وغني عن القول أنّ طرحنا لهذه الشعارات لم يكن هدفاً مقصوداً بحدّ ذاته. لقد كنا آخر من يؤمن « بمصالح البلاد القومية » و « بالنضال الوطني » كما يفهمه الآخرون . ذلك أننا كنا ننظر إلى الدعوة القومية العربية كحركة بورجوازية رجعية، كما أن تحرير البلاد العربية من الاستعمار ، لم يكن أبداً في نظرنا غاية مقصودة بحدّ ذاتها ، إذْ أن هدفنا كشيوعيين ليس طرد الاستعمار من المنطقة ، بل إقامة حكم شيوعي حليف للاتحاد السوفياتي ، يساعده على تطويق العالم الغربي ، ويجعل العالم العربي امتداداً للحدود السوفياتية حتى البحر الأبيض المتوسط » .

ويقول « عبد الباقي الجمالي » رئيس تحرير جريدة (النور) الشيوعية بعد انسحابه من الحزب عن سياسية هذه الجريدة :

« كانت ذات وجهين ، بل وجوه متعددة ، فهي تتغير وتتبدّل شكلاً ، ولكنّ محتواها كان واحداً ، هو الخيانة بعينها ، والتدجيل على الشعب والكذب عليه ، واختلاق الحوادث واللجوء إلى اللف والدوران دائماً » .

---

(١) نقلاً عن كتاب « تجربة عربي في الحزب الشيوعي » لقدري قلعجي ص ٦٥ — ٦٦ .

ثم بيّن كيف كانت روسية تموّل هذه الجريدة وتنفق عليها بسخاء ، وقال :

« كان لابدّ لنا من أن نلجأ إلى الستائر لنخفي هذه الحقائق المجرمة ، لنخفي أننا كنا عملاء تابعين ، وهذه الستائر كثيراً ما خدعت الناس البسطاء ، ولكنها لاتخفى على المطلعين على بواطن الأمور • لقد كنا نلجأ مثلاً إلى التبرعات ، كما فعلنا مرة إذ جمعنا أربعين ألف ليرة تقريباً لنزعم أمام الملأ أننا نعتمد على أفراد الحزب ومؤيديه في جمع الأموال الطائلة ، لا على جهات أجنبية لها مطامع في بلادنا » •

وحين تتتبع مواقف الأحزاب الشيوعية الخائنة والمخادعة نجدها كثيرة جداً ، وباستطاعتنا أن نشير إلى طائفة منها فيما يلي :

* * *

(١) لمّا كانت سياسة الحركة الشيوعية العربية تلتزم بتبعيتها المطلقة لسياسة الشيوعية العالمية التي يرسمها الاتحاد السوڤياتي ، كان لابدّ أن تكون خادماً مطيعاً لسياسة الامبراطورية الروسية الشيوعية ، ومخططات اليهودية العالمية •

وحين تتتبع مواقف الأحزاب الشيوعية الخائنة والمخادعة نجدها كثيرة جداً ، الغربي ، كانت الأحزاب الشيوعية العربية تسير في المخطط نفسه ، وتعمل على ضرب حركة التحرّر العربية ، وتلتقي وتتفاهم مع ممثلي الأنظمة الاستعمارية ، ضدّ مصالح الأمة العربية وتحررّها من نير أعدائها •

وهكذا عمل الشيوعيون على مقاومة الرجال الوطنيين الذين حملوا رسالة النضال الوطني ضدّ الاستعمار الذي كان جاثماً على صدر معظم البلدان العربية والاسلامية ، بزعم أنهم من طبقة البورجوازيين ، وكان موقف الشيوعيين متلائماً ومتجانساً مع أغراض الاستعمار ، كما أثبتت ذلك الوقائع التاريخية ، واعترافات الشيوعيين الذين فاؤوا إلى رشدهم وانسحبوا من الحزب •

يقول « رفيق رضا » عضو اللجنة المركزية السابق للحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، والذي فاء إلى رشده :

« في الوقت الذي استباح فيه الفرنسيون كرامة الأمة ، وانتهكوا قدسية إرادتها ، كانت قيادة الحزب الشيوعي في سورية ولبنان تنادي في نشراتها ، وبما كانت تخطّه أيدي أعضاء الحزب البسطاء على جدران شوارع المدن السورية ، وحتى على جدران البرلمان السوري نفسه : فليسقط الدستور ، ولتسقط الجمعية التأسيسية الخائنة » !!

وكانت هذه الجمعية التأسيسية تقاوم الاستعمار الفرنسي وتطالب بجلائه وبتحرّر البلاد من نيره .

* * *

(٢) حين التقت مصلحة الاتحاد السوفياتي مع مصالح الدول الاستعمارية ضدّ النازية والفاشستية ، وقفت الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية مثل موقف ساداتها في موسكو ، ولم يعد الاستعمار الفرنسي في سورية ولبنان والمغرب العربي، ولا الاستعمار الانجليزي في مصر والعراق وفلسطين ، هو العدوّ الذي تجب مقاومته ، في حين كان الشعب العربي يخوض معركته الدامية في مواجهة الاستعمار، ليظفر باستقلاله الوطني . وغدا همّ الشيوعيين دعم سياسة الاتحاد السوفياتي الملتقية مع سياسة الدول الاستعمارية .

* * *

(٣) وحين عملت فرنسا على إلهاء الشعب العربي بمشروع معاهدة (١٩٣٦م) وتقديم وعد كاذب بإنهاء حكم الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان ، وعرف الوطنيون هذه اللعبة ورفضوها ، كانت مواقف الحزب الشيوعي مؤيدة كلّ التأييد جميع الخطوات التي خطتها السياسة الاستعمارية الفرنسية ، لأنّ الحكم في فرنسا قد شاركت فيه يومئذٍ عناصر شيوعية عن طريق الجبهة الوطنية الفرنسية ، وقال زعيم الحزب الشيوعي « خالد بكداش » في خطاب له بتاريخ ٤ نيسان (١٩٣٨ م) في مكتب الحزب بدمشق :

« لما انتصرت الجبهة الشعبية في فرنسة ، قام حزبنا بكلّ ما فيوسعه لأجل تسهيل عقد المعاهدة هنا وفي باريس » !!

وطلب الحزب الشيوعي الفرنسي من الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، أن يدعو إلى قبول هذه المعاهدة التي تتضمّن جعل الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية في سورية ولبنان بيد الاستعمار الفرنسي ، فسارعت قيادة هذا الحزب يومئذٍ إلى اجراء اتصالات واسعة ، لحثّ المسؤولين الوطنيين على قبول المعاهدة وفق العرض الذي قدّمه الجانب الفرنسي ، وقام أفراد الحزب بنشر الدعاية لهذا الأمر .

* * *

(٤) ثم لمّا تبدل موقف الاتحاد السوفياتي ، ورأى مصلحته تقتضي بعقد معاهدة عدم اعتداء بينه وبين النازية الألمانية والفاشستية الإيطالية قبيل الحرب العالمية الثانية ، تبدّل موقف الأحزاب الشيوعية تجاه دول الاستعمار في المنطقة ، فبعد أن كان موقف ولاء تبعاً لسياسة الاتحاد السوفياتي السابقة ، صار موقف عداء ومناهضة تبعاً أيضاً لسياسة الاتحاد السوفياتي الجديدة .

وقامت الحرب العالمية الثانية ، ومرّ عام (١٩٤٠ م) والاتحاد السوفياتي يرى أن ألمانيا « دولة تكافح للانهاء العاجل للحرب في سبيل السلام » إذ كان له مطامع عن طريق تحالفه مع ألمانيا في عدد من بلدان أوروبّا وفي دول البلطيق .

* * *

(٥) ثم تبدلت سياسة الاتحاد السوفياتي في عام (١٩٤١م) والحرب الكونية الثانية قائمة ، وذلك لأنّ القوات الألمانية تحولت إلى مهاجمة الاتحاد السوفياتي ، فغدت ألمانيا من جديد دولة نازية مجرمة تعتدي على السلام ، وتؤلف أكبر خطر على حريات الشعوب في نظر الاتحاد السوفياتي .

وتبعاً لتبدل سياسة الاتحاد السوفياتي تبدلت سياسة الأحزاب الشيوعية من جديد ، وغدا ولاء هذه الأحزاب لجيوش الحلفاء ، وللجيش الأحمر الجبار ، وللشعوب السوفياتية •

وأعلن «خالد بكداش» زعيم الحزب الشيوعي في سورية ولبنان موقف حزبه يومئذٍ بقوله :

« أجل ، إنّ كلّ تفكيرنا وجهدنا ، وكلّ حيويتنا ، وكلّ إخائنا ، وتضامننا، وشعورنا الوطني والإنساني والقومي ، وكل عاطفة الحب للحرية التي تملأ صدورنا، متجهة في يوم أوّل أيّار ، إلى الجيوش الفرنسية والانجليزية والأمريكية •• وإلى الجيش الأحمر الجبار ••• وإلى الشعوب السوفياتية التي حملت قضية الحرية على عاتقها ببسالة لا تكاد تصدق ، وإلى زعيمنا ورفيقنا ، وصديق كل شعوب العالم ، إلى قائد جبهة الحرية نحو النصر الأكيد ، إلى زعيم أول أيار : ستالين العظيم » !!

وطالب بكداش بتأييد المجهود الحربي الذي تقوم به الدول الاستعمارية والاتحاد السوفياتي ضدّ النازية الألمانية والفاشستية الإيطالية •

* * *

(٦) ثم لمّا انتهت الحرب العالمية الثانية ، وافترقت مصالح الاتحاد السوفياتي عن مصالح الدول الاستعمارية ، واتجه السوفيات لمقاومة هذه الدول ونشر الدعاية ضدّها ، رغبة منه في أن يخلفها في البلدان الواقعة تحت نفوذه ، عادت الأحزاب الشيوعية العربية من جديد إلى مقاومة الاستعمار والدول الرأسمالية والامبريالية العالمية ، خدمة لمصالح الاتحاد السوفياتي ، لا بدافع الرغبة المخلصة بالتحرر الوطني من التبعية لأصحاب المطامع الاستعمارية •

* * *

(٧) وكان موقف الأحزاب الشيوعية العربية من قضية فلسطين ، ومن المؤامرة اليهودية الدولية على إقامة وطن قومي لليهود فيها ، يتسم بلعبة خداع مكشوف للعارفين •

أمـا حقيقة الموقف فهو التأييد المطلق لموقف الاتحاد السوفياتي من هـذه القضية ، والسير وفق أوامر القادة السوفيات ، والتلاؤم التام مع الحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين أولاً ، وفي إسرائيل بعد قيامها دولة مغتصبة غير شرعية ثانياً ، وهذا الموقف في حقيقته هو موقف المنفذ الأمين لمخططات الحركة اليهودية الصهيونية الدوليـة .

وأمّا ظاهر الموقف فقد كان متأرجحاً بين النفاق للعواطف العربية تارة ضدّ الصهيونية العنصرية فقط ، لا ضدّ اليهود ، ولا ضد أكذوبة حق اليهود في فلسطين. وبين تبرير الاتجاه المغاير لاتجـاه كل العرب في هذه القضية باستثناء الشيوعيين والسائرين في مخططات اليهودية العالمية والصليبية الاستعمارية .

فحين كانت آراء الشيوعية الدولية إقامـة دولة عربية يهودية في فلسطين ، تستطيع الحركات الشيوعية والاشتراكية فيها أن تهيمن عليها وتستولي على مقاليد الحكم فيها ، عارضت الأحزاب الشيوعية العربية فكرة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، بوحي من قادة الاتحاد السوفياتي ، وانطلقت صحفهم ونشراتهم وأقوال قادتهم تعبّر عن وجهة النظر هذه ، وتتهم المدافعين عن فلسطين بأنهم أصحاب فكرة عنصرية ضيقة .

ثم لمّا أعلن الاتحاد السوفياتي اقتراح تقسيم فلسطين بين العرب وإسرائيل ، أيدت الأحزاب الشيوعية العربية هذا الاقتراح ونقضت أقوالها وحججها السابقة !!

وفي تبرير تأييد الاتحاد السوفياتي لليهود،يقول «خالد بكداش» زعيم الحزب الشيوعي في سورية ولبنان ، والذي صـار فيما بعد زعيم الشيوعيين في منطقة الشرق الأوسط :

« الحكومات الرجعية العربية هي المسؤولة ، لقد عارضت الاتحاد السوفياتي الصديق حتى اللحظة الأخيرة ، ولم تخطب ودّه . صحيح أن اليهود ليسوا أمـة لكنهم شعب لهم حق الحياة » .

وكشف « رفيق رضا » عضو القيـادة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني السابق ، والذي فاء إلى رشده وانسحب من الحزب ، بعض خيانات هذا الحزب ، وتأييده للدولة اليهودية ، فمما قاله في بياناته :

« ... وكانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس بن غوريون على بعث الدولة اليهودية في فلسطين . فاسرائيل في نظرها واحة من واحات الديمقراطية في الشرق الأدنى . والشعب الاسرائيلي المشرد لابد وأن يلتقي في أرض الميعاد ، وأن واجب التضامن الأممي في عرف القيادة المذكورة هو من صلب المبادىء الماركسية ، ولذا فوجود إسرائيل له في عرفها مبرراته الانسانية التي تتخطى المبررات والوقائع القومية .

ومنذ اليوم الأول لكارثة فلسطين أو منذ اليوم الأول لاعلان التقسيم ووقوف الدول الكبرى إلى جانب الصهيونية بما فيها الاتحاد السوفياتي ، منذ ذلك اليوم المشؤوم في تاريخ قوميتنا انحازت قيادة الحزب الشيوعي إلى جانب الرأي الاستعماري الصهيوني ، ونادت بعدالة التقسيم ، ودعت إليه كما لوكانت قيادة تجري في عروقها دماء إسرائيل . وهي قد التزمت جانب الاستعمار والصهيونية علناً وصراحة على لسان دعاتها وفي بياناتها وصحفها . وقد قوبلت خياناتها هذه بسخط عربي عارم زلزل الأرض تحت أقدامها ، وانهالت لعنات العرب عليها ، حتى لم يعد بوسع شيوعي في سورية ولبنان أن يعلن عن شيوعيته .

كلّ ذلك كان من قيادة الحزب الشيوعي إرضاء للاستعمار وإرضاءً للاتحاد السوفياتي ، وإرضاءً لليهود ، وانسجاماً منها مع عدائها التقليدي للقومية العربية ، وكرهها لكلّ ما هو عربي » . هذا كلامه .

وبعد قيام دولة إسرائيل تبنّى الحزب الشيوعي دعوة الصلح مع إسرائيل صراحة ، وكان يوزع في سورية سرّاً مقالات « صموئيل ميكونيس » سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، وهي المقالات المنشورة في جريدة « الكومنفورم » بعنوان « في سبيل سلم دائم » والداعية إلى الصلح كحلّ وحيد لمشكلة الخلاف...

ولقيت هذه المقالات تأييد قيادات الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية جميعاً .

واشتركت جميع الأحزاب الشيوعية المصرية والعراقية في تأييد تقسيم فلسطين، وفي الدفاع عن مبدأ دولة إسرائيل ، وفي الهجوم على الرجعية العربية بوصفها مسعّرة نار الخصام بين الشعبين العربي واليهودي ، وبوصفها عدوة الحق اليهودي في إقامة وطن قومي لهم في فلسطين .

واتخذت جميع الأحزاب الشيوعية في المنطقة العربية مثل هذا الموقف بالنسبة إلى الحرب العربية الاسرائيلية عام (١٩٤٨ م) ورأت فيها حرباً استعمارية .

فالحزب الشيوعي السوري اللبناني اعتبر هذه الحرب مؤامرة رجعية دينية استعمارية ، هدفها بذر الخصومة والعداء بين الشعبين العربي واليهودي .

والحزب الشيوعي العراقي كتب في صحيفته السرية « القاعدة » بعددها (١١) عام (١٩٥٣ م) :

« إنّ الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الاسرائيلي الشقيق » .

وكتب أيضاً :

« لا مصلحة في الحرب للكادحين العرب واليهود ، بل للبرجوازية العربية العفنة » .

وكتب « يوسف سلمان » الملقب « فهد » وكان سكرتيراً للحزب الشيوعي العراقي ، وكان أبرز عناصر الحزب جميعاً ، والمنافس الوحيد « لخالد بكداش » على زعامة الأحزاب الشيوعية في المنطقة :

« مرحباً بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين ، وأشترط لهما الاشتراكية والتحالف ضدّ الرجعية الدينية العربية » .

أمّا منظمة « حدتو » الشيوعية المصرية ذات القيادة اليهودية ، فقد اعتبرت إسرائيل مرحلة أعلى وأرقى في التطور الاجتماعي ، هي مرحلة الرأسمالية البورجوازية الديمقراطية ، في حين أن الدول العربية تمثل مرحلة الاقطاع . ودعا قادة « حدتو » إلى الاخاء العربي اليهودي والصلح مع إسرائيل .

ونشر الحزب الشيوعي المصري في (٢٠) كانون الأول من عام ١٩٤٧ م في جريدته السرية «الوعي» تحليلاً للمشكلة اليهودية أبان فيه حقوق الشعب اليهودي في فلسطين ، جاء فيه ما يلي :

« يرجع فهم الواقع الحالي لفلسطين من تطور اليهود فيها ونموهم كأمة جديدة ...

إنّ الحالة الجديدة في فلسطين لم تكن نتيجة لبعث الوطنية لدى يهود العالم، كما تدّعي خطأً الصهيونية ، بل كانت نتيجة لمولد وطني جاء على أثر تجمع عوامل تاريخية متعددة أدت إلى جعل يهود فلسطين أمة ...

وإذا قلنا أمة ، فيجب أن نعترف بحق تقرير المصير .

وإذا قلنا حق تقرير المصير ، فمعنى ذلك تخويل الأمة حق الانفصال .

فاذا اعترفنا بحقيقة تكوين اليهود في فلسطين كأمة ، فلا يمكن أن ننكر عليها حق الانفصال عن الأمة العربية ، وتكوين دولة يهودية في جزء من البلاد العربية » .

وكتب هـذا الحزب أيضاً في نشرته « صوت البروليتاريا » مقالاً بعنوان : « لماذا نؤيد التقسيم كالحل الوحيد الممكن حالياً » جاء فيه ما يلي :

« إنّ واجبنا اليوم هو أن ندرس الموقف دراسة موضوعية حتى نفهم ضرورة التقسيم . إن موقفنا بالنسبة لتقسيم فلسطين هو موقف مبنيٌ على أساس المبادىء، وإنّ ما يمليه هو حق الشعوب في تقرير مصيرها .

فلندرس حـالة الشعب اليهودي : لقد عانى الشعب اليهـودي في فلسطين اضطهاداً لمدة طويلة . إنّ الشعب اليهودي الفلسطيني يريد أن يحصل على استقلاله الذاتي . وإن فرض الوحدة مع العرب ، تلك الوحدة التي يرفضها الشعب اليهودي، معناه أولاً أننا نناقض مبدأ حق تقرير المصير ، وهو يعني ثانياً تحطيم هذه الوحدة ، فهو سيؤدي حتماً إلى استمرار روح العداء بين الشعبين ، وبذلك يجعل من كلا الشعبين مضاداً للآخر ... » .

وبلغت مناصرة الأحزاب الشيوعية العربية لليهود حدّاً بالغ الوقاحة ، مفضوح الخيانة ، حتى غدت هذه الأحزاب تطالب الحكومات العربية بالاعتراف بدولة إسرائيل ، وتنظم المظاهرات في سورية والعراق وفلسطين ومصر ـ وإن كانت هزيلة ـ لتأييد حق الشعب اليهودي في إقامة دولة إسرائيل .

وهكذا كان موقف المنظمات الشيوعية العربية ، موقف الخادم الأمين لليهودية العالمية ، ضدّ مصالح الأمة العربية وحقها التاريخي .

وكذلك كان موقف سائر المنظمات الشيوعية في العالم ضدّ مصالح شعوبها ، ومع مصالح سادتها في موسكو أو بكين ، ومع مصالح اليهودية العالمية .

ومن طريف وعجيب ما قرأت حوار جرى بين « قدري قلعجي » الشيوعي السابق الذي فاء إلى رشده فانسحب من الحزب ، وبين زعيم الحزب الشيوعي السوري « خالد بكداش » أنقله كما جاء على لسان « قدري قلعجي » في كتابه « تجربة عربي في الحزب الشيوعي » صفحة (١٦٨) ، يقول :

« وقلت لخالد بكداش : هل قرأت مرافعات « غروميكو » و « مانويلسكي » ورفاقهما في الأمم المتحدة ، دفاعاً عن حق اليهود الأوروبيين في إقامة دولة لهم في فلسطين ، وكيف وصفوا عدوانهم على العرب بأنه حركة تحرر وطني ، وتحمَّسوا لقرار التقسيم تلك الحماسة المنقطعة النظير ، وعارضوا في الجلاء عن المناطق التي تجاوزت بها إسرائيل حدود التقسيم ؟ ..

فأجاب : نعم قرأت ذلك ..

قلت : وهل توافق عليه ؟

فقال : نحن الشيوعيين لا نستطيع أن نوافق أو نعارض على موقف وقفه الاتحاد السوفياتي أو قرار اتخذه .

قلت : ماذا نفعل إذن ؟

قال : ندافع عن هذا الموقف أو القرار دفاع المستميت ، ونعمل بجميع الوسائل لنثبت أنه حق .

قلت : وإذا تعارض هذا الموقف أو القرار مع قضيتنا القومية ؟

فأجاب : في مثل هـذه الحالة لا بد من أن تكون للاتحاد السوفياتي مصلحة خاصة فيه .

قلت : وهل تهمنا مصلحة الاتحاد السوفياتي أكثر من مصلحتنا الشخصية ؟

فقال : إن الشيوعي لا يطرح السؤال على هذا الشكل لأن مصلحة الاتحاد السوفياتي هي في الواقع مصلحتنا نحن ، فاذا ضحينا بمصلحتنا في سبيل مصلحته واستراتيجيته نكون قد خدمنا أنفسنا ، لأن قوة الاتحاد السوفياتي وانتصاره هو قوة وانتصار لنا . إن الاتحاد السوفياتي هو ــ في معركة البروليتاريا العالمية ــ الكل الكبير ، وما نحن سوى الجزء الصغير .!! » .

* * *

(٨) ولما كان الحزب الشيوعي الجزائري جزءاً من الحزب الشيوعي الفرنسي أولاً ، ثم لما انفصل بقيادة خاصة ظل له تابعاً في كل توجيهاته وما يرسم من سياسة ، وكان الحزب الشيوعي الفرنسي يعمل من خلال المذهب الماركسي لمصلحة القومية الفرنسية ، كان الحزب الشيوعي الجزائري سائراً في السياسة نفسها لمصلحة القومية الفرنسية ، لا لمصلحة الجزائر ولا الشعب الجزائري ، أما عداؤه للاسلام والمسلمين ، وعمله المضاد لكل ما يتصل بهما فهو القضية العامة التي تلتقي عليها كل الأحزاب الشيوعية .

لما قام الجزائريون المسلمون بحركة تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي ، هاجم الحزب الشيوعي الفرنسي هذه الحركة ، واتهمها بالفاشستية والعمالة للألمان ، وأطلق نظرية أن الشعب الجزائري لم يصبح أمـة بعد ، بل هو في طور التكون والنشوء ، ملغياً بهذه النظرية المصنوعة بفكرٍ استعماري تاريخَ الشعب الجزائري العريق ، ووحدته القائمة على الاسلام عقيدة وتاريخـاً ، وعلى العربية لغة وثقافة وتمازجاً عرقياً . وأطلق أيضاً نظرية الدمج الكامل بين فرنسة والجزائر .

وظاهر أن النزعة الاستعمارية الفرنسية كانت تتحكم برؤوس ونفوس الشيوعيين الفرنسيين ، فتصرفاتهم تجاه القضية الجزائرية كانت تدل على ذلك ، إذ مواقفهم من قضية تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي هي مواقف طائفة من الاستعماريين الفرنسيين الأذكياء ، الذين كانوا يتظاهرون بشيء من الاعتدال الذكي، بغية المحافظة على ما يمكن المحافظة عليه من المصالح الاستعمارية لفرنسة العظمى .

وحمل الحزب الشيوعي الجزائري هذه السياسة نفسها ، وسار وراء الحزب الشيوعي الفرنسي يقاوم حركة التحرير الجزائرية .

وحين اشتد نضال حركة تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي ، اتسعت أعمال العنف والقمع والاضطهاد من قبل السلطات الفرنسية ، وفي الثامن من أيار من عام (١٩٤٥ م) دبر الاستعماريون الفرنسيون مجزرة همجية رهيبة ، ذهب ضحيتها في ولاية قسنطينة (٤٥) ألف شهيد من الجزائريين ! وكانت مجزرة ضج من هولها العالم ، إلا أن الحزب الشيوعي الفرنسي ومعه الحزب الشيوعي الجزائري قد ألقيا تبعة هذه المجزرة الاستعمارية على قادة حركة تحرير الجزائر من الاستعمار ، واتهم فريقاً منهم بالعمالة لألمانية النازية الهتلرية .

ووصف الشيوعيون حركة الاستقلال الجزائري بأنها حركة ترتبط ارتباطاً جذرياً بالمنطلقات الدينية . وهذا الوصف الذي يعيب به الشيوعيون حركة الاستقلال الجزائري ، هو وصف يشرف رجال الحركة ، ويذكرنا بأن العدو الأكبر للاستعمار والتبعية إنما هم المسلمون ، لذلك فهم أعظم وقود لكل حركات التحرير التي قامت في البلاد العربية وسائر البلدان الاسلامية ، وإن سرقها منهم بعد الظفر آخرون ، ليحولوا دولة التحرر عن مجرى حركة التحرير .

وبهذه المناسبة نقول : إن المسلمين هم المؤهلون الوحيدون لاسترجاع فلسطين متى ملكوا أمرهم حقاً ، ومن أجل ذلك تدبر ضدهم المكايد العظمى في العالم كله ، ويُعزلون بكل عنف وقسوة عن القيادة والتوجيه في كل بلد من بلاد المسلمين !!

وزعم الشيوعيون الفرنسيون والجزائريون أن استقلال الجزائر سيؤدي إلى أوخم العواقب .

فكتب « ليون فيكس » عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي مقالاً نشر في مجلة «دفاتر الشيوعية» تحت عنوان : «بعض الآراء حول المسألة الجزائرية» وذلك في شهر ايلول من عام (١٩٤٧ م) جاء فيه ما يلي :

« إن فكرة الاستقلال المباشر للجزائر التي يدعو إليها « حزب الشعب الجزائري » تقود إلى أوخم العواقب ، إن وضع الجزائر الحالي ، هذا البلد المستعمر الذي أبقي اقتصاده في حالة تأخر ، سينقلها فوراً ويجعلها تحت سطوة التروستات الأمريكية ...

الشيوعيون لا يمكنهم أن يؤيدوا ذلك الجزء من الحركة الوطنية التي تنادي لهذه البلاد بالاستقلال المباشر ، إذ أن هذه الدعوة لا تخدم لا مصالح الجزائر ولا مصالح فرنسة .

إن استقلال الجزائر سيكون في آن واحد خدعة وتدعيماً لركائز استعمار في الجزائر » .

هكذا كان رأي الشيوعيين بالنسبة إلى استقلال الجزائر دعماً لسياسة الاستعمار الفرنسي .

ولكن استطاع الجزائريون ـ بفضل الله ومعونته بعد أن ضحوا بقتلى منهم وصلوا إلى (مليون) شهيد ـ أن يظفروا بالاستقلال ، وأن تكون لهم دولة تتمتع بوضع اقتصادي أفضل بكثير من الوضع الذي كانوا فيه تحت نير الاستعمار الفرنسي . ونسأل الله أن يسدد خطا الجزائريين على طريق الاسلام ، بعد أن منحهم نعمة الاستقلال .



السّوفيات وَموقفهُم مِنَ العَرَب وَاسرَائيل

لقد غدا من الحقائق المعروفة تماماً أن الاتحاد السوفياتي قد كان مع الغرب حليفاً لليهودية العالمية ، ونصيراً بقوة لقيام الدولة اليهودية « إسرائيل » في فلسطين ، وضامناً بقاءها وقوتها ، وإن لجأ إلى خداع العرب حقبة من الزمن ، لتحقيق أغراض له مادية ومعنوية في البلاد العربية ، دون أن يستفيد العرب استفادة فعلية من أكوام الحديد الذي يشترونه من الاتحاد السوفياتي تحت اسم « أسلحة حديثة » مع الدفع الخفي لاستخدامها في الخلافات والنزاعات العربية ، وتسخيرها لتوطيد أنظمة الحكم التي من برنامجها إبعاد الاسلام عن حياة شعوب المنطقة ، وضرب الحركات الاسلامية فيها ، وعزل المسلمين عن المشاركة الجادة لتحرير البلاد من براثن وأنياب المحتلين ، ومن نفوذ أصحاب القوى الكبرى الدوليين . يضاف إلى ذلك استدراج العرب بمكايد مختلفة حتى تنتقل هذه الأكوام الحديدية ليد العدو اليهودي ، دون حرب فعلية جادة ، كما حصل فيما سمي بنكسة عام (١٩٦٧) !!

حقاً لقد كان الاستعمار البريطاني السبب الأول المباشر في تحقيق حلم الصهاينة وإخراجه إلى الوجود ، واشتركت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في المساعدة على تحقيق حلم اليهود في إيجاد دولة لهم في فلسطين ، واعترفت أمريكا بإسرائيل بعد (١٦) دقيقة من إعلان قيامها ، وتلتها روسيا فاعترفت بإسرائيل في اليوم الثاني لقيامها ، وتلتها الدول الشيوعية الشرقيــة السائرة في فلك الاتحاد السوفياتي ، وكان الشرق والغرب بمثابة عملة واحدة ذات وجهين بالنسبة إلى اليهودية العالمية ، وكذلك الرأسمالية والشيوعية .

إلا أن الشيوعية العالمية ودولتها الكبرى التي قامت في روسيا خاضعة لليهودية العالمية فكراً وسياسة وعناصر إدارة وتوجيه ، والجماهير التابعة لقادتها غافلة عن

هذه الحقيقة ، وتزعم أنها تخدم مصالح أنفسها ومصالح بلدانها بحق ! في حين أن الدول الغربية المندفعة بتأييدٍ كامل لليهود في فلسطين واقعـة تحت تأثير المكايد اليهودية المقنعة في بلدانها ، ومكايد الخداع اليهودي في « إسرائيل » ، وتتحرك بدوافع مصالحها الخاصة على ما تظن ، وهي في الحقيقة تسير ضمن الفخ الكبير الذي نسجته حولها مكايد اليهودية العالمية ، ونرجو إذا استيقظت أن تتخلص من هذا الفخ يوماً ما، أما الشيوعية العالمية ودولها القائمة فليس بمستطاعها ـ كما نرى ـ أن تتخلص من القبضة اليهودية مالم تتخلص من النظام الشيوعي كله •

وهذه طائفة من الكواشف :

(١) قبل جلاء القوات البريطانية عن فلسطين وإنهاء انتدابها ، طالبت الدول العربية في هيئـة الأمم المتحدة بانهاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، وإعلان استقلالها ، فلم يحظ الطلب بموافقة الهيئة ، وكان موقف روسيا واضحاً ضد العرب، ولمصلحة الخطة المدبرة لإقامة دولة إسرائيل •

وكان مما قاله المندوب الروسي « غروميكو » الذي صـار فيما بعد وزير خارجية الاتحاد السوفياتي :

« لا يستطيع أحـد” أن يرغم الجمعية العامة على اتخاذ قرار يؤيد مطلب العرب » •

ثم أصر الاتحاد السوڤياتي في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة على أن تشارك الوكالة اليهودية في عرض وجهة النظر الخاصة بفلسطين ، بوصفها ممثلة للشعب اليهودي •

ثم دعا أيضاً إلى مشاركة هيئات يهودية أخرى من بينهـا الحزب الشيوعي الاسرائيلي ، واللجنة العبرية للتحرير الوطني ، ولجنة العمل الفلسطيني •

وحين طرح على الجمعية العامة اقتراح بدعوة اللجنة العربية العليا عارضه السوفيات تأييداً لوجهة النظر اليهودية ، وإبعاداً للعرب عن مراكز التأثير في هيئة الأمم المتحدة •

وعمل الاتحاد السوفياتي بكل ما لديه من وسائل لدعم اليهود في تلك الحقبة ، وطالب ممثله « غروميكو » في جلسة اللجنة السياسية بحل دولي للمشكلة ، يشارك فيه الاتحاد السوفياتي ، فكان مما قاله :

« إن أيسر الطرق لتسوية مستقبل فلسطين هو أن تتفق الدول الكبرى ذوات المقاعد الدائمة في مجلس الأمن على الحل ، والاتحاد السوفياتي مستعد أن يتعاون إلى أبعد الحدود . ليفهم بعضنا بعضاً فهماً أصح . إن لنا جميعاً مصالح مشتركة هناك » !!

ثم كان الاتحاد السوفياتي أول من قدم اقتراحاً رسمياً بتقسيم فلسطين ، وإقامة دولة يهودية لم يكن لها وجود في تاريخ هذه المنطقة منذ أكثر من عشرين قرناً .

* * *

(٢) كان الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الأخرى في عداد المصوتين ضد كل موقف عربي ، وكل دعوة إلى حماية حق شعب فلسطين .

* * *

(٣) بعد موافقة أمريكا على قرار التقسيم تراجعت ، وطالب المندوب الأمريكي بأن توضع فلسطين تحت وصاية دولية مؤقتة تحافظ على وحدتها الجغرافية .

وكان لهذا التراجع الأمريكي وقع شديد على اليهود والشيوعيين ، فوقف « غروميكو » ممثل الاتحاد السوفياتي ، وندد بالسياسة الأمريكية يومئذٍ ، متهماً إياها بخيانة اليهود ، والتراجع عن قرار هيئة الأمم المتحدة بالتقسيم ، تحت ضغط المصالح البترولية ، ولإرضاء الرجعية العربية . وشارك « غروميكو » في هذا الهجوم مندوب الوكالة اليهودية الحاخام « أبا هيلل سيلفر » وأيد ما ذهب إليه المندوب السوفياتي من اتهام أمريكا بخيانة اليهود ، وندد بموقفها أشد التنديد ، وقال :

« إن الذين يدعون بأن مشروع التقسيم غير قابل للتنفيذ مخطئون ، ففي استطاعتنا تنفيذه والتغلب على معارضيه العرب ، إننا سنلجأ إلى مختلف الوسائل في سبيل تلك الغاية » .

فطلب المندوب الأمريكي إحالة الموضوع من جديد على الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة استثنائية جديدة ، لإعادة بحث المشكلة وإلغاء قرار التقسيم ، غير أن الاتحاد السوفياتي وأوكرانيا قد انفردا بمعارضة الطلب ، ومع أن «أوكرانيا» ولاية سوفياتية إلا أنها تتمتع بعضوية مستقلة في الأمم المتحدة .

وأصر المندوب السوفياتي « غروميكو » على أن مهمة مجلس الأمن أن يأمر بانسحاب ما أسماه بالعصابات العربية التي غزت فلسطين ، دون أي أمر آخر يتعلق بفلسطين ، إلا أن الأكثرية خذلت الاعتراض الشيوعي ، وأقرت الاقتراح الأمريكي .

وبعد أن انتقلت القضية الفلسطينية في نيسان ١٩٤٨ م من مجلس الأمن إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تابع الشيوعيون نشاطهم لدعم اليهود ومعاداة العرب ، وتابعوا دعوتهم إلى انسحاب الجيوش العربية التي أسموها زوراً وبهتاناً العصابات العربية ، وطالبوا بوقف الغزو العربي ، وإنزال العقوبات بالغزاة العرب ، لقد أسموهم غزاةً وهم يجاهدون لتحرير بلادهم من الغزاة القادمين من كل مكان من الأرض .

وظل الاتحاد السوفياتي مصراً على موقفه المطالب بالتقسيم وإقامة دولة يهودية في فلسطين .

وقال « غروميكو » : « إن من الشناعة أن تترك الأمة اليهودية ، وهي التي نزلت بها فواجع النازية تحت رحمة عنصرية أخرى ، أو نسخر مصائب هذه الأمة العظيمة لمصالح البترول وأصحابه العرب » .

وظل الاتحاد السوفياتي يدعم اليهود الغزاة حتى انسحبت بريطانيا من فلسطين ، في ١٥ أيار ١٩٤٨ م ، وأعلنت الوكالة اليهودية إقامة دولة إسرائيل فور الانسحاب ، واعترفت أمريكا بها بعد (١٦) دقيقة من إعلان قيامها ، وقد قيل :

كان اعترافها على أساس الأمر الواقع • ثم تلتها دولة الاتحاد السوفياتي فاعترفت بها اعترافاً كاملاً وقانونياً ، واعتبر المندوب السوفياتي مندوب الوكالة اليهودية في هيئة الأمم المتحدة ممثلاً لدولة إسرائيل •

وكانت الدول الشيوعية باستمرار إلى جانب إسرائيل دعماً وتأييداً ، ضد الفلسطينيين ، وضد كل الدول العربية ، ولم يحظ اللاجئون العرب بكلمة عطف واحدة من الدول الشيوعية بل كانت تحمل الدول العربية مسؤولية وجود اللاجئين الفلسطينيين ، بينما كان عطف هذه الدول يوجه للاجئين اليهود في أوروبا وأمريكا ، مع أن هؤلاء ينعمون بحظ وافر • ونصوص جلسات هيئة الأمم المتحدة ولجانها تؤيد هذه الحقيقة •

* * *

(٤) أخذت البلدان الشيوعية تفسح المجال أمام المتطوعين اليهود من الشبان الذين دربتهم للسفر إلى فلسطين ، والمساهمة في القتال إلى جانب العصابات اليهودية المسلحة ضد الفلسطينيين • وقد بلغ عدد هؤلاء كما روت المصادر الصهيونية عشرين ألف مسلح وفدوا إلى فلسطين من « تشيكوسلوفاكيا » و « بولونيا » و « رومانيا » و « بلغاريا » •

يضاف إلى ذلك تدفق الأسلحة على إسرائيل من تشيكوسلوفاكيا بنسبة وافرة، عن طريق التهريب ، وذلك بعد قيام دولة إسرائيل •

* * *

(٥) لما رأت الدول العربية انحياز الاتحاد السوفياتي المتطرف لإسرائيل ضد الحق العربي في فلسطين ، قام مندوب سورية « فارس الخوري » في أواخر شهر تشرين الثاني من عام « ١٩٤٨ م » فقال في هيئة الأمم المتحدة :

« إن موقف الاتحاد السوفياتي من تطور القضية الفلسطينية شيء مخيف فموسكو لا تريد العدل ولا الانصاف ولا السلام ولا مبادىء الأمم المتحدة • إن كل

ما تريده هو زرع استعمار جديد في القلب من العالم العربي ، فاذا كان هذا هو حـال السياسة السوفياتية هنا فـلا لوم علينا ولا تثريب إذا نحن كفرنا بكل شيء بالغرب والشرق معـاً)) .

وهنا أستعير من « نهاد الغادري » استنتاجاته[1] مع تبديل عبارة « الاتحاد السوفياتي » ، بعبارة « الشيوعية العالمية » :

فالشيوعية العالمية أول من عارض في دعوة ممثلي عرب فلسطين على المستوى الذي دعي إليه ممثلو يهود فلسطين .

وهي أول من دعا إلى التوسع في الاستماع إلى ممثلي اليهود حتى يشمـل المنظمات والأحزاب والهيئات اليهودية الأخرى في العالم ، بوصفها جميعاً ذات صلة بقضية فلسطين .

وأول من دعا إلى مساهمة الـدول الكبرى في حل المشكلة الفلسطينية على أساس حق اليهود في وطن قومي بفلسطين .

وأول من أمد يهود فلسطين ومن وفد إليها من يهود العالم بالسلاح والمدربين ذوي الخبرة العسكرية من الرجال والنساء للمساهمة فيما أسماه الاتحاد السوفياتي: حركة التحرير الوطني اليهودية .

وأول من استنكر التراجع الأمريكي عن التقسيم ، واستنكر اقتراح الوصاية الدولية المؤقتة للمحافظة على وحدة فلسطين الجغرافية والسياسية .

وأول من أطلق على المتطوعين العرب للدفاع عن فلسطين ، وعلى الجيوش العربية بعد ذلك ، وصف العصابات العربية ، وأطلق على التدخل العربي المشروع في فلسطين صفة الغزو والعدوان ، وطالب بإنزال العقوبات بالغزاة .

وأول من استخدم تعابير « الرجعية العربية » واتهمها بالتواطؤ مع الاستعمار ضد مصالح الطبقات العاملة اليهودية والعربية .

---

(١) في كتابه « التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية » .

وأكثر من بكى واستبكى على ما أصاب اليهود من فظائع النازية لتبرير إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ٠

وأول من شجع على تهجير اليهود القادمين إلى فلسطين من مختلف دول العالم ٠

وأكثر من دافع عن حق اليهود في التوسع وراء حدود التقسيم الأول ٠

وأول من عارض في عون اللاجئين العرب ، وما زال يمتنع عن تقديم العون لهم ٠

وأول من عارض في عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى وطنهم ، ودعا إلى توطينهم حيث هم في البلاد العربية ٠

وأول من دعا إلى سحب القوات العربية من فلسطين لتبقى قارة سارة لليهود ٠

* * *

(٦) لما رأت الدول الشيوعية أن الدولة اليهودية قد استقرت في فلسطين ، وغدت حقيقة واقعة أخذت دولها تتودد للعرب ، لتحقق لنفسها ولليهود عدة أغراض، منها ما يلي :

آ ـ نشر الالحاد ، والتمهيد لإقامة الشيوعية المرتبطة بفلك الاتحاد السوفياتي ٠

ب ـ إقامة الاشتراكيات الدكتاتورية ، التي من مهامها عزل الطاقات الاسلامية، أو تحطيمها وتدميرها ، خدمة لمخططات إسرائيل واليهودية العالمية ، وبغية تحقيق أهداف الشيوعية العالمية ٠

جـ ـ امتصاص الثروات العربية بالمشاريع غير ذات الجدوى الحقيقية للمنطقة العربية ، وبالأسلحة الملجمة عن التحرك الفعال ضد إسرائيل ، والتي يمكن توجيهها بالمؤامرات المختلفة وعن طريق العملاء لتستهلك في الصراعات العربية ، حتى تؤدي عدة أدوار ، منها الأدوار التالية :

● استلاب الثروات العربية عن طريق التجارة بالسلاح المقيد عن الحركة النافعة للشعوب العربية ٠

- تمزيق الشعوب العربية والاسلامية باصطناع الفتن والخلافات ، بعد استعراض عضلات القوة الوهمية .

- ضرب الحركات والقيادات الاسلامية .

- تدمير القيم الأخلاقية والدينية .

- تحطيم اقتصاديات الدول العربية ، وتبديد ثرواتها .

- شغل الشعوب العربية والاسلامية ببعضها ، حفاظاً على أمن اليهود في دولة إسرائيل .

- إملاء شروط التطبيق الاشتراكي ، وشروط التحويل الفكري عن أسس الاسلام الاعتقادية والعملية .

- استدراج الدول العربية بالغرور الفارغ إلى معارك خاسرة مع « إسرائيل »، ومخادعتها بمختلف الوسائل ، حتى تصل الأسلحة الشيوعية التي بذلت في شرائها الأموال العربية والاسلامية ، إلى إسرائيل بشحمها ولحمها ، أو حتى تصل أكواماً من الحديد المدمر في غير معارك جادة ، لتبيعه إسرائيل لمصانع صهر الحديد .

ولا تنسى الشعوب العربية والاسلامية أن هذه الأسلحة التي اشترتها الدول العربية من الدول الشيوعية الواقعة تحت النفوذ اليهودي ، هي أسلحة بذلت للحصول عليها كداً كثيراً ، وأنها كانت على حساب لقمة عيش جماهير كثيرة منها ، وعلى حساب رفاهيتها ونمو اقتصادها .

ومن أمثلة خداع الدول الشيوعية للدول العربية ، خدمة لاسرائيل ، وحتى تصل الأسلحة العربية لليهود بشحمها ولحمها ، ما كان في معركة حزيران من عام ١٩٦٧ م ، يوم صدرت الأوامر السوفياتية للزعامة العربية بأن لا تكون البادئة بالقتال وإلا . . . . .

ثم تنتهي المعركة بساعات لصالح إسرائيل عملاً بنصح بائع السلاح الشيوعي ، ونصح زميله الرأسمالي الذي تضغط عليه أيضاً وتوجهه من بلاده القيادة اليهودية العالميـة .

● دخول المستشارين العسكريين من الاتحاد السوفياتي (وقد يكونون يهوداً) في المنطقة العربية الاسلامية ، ليكونوا الموجهين والحاكمين السريين ، لبعض الأنظمة الاشتراكية التي قامت في المنطقة، بتوجيه متفق عليه من قبل الشرق والغرب.

* * *

(٧) مع أن الاتحاد السوفياتي قد باع السلاح الدفاعي لبعض الدول العربية ، إلا أنه ظل يعلن أن ذلك لا يلزمه بأن يقف موقفاً معادياً لاسرائيل ، وأن القضية تجارية بحتة ، وأن الاتحاد السوفياتي قادر على ضبط هذا السلاح ، ومنعه من أن يستعمل ضد إسرائيل بشكل فعلي جاد ، وقد دلّ على ذلك نصوص ووقائع :

آ ـ دل عليه تصريح أدلى به الملحق العسكري السوفياتي في باريس عام (١٩٦٤ م) بتاريخ ٢٢ كانون الثاني إلى صحيفة « معاريف » الاسرائيلية ، وقد جاء في هذا التصريح ما يلي :

« إن إسرائيل أيضاً تستطيع أن تشتري منا السلاح ، فالقضية عندنا هي المتاجرة به . ونحن نبيع الجمهورية العربية المتحدة وغيرها ممن يبحث عن السلاح ، وليس في تجارتنا به أي التزام بالنسبة إلى المشكلة الفلسطينية ، إننا على أتم الصلات باسرائيل ، ولم يصدر عنا ولن يصدر مع مصر أو غيرها ما يسيء أو يضر بالكيان السياسي المستقل لاسرائيل . هذه هي القاعدة في سياستنا نحو الشرق الأوسط ...

إننا نشارك العرب في مكافحة الاستعمار والرجعية العربية فحسب ، ولا نشاركهم ولن نشاركهم في العدوان على إسرائيل . ولقد كان موقفنا منذ البدء معارضاً أشد المعارضة العدوان العربي الرجعي ، ولم يقتصر هذا الموقف على العمل الدبلوماسي في الأمم المتحدة ، بل نحن أعربنا عن تأييدنا لاسرائيل بالسلاح أيضاً وبالعتاد والرجال في أشد أوقات الأزمة الفلسطينية ، يوم كانت حركة التحرير الوطني اليهودية في أمس الحاجة إلى هذا العون . إن ما قدمناه ونقدمه للجمهورية العربية من سلاح هو لأغراض دفاعية ، ولن نسمح باستخدامه ضد إسرائيل . وإذا احتاجت

إسرائيل للسلاح فليس لدينـا ما يمنع من أن نبيعها إياه • ولكن إسرائيل ليست بحاجة إليه منا ، لأنها تحصل على حاجتها وما يفوق حاجتها من مصادر صالحة لها • ولا نعارض هذا ، لأن ما نبغيـه هو سلامة إسرائيل • لا تنزعجوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربيـة ، فهـذه السياسة متممة بل هي ضرورية لسلامة إسرائيـل ••••

لتطمئن إسرائيل ، فالاتحاد السوفياتي يدرك أن بقـاء إسرائيل قوية عزيزة هو أمر ضروري لسياستنا في المنطقة العربية ، ومصالحنا متجانسة مع مصالحكم • إننا نرعى الاشتراكية العربية تعزيزاً لمصلحة إسرائيل أيضاً ••• » •

ب ــ ويدلّ عليه أيضـاً استمرار دعم الدول الشيوعيـة لاسرائيل دعمـاً حقيقيّاً غير صوري وغير مشروط •

ففي تموز (١٩٦٥ م) ذكرت الصحف الاسرائيلية أنّ الاتحاد السوڤياتي أعار اسرائيل عالماً ذرّيّاً يهوديّاً هو الدكتور « لاندو » للتدريس في معهد « وايزمن » والمشاركة في أبحاث إسرائيل الذرية وانتاجها •

وفي (١٨ آب ١٩٦٥ م) كتبت صحيفة « كول ها عام » الاسرائيلية ما يلي :

« إنّ في إسرائيل والاتحاد السوڤياتي مكاتب وهيئات ومنظمات شبه رسميّة ورسمية متفرّغة مهمتها تعزيز الصلات السوڤياتية الاسرائيليةفيجهد متصل ومنظم•• وإنّ إسرائيل حكومة وشعباً تعلم أتمّ العلم أنّ ازدياد نفوذ السوڤيات في العالـم العربي ، واعتماد العرب عسكريّاً على الاتحاد السوڤياتي وسياسيّاً واقتصاديـّاً هو في المرحلة الراهنة أيضاً لمصلحة إسرائيل ، ويعزّز أمنها وسلامتها تعزيزاً أكيداً »•

جـ ــ وألقى السفير السوڤياتي « ديمتري شوفاخين » في المؤتمر السنوي اليهودي العالمي الذي انعقد في تل أبيب ، في منتصف شهر آذار (مارس) سنـة (١٩٦٦ م) خطاباً نقلته مجلة « الجوين كرونيكل » في العدد « ١٨/٣/١٩٦٦ م » ونقله مراسل مجلة « الايكونومست » البريطانية في العدد « ١٨/٣/١٩٦٦ » جاء فيـه ما يلي :

« أقول لكم بصراحة : إنّ الاتحاد السوڤياتي حكومة وشعباً وبلا نفاق ولا رياء يحبّ إسرائيل حبّاً جمّاً ، ومعجب أشدّ الاعجاب بكل ما حققته من عمران وبناء وعدالة وسؤدد في أرض الآباء والأجداد اليهود ...

إنني أناشدكم هنا في إسرائيل وفي الوسط اليهودي في كل مكان أن تؤيدوا بكلّ قلوبكم سياسة الاتحاد السوڤياتي في الشرق العربي ، لأنها سياسة فيها كلّ النفع وكلّ الخير لاسرائيل ولليهودية العالمية ...

إننا نحارب الحلف الاسلامي ، ونجنّد لذلك كلّ الأصوات العربية الاشتراكية القوية لمكافحته ، فانهزام العصبية العربية الدينية والقومية مفيد جليل الفائدة لاسرائيل ولأنصارها من اليهود في كلّ مكان ، وفي الاتحاد السوڤياتي بصفة استثنائية ...

إننا نحن السوڤيات قدبذلنا أعظم الجهد لضمان الاتجاه العربي نحوالاشتراكية التقدمية ، وهذا الاتجاه هو العامل الأساسي الوحيد الذي سيصون إسرائيل ...

وسوف لن نسمح للنعرات العربية الأخرى أن تستيقظ بنفسها أو بمعونة الاستعمار ، لكي تحطّم ما بنيناه وما زرعناه من قواعد اشتراكية قويمة في المنطقة العربية ، فهناك تجانس واتفاق كلّي في المصلحة السوڤياتية وفي مصلحة إسرائيل ...

يجب أن لا يداخلكم في إسرائيل أو في أي وسط يهودي عالمي أدنى شكّ في أننا سنتعمد ونسعى وسننجح في معادلة القوة الاسرائيلية بالقوة العربية ، وخصوصاً في مسألة التسلّح الذري فاطمئنوا .

وسياسة الاتحاد السوڤياتي هو تجميد الطاقات العسكرية في الشرق الأوسط، ولو بأي الوسائل الفعّالة على تحقيق هذا الهدف ، فأقوى الدول العربية تسلّحاً تعتمد على الاتحاد السوڤياتي في السلاح والعتاد والخبرة الفنية اللازمة لهذا النوع من الأسلحة الحديثة المعقدة ...

والاتحاد السوڤياتي قادر على ضبط أي شطط عربي ...

ولا نعتقد أنّ الجانب العربي الاشتراكي التقدمي سيشتطّ في العداء لاسرائيل ...

نحن متيقنون من ذلك واثقون منه كلّ الثقة ، وقادرون على ضمان السلوك العربي عسكرياً ... » انتهى .

ومن النافع أن نحضر في ذاكرتنا أنّ هذا الخطاب قد جاء قبل نكبة الجيوش العربية وضياعها،وتسليم سيناء ومرتفعات الجولان للعدو أمام مباغتته في « ٥حزيران من عام ١٩٦٧ م » التي كانت معلومة للقيادات العربية أو بعضها قبل حدوثها ، كما جاء في التصريح العلني للقيادة العربية المصرية يومئذ ، وكان العذر الذي أعلنته هذه القيادة بعد تدمير اليهود للطيران المصري المكشوف في الساعات الأولى للمباغتة يتلخّص بالنقاط التالية :

١ ــ نصيحة السفير الأمريكي بضبط النفس وعدم البدء بالقتال .

٢ ــ نصيحة (أو أمر) السفير الروسي بعدم البدء بالقتال ، وكان هذا قبل المعركة التي يرتقب مباغتة اليهود بها بساعات معدودات .

٣ ــ تصوّر القيادة العربية المصرية أنّ الطيران الاسرائيلي المهاجم سيهاجم من غير الجهة التي هاجم فعلاً منها .

وبقيت أسئلة مطروحة دون جواب منها :

لماذا أقيمت حفلة النصر المرتقب لضباط الطيران في الليلة التيعلمت القيادة أنّ إسرائيل ستهاجم الدول العربية المحيطة بها في صباحها ، وفي الساعة الثامنة صباحاً ، بالتحديد ، واستمرت هذه الحفلة « شبه الحمراء » حتى قرب مطلع الفجر؟!

ولماذا أخرجت الطائرات من مخابئها ، حتى كانت مكشوفة تماماً للطيران الإسرائيلي المهاجم ، وحتى استطاع تدميرها دون عناء بسويعات معدودات ؟!

ولماذا قبلنا نصح السفراء ونحن نعلم أنّ الظافر بتدمير الطيران هو الظافر في المعركة ، ونحن نعلم أنّ الذي يملك زمام المبادهة هو الظافر في المعارك الخاطفة ، مع العلم المؤكد بأن إسرائيل ستبدأ هجومها فعلاً ؟!

إلى أسئلة أخرى كثيرة تعم الساحة العربية التي جرت فيها المعركة .

* * *

(٨) في مقابلة للرئيس السوفياتي « كوسجين » مع مندوب مجلة « اللايف » الأمريكية قال :

« نحن لا يوجد لدينا نيّات معادية ضدّ إسرائيل • في الماضي كنّا البادئين في خلقها ، ولا نزال نؤمن بأنّ إسرائيل لابدّ أن تبقى كدولة » •

وقد نشر هذا في مجلة « اللايف » في عددها الصادر في شباط « فبراير » سنة (١٩٦٨ م) وقد نقلته أيضاً مجلة « التايمس » الأمريكية في الصفحة « ٢٣ » بتاريخ « ٢ شباط سنة ١٩٦٨ م » •

* * *

(٩) وقبل عدوان الخامس من حزيران لسنة (١٩٦٧ م) قال « دافيد هاكوهين » رئيس لجنة العلاقات الخارجية ولجنة الدفاع عن الكنيست ، وقطب حزب « الماباي » الاسرائيلي :

« إنّ حاجة إسرائيل للاتحاد السوفياتي كحاجة الاتحاد السوفياتي لاسرائيل • هذه القاعدة راسخة وقديمة في العلاقات بين البلدين • ولن ننسى أن موسكو كانت أوّل من اعترف باسرائيل[1] ، وحين يجيء الوقت المناسب فسيلعب الاتحاد السوفياتي أكبر دور في تصفية المسألة الفلسطينية التي تتاجر بها الرجعية العربية • ونحن وموسكو على يقين بأنه لن يكون بيننا أي خلاف أو اصطدام على المشاريع المرسومة والمفهومة من قبل لاقرار التعايش السلمي ، وتصفية المشاكل في الشرق الأوسط » •

* * *

(١٠) وفي الحرب التي قامت بين الهند وباكستان دعم الاتحاد السوفياتي حليفته الهند ضدّ باكستان المسلمة ، في الوقت الذي تخلّت فيه أمريكا حليفة باكستان عن دعمها ونجدتها ••

---

(١) أي اعترافاً كاملاً وقانونياً .

وفي حرب رمضان من عام (١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م) التي جرت بين العرب وإسرائيل، سارعت أمريكا لانجاد حليفتها إسرائيل فوضعت ثقلها الكبير بجانبها ضد الأمة العربية، وأمدّتها بالأسلحة الضخمة المتطورة، في حين تباطأ الاتحاد السوڤياتي عن إمداد الدول العربية عند شدّة الأزمة بأسلحة الحماية وقطع الغيار، رغم كلّ وعود التساند والمناصرة القائمة بينهما.

* * *

(١١) ولمّا اتجهت مصر لإجراء الصلح المنفرد مع إسرائيل بقيادة أمريكا ومساعيها، وخالفت دول الرفض هذا الاتجاه عام (١٩٧٩ م) وقصدت روسيا لتمدها بالسلاح المتطور القادر على الثبات في وجه اسرائيل بعد انسلاخ مصر عن جبهة المواجهة، لم يكن من روسيا إلاّ الامتناع عن التسليح المطلوب، محتجة بما أسمته «التنسيق» أي على أساس التقارب السوري العراقي العسكري، علماً بأن روسيا ترتبط مع العراق بمعاهدة صداقة وتعاون، لكنّها ترفض إعطاء سورية الأسلحة المتطورة.

* * *

(١٢) وفي قضية تحرير «أريتريا» من الاستعمار الاثيوبي الظالم الغاشم، الصليبي المتعصب المعادي للأمة الاسلامية بعنف، لمّا استطاع الاتجاه اليساري في أثيوبيا أن يقفز إلى السلطة عن طريق الجيش، تحركت الشيوعية الكوبية والسوڤياتية والألمانية الشرقية بقوة لامداد الأثيوبيين بالعتاد من مختلف الأسلحة وبالرجال المقاتلين، وبالخبراء العسكريين، ضدّ المسلمين الذين يطالبون بتحرير بلادهم، وبالخلاص من التسلّط المستبد الحاقد، المضطهد للجماهير المسلمة، والمستغل لكلّ خيراتها وطاقاتها، والعامل على إبقائها في التخلف العلمي والاقتصادي والاجتماعي، وعزلها عن حقوقها الانسانية الطبيعية.

هذا مع العلم بأنّ الاتحاد السوڤياتي يعلن دائماً في دعاياته أنّه مؤيّد للحريّات، لكنه مع ذلك يخذل الأريتريين، ويشترك مع الأثيوبيين في هجومهم ضد الثوار

المطالبين بتحرير بلادهم ، رغم وجود جبهة شيوعية ضمن الثوار الأريتريين ، ويلتقي مع السياسة الأمريكية في ضرب الشعوب المسلمة ، والسير ضدّ قضاياها وحقوقها العادلة .

ومن عجيب الأمر أنّ قادة الجبهة الشيوعية في حركة التحرير الأريتيرية ، يشاهدون سادتهم الشيوعيين في الاتحاد السوڤياتي ينحازون بقوة شطر أثيوبيا النصرانية ذات القيادة اليسارية العدوة بشراسة لحركة تحرير اريتريا ، ويوجّهون ضرباتهم القوية لها ،فلا يخفف ذلك من ولائهم لهم ، ودفاعهم عنهم ، بل يعتذرون عنهم بأنهم مخدوعون من قبل الإمبريالية العالمية ، ولا يدرون أن الاتحاد السوفياتي تحول إلى دولة استعمارية امبريالية ،بل هو قد كان كذلك منذ نشأته ، إلاّ أنّ وسائله في الخداع كانت تنطلي على الشعوب التي كانت جاهلة بواقع النظم الشيوعية ، ونزعاتها الاستعمارية ، وبعد ارتفاع الأقنعة لكل ذي نظر يشاهد الواقع ظهر كذب تلفيقات النظم الشيوعية وزيف دعاياتها .

وعلى هذه الشاكلة يظهر دائماً منطق الشيوعيين ، وتظهر تبريراتهم السخيفة لجرائم سادتهم الذين يسوقونهم دائماً إلى مذابحهم بثمن بخس ، تمثله في الواقع شهوات مبذولة ، وأموال ضئيلة ، ووعود كاذبة ، تبني أحلاماً شاهقة .

ما أشدّ غباء ضحايا الزيف ؟!. وما أوقح وجوه العملاء الخونة ؟!.

وسياسة الاتحاد السوڤياتي والشيوعيين الكوبيين والألمان الشرقيين والشيوعيين العرب ضد الأريتيريين ، هي سياستهم نفسها ضدّ كلّ القضايا الاسلامية ، وقضايا الشعوب ذات الأكثرية المسلمة .

فقد تآمر كلّ هؤلاء ضدّ كلّ المسلمين في أفريقيا ، إنّ أثيوبيا النصرانية تتلقى الدعم لتحطيم مسلمي أريتريا من شيوعيي روسيا وكوبا وألمانية الشرقية واليمن الجنوبية ، فوق ما تتلقاه من أمريكا وإسرائيل .

وشارك الشيوعيون أيضاً من مختلف البلدان في العدوان على الصومال ، وأوغندا عبر تنزانيا ، ويساعدون الصليبيين السود ضدّ المسلمين في أفريقيا ، تضامناً مع الصليبية العالمية ، واليهودية العالمية ، والدول الاستعمارية .

ولكن الاتحاد السوفياتي قد يلجأ إلى النفاق في بعض الأحيان لتغطية مواقفه المعادية للاسلام وللشعوب المسلمة •

ألا فليكن المسلمون على حذر من أعدائهم أينما كانوا من الأرض •

* * *

(١٣) وقد غدت واضحة تماماً لكلّ المتتبعين مؤامرات الشيوعية الدولية ضد الشعب المسلم في عدن ، وهي مؤامرات تحاول أن تجعل من عدن قاعدة عسكرية تزحف منها إلى قلب الأمّة الاسلامية ، وأماكن مقدساتها ، ومنابع ثرواتها •

لقد زحفت الشيوعية إلى عدن ، والقرن الافريقي ، وهمت أن تدخل صنعاء •

وكان للشيوعيين العدنيين دور في حرب « أوغادين » إلى جانب أثيوبيا ضدّ الصومال المسلم ، فقد ثبت أن أثيوبيا تلقت ــ كما ذكرت آنفاً ــ دعماً عسكريّاً وبشريّاً من الاتحاد السوفياتي ، وكوبا ، وعدن ، فحارب العرب اليمنيون الشيوعيون المسلمين الأريتيريين خدمة للشيوعية الدولية ، وسياستها التي تقودها حكومة الاتحاد السوفياتي ، وقد استطاع الأريتيريون أن يقبضوا على أسرى عدنيين حاربوهم مع الأثيوبيين •

ويصف مواطن يمني واقع اليمن الجنوبية بعد تسلّط الشيوعيين عليها فيقول[1]:

« الشيوعيون اليمنيون ارتبطوا بالتبعية الكاملة للشيوعية التي يقودها الاتحاد السوفياتي ، وساروا على الطريق التي سارت عليها الشيوعية في كلّ مكان ، وكانوا أداة لأسيادهم في الخارج ،وأذاقوا شعبهم الذلّ والهوان ، وفتحوا له السجون والمعتقلات ومراكز التعذيب ، وجلبوا له الجلاّدين من كوبا وروسيا وألمانيا الشرقية، ليتفننوا في قهر الشعب المسلم وتعذيبه ، وليدبّروا المؤامرات ضدّ الدول العربية الاسلامية المجاورة لهم ، وليقوموا بحراسة أجرائهم الحاكمين في عدن ، كما يقومون بإملاء التوجيهات والتعليمات واتخاذ القرارات •

---

(١) من مجلة المجتمع العدد ٤٠٤ ص ٣٦ •

واتخذوا أسلوب المخادعة ليوهموا العرب أنهم يريدونَ الوفاق والعلاقات الطيبة مع جيرانهم ، بغية أن يتزوّدوا أكبر قدر ممكن من المساعدات التي يقوّمون بها نظامهم ، ويخففون العبء بها عن سادتهم ، وذلك في انتظار الفرصة المواتية حتى ينقضّوا على المنطقة كلها بمساعدة قوات الدول الشيوعية .

لدى كل مسؤول في الحكم العدني مستشارون من الاتحاد السوفياتي وكوبا وألمانيا الشرقية ، فلا يبتّ أمراً إلاّ بتعليم منهم .

دخلت (عدن) قوات شيوعية كوبّية مسلحة ، وسفُن " عسكرية سوڤياتية ، وطيارون سوڤيات ، وكوبيون ، وضباط مخابرات من ألمانيا الشرقية متخصّصون في التعذيب والارهاب ، وأمّ (عدن) الارهابيون الدوليون من أمكنة مختلفة في العالم ، وحملوا جوازات سفر يمنية .

إنّ عناصر الجبهة القومية الشيوعية الحاكمة الآن (عام ١٩٧٩ م) سبق أن عرفت بعمالتها للمخابرات البريطانية أيام الاستعمار البريطاني . وكان كلّ نضالهم قائماً على اغتيال الوطنيين المخلصين ، والسطو على البنوك ، والمؤسسات التجارية ، حتى سلّمتهم بريطانيا الحكم نكاية بالعرب والمنظمات الوطنية ...

الحكام الشيوعيون الملاحدة في عدن أسسوا المدارس والمعاهد التي تنشر الالحاد والكفر بالله ، فتحت اسم « المدارس الاشتراكية » و « التوعية الثقافية والايديولوجية » يعلّمون الأجيال أن لا إله ، وأن الحياة مادّة ، وينشئونها على الحقد والكراهية ضد الآخرين ، باعتبارهم أعداءهم الطبقيين ، وأنّ كلمات الرحمة والأخلاق والمثل العليا ليست سوى ألفاظ رجعية لامجال لها في الفكر الماركسي والاشتراكية العلمية التقدمية .

العدنيون اغتالوا المقدّم الغشمي كبداية للزحف على اليمن الشمالي ، لإخضاعه لنظام الحكم الشيوعي والتبعية للروس ، ثمّ الزحف على الخليج العربي والسعودية والمناطق العربية الأخرى » . انتهى كلامه

* * *

(١٤) وفي الأفغان استطاعت المؤامرات الشيوعية المرتبطة بالاتحادالسوفياتي ، والمدعومة من قبله سياسياً وعسكريّاً وماليّاً ، أن تعبث بالجيش الأفغاني ، وتستخدمه لإقامة انقلاب عسكري ، تسلّم الماركسيون به زمام السلطةالاستبدادية « الديكتاتورية » الدموية العنيفة ، ضدّ رغبة الأكثرية الشعبية المسلمة ، التي اعتصمت باسلامها ، وأخذت تقاتل الشيوعية الغاشمة بالبنادق والأسلحة الخفيفة التي تحصل عليها بصعوبة ، وتواجه بها الدبابات والطائرات والمدافع الثقيلة ، والأسلحة الحديثة الفتّاكة ، وما تزال هذه الثورة بفضل الله تتعاظم قدراتها وتتسع أعمالها ومجالاتها ، ونسأل الله أن يكتب لها الظفر والنصر المؤزر[1] .

* * *

(١٥) وفي عدوان « إسرائيل » على جنوب لبنان خلال عام (١٩٧٩ م)رفضت روسيا أن تصوت ضدّ إسرائيل في هيئة الأمم المتحدة ، وقد أذاعت النبأ مختلف الاذاعات فيحينه ، مع أنّ معظم الدول قد أدانت إسرائيل بالعدوان .

* * *

---

(١) نحن الآن في صيف عام (١٣٩٩ هـ) و (١٩٧٩ م) .

استمرار رعاية اليهودية العالمية
للشيوعية والاشتراكيات

إضافة إلى البيانات الوثائقية التي سبق أن قدّمناها حول دور اليهود في تأسيس الشيوعية ، وما يُسمّى عند الشيوعيين بالاشتراكية العلمية ، وفي إقامة تنظيماتها وثوراتها في العالم ، واستثمارها للمصلحة اليهودية العليا ، فإننا نلاحظ أنّ اليهودية العالمية ماتزال حتى يوم النّاس هذا ترعى الشيوعية والاشتراكيات المتطرّفة في كل مكان ، لأنها السبيل ـ في تقديرها وخططها التي رسمتها ـ إلى تدمير الجماعات البشرية ، وتمكين اليهود من تحقيق أهدافهم في إقامة دولتهم العالمية الكبرى التي يحلمون بها ، وما يزال اليهود في أوروبّا وأمريكا يساعدون روسيا السوفياتية ، ويقدّمون لها خدمات جلّى ، منها الخدمات التجسّسية ، ونقل أسرار الأسلحة الذرّية الفتاكة ، وسرقة الوثائق ، وسرقة مواد الطاقة الذرّيّة ، إلى غير ذلك من أمور كثيرة ، تعتبر في الأعراف الدولية من قبيل الخيانة العظمى .

ذكر « نهاد الغادري » منها في كتابه « التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية » فضائح التجسّس التالية :

أ ـ فضيحة « أميريجيا » وقد ظهرت سنة (١٩٤٥ م) وألقي فيها القبض على ثلاثة من اليهود ثبت أنهم سرقوا من ملفّات وزارة الخارجية الأمريكية (١٧٠٠) وثيقة لحساب روسيا ، وهؤلاء اليهود الثلاثة هم :

- « فليب جافه » وهو يهودي روسي الأصل .
- « أندرو روث » وهو يهودي أمريكي وملازم في المخابرات البحرية .
- « مارك غاين » وهو كاتب وُلد في أمريكا لأبوين يهوديّين روسيّين ، واسمه اليهودي « جوليوس غنتربرغ » .

ب ــ فضيحة « الدجرهيس » وهو يهودي أدين بسرقة وثائق من وزارة الخارجية الأمريكية ، وقد حكم عليه بجريمة التجسّس وسُجن ، رغم تحرك يهود أمريكا بسرعة في محاولة لإنقاذه ، وكان المدافع الأول عنه « فرانكفورتر » وهو يهودي نمسوي الأصل ، ومن أكبر العناصر اليهودية نفوذاً في أمريكا .

جـ ــ فضيحة « جوديث كوبلن » سنة (١٩٤٩ م) وهي يهودية ألقي عليها القبض وهي تعطي وثائق من وزارة العدل إلى جاسوس روسي موظف في الأمم المتحدة ، وقد اعترفت بالتجسّس ، وحكم عليها بالسجن خمسة عشر عاماً .

د ــ فضيحة « جيرهارت إيسلر » وهو يهودي اتضح أنه كان زعيماً للحزب الشيوعي الأمريكي ، وقد تستّر بأسماء مستعارة كثيرة ، وكان كثير التردد على روسيا فيما بين الأعوام من (١٩٣٥ إلى ١٩٤٧) ينقل إليها الأسرار ، وينقل منها التعليمات والأوامر .

وأسرة « إيسلر » أسرة يهودية ذات نشاط واسع في كل حقل من حقول الشيوعية والنشاط الثوري ، ولإيسلر أخت اسمها « روث فيشر » ظلّت تعمل في الجاسوسية الشيوعية من عام « ١٩٤٠ حتى عام ١٩٤٦ » .

وقد هرب « إيسلر » فيما بعد إلى أوروبّا الشرقية ، وتسلّم في ألمانيا الشيوعية المحتلة من قبل الروس منصب مديرية الدعاية .

ومساعد « إيسلر » في الحزب الشيوعي هو اليهودي « غولد برغر » واسمه المستعار « بيترز » .

هـ ــ فضيحة « كتاب هوليود » سنة (١٩٥٠ م) فقد اتضح للجنة التحقيق في النشاط غير الأمريكي ، التي أشرف عليها الشيخ « ماكارثي » أن ستة منهم هم أعضاء سرّيون في الحزب الشيوعي الأمريكي ، وأنّ الآخرين أصدقاء ، وأنّ تسعة منهم يهود ، وأنّ مهمتهم كانت كتابة « السيناريو » وحشد الدعاية الشيوعية واليهودية في كل ما تنتج هوليود من أفلام ، وهم :

١ ــ اليهودي « الفابسي » .

٢ ــ واليهودي « هربرت بيبرمان » •

٣ ــ واليهودي « لستركول » •

٤ ــ واليهودي « إدوارد دمتريك » •

٥ ــ واليهودي « رنغ لاردنرالاين » •

٦ ــ واليهودي « جون هوارد لوسون » •

٧ ــ واليهودي « ألبرت مالتز » •

٨ ــ واليهودي « سام أورتنز » •

٩ ــ واليهودي « دالتون ترامبو » •

وكان معهم « أوريان سكوت » وهو وحده الذي لم يكن يهودياً •

و ــ فضيحة « الحزب الشيوعي الأمريكي » الذي ألقي القبض على قيادته عام (١٩٤٩ م) فقد اتضح أنّ ستة من تسعة من قادة الحزب هم من اليهود ، وهم :

١ ــ « جيكوب شتاشل » وهو يهودي روسي •

٢ ــ « جون غايتس » واسمه اليهودي « إسرائيل رينغشرايف » وكان رئيساً لتحرير صحيفة « ديلي وركر » وضابطاً سابقاً في الفرقة الشيوعية التي حاربت ضد « فرانكو » في اسبانيا •

٣ ــ « غلبرت غرين » واسمه اليهودي « غرينبرغ » •

٤ ــ « غس هول » واسمه اليهودي « آرنومايك هلبرغ » •

٥ ــ « إيرفنغ يوتاش » وهو يهودي روسي الأصل •

٦ ــ « كارل وتتر » واسمه اليهودي « فيليب كارل فايسبرغ » • وقد تسلّم قيادة الحزب الشيوعي الأمريكي بعد هؤلاء مكتب سياسي من رجال الصف الثاني ، يتألف من (٢١) عضواً بينهم (١٤) يهودياً •

ز ـ فضيحة « فوخس ـ غولد » الجاسوسية الذرية ، وقد اتضح فيها أنّ « كلاوس فوخس » اليهودي الألماني الأصل ، قد نقل إلى روسيا أسراراً ذرّيـة خطيرة • وقد ألقى القبض عليه رجال المخابرات البريطانية في شباط سنة (١٩٤٩ م) وقد تبيّن بالتحقيق معه أنه سبق له أن دخل بريطانيا في مستهل الحرب العالميـة الثانية ، فألقي القبض عليه بصفته أجنبياً ومن دولة معادية هي ألمانيا • ثم أفرجت عنه سلطات الأمن بوساطة العالم اليهودي الكبير « آينشتاين » •

ثم دخل « فوخس » فيما بعد أمريكا ، وأتيح لـه أن يطلع فيما بـين عامي (١٩٤٢ م) و (١٩٤٥ م) على أخطر الأسرار الذرية ، وأن ينظـم شبكة سريـة للتجسّس ، اعتقلت منها سلطات الأمن الأمريكية تسعة أشخاص بينهم ثمانيـة من اليهـود •

وكانت قضية هذه الشبكة الجاسوسية اليهودية أخطر قضايا التجسّس خلال الحرب وبعدها ؛ إذ كان لما نقلته من أسرار ذرّية وغيرها الأثر الكبير في تعديل ميزان القوى العالمي ، وفي إنقاذ الشيوعية بعد الحرب ، وفي إطلاق قواها وتعزيز مركزها •



* * *

الفصل الرابع

بين الشعارات والتطبيق



الشيوعيّة بينَ شِعَاراتها وتطبيقاتها

خير من يصف لنا الحكم الشيوعي في تطبيقاته هم الذين عاشوا عمراً طويلاً ضمن هــذه التطبيقات ، ومن أفضلهم وصفــاً هم الذين كانوا شيوعيين ثوريين متحمّسين للشيوعية ، وقد عملوا في أجهزتهــا ، ثم فاؤوا إلى رشدهم ، وتيقظت ضمائرهم فارتدّوا عنها ، وأعلنوا فضائحها وقبائحها . وأفضل هؤلاء وصفاً هم الذين ترقّوا في المناصب حتى وصلوا إلى مراكز عليا داخــل الحكم الشيوعي ، وعرفوا من واقع هذا الحكم وتطبيقاته وخفاياه ما لم يعرفه غيرهم .

وقد زوّدنا « ميلوفان دجيلاس » بمعلومات وافرة في كتابه « الطبقة الجديدة» بوصفه قد شارك فعلاً في الشيوعية داخل الحزب وداخل الحكم ، حتى صار نائب رئيس دولة يوغسلافيا الشيوعية « تيتو » كما سبق بيان ذلك في ترجمته .

ونزيد هنا قوله عن نفسه في مؤلفه المذكور :

« وأقول باخلاص : إنني اعتنقت الشيوعية بملء إرادتي ، ووفق اعتقادي ، وبكامل حرّيتي .. إلاّ أنني ابتعدت عن الحركة الشيوعية نتيجة إصابتي بنكسة في آمالي ، وقد جاء ابتعادي هذا بصورة تدريجية وواعية ، بالطريقة التي أرسمها ، والنتائج التي أخلص إليها في مؤلَّفي هذا » .

وإنني هنا أقتبس من كتابه حقائق شاهدها على الطبيعة الواقعية في يوغسلافيا، وفي دول الاتحاد السوفياتي ، خلال ممارساته الطويلة ، داخل الحزب الشيوعي والحكم الشيوعي ، وقد أكّدت بياناته عندي معلومات أخرى قدّمتها ممارسات ومشاهدات كثيرة لآخرين كثيرين ، حتى غدت لدى المتتبعين حقائق لا تحتاج إلى أدلة لإثباتها .

على أنني من الوجهة النظرية أقول : إنها تنائج حتمية طبيعية لانعدام عقيدة الايمان بالله وباليوم الآخر وما فيه من دينونة ، لدى الشيوعيين ، فمن فقد هـذا الايمان ، وصار إنسانا مادّيّاً دنياويّاً صرفاً ، كان من الطبيعي أن ينطلق فيه الوحش البشري الثائر القلق ، الذي لا يعرف إلاّ نفسه وأنانيته الخاصة ، والذي يريد أن ينتهب اللّذات انتهاباً ، ولا يجد حرجاً في نفسه أن يتخذ أية وسيلة لذلك ، مهما كانت وسيلة إجرامية همجية شرسة ، أو ماكرة محتالة خبيثة نجسة ، وهذا ما خططت له وعملت لابلاغه غايته القيادة اليهودية العالمية .

وفيما يلي طائفة من حقائق الواقع التطبيقي للشيوعية :

أولاً :

الشيوعية في الواقع التطبيقي تتناقض مع أفكارها النظرية التي تدّعي أنّها قوانين حتمية لطبيعة المجتمع البشري ، وتدّعي أنّها تتنقّل في مراحلها المقررة داخل المجتمع البشري تنقّلاً ذاتياً ، أي ولو عن طريق الصراع الذي تخلقه الظروف ، ولكن دون حاجة إلى قيام عناصر بشرية ذات هدف وخطة ثورية لإحداث التغيير ، وذات مصالح خاصة من فرض النظام الجديد ، ودون حاجة إلى قسرٍ وإرهاب ، وتسلّط من قبل الجهة صاحبة المصلحة .

إنّها تدّعي أنّ القوانين الاجتماعية تقضي بالتغيير إلى الاشتراكية وذلك بصفة حتمية .

إذا كان الأمر كذلك فلماذا الارهاب الاستبدادي الذي يقوم به الشيوعيون ، بدءاً واستمراراً ، إلى مالانهاية له ، بغية فرض سلطانهم ونظامهم ؟! ولماذا يفرضون في مجتمعاتهم « دكتاتورية » هي أشدّ « الدكتاتوريات » المستبدّة الإرهابية في تاريخ الناس ؟

يقول « دجيلاس » :

« إنّ الشيوعية حين تتسنّم دست الحكم تتصرّف تجاه المجتمع الانساني بصورة مناقضة لمبدأ التسليم بالقوانين الموضوعية ، لتفرض أساليبهـا الإرهابية

ونظريتها الخاصة • بينما يدّعي الشيوعيون من جهة أخرى بأنّهم محققون للآمال الموضوعية للمجتمع ، وبذلك يتجاوزون بديكتاتوريتهم أشدّ الأنظمة الديكتاتورية المستبدة إرهابية » •

والنظرية الشيوعية الماركسية تزعم أنّ الطبقات ستلغى في ظلّ حكم ديكتاتورية الطبقة العاملة « البروليتاريا » التي ستعمل على تصفية الطبقات • وتزعم أنّ « ديكتاتورية » الطبقة العاملة ستزول ، وسينشأ مجتمع غير طبقي ، وعندئذٍ لا يكون هناك أية حاجة إلى وجود حكومة •

لكنّ الواقع التطبيقي كان على نقيض ذلك تماماً ، فالطبقات لم تلغ في ظلّ الحكم « الديكتاتوري » الذي يسمّى « ديكتاتورية الطبقة العاملة » والذي أقامه الشيوعيون ، وهي في الواقع « ديكتاتورية » طبقة « البيروقراطيين » أي الموظفين في أجهزة الحكم ، و « ديكتاتورية » هذه الطبقة لم تتجه مطلقاً في طريقها إلى الزوال ، بل ما زالت تزداد رسوخاً وتعميقاً •

يقرّر « دجيلاس » هذا ثم يقول :

« إنّ آراء « ستالين » التي تتحدّث عن تلاشي الدولة واضمحلالها في وقت تسير فيه باتجاه النمو والتوطّد ، وتتوسع بشكل مستمر ، وتؤدي إلى ازدياد عدد الموظفين ، لهي آراء مضحكة فعلاً ••••

ولقد انتشرت في يوغسلافيا نظريات مشابهة للنظريات الستالينية ، إلا أنها جميعاً لم تستطع أن تردم الهوة المتسعة بين النظريات الشيوعية عن الدولة ، وبما تبشر به من إلغاء الطبقات وزوال الدولة من جهة ، وبين الواقع المختلف تماماً الذي تؤكده حقيقة السلطة المطلقة ، و «الديكتاتورية» القائمة التي تمارسها «البيروقراطية» الحزبية من جهة ثانية •• » •

ثانياً :

حول الشيوعيون آراء « كارل ماركس » إلى عقيدة فلسفية ، وزعموا أنها تشكل أسس النظام العلمي الأوحد ، وقدموا أنفسهم ممثلين وحيدين للنظرة والمنهج العلميين الوحيدين ، بينما هم في واقع الحال يمثلون طبقة ناصبت العداء مجموعة

الأفكار الإنسانية السابقة ، واستطاعت فلسفتهم أن تبني قوتهـا في الواقع على ما لديها من قدرة على تشويه الواقع ، وإثارة الطبقة العاملة وتضليلها ، لا على قوة الحقائق العلمية ، إذ ليس لديهـا حقائق علمية مطلقاً ، إنما لديهـا أوهام وأكاذيب وخرافات مزخرفة ، تحمل شعارات العلمية •

لذلك فان الشيوعية لا يمكن أن تحقق ثورتهـا في البـلدان المتقدمة علمياً وصناعياً واقتصادياً ، وإنما قد تحققها في البلدان المتخلفة ، أو عن طريق استخدام القوة العسكرية لدولة شيوعية كبرى ذات قوة ، كما حصل في بعض بلدان أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية ، إذ قامت الشيوعية فيها بقوة سلاح الجيش الأحمر الروسي •

يقول « دجيلاس » :

« قدم « كارل ماركس » قاعدة علمية ظاهرياً لتضليل الحركة العمالية ، بينما تأثر خلفاؤه بمناخ مغاير ، دفعهم إلى تحويل آرائه إلى مذهب عقائدي يرتبط مع الاحتياجات السياسية الكاذبة لحركة الطبقة العاملة الأوروبية • واستطاعت هذه الفلسفة أن تبني قوتها ليس على قوة الحقائق العلمية ، وإنما على قدرتها على تشويه الواقع ، وإثارة الطبقة العاملة وتضليلها •

وهذا ما يفسر ضعف نفوذها في كل من بريطانيا وأمريكا ، لعدم توافر الظروف المناسبة التي تسمح لها بالقدرة على التضليل السياسي •• » •

يقول أيضاً :

« لقد خلص لينين ــ انطلاقاً من نظرية ماركس واستنتاجاته في قضية الثورة ــ إلى أن الثورة ستتم بادىء ذي بدء في البلدان الرأسمالية الأكثر تقدماً وتطوراً •••

غير أن الماركسية لم تستطع أن تنفذ إلا إلى البلدان المتخلفة صناعياً ، مثل روسيا أولاً ، ثم الصين ، وذلك عن طريق هيمنة العقيدة الشيوعية •

أما في البلدان المتطورة المماثلة لألمانيا فلم تستطع الملامح الثورية للتعاليم الماركسية ، أن تجـد لهـا مكاناً في وقت سيطرت فيـه الأفكـار الديمقراطية الاصلاحية •••• » •

ثم يقرر :

« أنه لم يبق بصورة تقريبية أي شيء من الماركسية الأصلية ، فقد انتهت في الغرب ، أو هي أوشكت على لفظ أنفاسها الأخيرة ، أما في الشرق فلم يبق منها سوى ملامح فلسفية ضئيلة ، مرتبطة بالمادية الجدلية ، وبنزعتها الحتمية ، نتيجة لاقامة الحكم الشيوعي فيه ... » .

وأُعلّق هنا فأقول :

لما كانت الشيوعية بطبيعة تكوينها لا تقوم إلا في البلدان المتخلفة ثقافياً واقتصادياً ، نتيجة لأكاذيبها التي تغرر بها العمال والكادحين ، والذين لا يملكون مستوى ثقافياً مرتقياً ، وجدنا أن الحركات الشيوعية وأحزابها تعادي بعنف شديد كل إصلاح اقتصادي ، وكل تطور اجتماعي إلى الأفضل ، وتعادي بعنف أشد كل حركة إسلامية ، وكل تطبيق إسلامي ، لأن ذلك يدفع بالأمة إلى سبيل الارتقاء والتقدم ، وإقامة العدالة الاجتماعية ، وهذا يقطع الطريق على الثورة الشيوعية ، ويمنعها من أن تمد أيديها ، وتوقد نيرانها المدمرة .

لذلك فهي تدعم سراً النظم الرأسمالية المسرفة التي لا تحقق أي وجه من وجوه العدالة الاجتماعية ، بغية إيجاد المناخ الملائم لإقامة ثورتها .

كما أنها تسارع إلى البلدان المتخلفة علمياً واقتصادياً ، فتبذر فيها بزورها ، وتشتري الشياطين والمجرمين ، والطامعين والحاقدين ، وتسوق القطعان الجاهلة المتخلفة ، وتخدعها بضلالاتها ، وبما لديها من زيف كثير مهرته بشكل منقطع النظير ، خلال ممارساتها الطويلة في حركاتها وثوراتها .

وأذكر بهذه المناسبة أن بعض المسؤولين في سورية استجاب لمطالب المسلمين في اتخاذ الوسائل لتطبيق نظام الزكاة في الاسلام ، فأراد أن يؤلف لجنة لاعداد مشروع عملي يتم به تحقيق المطلب ، لكن العناصر الشيوعية والاشتراكية سارعت لإحباط الفكرة من أساسها ، والوقوف دون انعقاد اللجنة ، حتى لا توضع الفكرة موضع بحث أصلاً . كما وجدناهم يحاربون فكرة الجمعيات الخيرية التي تقوم

بجباية الزكاة وتوزيعها على المستحقين من الفقراء والمساكين ، في الأحياء والمناطق والحارات ، بزعم أنهم لا يريدون أن يقدموا للفقير إحساناً ، وإنما يريدون أن يقيموا نظاماً عاماً يصلحون فيه الوضع الاقتصادي إصلاحاً جذرياً ، ويوزعون فيه الثروات توزيعاً جديداً عادلاً .

ثالثـاً :

زعم « ماركس » أن أوضاع الطبقة العاملة في أوروبا الغربيـة ستتردى ، وسيزداد فقرها ، وستقوم فيهـا الثورة الشيوعية بصفة حتمية ، وقد استخلص نظريته من واقع هذه البلاد .

إلا أن التطورات اللاحقة للمجتمعات في أوروبا الغربيـة قد أثبتت بطلان مزاعم « ماركس » إذ أدت للتطورات التطبيقية للعلوم المادية « التكنولوجية » في الغرب ، وتطور القدرة الانتاجية إلى تحسين أوضاع الطبقة العاملة ، وصار مـن المتعذر فيها قيام ثورة شيوعية ، وصار التفكير فيها تخريفاً لدى أصحاب نفوس مريضـة .

وانعكست الآية تماماً في مجموعة بلدان أوروبا الشرقية في ظل الشيوعية ، فأمسى الفقر فيها مستشرياً بشكل مروع .

يقول « دجيلاس » :

« أما فيما يخص نظريات « ماركس » حول تردي أوضاع الطبقة العاملة ، وازدياد فقرها ، فإن التطورات اللاحقة للمجتمعات التي أوحت إليه بنظرياته هذه ، قد أثبتت بطلانها .

إلا أنها أثبتت صوابها ــ كما يقول « هيوستون واتسون » في كتابه « من لينين إلى مالنكوف ــ ليس في أوروبا الغربيـة ، وإنما في مجموعة بلدان أوروبا الشرقية في ظل الشيوعية[1] ...

---

(١) أي كان الواقع على عكس نظرية ماركس تماماً .

وأصبح الفقر مستشرياً بشكل مروع ومثير للرهبة والفزع في روسيا والبلقان وآسيا ٠

فلقد أدت التطورات « التكنولوجية » في الغرب ، وتطور القدرة الانتاجية إلى تحسين أوضاع الطبقة العاملة ، واتجهت الأنظار للنضال من أجل الاصلاح الاجتماعي ، ولرفع مستوى المعيشة ، مع الأخذ بأنظمة الحكم البرلمانية ٠ حتى باتت « المثل الانقلابية » و « المبادىء الثورية » مجرد خرافة يثيرها أصحاب المخيلات المريضة ، والنيات الخبيثة ٠٠٠ » ٠

وتعليقاً على هذا أقول :

لو أن البلاد الاسلامية والشعوب المسلمة ، طبقت في واقعها العملي نظام الاسلام في الشؤون الاقتصادية والشؤون الاجتماعية المختلفة ، لما استطاعت الشيوعية ولا غيرها ، أن تجد مناخاً ملائماً لبذر بزورها ، فضلاً عن نماء هذه البزور وامتدادها في ساحة من الأرض تشكل خطراً على الأمة الاسلامية ، وبلدان المسلمين، وتدفع بها حتى تكون فريسة بين أنياب ذئاب الدول الكبرى الطامعة ٠

رابعاً :

انشقت الحركة الاشتراكية في العالم إلى جناحين :

الأول : الجناح الاشتراكي الاصلاحي ، وبقي في الغرب ، وتمثله الأحزاب الاشتراكية التي لا تدعو إلى الثورة الدموية ٠

الثاني : الجناح الشيوعي الذي يدعو إلى الثورة الدموية ، وتقويض الانظمة القائمة ، وهذا الجناح هو الذي انتقل إلى الشرق ، واستغل أوضاع روسيا القيصرية المتردية ، فاستولى على الحكم عن طريق إضرام الثورة الحمراء ٠

أما بلدان أوروبا الشرقية ، وهي : « بولونيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، والمجر ، ورومانيا ، وبلغاريا » فإن النظام الشيوعي قد فرض عليها بالحديد والنار ، على يد الجيش الأحمر الروسي ٠

يقرر « دجيلاس » هذا ، ثم يقول :

« ففي مجموعة هذه البلدان كانت الحركات الشيوعية ضعيفة جداً ، ففرضت « الثورة » عليهـا فرضاً عن طريق توريدها من الخارج « أي من روسيا » وعن طريق استخدام الآلة الحربية العسكرية الروسية ، وخلال ظروف الحرب ..

وتيجة لهزال الحركة الشيوعية في مجموعة هذه البلدان ، لم يجد شيوعيوها بدأ من قبول الهيمنة المطلقة للحركة الشيوعية في روسيا . لاسيما وأن الشيوعيين الروس قد فرضوا نظامهم على هذه الدول بالقوة والحديد والنار .... » .

خامساً :

إذا كانت الثورات في التاريخ قد تلجأ إلى العنف حينما يكون العنف هو الطريق إلى إزالة القوى التي تقف عائقاً أمام التطور الاجتماعي ، فان الأساليب الارهابية والاستبدادية التي كانت تلجأ إليها القوى الثورية ، لا تعدو أن تكون ظاهرة مرحلية مؤقتة ، ثم تتحول إلى « ديمقراطية » سياسية .

والثوريون السابقون كانوا يعتقدون أن أعمال العنف وأساليب الإرهاب شر لا بد منه ، ووسيلة لغايـة ، وحين تستقر الأوضاع تغدو أعمال العنف ووسائل الإرهاب فاقدة أي معنى ، وخالية من أية ضرورة ، وسخيفة بحد ذاتها ، بل هي تشكل عقبة في طريق الاصلاح المنشود .

باستثناء الثورات الشيوعية المعاصرة ، والثورات التي درجت على منهجها واستخدمت أساليبها ، فإن أساليب العنف والقوة ، وأعمال الإرهاب الفظيعة قد غدت من الأمور الحيوية لديها ، بل غدت في تصور الثوريين الشيوعيين هي الشرط الأساسي لامكانية التقدم ، في ظل الحكم الشيوعي الإرهابي الأسود ، وغدا العنف الثوري وأساليب الإرهاب الدموي لديهم جانباً عقائدياً ارتقى إلى درجة العبادة والتقديس ، وتحول بذاته إلى هدف رفيـع وغاية نبيلة ، وبذلك فرض الحـكم الاستبدادي الجائر بقاءه واستمراره .

وكانت الثورات السابقة تبني المجتمع الجديد على عناصر ذات رصيد في بناء المجتمع قبل الثورة ، وذات دور إصلاحي فيه ، فهي متممة بناء وقفت في طريقه المعوقات •

أما الثورات الشيوعية فقد تركزت أهدافها على بناء مجتمع جديد كلياً ، وتوليد قوى اجتماعية جديدة ، دون أن يكون لمثل هذه القوى دور تاريخي فعال في المجتمع السابق •

وكانت الثورات الاجتماعية والاقتصادية تندلع في نطاق الأوضاع والظروف الملائمة لنجاحها ، وفي مجتمعات بلغت درجة الاستعداد والنضج لتقبّل مرحلة جديدة من مراحل التطور ، ولم تكن هذه الثورات معتمدة على الحرب الأهلية ، ولا معتمدة في نجاحها على انهيار الجهاز الوطني للدولة •

بخلاف الثورات الشيوعية فقد ظلت الحرب الأهلية مع ما يرافقها من انهيار الجهاز الوطني للدولة هي القاعدة العامة والشرط الأساسي لنجاحها ، واستيلائها على الحكم •

والسبب في ذلك أن الثورات الشيوعية لا تستطيع أن تصل إلى الحكم وتستأثر به ، إلا عن طريق الحرب الأهلية ، والانهيار الكامل للجهاز الوطني للدولة ، واستمرار أعمال الإرهاب والعنف والقتل الجائرة السوداء ، وحين يستطيع الشيوعيون سرقة ثورة غيرهم ، فانهم لا يستطيعون المحافظة على الحكم إلا عن طريق الإرهاب الدموي، ووسائل العنف الاجرامية المتوحشة الشرسة، لأن الجماهير بأكثريتها لا يمكن أن تقبل النظام الشيوعي بطريقة الاختيار الحر ، إذ هو لا يمكن أن يتفق مع مصالح معظم الناس ، بل هو لمصلحة قلة مستبدة تفرض نفسها بالقوة وقتل كل خصم ، أو إكراهه بالإرهاب ، فهو بمثابة عصابة لصوص مسلحين ، في مدينة ليس في أيدي أهلها سلاح ، وليس لها جيش يحميها ويدافع عنها •

سادساً :

من طبيعة الثورات الشيوعية أخذاً من واقعها المتكرر ، أن تركب موجات الاستياء ، التي تندفع ضـد نظام الحكم القائم ، دون أن تستطيع الانفراد بإقامة ثورتها ، حتى إذا كتب للموجات المستاءة أن تسقط الحكم القائم ، كانت الحركة الشيوعية أسرع إلى انتهاز الظرف ، وأخذ الحكم من الذين تحركوا لاسقاطه ، ثم يتحركون بسرعة للاستبداد ، مستغلين قوى الثورة التي لم تكن لهم ، ثـم يتوجهون بسرعة لضرب العناصر الثائرة من غيرهم بكل قسوة وعنف ، وعندئذٍ يستأثرون بالسلطة ، ويعملون على تصفية كل عنصر غير ماركسي من جهاز الدولة الجديدة ، مهمـا كان ذا نضال فعال في إسقاط الحكم السابق ، الـذي توجهت النقمة ضده .

ثم لا تزال الثورات الشيوعية يأكل بعضها بعضاً ، حتى تكون خالصة في يد الموجهين الدوليين لحركاتها ، وتسير في الخط المرسوم لها ، دون نزوع إلى الانفراد أو الاصلاح الحقيقي .

يقول « دجيلاس » :

« إن الثورة الشيوعية ، كالهرة التي تأكل أولادها ، ولكن ليس جميع أولادها . فالاصطدامات لا بد أن تتم بصورة حتمية بين القوى المختلفة ، التي تتباين آراؤها حول السبُل الواجب اتباعها لتوطيد الحكم في المستقبل ، في حركة تصفية مستمرة تُشنّ في نطاق الاتهامات المتبادلة ، وحول المواضيع العقائدية ، وحول العناصر المتهمة بكونها عميلة للرأسمالية الوطنية أو للرأسمالية الأجنبية ..

والفريق الذي يخرج منتصراً عبر عمليات التصفية الطويلة ، يظل هو الفريق الأكثر تشدداً وتصلباً ، لتركيز السلطات جميعها بيد الأجهزة الحكومية المنبثقة عن الحزب ، والمهيمنة على القوى الانتاجية كلها ..

أما الثوريون الذين آمنوا بسذاجة وبلاهة إيماناً حرفياً بمجموعة أفكار الثورة وشعاراتها ، فلا بد للثورة من أن تصفيهم وتضحي بهم ، طيبة بذلك نفساً ... » .

سابعاً :

الأحزاب والتنظيمات والثورات والدول الشيوعية كلها ذات قيادات مركزية عليا مستبدة « ديكتاتورية » لا نهاية للسلطة الاستبدادية « الديكتاتورية » فيها .

هذا هو حال الشيوعية قبل وصولها إلى الحكم ، وبعد وصولها إلى الحكم ، فهي لا تسمح بأي تنفسٍ حر « ديمقراطي » يتعلق بأعمال الحزب وسياسته ومصالحه ، وإن كانت في شعاراتها الكاذبة تحمل فيما تحمل لفظ « الديمقراطية » . لكن الشعارات التضليلية شيء ، والواقع التطبيقي شيء آخر .

يقول « لينين » فيما نقل « دجيلاس » :

« لا يمكن لأي حزب شيوعي أن يؤدي واجبه على أكمل وجه في المرحلة الراهنة للحرب الأهلية الدموية ، إلا إذا كان قائماً على أسس التنظيم المركزي ، يسيطر عليه نظام داخلي حديدي مماثل للنظام العسكري انضباطية ، وأن يكون جهازه المركزي جهازاً صلباً ومتسلطاً ومتمتعاً بالصلاحيات الواسعة ، وبالثقة الكاملة لمجموع أعضاء الحزب » .

ويقول « ستالين » في مؤلفه « أسس اللينينية » : « هذه هي الحالة القائمة ، والمتعلقة بالنظام الداخلي للحزب ، في إبان مرحلة النضال السابقة ، على توحيد الديكتاتورية .

ومن الواجب أن يقال الشيء ذاته ، وبالأحرى أن يشدد القول وبصورة أعظم ، على طبيعة النظام الداخلي للحزب ، بعد تحقيق الديكتاتورية وتوطيد أسسها » .

من هذا يتبين أن الديكتاتورية بعد وصول الشيوعية إلى الحكم ، تكون أشد وأعنف وأقسى منها قبل الوصول إلى الحكم ، وهي في كلٍّ من الحالين القاعدة الأساسية لإقامة التنظيمات الشيوعية .

والثورات الشيوعية لا يمكن لها أن تتوطّد وتستمرّ إلاّ من خلال الأساليب الاستبدادية المطلقة ، المقرونة بالاكراه الدموي ، تمارس ذلك القيادة المركزية

للحزب ، على من دونهـا في الحزب ، وعلى الجماهير غير الحزبية ، كما يمارسه الحزب بصفة عامة ضد الجماهير التي يفرض عليهـا سلطته من عامة الناس غـير الحزبيين .

يقول « دجيلاس » :

« تبقى لدى الحركة الشيوعية أسبابها الذاتية للنزوع نحو الديكتاتوريـة الفردية ، فالسلطة هي الهدف الأخير ...

إنّ التعطّش للسلطة والحكم أمر لا يمكن تخفيف حدته لدى الشيوعيين ، وصراعهم الدموي في سبيل بلوغ مآربهم يرتفع لديهم إلى درجة التقديس .. »

ثامنـاً :

ينطلق الشيوعيون من خلال التزامهم بمفاهيم الحرب الطبقية إلى تشديـد القتال مع جميع الطبقات والقوى السياسية والعقائدية المخالفة .

وهم لا يكتفون بمحاربة قوى المعارضة الراهنة ، بل يتجهون مـن خـلال الأحقاد الطبقية إلى القضاء على كلّ القوى التي يرون أنها قد تتحوّل إلى قوى معارضة لهم في المستقبل .

وانطلاقاً من هذه النظرية الطبقية شديدة الحقد ، عمـل الشيوعيـون على تصفيـة آلاف الناس في دول البلطيق خلال فترة وجيزة من الزمن ، استناداً إلى وثائقهم الدالة على اعتناق الضحايا عقائد سياسية مخالفة للشيوعية .

وعلى هذا الأساس تمّت المذبحة الرهيبة التي ذهب ضحيتها ألوف الضباط البولونيين ، في أحراج « كاتين » ، والتي تشير إلى الحقيقة الواقعـة ، وهي أنّ الأساليب الارهابية السوداء ،ووسائل الاضطهاد والظلم ، تبقى ضرورية وأساسية بالنسبة إلى الشيوعية ، لتوطيد الحكم خلال الثورة الحمراء ، وبعدها .

بل دلّت التجارب الماضية على أنّ الأساليب الارهابية تزداد شراسة وهمجية بعيد الثورة ، كما جرى في مسألة القضاء على المزارعين الصغار « الكولاك » .

يقول « دجيلاس » :

« وبالرغم من أنّ وسائل القمع وأساليب الاضطهاد تبقى قائمة ، إلاّ أنّها تؤوّل على أساس أنّها ظاهرة مؤقتة ، تنتهي مع انتهاء الحزب من تصفية مقاومة السلطات الحاكمة السابقة ، والقضاء على العناصر المعادية للثورة ، ومع إتمام مرحلة التصنيع » •

أقول : ولما كان الاسلام بعقائده ومفاهيمه يشكل عنصراً مخالفاً بشكل جذري وعنيد للشيوعية ، كان المسلمون الملتزمون باسلامهم هدفاً للتصفية التامة من قبل الشيوعيين ، وكان الاسلام قوة عقائدية تحاربها الشيوعية بلا هوادة ، وإن اضطرت إلى مهادنته أو النفاق له أو التستّر به في بعض الظروف وفي بعض الموضوعات •

تاسعاً :

الحكم الشيوعي كما هو حكم استبدادي « ديكتاتوري » هو حكم « بيروقراطي » أي حكم طبقة الموظفين في أجهزة السلطة من أعضاء الحزب ، وتعظم المنافع الخاصة لهذه الطبقة الحاكمة بحسب ارتقاء كلّ فردٍ منها في مستوى السلطة، حتى تحظى قمّة الهرم بربوبية متسلطة على كلّ شيء ، لا تدانيها ربوبية فراعنة مصر الأقدمين ، في حين يرسف الشعب المحكوم بالشيوعية بأغلال عبودية مقيتة حزبية كئيبة ذليلة لا تشبهها أية عبودية سلفت في تاريخ المعذّبين في الأرض •

لذلك لا يقبل الحكم الشيوعي بانشاء أجهزة قضائية مستقلة ، ترعى الحقوق المدنية للفرد •

ولم يزل الحكم الشيوعي رغم مرور (٦٠) عاماً على استئثاره بالسلطة غير مهتمّ بانشاء أجهزةٍ قضائية مستقلة ، وظلّ مستبدّاً بكلّ شيء ، فهو الخصم وهو الحكم •

وما طبّق من أنظمة ، كالتأميم ، والتعاونية الالزامية ، وفرض الضرائب المرتفعة ، واختلاف الأسعار ، ثمّ دكّ أسس الملكية الفردية ، وتحويلها إلى ملكية جماعية ، كان بهدف جني المرابح الوفيرة للطبقة « البيروقراطية » الجديدة ، وتثبيت سلطتها ، وتحقيق ضمانة ثابتة لمستقبل الحكم •

يقرر « دجيلاس » هذا ، ثم يقول :

« إنّ توطيد ملكية الطبقة الجديدة قد تمثل في مجموعة التطورات الطارئة على سيكولوجية أعضائها ، وعلى نمط حياتهم ، وعلى وضعهم المادّي ، نتيجة للمراكز التي احتلّوها في نطاق السلّم الحزبي ...

ولقد حاز الكبار من أفراد النخبة الممتازة على أفضل المساكن والبيوت ، كما شيّدت لهم الأحياء الخاصة ، ومنازل الاصطياف ، وحصل أمناء سرّ الحزب ، ورؤساء البوليس السرّي ، ليس على السلطة العليا فحسب ، بل حصلوا أيضاً على أجمل المساكن وأفخم السيارات ، وغير ذلك من مظاهر الأبهة والعظمة والامتيازات الخاصة ، أمّا بقية الأعضاء الذين هم من دونهم مرتبة ، فقد حازوا على امتيازات متناسبة مع مراكزهم الحزبية والادارية ...

وبذلك تحولت ميزانيات المقاطعات ، واعتمادات البناء والتعمير ، ومشاريع إعادة التعمير ، التي يتم تنفيذها لسدّ حاجات الدولة عن أهدافها ، وغدت موارد لا ينضب لها معين تدرّ المنافع الهائلة على « البيروقراطية » السياسية ...

ويقول « دجيلاس » أيضاً عن الحكم الشيوعي :

« إنّ « البيروقراطية » الحاكمة ، هي التي تقوم ـ بصورة رسمية ـ بكل الأعمال ، من استخدام ، إلى إدارة ومراقبة جميع الممتلكات المؤمّمة ، والمصالح التي أخضعت لسيطرة النظام الاشتراكي ، والدور الذي تلعبه « البيروقراطية » الحاكمة من احتكار الموارد ، والمراقبة التي تفرضها على الدخل القومي ، قد قادها إلى مركز مرموق خاصّ ...

وفي الحقيقة إنّ الطبقة « البيروقراطية » الشيوعية الجديدة صاحبة الامتيازات الضخمة ، تستخدم جهاز الدولة كستار وأداة لتحقيق مآربها وأغراضها الخاصة ...

والدولة الشيوعية تتجه في النهاية إلى خلق شكل جديد من أشكال الملكية ، وخلق طبقة حاكمة مستثمرة جديدة .

لقد كان الشيوعيون ـ بطبيعة الحال ـ غير قادرين على التصرّف بصورة مغايرة لتصرف الطبقات الحاكمة السابقة ، وهم حين يعتقدون بأنهم يناضلون في سبيل بناء مجتمع مثالي من طراز جديد ، إنما كانوا يعملون في الحقيقة لخدمة مصالحهم الخاصة ، ومن خلال الأساليب الوحيدة التي تمكنهم من الوصول إلى الحكم ...

وإنّ الطغيان الشيوعي والارهاب في أساليب الحكم ، هما الضمانة لامتيازات طبقة جديدة تبرز على المسرح السياسي ...

إن الثورة الشيوعية قد أُشعلت بهدف إلغاء الطبقات وإزالتها من المجتمع ، إلاّ أنّها قد كوّنت في النتيجة طبقة جديدة بكلّ ماتحمله من إرهاب وطغيان ، عن طريق تركّز الثروة والسلطة بين يديها الملطختين بالدماء ...

وقد سبق لـ « ستالين » أن أعلن في أعقاب نهاية مشروع السنوات الخمس الأول ، قوله : « لو لم نبادر إلى خلق الجهاز لكنّا منينا بالفشل » .

ولو أنّ « ستالين » وضع كلمة « الطبقة » بدل كلمة « الجهاز » لازداد كلامه وضوحاً ...

إنّ الثورات الشيوعية في كلٍّ من روسيا وبلدان المعسكر الشيوعي الأخرى ، استطاعت أن تنشىء القوى والقادة والمنظمات ومجموعة الأفكار الدعائية التي تحتاجها ، ومن ثمّ اتجهت إلى إيجاد طبقة جديدة دفعتها إلى مسرح الواقع ، نتيجة لعوامل وأسباب موضوعية ، وبرغبة أكيدة وعلم سابق من القادة والزعماء الشيوعيين ، لانشاء جهاز « بيروقراطي » متسلط ...

إنّ المنشأ الاجتماعي لفلسفة الطبقة الجديدة يقوم على العمال «البروليتاريا» فكما سبق وانبثقت « الارستقراطية » من المجتمع الفلاحي ، وظهرت «البورجوازية» في مجتمع تجاري مهني ، خرجت « البيروقراطية » من بين القوى العمالية ...

ومن جهة أخرى فإنّ تعلّق الطبقة العاملة بأوهام تحقيق مجتمع اشتراكي شيوعي ، خال من الاستثمار وقائم على العدالة ، واندفاعها وراء هذه الأوهام ، يقود بدوره لدعم مواقف الطبقة الجديدة .

إنّ الطبقة « البيروقراطية » الجديدة لا تستطيع أبداً أن تقطع صلاتها مع الطبقة العاملة ، إذ أن من الطبيعي أن تحافظ على معدلات نمو الانتاج ، بل وأهم من ذلك ، فإنها لا تستطيع أن تحقّق التصنيع ، وتفرض سيطرتها الكاملة على المجتمع دون الاعتماد على مساعدة الطبقة العاملة . كما أنّ هذه الأخيرة تعتقد واهمة أن الدخول إلى مجال الصناعة المتقدمة سيؤمّن لها الخلاص من الفقر ، والخروج من لجج اليأس والقنوط ...

إن الاهتمام الذي تبديه الطبقة الجديدة بـ « البروليتاريا » والفقراء ، يرتبط بالأهداف المنصبّة على تنمية الانتاج ، والعمل على إبعادها عن التمرّد والثورة على الحكم الجديد ، وإبقائها راسفة في أغلال العبودية .

إنّ الاحتكارات التي تقوم بها الطبقة الجديدة بتوطيدها ، وتفرض سيطرتها على جميع جوانب المجتمع ، وذلك باسم الطبقة العاملة ؛ هي احتكارات تصيب الطبقة العاملة أوّل ماتصيب ...

وهكذا نجد أنّ الطبقة الجديدة تقوم بحركة تضليل واسعة ، بأكبر عملية خداع ...

وممّا تقدم نجد أنّ أبناء الطبقة العاملة هم أكثر القوى ثباتاً في خدمة الطبقة الجديدة . وليس هذا من الأمور المستغربة ، فلقد قضت أقدار العبيد على الدوام أن يكونوا من أكثر المتحمسين لخدمة أسيادهم ...

إنّ العضوية في الطبقة الجديدة للبيروقراطية السياسية ، وليدة الحزب الطبقي الجديد ، تنعكس آثارها بحقّ التمتع بالامتيازات الواسعة ، ودخل أكبر من السلع المادّية ...

إنّ الامتيازات الطبقية للبيروقراطية السياسية ، تصرّح عن نفسها بصورة عملية كحق خاص من الحقوق والاحتكارات الحزبية ، يمنح الطبقة الجديدة حق توزيع الدخل القومي ، وتحديد رواتب الموظفين ، وتوجيه التنمية الاقتصادية ، والتصرّف على هواها بالممتلكات المؤممة وسواها .

إنّ هذه هي نظرة الفرد العادي للامتيازات الطبقية ، في وقت ينظر فيه إلى الموظف الشيوعي بأنه رجل ثري جدّاً ، وليس مضطرّاً للعمل في سبيل معاشه ...

إنّ الملكية الفردية قد أثبتت أنّها لا تلائم مطامح الطبقة الجديدة لتوطيد سلطتها ...

إنّ السلطة الجديدة تحرز سيطرتها وامتيازاتها وتقاليدها تبعاً لنوع جديد من الملكية ، يعرف باسم الملكية الجماعية ، أو الملكية التعاونية ، التي تديرها الطبقة الجديدة ، وتوزّعها على هواها باسم الأمة والمجتمع ...

في فترة حكم « ستالين » أصبح الحزب مجموعة من الرجال البعيدين عن الاهتمامات العقائدية ، ويكتفون بتلقي التوجيهات من القمة . إلاّ أنهم يشكلون كتلة واحدة متراصة ، ويداً واحدة للدفاع عن النظام القائم الذي يؤمن لهم امتيازات جمّة ...

وبذلك تحوّل الحزب إلى مجموعة من الأفراد لا طابع لهم ولا لون ، وغدا الحزب ينظر إلى جماهير الشعب ، وكأنها مجموعة من الرعايا الخاضعين لحكمه ، أو المتآمرين عليه العاملين في صفوف أعدائه ...

إلاّ أنّ ظهور هذه الطبقة الجديدة وتوطيدها لمواقعها في الحكم والادارة ، لم يتمّ ببساطة وسهولة ، بل إنه على العكس من ذلك قد لاقى مقاومة عنيفة من الطبقات الأخرى ، ومن القوى الثورية المضلّلة ، والتي لم تستطع أن توفق بين الحقيقة المرّة القائمة وبين أوهام مثلها التي غذّاها القادة الشيوعيون ...

تحول الحزب الشيوعي الحاكم إلى طبقة جديدة ، ليس همّها إلاّ التمتع بلذاذات الحياة اليومية ، والتمتع بالامتيازات المادّية ، بينما كانت جماهير الشعب الروسي قد أتعبتها الحروب الطاحنة ، وأثخنتها الجراح الدامية ، وأرهقتها عوامل الجوع والدمار .

كانّ همّ ستالين الوحيد أن يجلس على قمة القوة الجديدة ...

الطبقة الجديدة ... تشعر بصورة فطرية بأنّ الثروات القومية باتت ملكاً لها ،وأنّ مفاهيم « الملكية الاشتراكية » و « الملكية الجماعية » أو « أملاك الدولة» قد غدت في نظرها مجرد خرافة قانونية رائجة ...

إنّ الدولة الشيوعية لا تنفكّ تسعى إلى إلغاء شخصية كلّ من الفرد والأمّة ، بل إنّها لا تتوانى عن طمس شخصيّة ممثليها أنفسهم ، إذ أنها تعمل لتحقيق طموحها في تحويل الدولة بأكملها إلى دولة موظفين « دولة بيروقراطية » ، كما تطمح في الوقت نفسه إلى تنظيم جميع مرافق الحياة حسب هواها ، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر ، وللسيطرة التامة على مرتبات الموظفين وأجور العمال ، وعلى المرافق السكنية ، بل إن طموحها يتعدّى جميع هذه الأمور ، حين تهدف إلى إخضاع جميع أشكال النشاط الفكري لسيطرتها المطلقة ... » .

عاشراً :

يعتمد الحكم الشيوعي على الترويج الدائم لأعظم الأوهام وأكثرها استمراراً ، وهي في حقيقتها أساليب كاذبة لخداع الجماهير وتضليلهم،وما قطع الحكم الشيوعي على نفسه من عهود ووعود لم يحقق منها إلاّ النزر اليسير ، مما يقع منها في الدرجة الثانية من الأهمية ، بل كثيراً ما قام بتنفيذ نقيضها تماماً .

فمن الأوهام التي يروّجها الحكم الشيوعي ما يلي :

أ ــ الحكم الشيوعي يضع الأسس المادّية لبناء مجتمع جديدٍ قائم على الحريّة والعدل . وهذا وهم لم يتحقّق ، ولا يمكن أن يتحقّق في ظلّ النظام الشيوعي أبداً .

ب ــ يبشر الزعماء الشيوعيون أمثال : « لينين ، وستالين ، وتروتسكي ، وبوخارين » بأنّ تطبيق المبادىء الشيوعية سيفضي إلى تلاشي الدولة واندثارها ، وإلى تعزيز الديمقراطية ، وسيفضي أيضاً إلى رفع مستوى المعيشة .

ولكنّ الذي حدث بعد « ستين سنة من قيامها » هو عكس ما بشر به زعماء الشيوعية تماماً ، فالديمقراطية لم تقم ، بل استمرت الدولة ذات السلطة الاستبدادية « الديكتاتورية » المطلقة ، المستأثرة بكل شيء !! وارتفاع مستوى المعيشة لم يحدث ، بل الذي حدث هو الانخفاض العام في هذا المستوى .

يقول « دجيلاس » :

« فمن توقعاتهم التي ضخمتها التطوّرات اللاحقة ، تصوّراتهم حول تلاشي الدولة واندثارها ، وتعزيز الديمقراطية ، إلاّ أنّ النتائج قد أثبتت خطأ توقعاتهم ، وبرهنت الأحداث على أنّ الذي حدث في دول المعسكر الشيوعي هو عكس ذلك تماماً . كما توقعوا في الوقت نفسه أن يصار إلى رفع مستوى المعيشة ، ولكنّ الذي جرى هو الانخفاض العام للمستوى الحياتي في المعسكر الشيوعي ، وعلى الأخصّ في دول أوروبّا الشرقية المغلوبة على أمرها ، والواقعة تحت الحكم السوفياتي المباشر .

والجدير بالذكر أنّ المستوى الحياتي كان يسير إلى الانخفاض بشكل عامّ ، في الوقت الذي استطاع فيه الحكم الشيوعي زيادة نسبة القدرة التصنيعية ذات المعدّلات السريعة » .

أقول : ومع ذلك يلاحظ أنّ تقدّم صناعته لم يكن مساوياً لتقدّم الدول الرأسمالية . على أن الفكر الاسلامي لو كان يملك السلطة حقّاً ، وأخلص مطبقوه ، لأقام الصناعة العظيمة على أسس إسلامية لا شرقية ولا غربية ، لا رأسمالية ولا شيوعية ، وقد ينتفع من كلّ تجربة صالحة ، بعد أن يخضعها لأسس الاسلام وقواعده ومفاهيمه .

جـ ـ إنّ تأخر قيام المجتمع المنشود يرجع إلى وجود بقايا في المجتمع من الأعداء الطبقيين للثورة ، ومالديهم من قدرة تأثير على الجماهير .

وينجرّ الشيوعيون طويلاً في اجترار أوهامهم بقرب موعد قيام المجتمع الذي تنعدم فيه الطبقات ، إلى درجة يصبحون معها مضلّلين هم لأنفسهم ، وبعيدين عن الواقع الموضوعي .

يقول « دجيلاس » :

« إنّ البعض من الشيوعيين المعادين للخط الستاليني ، بما فيهم تروتسكي وعدد من الديمقراطيين الاشتراكيين ، قد اعتقدوا أنّ الطبقة« البيروقراطية » الحاكمة إنما هي ظاهرة مرحلية عابرة ، وأنّ على المجتمع غير الطبقي الجديد أن يعاني منها ، تماماً كما سبق للمجتمع « البورجوازي » أن عانى من طغيان « كروموبل » أو « نابليون » .

إلاّ أنّ الطبقة الجديدة هي طبقة ثابتة موضوعيّاً ، ذات تنظيم خاص ، وسلطة متميّزة ، وفي وسعنا التثبت من هذه الحقيقة إذا ما استندنا إلى أي تعريف علمي لكلمة طبقة ...

لقد شرع نظريو الشيوعية يؤكدون أنّ الشيوعية قد دخلت في مرحلة الملكية الجماعية المشتركة . وهنا لا بدّ أن نقول : إنّ الصفات المميّزة للطبقة ترتكز أساساً على الملكية الجماعية .

فالملكية الجماعية لم تظهر لأول مرّة في التاريخ في ظلّ الأنظمة الشيوعية ، بل سبق لها أن قامت في كلّ المجتمعات القديمة ، بل يمكن القول بأنّ كافة الأنظمة العبودية القديمة التي قامت سالفاً في الشرق ، كانت ترتكز على أساس إعطاء الأولية لأملاك الدولة ...

ففي القرن الخامس عشر قبل الميلاد كان نظام ملكية الدولة مطبقاً في مصر القديمة ، والدولة هي التي تقوم بتأجير الأملاك العامة إلى المستثمرين ، كما كان لها جهاز من الموظفين لادارة المصالح الحكومية ، ولجبي الضرائب من مستثمري الأراضي . كما كانت جميع الترع وأقنية الري والمنشآت الضخمة والمشاريع الكبرى ملكاً للدولة ...

ممّا سبق يظهر بوضوح أنّ الشيوعيين لم يقوموا باختراع الملكية الجماعية ، إنما كانوا نسيج وحدهم ، باضفاء طابعها الشموني على جميع جوانب المجتمع ومرافق الحياة ، متفوقة بذلك على كافة أشكال الملكية الجماعية في العهود الغابرة،

ومتجاوزة في طابعها الحادّ والعنيف ، حتى على الملكية الجماعية التي سبق أن قامت في مصر الفرعونية ..

في ظلّ الحكم الشيوعي تبقى السلطة والملكية محصورة وبشكل دائم في أيدي جماعات بعينها ، على أنّ تلك الحقيقة تظلّ متسترة تحت نقاب الشرعية القانونية والعقائدية » .

د ـ يغذّي الفكر الشيوعي الدعاوى بسيل تنبؤاته الكاذبة واعتقاداته المزيفة ، أنه سيصار إلى إزالة الفوارق بين المدينة والريف ، وبين العمل الفكري والعمل اليدوي ، وأنّ هذه الفوارق ستختفي بسرعة في ظلّ الحكم الشيوعي .

ولكن أثبتت الأحداث والوقائع اتساع رقعة تلك الفوارق .

يقرّر « دجيلاس » هذه الحقيقة ثمّ يقول :

« وفي الحقيقة لقد تمّ في المعسكر الشيوعي القضاء التامّ على قوى الرأسمالية الوطنية ، التي استؤصلت تماماً من الجذور ، ولكن مع زوالها بدأت تبرز في صلب المجتمع الشيوعي طبقة جديدة لم يسبق للتاريخ أن رأى مثيلاً لها .

وقد كان من الطبيعيّ جدّاً أن تستخدم هذه الطبقة الجديدة أسلوب التضليل والخداع ، حين تدّعي بأنها ستعمل من خلال بسط سيطرتها على توفير السعادة وتأمين الحرّية لكلّ المواطنين ...

إلاّ أنّ ما يميز الطبقة الجديدة للحزب الحاكم هو الأسلوب الجديد في معالجة التخلّف القائم في المجتمع من خلال المنطلقات الوهمية لأفكارها ، من خلال « الديكتاتورية » والارهاب المسلّطين على الشعب .

وقد أكدت هذه الطبقة الجديدة أنّها أكثر تسلّطاً في الحكم من أية طبقة أخرى ظهرت على مسرح التاريخ ، كما أثبتت في الوقت نفسه بأنها تحمل أعظم الأوهام ، وأنّها تكرّس أعتى أساليب الظلم في مجتمع طبقي جديد ...

ليس غريباً أن تتكون الطبقة « البيروقراطية » الحاكمة وتنمو تدريجيّاً ، انطلاقاً من فئة الثوريين المحترفين بالرغم من قلّة عددها ...

إنّ الطبقة الجديدة تشكّل المنطلق لطبقة من أصحاب الأملاك المستثمرين ...

وإن كان الحزب يشكل العمود الفقري وأساس كينونة هذه الطبقة الحاكمة .

تتألف الطبقة الجديدة من أصحاب الامتيازات الخاصة ، ولهم حقّ الأفضلية الاقتصادية ، بفعل احتكارهم الجهاز الاداري للحكومة .

وهنا تجدر الاشارة إلى أنّه ليس كلّ عضو من أعضاء الحزب الشيوعي هو فرد في الطبقة الجديدة ...

إنّه كلما ازدادت قوة الطبقة الجديدة تناقص دور الحزب ، دون أن يغرُب عن البال أنّ نواة الطبقة الجديدة وأسسها تتكوّن في صلب الحزب وفي قمته ،كما أنها تتشكلّ في قلب الأجهزة السياسية للدولة .

وهكذا يتحول الحزب الشيوعي من حزب سياسي إلى جهاز حكومي خاص ، يدير مصالح الطبقة الجديدة ،بل إنه يعمل على جرّ القوى الطامحة للانضمام إلى صفوف الطبقة ، ولا يتوانى عن قمع أعضاء الحزب المضلّلين بالشعارات البراقة والمثل العليا لسراب العدالة والحرّية ... » .

هـ ـ تعتمد الشيوعية على « نظرية عالمية ذات اتجاهات علمانية محضة » .

والواقع أثبت أنها ليست بعالمية ، إذ هي تخدم فئة خاصة من الناس ، وقليلة جدّاً ، وقد تركّزت في قمتها الدولية أعنف القوميّات وأشدها ضيقاً . والواقع أثبت أيضاً أن ما تدّعيه من العلمية ادّعاء يتنافى مع العلم تنافياً تامّاً .

يقول « دجيلاس » :

« أمّا الشيء الذي يثير الاهتمام أكثر من غيره في أحوال الثورة الشيوعية ، فيرتكز على الأوهام المستشرية في صفوف الشيوعيين أنفسهم ، وفي صفوف أولئك المضلّلين بشعاراتهم ممن اتبعوهم عن طريق الثورة والحرب الأهلية ...

إنّ الشيوعية تروّج لأعظم الأوهام وأكثرها استمراراً وديمومة ، وهي بذلك لا يمكن أن تحقق أيّاً من هذه المثل العليا ، التي تكشف الأيام حقيقتها ، وأنّها

لم تكن سوى أسلوب من أساليب الخداع وتضليل الجماهير ، بأنها تضع الأسس المادّية لبناء مجتمع جديد قائم على الحرية والعدل ، والذي لم يكن له من ترجمة عملية سوى وضوح الطابع الاستبدادي الرهيب للثورة الشيوعية ...

فالمهمة التاريخية الملقاة على عاتق الزعماء الشيوعيين انطلاقاً من مبادئهم ، هي أن يعملوا على تطوير المجتمع بأقصى سرعة ، وذلك بقطع الوعود في سبيل تحقيق مجتمع أمثل ، وإلغاء جميع أشكال الاستثمار ، والتي تقودهم إلى نوع من الغوغائية « الديماغوجية » الفكرية ، لتشويه الحقائق ، وتزييف الوقائع ، مما يشكل بالنتيجة السلوك العام لجميع ضروب تفكيرهم ، وصنوف أعمالهم .

وترجع أسباب هذه الحقيقة الواقعة ، إلى أنّ الزعماء الشيوعيين غير قادرين البتة على تحقيق ما يعدون به ، بل إنهم عاجزون عن تنفيذ ما يؤمنون به هم أنفسهم الايمان المتعصّب الأعمى .

وبطبيعة الحال فانّ القادة الشيوعيين هم أعجز عن الإقرار بهذه الحقيقة ، ولو وجدوا أنفسهم مضطرّين إلى تنفيذ سياسة جديدة مناقضة كلّ المناقضة للوعود التي قطعوها للجماهير قبل اندلاع الثورة ، وفي إبّان تأجّجها .

فلو قام الشيوعيون بالاقرار بتلك الحقيقة السابقة فانهم سيجدون حتماً أنّ إقرارهم الجديد هذا سيكون بمثابة اعتراف واضح بعدم جدوى الثورة ، وبأنهم هم أنفسهم أضحوا من الأمور التي لا لزوم لها ، ولا شيء يبرّر عندئذٍ بقاءها في الحكم . وطبيعي جدّاً ألاّ يقبلوا بمثل هذا الاعتراف » .

أقول : هذا الواقع يقدم برهاناً على فساد النظرية الشيوعية من أساسها ، وأنها خرافة ذات هدف لايتصل بإقامة عدالة اجتماعية أصلاً ، وأنّها تتنافى مع طبيعة المجتمع البشري .

حادي عشر :

إنّ تجريد الحكم الشيوعي من الامتيازات التي يستأثر بها لنفسه ، يلغي دور الشيوعيين بوصفهم طبقة حاكمة متميّزة ، وهذا يفضي إلى تمكين العمال من

المشاركة في توزيع الأرباح الناجمة عن عملهم ، ثمّ يفضي أيضاً إلى إرغام الشيوعيين على التخلّي عن سلطتهم •

لذلك يرفض الحكم الشيوعي التخلّي عن الامتيازات الطبقية التي يتمتّع بها •

فزعامة الحزب السياسية تتسنّمها الفئات الخاصة ، كما أنّ المناصب القيادية ترافقها دائماً امتيازات خاصة بها •

وحركة التصنيع نفسها كانت بهدف دعم مركز الطبقة الحاكمة الجديدة ، وأنصارها من الموظفين •

وزيادة أعضاء الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي كان من العناصر الطامعة بالمشاركة في امتيازات هذه الطبقة •

يقول « دجيلاس » :

« ولقد جاء في كتاب أورلوف « ستالين في الحكم » الذي طبع في باريس عام (١٩٥١ م) قوله :

لقد بلغ معدّل الأجر الوسطي للعامل في الاتحاد السوفياتي عام (١٩٣٥ م) حولي (١٨٠٠) روبل سنويّاً ، في الوقت الذي بلغ فيه راتب الأمين العام للجنة الغزل والحرير الصناعي مبلغ (٤٥) ألف روبل سنويّاً • واذا ما ارتفعت المعدّلات فإن النسبة بين أجر العامل وراتب الموظف قد بقيت ثابتة في جوهرها •

وهكذا يظهر للعيان مدى التناقضات (أي الفروق الشاسعة) القائمة بين أجور العمال ومعاشات الموظفين الحزبيين ، وقد أصبحت هذه التناقضات أمراً واقعاً لا يمكن إخفاؤه، لاسيما عن أعين الذين قاموا بزيارة الاتحاد السوفياتي في السنوات الأخيرة •••

إنّ العضوية في الحزب الشيوعي بعد الثورة وبعد تسنّمه السلطة ، تعني انتماء العضو الجديد إلى طبقة رفيعة المقام ذات امتيازات خاصة ، وهذا ما يؤدّي إلى أن ينمو الحزب على حساب مجموعة طفيلية من أعتى المستغلين وأشرس الأسياد •

لقد استطاع النظام الشيوعي أن يخفي طبيعته الذاتية لمدة طويلة من الزمن ، قبل أن تتكشف هوّيته الحقيقية . وقد عمد إلى إخفاء واقع ظهور طبقة جديدة ، خلف ستارٍ من الشعارات الاشتراكية الزائفة ، وتحت غطاء العمل على إقامة الملكية الجماعية ونظام التعاونيات الجماعية الجديدة .

إنّ الملكيّة الاشتراكيــة ليست أكثر مــن ستار للملكية التي تمارسهــا « البيروقراطية » السياسية الحاكمة ...

إنّ الطبقة « البيروقراطية » الجديدة ما كان بمستطاعها الاحتفاظ بمراكزها ، والتمتّع بامتيازاتها المادّية ، لولا الاتجاه الحثيث نحو التصنيع . إذْ لولا التصنيع لما توافرت لهــا المبرّرات التاريخية ، ولا المعدّات المادّية لاستمرار وجودها ، والمحافظة على كينونتها الطبقيّة ...

إنّ الزيادة التي طرأت على عدد أعضاء الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي، لترتبط مباشرة بتوسيع « البيروقراطية » نتيجة التطوّر الصناعي ...

ونتيجة تحسّن ظروف الطبقة « البيروقراطية » الجديدة ، وازدياد حظوظها ، واتساع نطاق امتيازاتها ..

وظــلّ مستوى المعيشة العام مقصراً بالنسبة إلى تطوّر الانتاج الصناعي ، باستثناء « البيروقراطية » الحزبية الجديدة ، التي حازت نصيب الأسد من واقع التقدّم الاقتصادي ، والتطور في المجالات الأخرى ، عن طريق إجبار الجماهير على التضحية والبذل في ظل حكم « الديكتاتورية » الارهابية .. » .

ثاني عشر :

فرض زعماء الشيوعية أنفسهم كآلهة لارادّ لمــا يقولون ولا معقب عــلى ما يحكمون به ، ولا رأي لأحدٍ إلاّ ما يرون .

يقول « دجيلاس » :

« أمّا « لينين » فقد مات دكتاتوراً كأعظم دكتاتوريي العصر ، وبدأت تنسج حوله بدعة العبادة الشخصية .

وأما « ستالين » فقد سبق له قبل موته أن جعل نفسه في مصافّ الآلهة .

وما هذه التبدّلات التي حدثت في نطاق الشخصيات القيادية ، إلاّ انعكاساً لمجموعة التحوّلات الجارية، والتي كانت تشكّل بحدّ ذاتها روح الحركة الشيوعية، واتجاهاتها العقائدية .....

إنّ « لينين » .... عمد إلى القضاء على جميع الآراء التي وجدها غير « ماركسية » أو تخالف آراءه الحزبية ، وعمد إلى خنق جميع الآراء التي من شأنها أن لا توطد دعائم حزبه على الأسس التي تصوّرها ، وسبق له أن وضعها . كما أنّ أسلوبه في تصفية الحساب مع القوى المعارضة له في الحزب ، قد اختلفت عن الأسلوب الستاليني ، إذ اكتفى بشلّ المعارضة وكبتها فقط ، بدلاً من أن يمدّ يده إلى تصفيتها الجسدية ....

أما « ستالين » فقد قام بتوطيد وحدة العقيدة الفلسفية والعقائد الأخرى ، والوحدة السياسية ، كأمر مفروض على جميع أعضاء الحزب .... » .

ويقول أيضاً في معرض الحديث عن « يوغسلافيا » :

« إنّ الحوار الحرّ غير ممكن، أويمكن السماح باجرائه في ظلّ شروط معينة، وبطريقة محدودة جدّاً .. » .

ويقول أيضاً حول مفهوم الوحدة العقائدية الالزامية :

« وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عمّا هو المقصود بعبارة : الوحدة العقائدية الالزامية للحزب ، وإلى أي شيء تقود هذه الوحدة ؟

إنّ النتائج السياسية المترتبة على الوحدة العقائدية هي خطيرة جدّاً . ومردّ ذلك أنّ السلطة في أي حزب كان ، لا سيّما الحزب الشيوعي ، تبقى مقصورة بيد القادة والمجالس العليا ، وهذا ما يجعل الوحدة العقائدية كأمر مفروض فرضاً إلزاميّاً في الأحزاب الشيوعية ، ذات التنظيم المركزي ، والنظام الداخلي العسكري ، ويقود دون ريب إلى هيمنة سلطة زعماء الجهاز المركزي على أفكار أعضائه ....

إنّ خلفاء ستالين والممثلين للقيادة الجماعية هم على أشدّ مايكونون من الارتياح لكون هذه الوحدة العقائدية تجعل من المستحيل ظهور أية أفكار اجتماعية جديدة ....

إنّ النتائج الاجتماعية المترتبة على الوحدة العقائدية ، كانت مأساوية قاتمة ، فقد تطوّرت ديكتاتورية « لينين » المتصلبة المتزمتة ، إلى ديكتاتورية « ستالين » الشمولية والاستبدادية ، كما قاد إلغاء الصراع العقائدي داخل الحزب إلى تصفية الحرّية ، وإنهائها كليّاً من المجتمع ....

إنّ الوحدة العقائدية للحزب ، تجعل من المستحيل نشوء حركات مستقلّة في إطار النظام الشيوعي ، وعلى صعيد المجتمع ذاته ، وذلك لأنّ أيّ عمل من الأعمال يتوقف على الحزب صاحب الامتياز ، والمتمتّع بحقّ الاشراف على المجتمع المفتقر إلى الحرّية ....

إنّ فرض الآراء المعينة والاصرار على الوحدة العقائدية الالزامية ، ليسا سوى قناع تتستر وراءه الديكتاتورية الفردية ، وغير عنصرين متمّمين لها ....

إنّ إنهاء الاختلافات العقائدية بين القادة الشيوعيين قد آل إلى تصفية القوى والتيارات الفكرية ، كما أدّى إلى إلغاء الديمقراطية داخل الأحزاب الشيوعية ....

إنّ ديمومة الوحدة العقائدية الإلزامية هي الدلالة الثابتة على توطيد الديكتاتورية الفردية ، أو ديكتاتورية الأقليّة الحزبية ... وهذه الوحدة العقائدية ... نلحظها في الأحزاب الاشتراكية كلّها ....

في ظلّ الحكم الشيوعي ليس مفروضاً على المرء أن يكون ماركسيّاً فقط ، بل عليه أن يتبع الخطّ الماركسي الذي تنتجه القيادة وتتبنّاه ....

ولكن ما أن تتوطّد هذه الوحدة العقائدية حتى تصبح قوة فعّالة مؤثرة مشابهة للتعصّب الأعمى ...

وبذلك فإن الشيوعيين يروّجون فكرة الوحدة العقائدية ، ويعتبرون أنّ تقرير الآراء وصدورها عن المقامات القيادية العليا لهي من الأمور المقدسة ، وأنّ

الانشقاقات والتكتلات الحزبية تعتبر من أشنع الجرائم التي يمكن أن ترتكب بحقّ وحدة الحزب ....

ومن البدهي أنّ « ستالين » كان يدرك في قرارة نفسه أن « تروتسكي » و « بوخارين » و « زينوفييف » ليسوا بأولئك العملاء الأجانب ، أو الخونة للوطن الاشتراكي الأمّ . ولكن بما أنّ الخلاف الذي نشب بينهم وبين « ستالين » قد أخّر عملية توطيد السلطة الاستبدادية ، فانّ « ستالين » قد اضطرّ إلى تصفيتهم نهائيّاً .... » .

ثالث عشر :

أقول : ليس في مستطاع الحركة الشيوعية أن تكون على غير الواقع الذي اتهت إليه ، وذلك لأنّ الانسان ليس في مستطاعه أن يغير فطرته الأنانية ، ويكون قوّاماً على تطبيق مثلٍ في الواقع الإنساني ، مضحيّاً بأهوائه وشهواته ومصالحه الخاصة ، إلاّ من آمن بالله واليوم الآخر حقّ الايمان ، وتعلّقت آماله بالثواب العظيم الذي أعدّه الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات .

ومعلوم أنّ الشيوعية مقترنة اقتراناً جذريّاً بانكاروجود الله الخالق ، وبانكار اليوم الآخر وإنكار الجزاء الربّاني ، فكيف يستطيع المؤمنون بمبادئها ، والحاملون لشعاراتها ، أن يتجرّدوا من ذواتهم دون هدف يحقّقون به مصالح لأنفسهم .

قد يجرون لفترةٍ ما ـ وهي فترة المراهقة الحزبية ـ وراء أوهام مثاليات مجرّدة عن مصالحهم الخاصّة ، ولكنهم لا يلبثون إلاّ قليلاً ، ثم يصطدمون بواقع أهوائهم وشهواتهم العارمة ، عندئذٍ يتحوّلون إلى أنانيين عتاة ، وجبّارين مجرمين ، لاترفّ قلوبهم برحمة ولاشفقة ، ولا يعرفون إلاّ مصالحهم وشهواتهم وأهواءهم وما يخدمها ويحققها من أسباب . والوقائع تشهد لهذه الحقيقة .

يقول « دجيلاس » :

« لقد اعتبر « تروتسكي » صعود « ستالين » إلى الحكم نكسة في قلب الثورة ، كما أنه لاحظ مدى الفساد « البيروقراطي » المستشري في أجهزة الحكومة

السوفياتية ، ومن هنا كان منطلق عدائه لستالين ، وللأساليب غير الأخلاقية في الحكم « البيروقراطي » . وبذلك يكون « تروتسكي » هو أول من وضع أصبعه على مكمن الداء ، مكتشفاً حقيقة الشيوعية المعاصرة ... غير أنه سقط في حمأة الوهم ، إذ خيل إليه أن ذلك الوضع ليس سوى طفرة « بيروقراطية » مؤقتة ، مخربة للحزب والثورة ، وقد جره وهمه هذا إلى الاعتقاد بأن الخلاص من ذلك الوضع ، لا يتطلب أكثر من القيام بتغيير على مستوى القمة ، عن طريق إجراء ثورة من ثورات القصور ...

وقد اتضحت فيما بعد ، عندما جرت « ثورة القصر » إثر وفاة « ستالين » حقيقة الحكم القائم ، وطبيعته « البيروقراطية » الثابتة ...

وإذا كان « لينين » قد قاد أعنف ثورة في التاريخ الحديث ، وأقام نظاماً « ديكتاتورياً » وحكماً استبدادياً فريداً من نوعه ، فإن التاريخ سيشهد لستالين بأنه عمل على خلق طبقة بيروقراطية جديدة ، وليدة الثورة الحمراء .

لقد وقف « ستالين » بوجهه الكالح خلف سلفه « لينين » رجل العاطفة الجامحة ، والفكر المدمر ، كممثل لوصول الطبقة البيروقراطية إلى الحكم ، عبر جسرٍ من الدماء والإرهاب .

وإثر موت ستالين جرى ما كان متوقعاً حدوثه ، بتشكيل القيادة الجماعية الفاسدة ...

إن شيوعية « لينين » الثورية ، قد تحولت إلى شيوعية « ستالين » العقائدية ، وهذه تحولت بدورها إلى شيوعية « بيروقراطية » سياسية غير عقائدية ، عرفت تحت اسم : « القيادة الجماعية » ...

أما بالنسبة إلى الشيوعية اليوغسلافية ، فقد اقتضت أن تجمع هذه المراحل الثلاث ، وتتوحد في ظل شخصية « تيتو » مضافاً إليها الصفات القومية والذاتية للشيوعية اليوغسلافية ..... » .

رابع عشر :

وجدت الطبقـة الحاكمة الجديدة « البيروقراطية » دعامتهـا في احتكارها لوسائل الانتاج ، ووضعها تحت يدها ، ومحاربتها لكل شيء لاتقبض هي على ناصيته ، وتديره بنفسها ، على وفق هواها ، وفي خدمة مصالحها •

يقول « دجيلاس » :

« لقد تم في البدء ، وبصورة تدريجية ، تأميم المقدرات المادية ، إلا أنه لم يجر توزيعها على أبناء الشعب ، بل أصبحت ملكاً مكتسباً للطبقة الحاكمة ، وللأعضاء القياديين للحزب ، والبيروقراطيين السياسيين ، وذلك عن طريق استمتاع هذه الطبقة الجديدة باستخدام المقدرات المادية المؤممة ، وتوزيعها على نفسها • وتبعاً لأهمية التملك وما يتأتى عنها من القوة الخاصة للملكية ، والثمار المجتناة من قدرتهـا المادية ، فإن « البيروقراطية » الحزبية عمدت إلى مد صلاحياتها إلى ملكية وسائل الانتاج ، ووضعها تحت يدها •

ولقد وجدت الطبقة الجديدة نفسها في غمار حرب حتمية ، فرضتها طبيعتها الاستبدادية ، وممارساتها الاحتكارية ، مع كل شيء لا تديره هي بنفسها ، أو تشرف عليه مباشرة ، وبذلك اتجهت إلى دك أسس الملكية الفردية والقضاء عليها ••

ومما سبق يبدو بوضوح أن الطبقة الجديدة ما كانت لتشعر بالطمأنينة على نفسها ، ما دام يوجد ملاكون آخرون سواها •••

وبالرغم مـن أن مصادرة الأملاك مـن الطبقـات الأخرى ، لا سيما مـن « البورجوازية » الصغيرة ، وتأميم القوى المادية ، قد أدى إلى نقص في الانتاج ، وقاد إلى إحداث فوضى عامة في الاقتصاد • إلا أن الطبقة الجديدة ما كانت لتكترث بما يجري ، فكل ما كان يهمها هو أن تضع يدها على الممتلكات ، وتعزز مواقعها • كما أنها استفادت من الممتلكات الجديدة التي أضحت في حوزتها ، وإن قاد ذلك الوضع إلى إنزال الخسارة الفادحة بالأمة ••• » •

خامس عشر :

إن الطبقة الجديدة « البيروقراطية » التي أنشأها الحزب الشيوعي الحاكم ، قد جمعت مساوىء الطبقات القديمة المتسلطة المستغلة ، دون أن تتمتع بفضائلها . وعوضت عن الفضائل التي يمكن أن تدعم مركزها اجتماعياً ، بإقامة كيان تنظيمي في غايــة الدقة والتماسك ووحدة الفكر والعمل ، الأمر الذي يمكنها من الدفاع المستمر عن وجودها وامتيازاتها ، ويجعلها قادرة على إحكام قبضتها على كل ما هو واقع تحت سيطرتها ، وقادرة أيضاً على ضرب كل حركة إصلاحية يمكن أن تتحرك ، أو ترفع رأسها إلى الوجود ، وذلك بالعنف القاتل المبيد ، الذي لا يعرف الرحمة ولا يقبل المهادنة . وقادرة على توجيه الشعب بمجموعه لتحقيق أهدافها ، إذ ثروات الأمة كلها في يدها .

وهذه الطبقة لم تضع في حسابها غير مصلحة نفسها ، وتأمين بقائها ، ولم يكن لديها نظرة جادة لمصالح جماهير الشعب ، وما يحقق له السعادة والرفاهية والحرية ، ومع ذلك فإن كثيراً من أعضائها يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ولا يشعرون بأنهم من طبقةٍ صاحبة أملاك وامتيازات جديدة ، دونها بكثير امتيازات طبقــات من يسمون : « البورجوازيين » و « الارستقراطيين » ، فمثل هذا الشعور لا يمس وجدانهم ، لأنهم يعتقدون أنهم ينتمون إلى فئة معينة ذات أفكار وأهداف وأدوار موكولة إليها ..

يقول « دجيلاس » :

« لا يوجد أية طبقة أخرى في التاريخ تشابه الطبقة « البيروقراطية » الجديدة ، التي ظهرت في الأحزاب الشيوعية الحاكمة ، في وحدة تماسكها ، ووحدة الفكــر والعمل في دفاعها عن نفسها ، وفي قدرتها على إحكام القبضة على ما كل ما هو واقع تحت سيطرتها من الملكية الجماعية حتى السلطة الاستبدادية المطلقة .

ومن ناحية ثانية فان هــذه الطبقة الجديدة هي من أكثر الطبقات انخداعاً وضلالاً ، وأقلها شعوراً بحقيقة واقعها ....

يؤمن العضو الشيوعي في الطبقة الجديدة بأنه لولا حزبه لكان المجتمع عرضة للتصدع والانهيار ، ومع ذلك فهو لا يدرك حقيقة انتمائه إلى طبقةٍ صاحبة أملاك وامتيازات جديدة ، لأنه لا يعتبر نفسه ملاكاً ، كما لا يأخذ بعين الاعتبار الامتيازات التي يتمتع بها ، ومرد عدم شعوره ذلك يرجع إلى اعتقاده بانتمائه إلى فئة معينة ذات أفكار وأهداف وأدوار موكولة إليها .

إن هذا كل ما يراه العضو الشيوعي ، إذ ليس بمستطاعه أن يتبيّن واقع انتمائه إلى فئة اجتماعية خاصة مؤلفة من طبقة الملاكين . فنظام الملكية الجماعية الهادفة إلى تصفية الطبقات يقود إلى جعل الطبقة الجديدة غير قادرة على تمييز واقعها الطبقي .

وهذا يقود بدوره كل فرد من أفراد طبقة الملاكين الجماعيين للانخداع بفكرة انتمائه إلى حركة تضع نصب أعينها تصفية الطبقات نهائياً من قلب المجتمع .

ولكن إذا ما عمدنا إلى إجراء مقارنة بين صفات الطبقة الجديدة ، وصفات طبقات ملاكة أخرى ، لتبيّن لنا بوضوح الشيء الكثير من مواطن الشبه وأوجه الاختلاف .

فهذه الطبقة الجديدة تتمتع بشراهة وجشع « البورجوازية » إلا أنها لا تحتوي أية فضيلة من فضائلها . ومن جهة أخرى فان هذه الطبقة تشابه الطبقة « الارستقراطية » في بعض أمورها الخاصة ، وبطابعها الانفرادي الانعزالي ، ولكنها تظل بعيدة عنها في مجال رقتها ونبلها وفروسيتها ...

إن حق التمتع بالأملاك وتوزيع الثروات هو من الامتيازات التي تخص الحزب الشيوعي وحده ، لا سيما قادته الكبار .. » .

ويقول أيضاً :

« إن على النظام الشيوعي أن يأخذ بعين الاعتبار مشاعر الجماهير وتحركها . ولكن بالنظر إلى طبيعة الحزب من ذاتية وانعزالية وانعدام للإرادة الحرة في صفوفه ، لا يستطيع النظام تمييز واقع الجماهير ووضعها الحقيقي ... وهناك شبه استحالة في أن يصل سخط الجماهير إلى مشاعر وأحاسيس القادة الكبار .. » .

سادس عشر :

لمّا كانت السلطة وحق السيطرة على الممتلكات في النظام الشيوعي هما طريق الوصول إلى الامتيازات المادية الواسعة ، والتمتع بكل ما يشتهي الفرد ، تدافع الطامحون لنيل هذه الامتيازات والاستمتاعات من أفراد الحزب في سلوك أهوج ، مقرون بالنفاق ، والغيرة ، والتزلف ، والخضوع ، والخنوع لمن هم فوقهم في المرتبة، بغية إشراكهم معهم فيما هم به مستأثرون •

والطريق إلى الصعود في المراتب للاستزادة من المغانم هو الولاء التام والطاعة العمياء للحزب ، وبذلك يفقد الفرد شخصيته تماماً ، ويتحدد هدفه بارضاء سادته ، ليتحقق له ما يطمع به من امتيازات أكثر ، واستمتاعات باللذات أوفر •

يقول « دجيلاس » :

« ويدرك أعضاء الحزب أن السلطة وحق السيطرة على الممتلكات ، لا بد أن يجرا معهما الامتيازات المادية • وانطلاقاً من هذه النقطة بالذات فان من الأمور المحتومة أن يشتد الطموح الأهوج لدى « البيروقراطية » الجديدة ، كما يزداد نفاقها وغيرتها وتزلفها ، وبذلك نجد أن الاحتراف و « البيروقراطية » هما الداء العضال الذي أصيبت به الحركة الشيوعية المعاصرة •••

غير أن هذا الاحتراف والطموح الأهوج الذي يمكن للمرء أن يلاحظهما في ظل الشيوعية يشيران إلى وجود ميول ونزعات لا تقاوم في اتجاه الملكية ، والحصول على الامتيازات التي ترافق حرية التصرف بالبضائع المادية ، وإدارة وتصريف شؤون المواطنين •••

إن الطريق إلى القمة ممهد أمام الجميع من الزاوية النظرية ، تماماً كما كان أي جندي من جنود نابليون يحمل في جعبته عصا المارشالية • أما الشيء الوحيد الذي يطلب من المرء لاجتياز امتحان العبور إلى الطريق الصاعد فهو الولاء التام والطاعة العمياء للحزب ، أو للطبقة الجديدة ••• » •

أقول : هذا من الناحية النظرية فقط ، أما عملياً فالطريق مسدود ، إلا لنسبة قليلة جداً ، وهذه النسبة القليلة لا بد أن تتمتع بقدر كبير من الدهاء والمكر والمهارة في النضال داخل الحزب ، والقدرة على تصفية الخصوم ، واتخاذ الوسائل لتوطيد أركان الطبقة « البيروقراطية » الجديدة •

يقول « دجيلاس » :

« إن الطبقة الجديدة ذات البنـــاء الهرمي لهي مفتوحة ومتسعة من القعر ، إلا أنها تضيق بشدة عند القمة • فالرغبة والطموح ليسا هما الشيء الوحيد الذي يخول المرء أن يتسلق القمة • إذ الصعود إلى القمة يتطلب ــ علاوة على الرغبة والطموح ــ القدرة على فهم المذاهب وتطويرها ، والشدة في النضال ضد القوى المعارضة ، والحزم في تصفية الخصوم ، والدهاء والمهارة في النضال داخل الحزب ، وأخيراً وليس آخراً الموهبة في توطيد الطبقة الجديدة ودعم مراكزها •••

إن الارتقاء إلى القمة يتطلب التضحيات الجسام ، ويستلزم تقديم الكثير من الضحايا في الأنظمة الشيوعية ، وهذا يعود بدوره لطبيعة الحركة الشيوعية التي هي مفتوحة للجميع على حين تظل من أكثر الحركات انغلاقاً على نفسها ، وأشدها إمعاناً في الخصوصية ، وتبقى عقيدة غير متسامحة حتى بالنسبة إلى معتنقيها •• » •

أقول تعليقاً على هذا : لما كانت المبادىء الشيوعية منافية للفطرة الانسانية ، كانت تعاليمها وشعاراتها لا بد أن تتناقض مع تطبيقاتها تناقضاً تاماً ، لأن الذين يقومون على تطبيقها هم من الناس الذين لا يملكون تغيير فطرتهم التي فطرهم الله عليها • إنهم حين يصلون إلى السلطة لا بد أن يتصرفوا تجاه أنفسهم منسجمين مع واقع فطرتهم ، لكنهم سيظلون أمام الآخرين يحملون شعاراتهم الأولى ، ويلوحون بها مخادعين ، ويمنون الناس لتخديرهم بالأماني الوهمية التي لا يمكن أن تتحقق في أي يوم من الأيام ، فتتكون لديهم طبيعة نفسية غريبة ، فيها العنف المتناهي ، والمخادعة العجيبة ، والنفاق ، والذل والخضوع التام والطاعة العمياء لمن هم فوقهم في السلم الحزبي ، والكبر الطبقي الحزبي العجيب ، والأنانية المفرطة ، والرغبـة

باتهاب اللذات والاستمتاع بالشهوات ، والاستهانة بكل القيم ، وانعدام الرحمة والشفقة ، وتبلد الحسّ تجاه آلام الآخرين ، والحرص الشديد على المكاسب التي سطا عليها الحزب بالقوة والمخادعة ، من حقوق جماهير الشعب ، وثمرات جهدها وكدها ، وتعبها ، وكل ما تنفق من طاقاتها ، الجسدية والفكرية ، بينما أعضاء الحزب لا يقدمون شيئاً ، إلا أنهم يحملون وسام شرف انتسابهم إلى الحزب ، ومجد ظفر ثورته الحمراء المدمرة .

ويظل حق اغتنام أكبر المنافع من جهد القطيع ــ الذي هو الشعب ــ منحصراً في الذين يكونون أكثر قدرة على الوصول إلى مراكز القمة داخل الحزب بوسائل الحيلة والمكر وتصفية الخصوم ، كما هو الحال بالنسبة إلى عصابات اللصوص والمجرمين في الأرض .

سابع عشر :

كلما أراد الحزب الشيوعي توسيع منافعه المادية على حساب الكادحين من الشعب ، وضع إجراءات جديدة لمصلحته ، ووضع لها أسماءً وعناوين وشعارات خادعة ، توهم الجماهير أن هذه الاجراءات ستكون لصالحها ، في حين أنها ستزيد من اضطهاد هذه الجماهير وظلمها وامتصاص جهدها ، والتقليل من مواردها ، لتتجه هذه الفروق لصالح أفراد الحزب .

إن كل إجراء جديد لا يخدم إلا مصلحة الأقليــة الحاكمة « البيروقراطية » الجديدة ، من أفراد الحزب الشيوعي الحاكم .

بغية الاستيلاء على المحاصيل الزراعية أقام الحكم الشيوعي ما أسماه نظام « الكولخوزات » ، واشتمل هذا النظام فيما اشتمل على الشراء الإلزامي للمحاصيل الزراعية ، بالقيمة التي تعينها هذه « الكولخوزات » أو تفرضها الدولة .

وقد تحول الفلاحون بموجب هذا النظام إلى عبيد ، واستطاعت الطبقــة « البيروقراطية » الحزبية الجديدة الحاكمة ، أن تقتطع لنفسها النصيب الأكبر من مدخول هؤلاء العبيد « الفلاحين » . ومع ذلك فقد ظلت تطمع بأن تملك ملكاً تاماً جميع القوة الزراعية ، وتحتكرها لنفسها احتكاراً تاماً .

يقول « دجيلاس » :

« لقد نجحت الطبقة الجديدة عن طريق إقامة نظام « الكولخوزات » والشراء الإلزامي للمحاصيل الزراعية ، في تحويل الفلاحين إلى عبيد ، كما أنها استطاعت أن تقتطع لنفسها النصيب الأكبر من مدخولهم ، ولكنها بالرغم من اتخاذها كل الأساليب للتحكم برقاب الفلاحين لم تستطع أن تكون القوة الزراعية الوحيدة .. ».

ويقول أيضاً :

« إن جميع التغييرات التي قام بها الزعماء الشيوعيون قد فرضتها مصالح ورغبات الطبقة الجديدة ، التي هي ككل الطبقات والجماعات البشرية تعمل وتتفاعل وتسعى للدفاع عن ذاتها ، وتتقدم إلى الأمام لتحقيق أهدافها بإحكام قبضتها وفرض سيطرتها على الحكم .... » .

ثامن عشر :

لا مجال في الحكم الشيوعي لأي لون من ألوان الحرية للشعب ، في أي أمر يتصل باعلان التسخط من النظام ، أو المطالبة بالاصلاح ، أو العمل على تغيير أي وضع تفرضه السلطة الحاكمة ، أو توجيه الانتقاد لها ، أو التمتع بحرية فكرية تعبر عن ذاتها بكلمة مسموعة أو مقروءة ، تمس ما يعمله الأرباب الشيوعيون من أمور عامة أو خاصة ، أو تعبر عن نفسها في هذا المجال بعمل فني يمكن أن ينقل المشاعر إلى الآخرين .

يقول « دجيلاس » :

« إن الطبقة الجديدة غير محصنة ضد جميع أنواع المعارضة ، بالرغم من طبيعة استبدادها الإداري ....

غير أن الطبقة الجديدة تكون في هذه الأثناء على أشد العداء للمطالب والاحتجاجات التي يثيرها الشعب ، لا سيما ما يهدف منها إلى تحقيق نوع خاص من الحرية ، ولو لم يرتبط بمفهوم الحرية الشامل ، أو الحرية السياسية الكاملة ،

فان أخشى ما تخشاه الطبقة الجديدة ، وتنفعل له بهياج ، مطالب الجماهير الهادفة إلى تحقيق حرية الفكر والانتقاد ، حتى وإن لم تكن تلك المطالب تدعو إلى إعادة العلاقات الاجتماعية والملكية القديمة إلى سابق عهدها ، ولا تتعدى نطاق الأوضاع الراهنة ، وحدود النظام الاشتراكي •••

إن الاعتقاد السائد لدى الطبقة الجديدة بأن أي خرق لسلطتها الاستبدادية قد يشكل خطراً على ملكيتها وامتيازاتها ، يجعلها تعارض بشدة أي شكل من أشكال الحرية ، بحجة الدفاع عن الملكية « الاشتراكية » وصياتنها •

إن توجيه الانتقادات إلى الطبقة الجديدة بسبب إدارتها مقدرات الأمة إدارة احتكارية ، يثير لديها بالغ الخوف من احتمالات فقدانها السلطة ، ولذا فإنها تنفعل بشدة من هذه الانتقادات والمطالب ، بقدر ما تسلط هذه الانتقادات الأضواء على مظالم الطبقة الجديدة ، وتفضح الطرق التي تتبعها في الحكم ، والوسائل التي تعتمد عليها للاحتفاظ بالسلطة ••• » •

تاسع عشر :

يلجأ الحكم الشيوعي لستر التناقض الخطير بين المبادىء والوعود التي يعطيها، وبين الواقع والممارسات الفعلية التي يمارسها ، إلى ألوان شتّى من أعمال الشعوذة والدجل ، وإطلاق الشعارات الكاذبة ، والدعاوى العريضة التي تزعم أنّها تعمل لمصلحة العمّال والفلاحين ، والجماهير الكادحة من الشعب ، وفي ظلّ «ديمقراطية» العمال « البروليتاريا » ، مع الضرب بعنف قاتل على رأس كل من يكشف واقع التناقض •

يقول « دجيلاس » :

« ويبرز التناقض الهامّ والخطير في نطاق الملكية ، والممتلكات تعتبر من وجهة النظر القانونية أملاكاً عامّة قومية • إلاّ أنّ فئة « بيروقراطية » صغيرة هي التي تقوم بإدارتها بما يتفق مع مصالحها الخاصة •

ويقود التناقض بين حقيقة الأوضاع القائمة وبين الأوضاع القانونية ، إلى ظهور علاقات اقتصادية واجتماعية يكتنفها الغموض ، وتهيمن عليها أعمال الشعوذة ...

إنّ أشكال الملكية والاستثمارات التي تمارسها الطبقة الجديدة عن طريق استخدامها سلطتها وامتيازاتها الادارية ، تعتبر من أبشع أنواع الاستغلال البشري، وهذا ما يحتّم عليها أن تطمس معالمه ، كما يدعوها لأن تشدد على الكلمات والشعارات لتظهر للملأ بأنّها تمارس سلطتها ، وتقوم بوظائفها الادارية باسم وحدة الأمة ، وبغية صيانة الثروة القومية ...

بينما تعمد القيادة الشيوعية إلى نثر الوعود بالغاء الفوارق الاجتماعية ، وتحقيق العدالة ، تجد نفسها مسوقة إلى تكريس هذه الفوارق ومضاعفتها ، وذلك بوضع يدها على إنتاج الدولة وثروة الأمة ، وتوزيعها الامتيازات على أتباعها ، والممالئين لها .

وهي حين تقوم بهذه الأعمال لا يَغْرُبُ عن بالها أن ترفع شعاراتها عالية ، زاعمة أنّها تسعى عن طريق تطبيق العقيدة الشيوعية ، للقيام بمهمّتها التاريخية الملقاة على عاتقها ، في تحرير الجنس البشري وبشكل نهائي ، من كلّ أنواع الشقاء والفقر ، بينما هي تتصرّف في الواقع بشكل مغاير تماماً لمحتوى هذه الشعارات الكاذبة ... » .

عشرون :

حين تتّضح التناقضات الفاحشة في الحكم الشيوعي بين المبادىء والشعارات، وبين الواقع المطبّق ، ويبدأ التذمّر يطفو على سطح الرأي العامّ ، ويجد الزعماء الشيوعيون أنفسهم معرضين للخطر ، فقد يلجأ الحكم الشيوعي عندئذٍ إلى اجراء بعض التراجعات عن مواقفه الأنانية ، وتحقيق بعض الاصلاحات .

ولكنّ خطوة منه إلى الوراء يحقّق بها بعض مطالب الشعب ، تعني بالنسبة إليه تجميع القوى وإعداد مايلزم ليقفز عدّة خطوات إلى الأمام ، في اتجاه مصالحه الخاصة ، والاستزادة من امتيازاته .

كما أنّ الحكم الشيوعي حين يُجري هذه الاصلاحات لايعترف بأنه يتراجع أو يستجيب لمطالب الشعب ، بل هو يعمل على تنمية الاشتراكية ، وتطويرهـا في المستقبـل •

يقول « دجيلاس » :

« وحين اندلع النزاع بين الاتحاد السوفياتي ويوغسلافيا ، عام (١٩٤٨ م) وجد الزعماء اليوغسلاف أنفسهم مضطرين لاحداث بعض الاصلاحات العامة ، وإن ما يفسر هذا الإجراء الذي يتخذه الزعماء الشيوعيون ، كونهم يعمدون إلى تحقيق بعض الإصلاحات ، حيث يجدون أنفسهم معرّضين للأخطـار ، وإن كانت تلك الاصلاحات تعني بالنسبة إليهم القيام بخطوة إلى الوراء في سبيل خطوات جديدة إلى الأمـام •••

فالطبقة الحاكمة وهي تقوم بالدفاع عن سلطاتهـا ، تعمد إلى إجـراء بعض الإصلاحات في كلّ مرة يتضح فيهـا للشعب أن هذه الطبقة تتصرف على هواها بثرواته القومية ، ومقدراته المصيرية •

غير أنّ الطبقة الحاكمة لاتعلن عن الاصلاحات التي تقوم بها على أساس أنها إصلاحات ، بل تحاول أن تدخل في روع المواطنين أنّ ما أحدث من إجراءات جديدة ليس مردّه إلا لنمو الاشتراكية ولتطورها في المستقبل ، وكإجراء من الإجراءات الديمقراطية الاشتراكية ••

كما أنها تضطر من فترة لأخرى إلى تقديم الأدلة على أنها تسعى إلى إنشاء مجتمع جديد ، وشعب سعيد ، متمتع بالحقوق المتساوية بين جميع أفراده الذين تمّ تحريرهم من جميع أشكال الاستثمار ••• » •

واحد وعشرون :

تنيجة للتناقضات الفاحشة بين الادعاءات والوقائـع في الحكم الشيوعي ، ولجوء هذا الحكم إلى تبرير سلطته المتزايدة المهيمنة على كل شيء ، إلى الشعوذة والدجل ، والتمويه بالأمور الغامضة والخيالية ، فإنّ هـذا الحكم لا بد أن يكون منغلقاً على أفكار محدّدة لايحيد عنها ، وأن يتحجر عند هذه الأفكار التي خدمت

مصالحه ومكنته من السطو على كلّ مقدرات الأمة ، وأن يكون عدوّاً لدوداً لكلّ تفتّح ذهني يخالفها ويكشف زيفها ، وعدم واقعيتها . وهذا يفضي بدوره إلى حجب نور العلم الصحيح ، إلاّ مايدعم قوته وسلطته المادّية ، ويفضي إلى تخلّف المجتمع الشيوعي تخلّفاً مشيناً .

وحين يتساقط هذا الحكم فسوف لايجد من يحزن لتساقطه ، لأنّ الانسانية ستكون قد تخلّصت من أكبر عار سُجّل على صفحات تاريخها .

يقول « دجيلاس » :

« وهكذا تجد الطبقة الجديدة نفسها ــ نتيجة لتلك التناقضات ــ مرغمة على تبرير سلطتها المتزايدة ، لاجئة إلى أمور غامضة وخيالية . وبما أنّ هذه السلطة الطبقية تعتبر من أكثر أشكال السلطة التي عرفها التاريخ هيمنة وتكاملاً ، فإنها تبقى ذات آراء محدّدة ومتصلبة ، كما أنها بطبيعتها ذات آراء زائفة غير واقعية ...

ولعلّ بمستطاع الطبقة الجديدة ألاّ تفعل شيئاً إلاّ تعزيز قوتها ، وتوطيد سلطتها الغاشمة ، والقيام بنهب الشعب ، بعد أن أنجزت مهمة التصنيع الذي كان منطلقاً لسيطرتها ... ولابدّ لها من أن تكف عندئذٍ عن الابداع ، وسيخيم الظلام الدامس على تراثها الفكري والروحي . ففي الوقت الذي حققت به أعظم انتصاراتها في إشعال الثورة المدمرة والحرب الأهلية الطاحنة ، كان سبيلها إلى السيطرة والحكم يخطّ أكثر صفحات التاريخ الانساني مدعاة للخزي والعار .

ولابدّ أن يعجب الناس أشدّ العجب من مجموعة الأعمال التي قامت بها ، وسيشعرون بالخجل حين يدركون أبعاد الوسائل التي استخدمتها الطبقة الجديدة لتحقيق منجزاتها .

وعندما سيأزف الوقت لكنسها عن المسرح التاريخي ــ وهذا الأمر آتٍ لا ريب ــ فإن الحزن الذي سيحدث على احتضارها ، سيكون أقل بكثير من الأحزان التي نجمت عن احتضار أية طبقة سابقة لها ... فالطبقة الجديدة حينما أقدمت على سحق وتدمير كلّ ما اعترض طريقها ، ولم يتوافق وأنانيتها ،فإنها قد حكمت على نفسها سابقاً بالاخفاق والزوال ... » .

* * *

هيكل الحكم الشيوعي وخصائصه

من وصف « ميلوفان دجيلاس » في كتابه « الطبقة الجديدة » وهو الخبير الممارس في قلب نظام الحكم الشيوعي ، نستطيع أن نكتشف هيكل الحكم الشيوعي، ومنه أقتبس ما يلي :

أولاً :

الحزب الشيوعي هو الحاكم الوحيد ، وهو الذي يشكل محور النشاط السياسي والاقتصادي والعقائدي •

ثانياً :

تعطى الأهمية الكبرى في ظلّ الحكم الشيوعي للقواعد والقوانين والأنظمة الواقعية غير المعلنة ، لا للقوانين والأنظمة المعلنة ، لاسيما التي تنظّم العلاقة بين الحكومة والمواطنين •

ثالثاً :

المواطنون يدركون أنّ الحكومة الفعلية في أيدي اللجان الحزبية ، وتحت رقابة البوليس السري ، وبالرغم من أنّ دور الحزب الشيوعي في الشؤون الادارية غير معلن ، فإنّ سلطته هي السلطة النافذة في جميع المؤسسات والمنظمات والقطاعات •

رابعاً :

مع أنّ القانون لا يعطي البوليس السري الحق في رقابة المواطنين ، إلاّ أن البوليس السري يتمتع بمطلق الصلاحيات •

خامساً :

إنّ اللجان الحزبية والبوليس السري يشرفـان ويهيمنان بشكل فعلي على السلك القضائي ، مع أنه لاتوجد نصوص قانونية تخوّلهما هذه الصلاحية •

سادساً :

لأجهزة الحكم وجهان :

الأول : وجه شكلي نظري ، يتم بموجبه إقامة « وحدةٍ ما » من الوحـدات الادارية ، وهي الجهاز الاداري ، لادارة منظمة اجتماعية،أو هيئة ما ، حتى الحكومة السياسية ، وهذا قد يكون عن طريق الانتخاب الذي قد يأخذ طابع الديمقراطيـة لطبقة « البروليتاريا » •

هذه الوحدة التي أقيمت على هذا الشكل تأتمر نظرياً بصورة مباشرة بأمر القيادات السياسية الرسمية •

الثاني : وجه حقيقي فعلي ، وهو سلطة حزبية بيدها كلّ شيء داخل « الوحدة الشكلية » •

إنّ الوحدة الشكلية يديرها في العادة رجل حزبي مرموق ، وهو في القضايا العادية غير المهمة بالنسبة إلى الحزب ، لايضطر إلى مراجعة المراكز القيادية المسؤولة في الحزب ، بل يديرها بنفسه ، أمّا في القضايا المهمة فان الحزب هو الذي يتخذ القرارات ، ولا يأخذ بعين الاعتبار آراء الناخبين ، ويقوم المدير الحزبي بتنفيذها •

وقد عرف الحزبيون عن طريق الممارسة التمييز بين ماهو مهم للقيادة الحزبية ، وماهو غير ذي بال بالنسبة إليها •

سابعاً :

إنّ السيطرة الشيوعية تجري من خلال طريقتين أساسيتين :

الأولى : طريقة تشكيل الخلايا ، وهذه هي الطريقة الرئيسية مبدئياً ونظرياً •

الثانية : طريقة قصر المناصب الحكومية المهمة السياسية والوظيفية على أعضاء

الحزب ، وهذه هي الطريقة الواقعية ، ذات الفائدة بالنسبة إلى تمكين الحزب من وضع قبضته الشديدة على كل شيء في الدولة . ومن هذه المناصب المهمة العمل في البوليس ، لاسيما البوليس السري ، والعمل في السلك الدبلوماسي ، والعمل في الجيش ، والعمل في الدوائر السياسية ، ودوائر الاستخبارات . ومنها أيضاً المناصب العليا في سلك القضاء . فقد اهتم الحكم الشيوعي بقصر هذه المناصب على الشيوعيين فقط ، على الرغم من أنّ رواتب موظفي السلك القضائي الخاضعين للجان الحزب ودوائر البوليس تعتبر رواتب ضئيلة لا تثير الرغبة لدى الشيوعيين ، إذا ماقيست بغيرها من الوظائف الادارية الاخرى .

والغرض من ذلك أن يظل القضاء يحكم بين المواطنين بشكل يتفق وأهداف الحزب ورغباته ، وبصورة تنسجم مع روح الاشتراكية ، وليس للقضاء استقلال ذاتي يمكنه من أن يكون حارساً لقضايا الحقّ والعدل .

فالحكومة الشيوعية حكومة حزبية،والجيش الشيوعي جيش حزبي ، والدولة كلها هي دولة الحزب الحاكم .

ويركز الشيوعيون على استخدام الجيش والدولة سلاحين في أيديهم ، ويستأثرون بحق استخدامهما استئثاراً كاملاً .

فالبناء الحكومي في الدولة الشيوعية منظم بأكمله على هذه الصورة التي تفرض قصر المناصب السياسية ، والمهامّ الأساسية على أعضاء الحزب دون سواهم، كما أنهم يحتلون الوظائف المهمة والقيادية في الدوائر الحكومية غير السياسية ...

ويكفي أن تقوم خلايا الحزب بعقد اجتماع مبسط ، أو أن تنشر كراساً ، حتى تتحرّك الدولة بكاملها ، ويتجه العامل الميكانيكي الفعّال للعمل .. وإذا ما حدث أن قامت بعض المصاعب في أية جهة من الدولة ، فالحزب والبوليس السري كفيلان بتدبير الأمور على الوجه الذي يحقق أهداف الأباطرة الشيوعيين ، المحتلين مراكز القيادة في الحزب والدولة معاً .

ثامناً :

طبيعة النظام الشيوعي والمبادىء التي يقوم عليها هـذا النظام ، لابدّ أن تنتهي لـدى وصول الشيوعيين إلى السلطة إلى ما انتهى إليه الحكم الشيوعي في الاتحاد السوڤياتي ، من سيطرة الحزب على الدولة والمجتمع ، والوحدة الكاملة بين الحكومة والجهاز الحكومي والحزب ، والقضاء على حقّ التعبير عن الرأي إلاّ ضمن الحدود المأذون بها ، والتي لاتتعارض معسياسة الحزب،وأوامر القيادة العليا.

يقول « دجيلاس » :

« وبذلك نجد أنّ الصفات الأساسية والثابتة لأي بيروقراطية شيوعية تتمكن من بلوغ سدّة الحكم ، ترتكز على مجموعة من الأمور ، منها سيطرة الحزب على الدولة والمجتمع ، والوحدة الكاملة بين الحكومة والجهـاز الحكومي والحزب ، والقضاء على حقّ التعبير ، والسماح بحرية الكلام بشكل يتناسب مع حجم السلطة التي يتمتّع بها المرء ، أو حسب المركز الحزبي الذي يحتله ... » .

تاسعاً :

الحكم الشيوعي حكم ديكتاتوري مكثّف وعنيف ومتشابك ، ولا يمكن التعديل من ديكتاتوريته المطلقة ، أو التخفيف منها ، ما لم يحدث تغيير شامـل في النظام . والديكتاتورية فيه هي النظام كله بكيانه وروحه وجوهره الذاتي .

ودور الحزب الشيوعي ومعاركه الطويلة ، وقيادته للطبقة العاملة ، وترويجه الشعارات بأنه يسعى لتحقيق مصالحها التاريخية ، هو دور العامل بهجوم صاعق لاستلام الحكم .

ومع أنّ الحزب الشيوعي يدّعي أنه يعمل لإرضاء الطبقة العاملة ، إلا أنـه لايسعى إلا لتوطيد حكمه ، ودفع زعمائه إلى دست الحكم .

وما أن يصل الحزب الشيوعي إلى الحكم حتى يفرض سيطرته المطلقة على جميع السلطات ، ويضع يده على جميع مقدّرات الأمـة ، رافعاً عقيرته بأنه يمثل مصالح الطبقة العاملة والجماهير الكادحة .

ودور العمّال والكادحين هو دعم الحكومة الشيوعية التي ليس لهم فيها نصيب ، وليس لهم فيها أية نسبة يمكن أن تؤثر على سير حركة التطور الاجتماعي في ظلّ الأنظمة الشيوعية ، والطبقات الكادحة والجماهير الشعبية تظلّ أبعد ماتكون عن مزاولة السلطة ، وتحقيق الشعارات الزائفة التي كان الحزب يطلقها باسم هذه الطبقات ، مع أنّ الحزب الشيوعي يظلّ يزاول السلطة باسمها ، دون أن يحقق شيئاً من مصالحها •

وأمّا ديكتاتورية الطبقات الكادحة « البروليتاريا » والتي تطبقها حكومة مستبدّة بكل شيء ، فإنها ليست أكثر من مبرّر نظري وقناع عقائدي للسلطة التي يمارسها بعض القادة القلائل من المجلس الكهنوتي الحزبي الأعلى •

وفي كلّ الأحوال تبقى ديكتاتورية الطبقة العاملة « البروليتاريا » إمّا فكرة خيالية غير قابلة للتطبيق ، إذ تتحوّل إلى ديكتاتورية فرد ، وإمّا مناصب محصورة بالفئة المختارة من زعماء الحزب •

عاشراً :

الزعماء الشيوعيون والقابضون على أزمة الحكم ، ينزعون إلى الاسراف والبذخ ، ويشعرون بالحاجة الدائمة للظهور بمظهر أصحاب السلطان ، ليتميزوا بمكانتهم كنماذج للعظمة والذكاء • وهذا يقود بشكل منطقي إلى ظهور النفعية ، وحب السلطة وتفشي الفساد ، التي هي من الأمور الطبيعية في الأنظمة الشيوعية •

وعلة هذا الفساد المستشري الذي يظهر بفساد ذمم الموظفين بصفة عامة ، تمركز سلطة الحكومة في أيدي فئة سياسية معينة ، وأن هذه الحكومة هي صاحبة جميع الامتيازات •

ونتيجة لذلك فإنّ الدولة الشيوعية تتفسّخ بصورة ذاتية ، وتفسد أجهزتها بشكل تلقائي ، لأنها تجد نفسها مضطرة لإنشاء امتيازات ومناصب لفئات طفيلية •

حادي عشر :

الاجتماعات التي تقوم بها الكوادر الحزبية ودوائر الحكومة ومؤتمراتها ، ليس لها هدف إلاّ أن تستخدم كمنبر لإلقاء البيانات والمقرّرات ، وتأييد ما سبق له أنْ قرّر في مطابخ القادة الكبار ، مع المحافظة فيها على طابع الشكليّات التي تكون بمثابة أقنعة للتضليل .

ثاني عشر :

يظلّ التناقض بين النظرية الشيوعية وبين الدولة الشيوعية وتطبيقاتها أمراً مستمرّاً ، ومصدراً مستمرّاً للمتاعب ، إذ يسود في ظلّ الأنظمة الشيوعية شكل من أشكال الحرب الأهلية غير المعلنة بين الحكومة والشعب ، من أولى أسبابها أنّ الدولة هي جهاز طغيان من جهة ، وهي من جهة ثانية تخوض معركة دائمة ضدّ المعارضة النشيطة والمستمرة ، والموجهة ضد القيادة الحزبية المتسلطة ، وطبيعي أن تظل الدولة متيقظة للقضاء على المعارضة عن طريق التصفية الجسدية،والقمع المباشر .

إنّ الدولة في ظل النظام الشيوعي بمجموعة وظائفها الادارية تحولت إلى أداة اضطهاد وكبت ، كما خضعت هي نفسها بوصفها كياناً تنظيمياً للحياة القومية والاجتماعية لأدوات الاضطهاد .

ولم تستطع الحركة الشيوعية حلّ معضلة التناقض القائم ، نتيجة طغيانها الكلي ، الذي يدفعها إلى خوض حرب ضدّ ميول المجتمع ونوازعه ، المناقضة لميولها ونوازعها .

أقول : وهذا يثبت بما لاريب فيه فساد النظرية الشيوعية من أساسها ، وأنها منافية لطبيعة المجتمع البشري .

ثالث عشر :

يستحيل في ظلّ النظام الشيوعي إقامة دولة دستورية يحكمها القانون ، لأنّ قيام مثل هذه الدولة يشكل خطراً محقّقاً على السلطة المطلقة للقادة الشيوعيين ، وهذه السلطة المطلقة لا يمكن أن يتنازل عنها هؤلاء القادة .

لذلك لايمكن أن يقوم في ظلّ هذا الحكم سلك قضائي مستقلّ عن الحكومة، لأنّ قيام الجهاز القضائي المستقل عن الحكومة مع التطبيق الصحيح لحكم القانون ، سيقود حتماً إلى ظهور القوى المعارضة للسلطة الشيوعية ، وهذا أمر لا تتحمله طبيعة النظام الشيوعي ، ولا يمكن أن يقبل به القادة الشيوعيون •

إنّ الدستور في النظـام الشيوعي لايعارض مبدأ حريّة التعبير عن الآراء ، ولا يمنع حق تأسيس الأحزاب ، كما أن القوانين تنص على ضمان الحقوق الكاملة للمواطنين • إلاّ أن الواقع المطبّق في ظلّ أنظمة الحكم الشيوعي لايسمح بحرّية التعبير عن الآراء ، ولا يسمح بتأسيس أحزاب ، ولا يضمن حقّ المـواطنين الذي يعبّر عنه إقامة جهازٍ قضائي مستقل •

وهذا التناقض بين ما هو مكتوب ومعلن من جهة ، وما هو مطبّق وواقع من جهة ثانية ، جعل كلاًّ من أجهزة البوليس والحزب تستخدم أساليب القمع الرهيبة ، ووسائل الاضطهاد المنحطّة ، لضمان استمرارية الحكم الشيوعي المناقض لمبادئه •

إنّ أنظمـة الحكم الشيوعي لا تريد أن تغير دستورها وقوانينها المعلنة بما يتفق مع واقعها المطبق ، حتى لا تُدان شكلياً بأنها قد غيرت كل مبادئها ونظرياتها ، ويتوقف بذلك مدّها ، وتنتهي وسائلها التي تخادع بهـا الشعوب التي لم تحكمها الشيوعية بعد • ولا تريد أن تطبق في الواقع ماتعلنه ، لأن مثل هذا التطبيق سيقضي على الحكم الشيوعي كله في البلاد المقهورة بحكمه •

من أجل ذلك كان لابد للديكتاتورية الشيوعية من أن تتستّر بقناع الشرعية المزيف •

يقول « دجيلاس » :

« ..هكذا نرى أن السلطة تدور ضمن دائرة مغلقة ، إذ أنّ جميع الأجهزة ، من تنفيذ ، وتشريع ، وتحقيق ، وقضاء ، هي جهاز ديكتاتوري واحد » •

رابع عشر :

جميع المحاكمات السياسية التي تجري في ظل الأنظمــة الشيوعية إنما هي محاكمات صورية ، تدبّر سلفاً بعيداً عن قاعات المحاكم . ثمّ تكون مهمة هــذه المحاكم قاصرة على إعطاء الأدلة وإقامة البراهين لما سبق إقراره ، بغية إضفاء طابع الشرعية الكامل على الأحكام السياسية الصــادرة بحق المتهمين بالقيــام بنشاط دعائي معــادٍ .

وإجراء المحاكمات السياسية يتمّ على الوجه التالي :

بناء على اقتراح موجّه من موظفي الحزب ، يقوم رجال البوليس بخطوتهم الأولى الرامية إلى إقامة الدليل على أنّ فلاناً من الناس هو عدو للنظــام ، وبأن جميع أحاديثه ومناقشاته التي يجريها مع أصدقائه الحميمين تثير المشاكل والمتاعب أمام السلطات المحلية .

ثم يقدم رجال البوليس المبرّرات الشرعية للقضاء على العدو ، وتتم هــذه العملية :

إمّا عن طريق أحد عملاء الحزب ، فيدفع الضحية دفعاً للإدلاء بأقوال محرجة تعتبر مستمسكاً لدى القضاء ، أو يجرّه للاشتراك في تنظيم غير مشروع ، أو القيام بأعمال ممنوعة .

وإمّا عن طريق أحد المخبرين السريين الذي يلفق الأكاذيب عن المتهم حسبما يمليه عليه رجال البوليس السري .

يقرر « دجيلاس » هذا ، ثم يقول :

« وهنا لابد لنا من أن نوضح أن معظم « المنظمات غير المشروعة » في بلدان المعسكر الشيوعي ، هي من صنع البوليس السري ، والموضوعة لجر الأعداء إليها جرّاً عن طريق ايقاعهم في الشباك ، بشكل يمكّن السلطة من أن تصفي حسابها معهم بأقصى سرعة ....

إنّ الشيوعيين يقومون بتصفية خصومهم على أساس أنهم أعداء ، لا على أساس إدانتهم بالجرائم الحسيّة ... » .

خامس عشر :

عندما تظهر في ظلّ النظام الشيوعي بوادر الاستياء لدى المواطنين ، ويعبرون بصورة تلقائية عن رفضهم التدابير التي يجريها النظام ، فإن السلطة الشيوعية تسارع إلى قمعهم بشكل إرهابي عنيف ، دون العودة إلى الأنظمة الدستورية والقوانين القضائية . وليس في سجل التاريخ المعاصر كلّه من أعمال القمع لمعارضة المواطنين ، ما يماثل التي تجري في ظل أنظمة الحكم الشيوعي في إرهابيتها وبطشها وبُعْدها عن الشرعية القانونية .

يقرر « دجيلاس » هذا ، ثم يقول :

« إنّ أعمال العنف والقمع التي حدثت في « بوزنن » البولندية ، تعدّ من أشهرها ذيوعاً ، إلا أنها ليست أشدّها بطشاً ووحشية ، ونادراً جدّاً ماتلجأ قوات الاحتلال الاستعمارية الغازية إلى اتخاذ مثل تلك الاجراءات الرهيبة ، بالرغم من كونها قوات غزو تستند في تدابيرها إلى القوانين الاستثنائية التي تطبقها ، ومع ذلك فإن الحكام الشيوعيين يقومون بمثل تلك الأعمال في أوطانهم ، ويطأون بأقدامهم القوانين التي سنّوها هم بأنفسهم ... » .

سادس عشر :

حول القضاء يقول « دجيلاس » :

« إنّ الجهاز القضائي في الدولة الشيوعية غير قادر على تحرير نفسه من الشكليّات ، وغير قادر على إلغاء النفوذ الكبير للكوادر الحزبية وأجهزة البوليس ، في كلٍّ من المحاكمات والانتخابات والأحداث الجارية ... » .

سابع عشر :

حول الانتخابات يقول « دجيلاس » :

« ومهزلة الانتخابات التي تجري في ظلّ الحكم الشيوعي ، وأبّهتها الفارغة معروفة تماماً ، ولقد وصفت خير وصف حين قيل فيها : إنها سباق يعدو فيه حصان واحد ...

لماذا إذن لايعمد الشيوعيون إلى الاستغناء عن الانتخابات ، مع أنها لاتحدث أي تأثير على المنظمات السياسية ؟ ولماذا لا يستغنى كذلك عن جهاز فارغ لا نفع فيه ، ولا جدوى منه كالجهاز البرلماني الكثير التكاليف ••• » •

يطرح « دجيلاس » هذا السؤال ، ثم يبين في الإجابة الأسباب التي دعت الحكم الشيوعي إلى التشبث بالانتخابات والجهاز البرلماني ، فيرجع ذلك إلى الأسباب التالية :

أ ــ إعطاء الاعلام الشيوعي مادة دعائية للتصدير ، حتى يستطيع هذا الاعلام الايهام بوجود الديمقراطية في ظلّ النظام الشيوعي •

ب ــ المخادعة الداخلية بأنّ الحكم الشيوعي يعتمد على مقوّمات قانونية عن طريق انتخاب ممثلين للشعب ، ولذا فإنّ على الشعب أن يؤيد بصورة رسمية كلّ ما يقوم به الشيوعيون ، ومن خرج على ذلك فهو خارج على القانون والشرعية، ومثل هذا الخروج يبرّر كلّ وسائل القمع والتصفية الجسدية للخارجين •

ج ــ أن يكون البرلمان هيكلا صوريّاً تفد إليه مقرّرات القيادة « البيروقراطية » الحزبية العليا ، ليقوم هذا الهيكل الصوري بتبنّيها أمام الرأي العام في صورة « ديمقراطية » • وعندئذٍ تصادق عليها القيادة التي أملتها ، بوصفها الآن مقررات ممثلي الشعب •

وبهذا يحصل الحكم الشيوعي على الطابع القانوني للحكم الذي يريده القادة فينفذون مشاريعهم باسم الحزب والطبقة الحاكمة والشعب •

يقول « دجيلاس » :

« وعلى الرغم من أنّ الحكومة الشيوعية تستطيع تجاهل الرأي العام ، إلاّ أنّها تظلّ مرتبطة بالرأي العام الحزبي والشيوعي • ومع أنّ الانتخابات الشيوعية فارغة من أي معنى أو محتوى ، بيد أن انتقاء أولئك الذين سيحتلّون مقاعدهم في البرلمان يجري بغاية الدقة من قبل القيادة الحزبية العليا ••• وفي هذا الانتقاء يؤخذ بعين الاعتبار أوضاع المرشحين ، وخدماتهم الحزبية ، ودورهم في الحركة الشيوعية والمجتمع والمهنة التي يشلونها ، إلى غير ذلك من الأمور » •

وفي الانتخابات لا يسمح بتنافس أكثر من مرشح شيوعي على مقعد برلماني واحد ، لأنّ ذلك يؤدي إلى تفكّك الحزب ، وضعضعة قواه ، وقد حصلت تجربة من هذا النوع ، إلاّ أنّ القيادة الشيوعية قررت إلغاء ذلك .

يقول « دجيلاس » :

« إنّ تعميم الحرية داخل الحزب لا يشكل خطراً على زعامة القيادة الشيوعية الراهنة فحسب ، بل إنّها تشكل تهديداً لنظام الاستبدادية المطلقة .

إنّ البرلمانات الشيوعية لا تستطيع أن تتخذ أيّ قرار هام ، وذلك بسبب أن النواب المنتخبين من قبل القيادة الحزبية يشعرون بالفخر لكونهم موضع ثقة الزعامة ، وهم في الوقت نفسه لا يملكون الجرأة لبحث القضايا الهامة في جوّ من الحرّية ، حتى وإن رغب بعضهم في إجراء مناقشة كهذه ..

وهذا الوضع يبرّر العبارة التي وصفت البرلمانات الشيوعية بأنها قبور للنواب بسبب اقتصار دور هؤلاء في ممارسة حقهم على الموافقة بصورة إجماعية بين فترة وأخرى ، على ما سبق أن قرّر في الكواليس الحزبية ...

وإنّ أي نظام برلماني آخر لن يكون له أي مكان في دولة البطش والإرهاب» .

ثامن عشر :

إنّ القوانين والأنظمة والقرارات في ظلّ الحكم الشيوعي أمور توضع بشكل تفصيلي جدّاً ، فكلّ شيء لديهم يجب أن يفصّل ويؤكد ويقرّر ، مهما كان ضئيل الشأن قليل الفائدة ، حتى لا تبقى حرية لأحد في الاختيار .

وحينما يتعلّق الأمر برغبات القادة والزعماء الشيوعيين ، تغدو القوانين والأنظمة والقرارات حبراً على ورق ، وموادّ خاضعة للاستثناء ، وكلّ صلاحيّات الاستثناءات منحصرة في أيديهم ، وعلى وفق ما تتجه له رغباتهم ، وعندئذٍ يجري تنفيذ هذه الرغبات دون الشكليّات ، ودون أية قيود مزعجة ، ودون أي تأخير أو تسويف .

وحين تتجه رغبة هؤلاء القادة فانّهم لا يتقيدون بأية أنظمة أو قوانين ، إنّها موضوعة لتطبّق على الذين ليس في أيديهم سلطة الحكم الشيوعي ، أمّا الذين في أيديهم هذه السلطة فهم فوق كلّ قانون ، وفوق كلّ نظام ، وفوق كلّ مبدأ مقرر .

تاسع عشر :

في ظلّ الحكم الشيوعي يلاحظ أنّ قيمة الانسان عند الشيوعيين تناسب مقدار الراتب الذي يقبضه ، والامتيازات التي يتمتّع بها ، دون ملاحظة أي اعتبار آخر .

يقول « دجيلاس » :

« إنّ الشيوعيين لايفرّقون بين الناس على أساس مناصبهم ووظائفهم ، وإنما على حسب مرتباتهم التي يقبضونها ، والامتيازات التي يتمتعون بها ... » .

ومعلوم أنّ هذه الامتيازات تابعة لهوى القادة الحزبيين ، ومرتبطة بالوظائف والأعمال التي تخدم تثبيت مراكزهم ، وتدعم بقاءهم ، واستمتاعهم بالامتيازات العظمى .

عشرون :

يهدف الحكم الشيوعي إلى الصنع القسري للانسان الخاضع للدولة الشيوعية صنعاً تاماً ، في أفكاره ، وثقافاته ، ونفسه ، وطموحاته ، وإراداته ، وأهوائه ، وأذواقه الخاضعة وأنواع سلوكه ، وكل وجوه نشاطه في الحياة ، بما في ذلك خصوصياته الخاصة ، وذلك لأن الانسان في ظلّ هذا النظام لا يستطيع أن يكون حرّاً في شيء إلاّ في القليل التافه ، ما دام مقيّداً بجبرية النظام العامّ ، الذي يتدخل في كلّ صغيرة وكبيرة ، حتى في الطعام والمسكن والمنام وأشباه هذه الأمور .

يقول « دجيلاس » :

« إنّ الشيوعيين ينهجون خطّاً قريباً من خطّ الأنظمة الاستبدادية القديمة ، حين يرمون إلى إعادة تثقيف الشعب عن طريق القوة والبطش ، وفي ظلّ الإرهاب

الدموي ، وممّا تجدر الاشارة إليه ، أنّ الاختلاف القائم بين الحكومات القديمة في عهود الأنظمة الاستبدادية وبين الحكومات الشيوعية ، يقوم على أنّ الأولى قد عملت على إخضاع الآراء السائدة لآرائها الشخصية ، بينما تمارس الحكومة الشيوعية دور المالك المطلق ، والمشرّع العقائدي الوحيد بآن واحد ...

إنّ الحركة الشيوعية تهدف إلى تحويل الفرد إلى مجرد مُسَنّن في دولاب ، فاقد الشخصية الذاتية ، والمميّزات الخاصة ، في آلة حكومية لا ترحم ، تدار حسب أهواء الزعيم الأعلى ...

إنّ النظام الشيوعي استطاع أن يخنق الشخصية الفردية أكثر من أي نظام آخر ....

إنّ الميزة الأساسية لحياة الفرد في ظلّ نظام الارهاب الشيوعي تقوم على فقدان المواطن شعورَه بالثقة والاطمئنان ، فالدولة التي تتيح له أن يقيم أوده ، تفرض عليه أن يخضع لسلطانها المطلق خضوعاً أعمى ...

إنّ المرء الذي لا يحيا في ظلّ النظام الشيوعي ليجد صعوبة بالغة في تفهّم واقع الكائنات البشرية ، لا سيما أولئك الأبطال المتلئون حماسة وحيوية وبسالة وطيبة معدن ، وليعجب كلّ العجب كيف تخلّوا عن حرية التفكير ، وارتضوا سلب الارادة ، والانجرار بدون مقاومة وراء هذا النظام الرهيب .

إنّ هذه الظاهرة من فقدان الارادة وعدم المبالاة يمكن تفسيرها تفسيراً أقرب إلى الواقع ، وذلك عن طريق ردّها إلى شمولية الإرهاب ، وشراسة الطغيان ، وديكتاتورية النظام المطلقة ...

يضاف إلى ذلك سبب تاريخي مرتبط بالقيود التي فَرضت على المواطنين أن يتحملوا معاناة فقدان الحرية ، خلال مرحلة الزحف نحو تحقيق التحول الاقتصادي. وسبب آخر مرتبط بالحياة الفكرية والأدبية ...

فقد استطاعت الدولة الشيوعية عن طريق الإرهاب والتسلط التغلغل في جميع مرافق المجتمع ، كما تمكّنت من أن تنفذ إلى مخيلة العلماء ، وأن تستثير إلهام

الشعراء ، بشكل يجعل أي إنسان يحاول رفع راية التمرّد يدرك ما سيناله ، وليس ذلك بأن يحكم عليه بالموت فقط ، وإنما بأن يوصم أيضاً بالعار ، وبأن يتوجّه له التحقير من قبل المجتمع ••• » !!

واحد وعشرون :

إنّ شعار إقامة العدالة الاجتماعية لدى الشيوعيين شعار دعائي فقط ، لا يراد منه التطبيق في ظلّ الحكم الشيوعي مطلقاً،وذلك لأنّ الأنانية المفرطة لدى الشيوعيين والتي لا تؤمن برقيب عليها محاسب لها ، لا تسمح بأن تتنازل عن مصالحها وأهوائها وشهواتها الخاصة ، من أجل إقامة عدالة اجتماعية عامّة،فالرغبة الصادقة غيرموجودة أساساً ، مادام الايمان بالله واليوم الآخر مفقوداً ، ولئن وجدت في بعض الأحوال الخاصة فإنهـا لا يمكن أن تكوّن اتجاهاً عاماً ، ولا أن تكون واقعاً مطبّقاً متى وصل الشيوعيون إلى الحكم ، ويظلّ كلّ همّ الشيوعيين أن يفترسوا الحكم ، ويتربعوا على كل وجوه السلطة ، ويستبدّوا بكلّ شيء ، ويتخذوا الوسائل الكفيلة بالمحافظة على ما وصلوا إليه •

يقول « دجيلاس » :

« إنّ الشيوعيين هم أبعد الأفراد الذين يمكن أن يدور في خلدهم العمـل لإقامة مجتمع العدالة الانساني ••• »

اثنان وعشرون :

لا مجال لظهور أية معارضة في ظلّ الحكم الشيوعي المستبد بالقوة ، والإرهاب الدائم ، والبطش ، والتصفية التامة للخصوم عن طريق الإبادة •

يقول « دجيلاس » :

« إنّ الشيء المؤكد والثابت أنـه لا يمكن لنأمة صوت ، أو نسمة هواء ، أو ومضة نور ، أن تظهر في ظلّ القبضة الحديدية الصارمة للحكومة الشيوعية •••

إنّ من رابع المستحيلات أن تستطيع قوى المعارضة إيجاد السبل لمناهضة الاضطهاد والاعتداء على حرّيّاتها ...

إن التاريخ لم يسطّر على صفحاته أنّ أحد الأنظمة قد استطاع قمع قوى المعارضة بالشكل الذي نجح به النظام الشيوعي ، إلاّ أنّ التاريخ يشهد في الوقت نفسه بأنه لم يوجد أي نظام آخر استطاع أن يثير مشاعر الاستياء والنقمة كتلك التي أثارها نظام الديكتاتورية الشيوعية ...

ومما تجدر ملاحظته أن الشعور بالاستياء والنقمة يبلغ مداه الأقصى كلما ازداد انسحاق الضمير العامّ ، وندرت إمكانات ظهور قوى المعارضة . فطبيعة الاستبدادية الشيوعية الشمولية العامّة تثير شعوراً شمولياً من الاستياء ، تذوب فيه جميع الآراء المتناقضة ، وتنصهر فيه المشاعر الانسانية المسحوقة ، باستثناء مشاعر النقمة واليأس التي تظلّ طافية على السطح . وبذلك تتشكل المقاومة بصورة تلقائية، من خلال مشاعر الاستياء التي تغلي في صدور المواطنين ، بسبب طبيعة حياتهم ، ومقومات معيشتهم اليومية ...

إنّ هذه الحقيقة قد تكشفت بشكل واضح أثناء الحرب الروسية الألمانية ، إذْ لم يبد الشعب الروسي بادىء ذي بدء أية مقاومة جدّية ، عندما تحركت القوات الألمانية لمهاجمة الاتحاد السوفياتي.ولم تظهر المقاومة لدى الجماهير بشكلها الصحيح الفعّال إلاّ عندما اتضحت لدى الشعب الروسي حقيقة النيات التي يهدف إليها هتلر، من تحقيق أحلامه بسحق الدولة الروسية، وجعل الشعوب السلافية والشعوب السوفياتية الأخرى أرقاء للنظام الألماني الجديد ...

ومما تجدر الاشارة إليه أنه لم يجر على لسان « ستالين » أي ذكر للحكومة السوفياتية ، أو للنظام الاشتراكي في أحاديثه التي وجّهها للشعب أثناء الحرب الروسية الألمانية ، بل كان جلّ ما وقف عليه دوره هو إثارة المشاعر الوطنية ، وضرورة التضحية في سبيل الوطن الأمّ دون سواه ... »

ثلاثة وعشرون :

الشيوعيون نظرياً هم أمميون وليسوا بقوميين ، لكن واقع الحكم الشيوعي يظل محتفظاً بقومياته بغية توطيد سيطرته ، وكثيراً ما يتصرف الزعماء الشيوعيون كأشد الناس تعصباً للنزعة القومية ، ومغالاة فيها ، كما أنهم أصحاب نزعة إقليمية في إطار هيمنتهم ، ومع ذلك فان بمستطاعهم أن يتحولوا إلى « أمميين » عندما تقضي مصالحهم بذلك .

وقد اعترف « خروتشيف » بأن « ستالين » قد قام بإبادة العديد من القوميات إبادة شاملة ، وغالباً ما كان يعمد هو وجماعته إلى تأجيج النزعة القومية الروسية ، على أساس أن الأمة الروسية تشكل القومية الأكبر والأعظم والأقوى ، بين قوميات الاتحاد السوفياتي .

* * *

التعصّب الأعمى في الفكر الماركسيّ والمذهبيّة الشيوعيّة

وخنق الفكر الإنساني وإماتة روح الإبداع الفكري

ومن وصف « ميلوفان دجيلاس » في كتابه « الطبقة الجديدة » وهو الخبير الممارس في قلب نظام الحكم الشيوعي ، نستطيع أن نكتشف واقع التعصب الأعمى في الفكر الماركسي ، والمذهبية الشيوعية بشكل عام ، وأن نكتشف ما في الأنظمة الشيوعية كلّها من خنقٍ للفكر الإنساني ، وإماتة لروح الإبداع الفكري ، بوسائل الارهاب، ومعاقبة المفكرين تفكيراً حرّاً في كلّ موضوع يتصل بما للقادة الشيوعيين فيه هوى خاصّ ، أو بما للمذهبية الشيوعية فيه عقيدة ما أو اتجاه ما ، ومن « دجيلاس » أقتبس ما يلي :

أولاً :

يسيطر التعصّب المذهبي على أفكار الماركسيين ، حتى يغلف كلّ أفكارهم بحجاب كثيف جداً ، مقرون بالحقد والهوى ، حتى يعميها عن كلّ حقيقة وعن كل فكر يخالف ما اعتقدوه ، فلا ترى نوراً يكشف لها زيف عقائدها ، أو يبيّن لها الحقيقة المخالفة لها ، فهم غير مستعدّين أن يوجّهوا أنظارهم شطر أيّة نظرية أخرى ، مهما كانت مدعمة بالأدلة الفكرية ، والعلمية ، والواقعية الحسية •

ثانياً :

يقوم النظام الشيوعي بفرض الأفكار الماركسية ، والمذهبية الشيوعية على الذين يعيشون في ظلّ حكمه ، فرضاً بالقوة ، وبمختلف وسائل الإكراه التعليمي ، الذي لا يسمح للمواطن بأن يرى أو يتعلّم أو يطّلع على غير الذي يملونه عليه ، ويفرضون عليه دراسته واعتناقه ، ووسائلهم في ذلك وسائل لم يعرف التاريخ لها نظيراً في اضطهاد الفكر البشري وسحقه •

ومن المهد إلى اللحد يعيش الانسان في ظلّ الحكم الشيوعي تحت وصاية ورعاية الحزب الحاكم ، وما على الأنظمة الدراسية وسائر وجوه النشاط الفكري والاجتماعي إلاّ أن تصوغ السلوك الإنساني كما أراد دهاقنة الماركسيين من المعلمين الأفذاذ . ولكن المرء مهما اشتدّ عليه الطغيان لا يسعه إلاّ أن يفكّر ويفكّر ، ومنعه عن التفكير حافز له على التفكير .

ثالثاً :

إنّ التعصب الماركسي الأعمى لا يقتصر على التعصّب للفكرة الماركسية ، بل يشمل أيضاً الأسلوب الذي أنتجه كلٌ من المعلمين الرائدين « ماركس » و « انجلز » إذْ أنكرا كلّ قيمة علمية لأفكار من عاصرهما من المفكرين ، حتى الاشتراكيين منهم ، وطبعا تلك الأفكار ـ جملةً وتفصيلاً ـ بطابع « العلم البرجوازي » محرّمين على كلّ الأتباع والمريدين قراءتها أو دراستها ، ومحرّمين مناقشتها أيضاً .

ولم يكن لهذين الرجلين من هم سوى تحطيم معارضيهما في الحركة الشيوعية، بهجوم طابعه الفظاظة والسلاطة وطول اللسان .

وقد عمم الشيوعيون هذا فيما بعد ، مضيفين إلى عقدة التعصّب الأعمى والانغلاقية الانطوائية عدّة عقدٍ أخرى ، حتى غدا كلّ عمل فكريّ أو فنّي يقوم به أي مفكر أو مفن من غير المعسكر الشيوعي موضع امتهان ومقاومة .

رابعاً :

دون أي دليل فكري أو تاريخي كان منطلق « لينين » في تعاليمه يعتمد على أنّ « المادّية » كمذهب فلسفي قد كانت على مدار التاريخ هي النظرية التي تمثّل الجانب « التقدّمي » في الميدان الفكري ، بمعارضتها « المثالية » التي كانت باستمرار ممثّلةً للجانب « الرجعي » والتقهقر والظلامية .

وكان هذا نتيجة قصور « لينين » في الحقل الفلسفي .. إذْ كان عندما كتب مؤلفه « المادية والنقد التجريبي » سنة (١٩٠٩ م) ضحل الاطلاع على أعمال الفلاسفة الكبار ، سواء أكانوا قدماء ، أو عصريين .

أقول : يضاف إلى هذا أنه صاحب هوى في دعم المادّية التي هي أساس المذهب الماركسي ، الموضوع بهدف محاربة الأديان والأخلاق ، وكلّ ما يؤيدهما ، ولمّا كانت الفلسفة المثالية تؤيد الفكر الديني في بعض أدلتها ونظراتها ، وتؤيد أسس الأخلاق ، كان على كل الشيوعيين أن يرفضوا الفلسفة المثالية ، وأن يفتروا عليها أي افتراء ، ولو خالفوا في ذلك أسس المعرفة كلها .

خامساً :

من النقد الذي وجهه الفيلسوف والعالم الانكليزي الملحد « برتراند راسل » للشيوعية ، في مؤلفه « البلشفية بين النظرية والتطبيق » بعد أن كان من مؤيدي الماركسية قوله :

«في الشيوعية ناحية أختلف وإيّاها اختلافاً سياسياً ... فهي ليست مجرد معتقد سياسي ، بل هي ـ بالنسبة إلى معتنقيها ـ دين ذو عقائد إيمانية ، فحسب «لينين» إذا ما أراد البرهنة على صحة رأيٍ ما أن يستشهد ـ إن استطاع ـ بنصٍ يسنده إلى « ماركس » أو « إنجلز » ... » .

أي فكلام معلمي الماركسية كلام معصوم عن الخطأ في اعتقاد الشيوعيين ، لذلك يكفي لاعتبار الفكرة فكرة صحيحة تماماً ، وما خالفها باطل أن يكون لها شاهد من أقوال « ماركس » أو أقوال « إنجلز » .

أقول : وهذا قمّة التعصّب الأعمى كما هو ظاهر ، وهو لا ينتج إلاّ عن هوىً آسر ، أو فكر قاصر ، أو جهلٍ غبيّ .

سادساً :

يعتمد القادة الشيوعيون على ترديد الكلمات المأثورة لماركس ، أو إنجلز ، والثرثرة بها ، إعلاناً عن إيمانهم العميق بالمذهب الماركسي ، وتسليمهم الأعمى بما قاله معلما الشيوعية ، كما يستشهد المؤمنون بالله الخالق ، الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ، والعليم بكل شيء ، بآيات الكتاب الحكيم الذي أنزله الله على رسوله .

لذلك فالشيوعية فكرة اعتقادية يجب التسليم بها في نظر الشيوعيين ، ولا يشترط إقامة البرهان على صحتها، ويجب تطبيقها ولو تنافت مع الطبيعة ومصالح المجتمع البشري .

سابعاً :

التعصب الأعمى للماركسية لدى الشيوعيين قد ضيّق أفقهم الفكري ، وسدّ منافذ التفكير لديهم عن التطلع إلى أي جديد ، وإلى أيّة حقيقة ، متى كانت مخالفة للتعاليم الماركسية .

ثامناً :

إنّ ما يسمى « التنمية الزائدة للشيوعية » لم تؤدّ في الواقع إلاّ إلى تعزيز نفوذ الطبقة الجديدة ، وزيادة تسلّط المذهبية الواحدة ، وإلى توطيد الزعامة الفكرية لرجل فرد ، يتبعه نفر من المريدين الحزبيين ، كشرّاح لمتون كتاباته ، الأمر الذي أدّى إلى السقوط الفكري ، وإيقاع المذهب في فقر فكري مدقع ، وكان من بعض ردود الأفعال لهذا زيادة التعصّب الأعمى ضدّ سائر الأفكار ...

والحصيلة النهائية لكلّ ذلك ارتفاع عدد المريدين من المنتفعين ، الذي لم يكن لهم دور إلاّ مثل دور الببغاوات التي تردّد الكلمات التي تسمعها ، وهي لا تفقه منها شيئاً .

تاسعاً :

تحاول الشيوعية ستر فقرها الفكري ، وسقوطها أمام الحقائق العلمية ، باطلاق الأكاذيب والافتراءات ، وتبرير تعاليمها بالمبالغات وزيادة التردّي ، والإكراه على الأخذ بها إذا كانت السلطة بيدها ، والتستر في الأوكار والظلمات، ومهاجمة الأوضاع المتردّية الفاسدة للأنظمة الأخرى ، لدى تنظيمها الحزبي ، من أجل إقامة ثوراتها في البلاد المختلفة .

عاشراً :

لا يملك البحث العلمي في ظلّ النظام الشيوعي أن يكون متجرّداً منصفاً باحثاً عن الحقيقة ، حتى في العلوم المادّية الطبيعية ، كالفيزياء ، والكيمياء ، والفلك ، وعلم الأحياء وغيرها ، وما على الباحثين في هذه العلوم إلاّ أن يوجّهوا علومهم شاؤوا أم أبوا لدعم العقيدة الشيوعية وأسسها النظرية ، ولو كانت براهين هذه العلوم أو دلائلها وأماراتها تشتمل على ما يؤيد الأفكار المناقضة للعقيدة الشيوعية وأسسها النظرية .

يقول « دجيلاس » :

« إنّ الادّعاء بأن الشيوعية منهج كوني يتحتّم على الشيوعيين الركون إليه وتدعيمه ، إنّما هو ادّعاء كذّبته التجارب والأيّام .

لكنّ الشيوعية غدت مذهباً لدولٍ ذات سلطان ، فكانت الترجمة الوحيدة لهذا المذهب أن هيمن وطغى على جميع المجالات الفكرية في البلد المنكوب به ...

ولم يعد في يد علماء الطبيعة إلاّ أن يبذلوا جهدهم ليطابقوا مفاهيم العلوم الطبيعية من فيزيائية وكيميائية ، على مفهوم صراع الطبقات ، وصراع الأضداد ، واستعارة بعض قوانين الفيزياء النووية لتطبيقها على أوضاع المزارع التعاونية .. أو تطبيق بعض القوانين الفلكية مع الجدلية المادّية ...

وإلا فالويل ثم الويل للفلكيين وعلماء الأحياء، وكل مفكر ينظر بعيني رأسه...

وهكذا لم يعد بمستطاع هؤلاء المساكين إلاّ أن يتملقوا أو ينافقوا ويدجلوا ويفتروا على الحقائق العلمية ، أو يفسروها التفسير الخاطىء ... وأفضل مايعملونه هو أن يبرهنوا على أنّ اكتشافاتهم في حقل العلوم تخضع لقواعد النظرية الماركسية ــ اللينينيّة .

وبذا يكون العلم بفروعه واختصاصاته ذيلاً هزيلاً للسياسية لاغير ... » .

« أمّا أولئك الكهنة ، ذوو الأفكار المتحجرة ، والمشاعر البليدة ، والتعابير البالية المجافية والمنافية لكلّ القيم الانسانية ، أصحابُ المقامات الرفيعة في الهرم

الحزبي ، الساهرون على رعاية أفكـار النـاس وأرواحهم خشية الانحراف إلى « التفكير الاجرامي » أو الانعطاف شطر « النزعات المعادية للاشتراكية » والقيّمون على سوق النخاسة الجديدة ورقيقها الجديد ، فانهم يمضون في سبيلهم هذا خانقين جميع الخلجات والمشاعر الانسانية،حتى لا يجد الفكر الجرأة على التعبير الابداعي... وينتهي بهم المطاف إلى أن يصابـوا هم أنفسهم بهذا العقم الذي أرادوه لغيرهم ، ويفقدوا كلّ حماسٍ يوحيه التأمّل الواعي المنزّه عن شطط الهوى ... وتكمّل اللوحة الفكرية لهذه المسرحية المأساوية بأن يغدو أولئك الممثلون لسـلامة الفكر البشري ـ كما يتوهمون ـ هم الممثلين والنّظارة بآن واحد ، في مسرحٍ لا يضمّ غيرهم ... فهم الذين يمثلون ، وهم الذين يعجبهم التمثيل ، وهم الذين يصفّقون لـه .. » .

حادي عشر :

نظام الحكم الشيوعي يضع العراقيل أمام ظهور نشاطات مبتكرة في الحقـل الاقتصادي ، نتيجة الرغبة الكامنة لدى الطبقة الجديدة ، في خنقِ أي اتجاه ترى فيه خطراً على تسلّطها العقائدي . فتبقى الاكتشافات الحديثة قابعة في الأدراج ، أو على رفوف مؤسسات الدولة وخزائنها ، كما أنّ عدم المبالاة ذي الطابـع السائد يقود إلى وأد الملكات الابداعية والمواهب المبتكرة ..

وبما أنّ الاكتشافات العلميّة تحدث نتيجة النظرة المنفتحة على العالم ، لدى الرجال الذين يعملون في حقل الأبحاث العلمية ، فإن تلك النظرة تشكل خطراً على مضمون الفلسفة الرسمية التي يعتنقها الزعماء ، وهذا أمر يجعل من أيّ عالم في الدول الشيوعية عرضة للسقوط في مستنقع الكفر بالعقيدة المفروضة فرضاً من قبل السلطة ، إذا ما حاول أن يتجاوز الحدود المقرّرة سلفاً .

يقول « دجيلاس » :

« ولا يخفى أنّ النظرة الرسمية القائلة بأنّ المادّية الجدلية للفلسفة الماركسية، هي أفضل المناهج العلمية لدفع التطوّر العلمي ، وحثّ النشاط الفكري ، لابدّ

لها من أن تزيد المصاعب الحقيقية أمام البحث العلمي الهادف إلى إيجاد المكتشفات المستحدثة ، عن طريق تكبيل العلماء والمفكرين بالقيود العقائدية الماركسية ،وقوالب النصوص المحنّطة • وجدير بالذكر أنه لايوجد عالم ذو مكانة مرموقة في الاتحاد السوڤياتي لم يعانِ من المضايقات السياسية ، والعراقيل العقائدية ، التي تتخذ أشكالاً متعددة ، من أقلها اتهامُ العالم باتجاهه المعادي للنظام القائم » •

ثاني عشر :

إنّ الأنظمة الشيوعية تعمل للقضاء الكامل على ميادين الأبحاث الفكرية ، نتيجة لواقعها العقائدي المرتكز على فلسفة خاصة ، وهذا يجعلها تعادي بشراسة كلّ فلسفة أخرى • أو اتجاه فكري مغاير ، مع الإعلان بأنّ قادة الحزب والدولة هم الفلاسفة والمفكرون العاملون على رفع مستوى الوعي الانساني •

ومع اضطهاد كلّ فلسفة أو فكر مغاير للفلسفة المفروضة على الشعب ،تحاول الأفكار الحرة أن تعبر عن نفسها بطرق غير مباشرة ، إذ تتسلل متوارية من خلال مجالات الأدب أو الفنّ أو غير ذلك •

لذا فإنّ العلوم والأبحاث الاجتماعية تتعرّض لأسوأ معاملة في النظام الشيوعي ، حتى تكون معدومة ، وذلك لأنّ جميع الاجتهادات الاجتماعية يجب أن تتم منسجمة مع نظريّات ماركس ولينين أو على وفق ما يقرره الزعماء الكبار المحتكرون لكل ما يتعلّق بقضايا المجتمع من أبحاث ودراسات •

يقول « دجيلاس » :

« ولا يغفل القادة الكبار عن طمس التراث الفكري والقضاء على الفنون الشعبية ، وتحوير التاريخ بشكل ينسجم مع تفكيرهم ، وتوجيهه بشكل يؤدي إلى إبراز مكانتهم ، وتعظيم شخصياتهم ، كما أنهم يعمدون إلى تقسيم الأمور وتصنيف الأشخاص بميزانهم الخاص بين الرجعية أو التقدمية•وهم يعمدون إلى تمجيد الأقزام، وإقامة النصُب التذكارية للمسوخ،ويعملون على طمس آثار العظماء الكبار وتحقيرهم، وبذلك تكون اتجاهاتهم العلمية هي الأكثر تلاؤماً مع مصالحهم الخاصّة ، لأنّها توطّد سيطرتهم الكاملة على العلم والمجتمع •••

ومن هنا ، فإن تزوير التاريخ وتزييف الحقائق في التاريخ الشيوعي يبدوان من الأمور الواقعة التي تأخذ طابع ظاهرة سائدة بشكل شامل ... » .

ثالث عشر :

موقف الأنظمة الشيوعية من الفنون يشبه موقفها من الأفكار والفلسفات المغايرة للشيوعية، وذلك لأنّ الفن لايمكن أن يقوم بدون أفكار،فالدولة الشيوعية تقوم برعاية وتوجيه الاتجاهات الفنية المختلفة ، ولا تسمح لشيءٍ منها أن يظهر مالم يكن خاضعاً للأفكار التي تأذن بتثقيف الشعب بها ، أو ترضى عن وصوله إلى أسماعهم أو أبصارهم .

والشيوعيون شديدو المحافظة في حقل الفنون ، للسيطرة التامة على أفكار الناس .

والأساليب التي يتبعها الحكم الشيوعي في مناهضة الفنون ترتكز على اتجاهين أساسيين :

الأول : محاربة كلّ ما يخدم فكرة مثالية .

الثاني : محاربة كلّ ابتداع لأشكال فنية حديثة .

وغدت الآراء والأفكار الفنيّة التي تعبر عن آمال الشعب وآلامه الحقيقية موسومة على ألسنة الطبقة الشيوعية الحاكمة ، بأنها « آراء هدّامة ، وأفكار انحطاطية ، واتجاهات معادية » .

يقول « دجيلاس » :

« فالفنّ حين يتجه للتعبير عن نفسه لايستطيع إلاّ أن يقع في دوامة التناقض الرهيب ، بين حرّية الشكل والاتجاه الموعود به ، وبين الأساليب الاستبدادية القائمة على مطاردة الأفكار الجديدة ، وإخضاع الآراء لقسريّة العقائد المتحجرة ...

إن ظهور أيّ اتجاه جديد ، سواء أكان ذلك مجرّد فكرة أو رأي ، يجب أن يدرس ، ومن ثَمَّ يتمّ إقرار قبوله أو رفضه ، حتى يوضع قيد التنفيذ . ونتيجة

لسطحية الزعماء الشيوعيين الفكرية ، فهم يتجنبون خوض النزاعات الحادة ، عن طريق التصفية الكاملة لحرية الإبداع الفنّي ...

إن الأوضاع القائمة حالياً في بلدان المعسكر الشيوعي تشابه إلى حد كبير أوضاع القرون الوسطى ، حيث كان الناس يضطرون إلى تمثل أفكار الكنيسة والعمل بهديها ، أما اليوم فان على المواطنين الخاضعين للسيطرة الشيوعية أن يحاولوا تفهّم الدور المعطى لهم ، والعمل حسبما يفرضه عليهم الرأي العام الرسمي ، والتأكد من أن نشاطاتهم لا تتنافى مع ذوق رجال الحكم ...

والجدير بالذكر أن كل أشكال الاضطهاد وبسط السيطرة على الآراء والأفكار ، والتحقير والإذلال ، وواقع تحكّم البيروقراطيين الجهلاء بعباقرة العلم والفن ، إنما تحدث باسم الشعب ، وفي سبيل عظمة الشعب ...

« النظام الشيوعي لا يتردد مطلقاً في قمع كل اتجاه لا يوافق عليه ، وشنّ أعنف الهجمات ضدّه ، فالقمع والهجوم هو القاعدة العامّة لاستئصال كلّ اتّجاه مبدع ، وهو في الوقت نفسه لا يضنّ بالعطاء لتشجيع الأفكار الملائمة ، التي ترمي إلى توطيد حكم الطبقة الجديدة،وهذا بدوره يؤدي إلى إفساد الضمائر والأخلاق..

وهكذا يجد المثقفون أنفسهم مضطرين للّجوء إلى كنف السلطة لتفرض عليهم الأفكار التي يستلهمونها ، ولتدرّ عليهم الغنائم والأرباح ...

وقد قاد هذا الوضع السقيم إلى إيجاد أخطر ظاهرة مرضية في ظلّ الأنظمة الشيوعية ، لاسيما بين صفوف تلك الجماعات ذات الطاقات الابداعية ، والقادرة على الإبداع والعطاء ، ألا وهي ظاهرة الانتحار والاستسلام لليأس ، والادمان على المسكرات ، والظهور بمظاهر الخلاعة ، وتحطيم شخصيتهم ، وفقدانهم مشاعر الكرامة والإباء ... » .

رابع عشر :

إنّ الحرب الشرسة التي يقوم بها الشيوعيون بعد تسلمهم الحكم ، لا توجّه ضد الطبقة البرجوازية القديمة ، بل قد تتعاون معها لتوطيد حكمها ، إنما توجّه هذه

الحرب ضدّ الذين يحملون أفكاراً تخالف العقيدة الشيوعية ، والنهج الذي يسير عليه الشيوعيون في حكمهم ، ولو كان هؤلاء من طبقة العمّال والكادحين ، الذين أقام الشيوعيون الثورة باسمهم ، إلاّ أنّهم لمّا استبدّوا بالحكم عملوا ضدّ مصلحتهم ، وهم في الوقت نفسه يردّدون الشعارات الكاذبة بأنّهم يحكمون باسم العمال والكادحين ، ولمصلحة هذه الطبقة .

إنّ الشيوعيين يدأبون للقضاء على الفكر كلّه ، حين لا يسمحون لأي فكر آخر أن يحيا ويسود .

يقرّر « دجيلاس » هذا الواقع ثمّ يقول :

« ولا ريب في أنّ أشدّ الاضطهاد هو إرغام الناس على الكفّ عن التفكير كما يرغبون ، أو دفعهم للحديث عن آراء وأفكار لا يؤمنون بها ، ولا تمتّ إليهم بأية رابطة أو صلة فكريّة وحياتية في ظلّ الإرهاب والظلم . إن الاعتداء على حرية الفكر لا يشكّل اعتداءً على الحقوق السياسية والاجتماعية للفرد فحسب ، بل يشكّل تعدياً على الإنسان ككائن مفكر عاقل » .

« إنّ التاريخ الانساني يحمّل الشيوعيين الكثيرَ من المواقف المظلمة القاتمة من أعمال العنف والإرهاب ، ولن يغفر لهم مطلقاً خنقهم المتعمّد لحرية الفكر ، وإبداء الرأي ، بل محاربتهم بشراسة وهمجيّة كلّ رأي يخالف آراءهم السوداء ، بسبب اتجاههم لتوطيد مصالحهم الذاتية على حساب الشعوب ، بل إنّهم سيُذكرون كلطخة عار في جبين الانسانية والتاريخ » .



النِّظَامُ الشُّيُوعِيّ وَالنُّمُوُّ الاقتِصَادِيّ

— ١ —

ومن وصف « ميلوڤان دجيلاس » أيضاً حول النمو الاقتصادي في النظام الشيوعي أقتبس ما يلي :

أولاً :

لم يكن توطيد النظام الشيوعي هو الأساس للنموّ الاقتصادي في الدول الشيوعية ، ولا قاعدته ، ابتداءً من « الديكتاتورية » الدموية ، إلى الطغيان الرجعي الذي انتهى إليه الحكم الشيوعي .

ثانياً :

إن تدخّل الحكم الشيوعي في توجيه دفة الاقتصاد ، ومصادرة جميع وسائل الاتتاج بدعوى التسريع في إنجاز عمليات التصنيع ،والهيمنة التامّة على جميع منابع الثروة القومية ، وعلى جميع مرافق الحياة،قد انتهى إلى تحقيق كلّ المطامع الشخصية للطبقة الحاكمة ، وإلى توطيد قوّتها الذاتية ، ضمن برنامج دقيق ، ظاهره يُغري بالرحمة والعدل ، وباطنه من قبله الظلم الشنيع والعذاب الفظيع ، وهذا شيء لم يستطع بلوغه أعتى طغاة التاريخ .

ثالثاً :

عرف الشيوعيون كيف يقيمون الثورة المدمرة ، وكيف يضعون أيديهم على منابع الثروة القومية ، ونجاحهم في الثورة الذي أدار رؤوسهم بنشوة الانتصار ، قد جعلهم يتوهمون أنّهم على معرفة راسخة بقوانين تطوّر المجتمع ، وأنّهم قد امتلكوا أزمة القوانين الاقتصادية ، وأنّهم على كفاءة تامّة لإدارة دفّة الاتتاج

بمنتهى الدقة العلمية،ولكنّهم في واقع الأمر على خلاف ذلك تماماً،فهم لا يستطيعون أن ينافسوا أيّ اقتصاد حرّ ،ولا أن ينمّوا اقتصادهم القومي تنمية حقيقية تناسب الامكانات التي هيمنوا عليها .

يقول « دجيلاس » :

« وممّا هو مدعاة للسخرية القول بأنّ الشيوعيين يصمّمون لتدبير اقتصادي وفق منطلقات الماركسية ، ثمّ تكون مرحلة التنفيذ لهذا التدبير ...

وكلّ ما في الأمر أنّ الشيوعيين يطلقون هذه المزاعم الكاذبة إرضاءً لضمائر الشيوعيين الصغار ..

وإذ يستخدمون أشدّ وسائل الطغيان للهيمنة على المنابع الاقتصادية ، يعلنون في تبريرهم ذلك أن ما يفعلونه يجري وفق غايات مثالية ، وتطبيقاً لمكتشفات علمية .

إنّ المذهبية في الاقتصاد ركن من أركان النظام الشيوعي ، ولا سبيل للاستغناء عنها ، ولكن ليست « النظرية » سوى المبرر القانوني لتضخيم ثروات الزعماء ، ومتى تعارضت النظرية ومصالحهم الشخصية ضربوا بها عرض الجدار ... » .

رابعاً :

إن طبقة الموظفين « البيروقراطية » الشيوعية ، قد اضطرت إلى إقامة طراز من النظام الاقتصادي يؤمّن لها دوام البقاء في الحكم . وبحجة إلغاء الطبقية والاستثمار في المجتمع أقامت جهازاً اقتصادياً مغلقاً ، من شأنه أن يمهّد السبيل لهيمنة الحزب ، وإحكام طوق احتكاراته .

خامساً :

يقول « دجيلاس » : « إن المعارضة العنيفة لكل أشكال الملكية ... لم يرفع الشيوعيون لواءها إلاّ لاصرارهم وتصميمهم على الظفر بدفة السلطة السياسية الاقتصادية ، وفرض أشخاصهم على المجتمع المنكوب بهم ... لكنّ هذا الاصرار على المعارضة العنيفة سرعان ما ينقلب إلى نقيضه إذا ما اصطدم بمصالحهم الذاتية ، وتطمين نزواتهم الأنانية .

فعلى سبيل المثال : إنّهم في يوغسلافيا أنشأوا المزارع التعاونية «الكولخوزات» باسم الماركسية والاشتراكية المعصومة عن كل زلل أو خطأ ، لكنهم ما فتئوا ـ وباسم الماركسية والاشتراكية المنزهة كذلك ـ أن حلّوا تلك المزارع ، ليتخبطوا في الطريق الوسط ، لا الاشتراكية ولا الرأسمالية ... وإنما الفوضوية بالذات ... يمكن التأكيد بأنّ كلّ قطر من الأقطار الشيوعية قد مرّ بتلك التجربة .. إذْ وضع الشيوعيون نُصْبَ أعينهم ، وهدف أهدافهم إلغاء كلّ ضرب من ضروب الملكية الفردية باستثناء ملكيتهم وحدهم ... » .

سادساً :

إنّ نظام السخرة والعمل الاجباري واستغلال طاقات العمّال دون توفيتهم الحقوق المكافئة لما يقدّمون من أعمال ، هو النتيجة الطبيعية التي ينتهي إليها النظام الشيوعي ، وهو كأقسى نظام سخرة عرف في التاريخ .

يقول « دجيلاس » :

« إن نظام السخرة في المجتمعات الشيوعية هو النتيجة المنطقية لاحتكار جميع الممتلكات ، ووضع اليد على منابع الثروات القومية ، حتى لم يقتصر الأمر على إلجاء العامل إلى أن يبيع عمله بالقيمة التي تفرض عليه ، بل غدا مجبوراً على بيعه بظروف خارجة عن إرادته تماماً ... لأنه لم يجد مطلقاً من يستخدمه بشروط أفضل ... فالدولة هي المستخدم الوحيد ، وما على العامل « الذي هو بمثابة البرغي في الآلة » إلاّ أن يستسلم مكرهاً ، ويدخل في هيكل تلك المكنة العملاقة .

ويمكن القول : بأنّ أشدّ ضروب الرداءة والإيذاء التي مارستها الرأسمالية في مطلع عهدها ، هي دون وطأة الطبقة الجديدة على كاهل العامل ... وكلّ ما في الأمر من وجهة نظر العامل أنه تبدّل عليه مستخدِمٌ فرد بمستخدم جماعي ... وكان له في ظلّ المستخدِم الأول حرّية التعبير عن استيائه ـ إن استاء ـ وحُرِم هذا الحقّ في ظلّ مستخدِمه الجديد » .

« كيف يمكن للعامل أن يكون حرّاً في مجتمع كلّ خيراته المادّية من سلع وبضائع في قبضة طائفة واحدة بعينها ؟.. الأمر الذي تصبح معه القوى العمّالية ذاتها بشكل مباشر أو غير مباشر سلعة في يد تلك الطبقة ... » .

سابعاً :

إنّ العامل في النظام الشيوعي هو أحد عوامل الانتاج الاجتماعي ، فهو إذن مملوك للطبقة الجديدة الحاكمة ، ما دامت هذه الطبقة قد وضعت يدها على جميع الثروة القومية وعناصر الانتاج فيها .

يقول « دجيلاس » :

« ومن هذا المنظار بالذات لا تنظر الطبقة الحاكمة « البيروقراطية » الشيوعية إلى العامل إلاّ أنه أحد عوامل الانتاج ، وبالتالي فإنّ ظروف العمل وأحواله في جميع المؤسسات ، لا سيما تلك الصلة ما بين الأجور والأرباح ، ليس موضع اكتراث أو اهتمام تلك « البيروقراطية » التي تعرف كيف تطحن العامل بآلة الشقاء الكبرى ، ولكن وفق نظرة « علمية » لقواعد العمل في نظرية القيمة ، والقيمة الزائدة ... وبذا كانت الحصيلة العملية لهذا التصرّف غير الإنساني تـدَنّي الطاقة الانتاجية الفعلية ، وسير القهقرى بالتقدّم التقني ، ورداءة الانتاج ...

عمدت الطبقة الحاكمة « البيروقراطية » إلى بذل مختلف الجوائز ، وضروب المكافآت والعلاوات الاستثنائية ، لاجتذاب العمال إلى الاهتمام بالعمل وتحسين نوعيته .

لكن تلك المنشطات والمهيجات أبعد من أن تؤتي أكلها إلاّ لأمد قصير ، ما دام الشيوعيون مهيمنين على جميع مرافق الحياة تصرّفاً واحتكاراً ... وبشكل تزيد فيه وطأة النظام على الطبقة العاملة يوماً بعد يوم ... »

ثامناً :

إنّ العمّال في الحكم الشيوعي لا يستطيعون الاحتجاج ورفع الشكوى ضدّ الواقع البائس التعيس الذي يعانون منه ، لأن الحكم الاستبدادي «الديكتاتوري»

الشيوعي القابض على كلّ شيء ، والمالك لكلّ شيء لا يسمح بصوت احتجاج يرتفع، وإن ارتفع سكت إلى الأبد ، بتصفية صاحبه •

تاسعاً :

الاقتصاد الشيوعي يوجّه تخطيطاً وتنفيذاً لتعزيز الاستبداد المطلق للطبقة الشيوعية الحاكمة ، ويتمشى وفق مصالح السياسة الحزبية ، لا وفق احتياجات البلاد الاقتصادية ، ولا لإسعاد الشعب ورفاهيته •

ولذلك وجدت في الدول الشيوعية صناعات حربية متقدمة وتدنت الصناعات والانتاجات الأخرى التي تخدم حاجات الشعب الأساسية ، كالغذاء ، والكساء ، والدواء ، والمسكن ، ووسائل الرفاهية ، والبلاد التي كانت تصدّر حاصلات زراعية وصناعية قبل الشيوعية ، أمست بعد الحكم الشيوعي تستورد الأنواع التي كانت بالأمس تصدّرها •

ففي مقابل التقدّم الذي أحرزه الاتحاد السوفياتي في الصناعات الثقيلة الحربية ، يلاحظُ التخلّف الشائن في كثير من الجوانب الاقتصادية الأخرى ، وتقهقر المستوى الحياتي للفرد •

وهذا يرجع إلى طبيعة الحكم الشيوعي الاستبدادية « الدكتاتورية » المسيطرة على كلّ شيء ، والمالكة لكلّ شيء ، والمستأثرة بالامتيازات كلّها لصالح الطبقة الحاكمة ، التي فرضت نفسها على كلّ شيء بالقوة التي لاترحم ، والجبروت الذي لا يخفّف مطلقاً من عنفه وقسوته وإبادته لخصومه ، وإسكاته لأي صوت مخالف •

أقول : وهذا يرجع إلى جذور العقيدة الشيوعية القائمة على الكفر بالله واليوم الآخر ، والكفر بكل القيم الأخلاقية ، والقائمة على إطلاق الوحش المدمّر داخل الانسان الشيوعي الأناني الحسود الحقود الطامح إلى الاستبداد والاستئثار بكل شيء ، والفاقد لأية وخزة ضمير ، إلاّ من صحا وتاب ، وثاب إلى رشده وأناب ، واسترجع جذور فطرته الإنسانية ، وأقلع عن ابتغاء الشرّ وارتد عن الشيوعية •

عاشراً :

يغطّي الحكم الشيوعي الخسائر الاقتصادية التي يصاب بها في كثير من مشاريعه الاقتصادية الرعناء ، والمصحوبة بمصالح شخصية وحزبية ، بأن يلجأ إلى نهب الفلاحين ثمرات أتعابهم ، وذلك عن طريق الشراء القسري للمحاصيل الزراعية منهم ، بمبالغ لا تعادل أجور أتعابهم ، وهي دون مستوى الكفاف بالنسبة إليهم •

حادي عشر :

الاقتصاد الشيوعي تعصف بداخله فوضى رهيبة ، مقرونة بالاسراف والتبذير والهدر للجهود والطاقات دون طائل •

والسبب في ذلك الاستبداد الفردي ، وعدم وجود الرقيب القادر على المحاسبة، وكف الألسن عن توجيه الانتقاد للسلطة ، والإرهابُ الصارم الكاتم لأنفاس الحرّيات الطبيعية للناس • وكذلك كلّ نظام استبدادي بحكم طبيعة الاستبداد البشري •

يقول « دجيلاس » :

« إن الاقتصاد الشيوعي الموجه،تعصف بداخله فوضى رهيبة ذات طابع متميّز • ومنهج الاقتصاد الشيوعي من أكثر المناهج الاقتصادية في تاريخ المجتمعات البشرية إسرافاً وتبذيراً وهدراً للجهود والطاقات ، على الرغم من نهجيته وبرامجه المخطّطة المدروسة •••

إنّ الهدر الكبير للموارد المادية من الأمور التي يصعب تجنّبُها ، وإن كان أولئك الذين يديرون الاقتصاد الشيوعي يشكلون جماعة تنظر إلى القضايا الاقتصادية ـ من خلال وجهة النظر المذهبية ـ نظرة متطابقة مع الملكية الفردية الخاصة •••

إنّ عدم وجود قوى رقيبة توجّه الانتقاد البناء للأخطاء المرتكبة ، لا بد أن يقود إلى التبذير والاسراف وهدر الجهود وإصابة الانتاج بالكساد •••

إنّ الأهداف مهما كانت صادقة، فلا يمكن للسلطة الحاكمة ذات الطابع الشمولي في ميداني السياسة والاقتصاد ، أن تتجنب تنفيذ المشاريع الفاشلة التي تبذّر فيها الأموال ، وتبدّد فيها الجهود دون أي طائل ...

هذا ، مع أنّ القادة الشيوعيين لهم مطلق الصلاحيّات في التصرّف بجميع مرافق الدولة ، كما يديرون جميع قطاعات الاقتصاد بشكل يغاير ويعارض تعاليمهم نفسها ، ذلك لأنهم يتصرّفون حسب أهوائهم الفردية ، ومصالحهم الشخصية ، وبما يتفق مع وجهات نظرهم الخاصة ...

حين يكون التبذير واضحاً ولا سبيل إلى إخفائه ، فإن الزعماء الشيوعيين لا يتوانون عن توجيه الانتقاد إلى غيرهم بشكل دوري ، أو التظاهر بالنقد الذاتي ، دون أن ينسَوْا تبرير ذلك بإطلاق عبارة «التجربة» على سلسلة أخطائهم الفادحة».

أقول : إنّ الشيوعية بمبادئها الالحادية ، وطبيعة أنظمتها المخالفة للفطرة البشرية مخالفة تامّة ، لا يمكن أن تكون شيئاً آخر غير الشيء الذي اتجهت إليه في الواقع التطبيقي .

إنّ الانسان أنانيٌ بفطرته ، استبدادي بطبعه ، فاذا فقد الرقيب والمحاسب من الناس ، وفقد الايمان بالله والخوف من حسابه وجزائه ، وملك كلّ السلطات ، ووجدها طوع تصرّفه ، فلا بدّ أن يخضعها لأهوائه وشهواته ، ويسحق بأقدامه كلّ نظام ، وكلّ مبدأ نادى هو به ، وجعله شعاره ، ثم لا يلتزم بأنظمته إلاّ بمقدار ما يمكّنه من توطيد سلطانه ،واستبداده واستئثاره .

لذلك كان الدين الربّاني هو المؤهل الوحيد لتقديم أفضل صورة صالحة مسعدة للناس .

ثاني عشر :

السرقات والاختلاسات ، ونهب أملاك الدولة ، أمور عادية جداً في الأنظمة الشيوعية .

يقول « دجيلاس » :

« إنّ وقوع السرقات ، وإساءة الأمانة ، في وجوه استخدام الاعتمادات المالية ، لتعتبر من الأمور العادية جدّاً في الأنظمة الشيوعية ، إذ ليس الفقر والحاجة همـا وحدهما اللّذان يدفعان الناس إلى ارتكاب الاختلاسات ، ونهب أملاك الدولة ، بل إنّ الدوافع الأساسية لهذه الأعمال تعود إلى طبيعة النظام الذي يجعل الممتلكات غير عائدة لأحد ، وبذلك يصبح كلّ ما هو نفيس وثمين لا قيمة له ، وهذا من شأنه أن يوجد الأجواء المناسبة لوقوع أعمال السرقة والنهب ، والاختلاس ...

وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد اكتشف في يوغسلافيا عام (١٩٥٤ م) ما يزيد على عشرين ألف عملية سرقة ، وقعت في قطاع الممتلكات الاشتراكية ... » .

ثالث عشر :

التبذير الأكبر في المجتمع الشيوعي يلاحظ في هدر الجهود التي تذهب سُدى، لاسيما في مجال اليد العاملة ، وفي مجال تدعيم الحكم الشيوعي خوف انهياره .

يقول « دجيلاس » :

« غير أن التبذير الأكبر الذي يحصل في المجتمع الشيوعي ليس مقصوراً على الاسراف المادّي ، وإنما يلتصق أكثر بهدر الجهود التي تذهب سُدى ، لاسيما في مجال اليد العاملة .

وهذا الهدر يرتبط بطبيعة العمل البطيء غير المثمر الذي يمارسه ملايين العمال، ممن فقدوا الاهتمام بعملهم ، وبسبب منع الحكام الشيوعيين قيام أي عمل يعتبرونه غير اشتراكي . وهـذه الخسارة الكبيرة ... لم يستطع أي نظـام شيوعي أن يتلافاها ...

أما فيما يتعلق بمخاوف الشيوعيين من عودة الرأسمالية ، أو من مغبة السياسة الاقتصادية التي تظهر نتيجة لأسباب عقائدية ، ذات نزعة طبقية محدودة الأفق ، فإنها قد كلفت الدولة مبالغ طائلة ، وقادت إلى إحداث تخريب شامل لصناعات بأكملها ، لأنها لاتخضع لملكيتها ، فالنظام الشيوعي لايعتبر أية صناعة ، صناعةً اشتراكية إلا إذا دخلت في نطاق ملكية الدولة ... » .

رابع عشر :

يقرر « دجيلاس » ما يلي :

أ ـ أن النظام الشيوعي قد استنفد دوره التاريخي الفاشل •

ب ـ وأنه لا يوجد قطر شيوعي تمكن من تحقيق النجاح في تطور علاقات التجارة الخارجية ، إلى أبعد من حدود التبادل التقليدي للمنتوجات •

ج ـ وأنّ كثيراً من المصانع في الدول الشيوعية تنتج موادّ تكلّفها أضعاف تكلفة نظيرها في الدول الأخرى •

د ـ وأنّ الطبقة العاملة هي الملزمة بدفع الخسائر من جهدها وكدّها وعرقها•

هـ ـ وأنّ النظام الشيوعي دائم التخبّط والانتكاس في المجال الاقتصادي •

و ـ وأنّ النظام الشيوعي قد بدأ بمواجهة المصاعب الخطيرة قبل تمكّنه من بلوغ قمّة تطوّره ، كما أن مستقبله يبدو غير مستقر ، وأبعد ما يكون عن السلامة ، وهذا الأمر من شأنه أن يقود الجهاز الاقتصادي الشيوعي إلى خوض غمار صراع مرير وقاسٍ ، في سبيل بقائه واستمراره •

ـ ٢ ـ

ومن «د• غريب جمعة » أقتبس بتصرف ما يلي [١] :

أولاً :

اعتمد النظام الشيوعي ـ الذي يمثله الاتحاد السوڤياتي بالدرجة الأولى ـ في الزراعة على مايسمونه «الكولخوزات » و « السوفخوزات » •

أمّا « الكولخوزات » فهي عبارة عن تعاونيات زراعية تؤخذ فيها الأرض من الفلاحين للتعاونية • وفيها يتمّ توزيع جزء من الدخل الذي تقدمه الأرض في

---

(١) من مقال نشرته مجلة رابطة العالم الاسلامي العدد (١٣) للسنة (١٥) .

التعاونية « الكولخوز » لإدارة « الكولخوز » حسب مساحات الأرض التي قدّمها الفلاحون ، ويجري دفع أتعاب العمل فيها طبقاً للقانون الاقتصادي الخاص بالتوزيع حسب العمل .

ويدير « الكولخوز » هيئات إدارية يرئسها رؤساء « الكولخوزات » ويجري انتخاب الهيئة الإدارية والرئيس من قبل الاجتماع العام للأعضاء . ويتكوّن « الكولخوز » من حوالي (٤٠٠) أسرة زراعية ، وحوالي (ستة آلاف هكتار) من الأرض الزراعية ،وحوالي (ألف) رأس من الماشية .

وأما « السوفخوزات » فهي مزارع جماعية تعود ملكية الأرض فيها للدولة ، وتقوم الحكومة بادارتها عن طريق المؤسسات التي تشرف على الأمور الزراعية .

ويضمّ « السوفخوز » حوالي (٦٥٠) عاملاً ، وحوالي (ثمانية آلاف هكتار) من الأرض الزراعية ، وحوالي (ألف) رأس من الماشية .

وتؤدّي « الكولخوزات » و « السوفخوزات » عملها طبقاً للخطّة التي تضعها الدولة ، وهي جزء من الخطة الشاملة للمجتمع الشيوعي .

أمّا الملكية الخاصة للأرض الزراعية فهي لا تتعدى قطعة صغيرة للعائلة في « الكولخوز » مع بعض أدوات العمل الضرورية وعدد قليل من الماشية والدواجن .

ثانياً :

تمتلك الدولة في النظام الشيوعي امتلاكاً تامّاً جميع وسائل الانتاج ، وتدار هذه الممتلكات من قبل مؤسسات حكومية ، وما تمتلكه الدولة وتتصرف به يوضع له عنوان « ملكية الشعب » .

ثالثاً :

الاقتصاد القومي في النظام الشيوعي يخضع في مجمله لما يسمّى بالتخطيط المركزي ، والفرد ليس حرّاً في أمر السعي لرزقه ، ولا في أمر استهلاكه ، ولا في ادّخاراته ، وإذا حدث أن ادّخر شيئاً وفره من ضروريّات عيشه فإنه في مفهوم النظام مكتنز .

رابعاً :

الأراضي الزراعية ومؤسسات الدولة في النظام الشيوعي قد تحولت من إقطاع الأفراد ورأسماليتهم في النظام الرأسمالي ، إلى إقطاع الحزب الشيوعي ورأسماليته • والفارق بينهما أنّ الأوّل غير منظم ، ولذلك تظهر التناقضات والصراعات بحدّة بين الاقطاعيين وبين صغار ملاّك الأراضي الزراعية والمزارعين المعدمين ، وكذلك تظهر بين كبار الرأسماليين وبين أصحاب المصانع الصغيرة • أمّا إقطاع الحزب الشيوعي ورأسماليته فأمران مدروسان منظمان ، تتيجة لوحدة الإدارة ، وهذه الإدارة الواحدة تملك القضاء على أي تناقض يمكن أن يظهر •

خامساً :

لمّا حاول زعماء الشيوعية تطبيق نظام « الكولخوزات » وأخذ الأرض الزراعية من المزارعين بالإكراه لهذه التعاونيات ، وتأميم وسائل الانتاج ، واجهتهم عقبات لاحصر لها ، على رأسها الاصطدام بواقع الطبيعة البشرية ، إذ أخذ الأفراد يتقاعسون عن أداء واجبهم ، وكثيراً ما يتهربون منه ، نظراً إلى أن المفروض في النظام أنه يضمن التأمين لمعيشتهم وسدّ حاجاتهم ، إذن فلماذا يجهدون أنفسهم ؟!• إن النتيجة واحدة في حالتي التهاون والجدّ ، والخمول والنشاط ! ولماذا يشقي الفرد نفسه ليسعد غيره ؟!• ولماذا يبذل دمه وعرقه في سبيل حياة الآخرين ورفاهيتهم ؟! وهو لا يؤمن بقيمةٍ ما من قيم الحياة إلاّ القيمة المادّية الخاصة ، التي ليس فيها مقولات:(الله ــ والضمير ــ والأخلاق الفاضلة ــ والعدل الرباني ــ وما إلى ذلك)•

سادساً :

قضى النظام القائم في البلدان الشيوعية على مبدأ الحافز الفردي ، الذي يعمل عمل السحر في نفوس الأفراد ، فيدفعهم للانتاج الوافر من جهة ، والتحسين من جهة ثانية • وحرمان الأفراد من هذا الحافز قد حكم على نشاطهم وكثير من طاقاتهم بالاضمحلال والفناء •

لذلك قام زعماء الشيوعية بعمليات « ترقيع » متعددة للنظرية عدة مرات ، وما تزال عمليات الترقيع في الاتحاد السوفياتي مستمرة •

وهذا ما جعل الشيوعيين الصينيين الملتزمين بالعقيدة الماركسية يتهمون الروس بالتحريف •

ونلاحظ أيضاً أن يوغسلافيا وبعض دول أوروبّا الشرقية لهاآراؤها الخاصة في التطبيقات الاقتصادية •

إنّ ملاحظة الواقع القائم في الدول الشيوعية تدل دلالة واضحة على أنّ النظرية الماركسية قد فشلت تماماً عند التطبيق العملي •

سابعاً :

جاء في كتاب « طريق إلى فهم الاتحاد السوڤياتي » تأليف « وليم بوليت» مايلي:

« كانت الحرب العالمية الأولى والثورة الشيوعية والحرب الأهلية ، قد أوقعت الاضطراب والانحلال في النظام الاقتصادي الروسي ، ووقع على عاتق « لينين » عبء جسيم ، هو إعادة تعمير بلاده ، إذ هبط الانتاج الصناعي في عام (١٩٢٠ م) إلى (ثـمن) ما كان عليه في عام (١٩١٣) •

وقلّ محصول الحبوب من (٧٤) مليون طن في عام (١٩١٦ م) إلى (٣٠) مليون طنّ في عام (١٩١٩ م) •

واضطر « لينين » إلى أن يبتدع سياسة اقتصادية جديدة توصي بالتراجع عن السياسة الشيوعية التي طبّقت سنة (١٩١٧ م) إذْ كانت الحكومة تستولي من الفلاحين على محصول الحبوب ، وتترك لهم مقادير ضئيلة لطعامهم ، فامتنع الفلاحون عن إنتاج ما يزيد عن حاجتهم ، وأراد « لينين » تشجيعهم ، فأمر بأن يباح لهم بيع ماتبقّى لديهم من المحاصيل في السوق الداخلية ، بعد أن تستولي الحكومة على حصّتها •

واحتفظت الحكومة بحقّ احتكار التجارة الخارجية ، وأنشأت نظاماً لتجميع المصانع في وحدات تخضع لاشرافها • كما أبقت في يدها الاشراف على المصانع ذات

الانتاج الضخم ، وأذنت للأفراد بتملّك بعض المصانع الصغيرة وإدارتها ، ومنحت امتيازات لرؤوس الأموال الأجنبية •

ولمّا تحسنت الأحوال الاقتصادية شيئاً ما في سنة (١٩٢٧ م) قرر « ستالين » أنّه قد آن الأوان لشنّ الحرب على الجبهة الداخلية ، ففرض نظام المزارع المشتركة، وبسط إشراف الحكومة على الانتاج الصناعي ، وتحولت الدولة إلى دولة لا يعمل فيها بالزراعة إلاّ نصف سكانها ، بعد أن كانت الغالبية تعمل بها ، وكانت نتيجة المزارع المشتركة أن اختفت ملايين المزارع الصغيرة • وقد رضي بعض الفقراء بهذا النظام بينما عارضه الكثيرون الذين صودرت أموالهم ومزارعهم ، ممّا أدّى بهم إلى الإعدام رمياً بالرصاص ، أو إلى النفي إلى سبيريا للقيام بأعمال السخرة ، وأطلق عليهم اسم « الكولاك » تحقيراً لهم •

ولمّا لم يبق في روسيا فلاّح ينعم باستقلاله الخاصّ ، قال « ستالين » في سنة (١٩٣٩ م) : لقد هلك المستغلّون ، ولم يبق أحد ممن ينبغي القضاء عليهم •

وكانت نتيجة ذلك أن تفشت المجاعة ، وكانت الحكومة قبل ذلك قد استولت في سنة (١٩٣٣ م) من « أوكرانيا » و « كوبان » ــ رغم احتجاج الفلاحين ــ على مقدار من الحبوب بلغ من وفرته أن تسبب بموت عدد من أهل الاقليمين يتراوح ما بين ثلاثة إلى خمسة ملايين من جراء المجاعة التي أحكمت الحكومة تنظيمها !!

وعلى الرغم من ذلك ظلّت الحكومة محتفظة للبوليس السرّي السياسي بمستوى رفيع من القوة والعدّة والعدد ، لم تبلغه « الأوبريكينا » في أيّام «إيفان» المرعب ، والتي عرفت باسم « التشيكا » بعهد «لينين» ثم باسم « الأوجينو » وهي تسمّى اليوم « نيكفيدا » • لقد تغيّرت الأسماء ولكن طبيعة عملها لم تتغير ، فعليها أن تتشمّم خصوم « الديكتاتورية » حتى تستأصلهم وبغير رحمة • ويعيش كلّ روسي في رعب من الساعة التي تدقّ فيها بابه ليلاً • ويأتمر بأمرها جيش يبلغ ربع مليون ، وأفراده أحسن أجراً ومسكناً وطعاماً من جنود الجيش الأحمر ، وله مدافعه وطائراته وسجونه وأقبيته لتنفيذ الإعدام ، ولها ميزانيتها الضخمة التي تضمن لها القيام بعملهاعلى أحسن الوجوه » •

ثامناً :

قال الشيوعي الفرنسي « أندريه جيد » عن الشيوعية المطبقة في الاتحاد السوفياتي ، بعد رحلته إليها ، وتكريمه فيها تكريماً باذخاً :

« ... وحين هربت من كبار الموظفين ومضيت أختلط بالعمال تبين أن أكثرهم يعيشون في أبشع صنوف الفاقة في الوقت الذي كنت أجلس فيه إلى مأدبة فاخرة كلّ ليلة ، وأرى الخوان حافلاً بأنواع الأطايب والمشهيات ... » .

وقال أيضاً :

« ... ولم يعد اختفاء الرأسمالية من روسيا على العمال فيها بخير أو نفع ولم يسُق لهم الحرّية التي كانوا لها ناشدين ...

فلتدرك الطبقات الكادحة خارج الاتحاد السوفياتي هذه الحقيقة كلّ الإدراك»



الفصل الخامس

أعمال الإرهاب والقمع والقتل والتعذيب لدى الشيوعيين



أعمال الإرهاب والقمع والقتل والتعذيب التي يمارسها الشيوعيون ضدّ مخالفيهم ومعارضيهم ومنتقديهم ومنافسيهم ، ولو كانوا ماركسيين مثلهم ، ولو كانوا رفاق نضال ثوري

– ١ –

نظــرة عامّـــة

(١) لايتصور الفكر ، ولا يتوهم الخيال ، لوناً من ألوان التعذيب الهمجي ، والقمع الاجرامي ، إلى حدّ الإبادة الجماعية للمجموعات البشرية ، دون أيـةعاطفة إنسانية ، مع التفنن العجيب في وسائل التعذيب ـ إلا ويمارسه الشيوعيون بأقبح صوره ، وأشدّ مستوياته ، وأكثرها توحّشاً وهمجيّة ولؤماً .

شهدت بهذا الوقائع التي لا تحصى ، ودلّت عليه طبيعة الشيوعيـة القائمـة على الحقد الطبقي ، والأنانية المفرطة المقيتة،المقترنة بإنكار وجود الخالق جلّ وعلا ، وإنكار العدل الرّبّاني الذي هو مظهر من مظاهر حكمة الله العليم الحكيم القدير ، وإنكار يوم الدين وما أعدّ الله فيه من جزاء للمحسنين والمسيئين ، والمقترنة أيضـاً بعدم اعتراف الشيوعيين بأية مبادىء أخلاقية إنسانية ، لأنّ العقيدة الشيوعية قائمة على المادّية فقط ، الخالية من أية أهداف غائية للوجود .

إنّ مثل هذه العقيدة المادّية الملحدة ، لا بدّ أن تُطلق الوحش البشري الشرس المدمّر الذي لا تقنعه فريسة تشبع بطنه ، ولا ممارسة تطفىء نار شهوته ، ذلك لأن طمع الإنسان وجشعه لا حدود لهما ، ولا يشد لجامهما إلا الايمان بالله والخوف من عقابه وانتقامه ، ومن جزائه يوم الدين .

(٢) لم يتورع القادة الشيوعيون عن الاعتراف بأعمال التعذيب الوحشية التي قاموا بها ضدّ كلّ الذين خالفوهم ، ولو كانوا من رفقاء العمل الثوري ، ومـن حملة العقيدة الشيوعية ، بل ربّما كان هؤلاء أحق بأن يعاقبوا بأشد أنواع العقاب،

ويعذبوا بأشد أنواع العذاب ، لأنهم يعلمون ما يجب على الرفيق الشيوعي من الطاعة المطلقة لقادته وزعماء حزبه ، وعدم الاعتراض مطلقاً على آلهته الشيوعيين !!

يقول « دجيلاس » :

« لقد سبق « لخروتشوف » أن أقرّ بأنّ وسائل التعذيب ومنها المطارق ، قد لعبت دوراً أساسياً في انتزاع الاعتراف من الخصوم ، بل إنها قادت المتهمين إلى الإقرار بجرائم لم يرتكبوها البتة ، خلال حملات التطهير الرهيبة التي قادها « ستالين » .

غير أن « خروتشوف » لم يعترف بالحقيقة الكاملة حين نفى استخدام المخدرات ضدّ المتهمين ، في الوقت الذي تتجمع فيه كلّ الأدلة على أنّها استخدمت على نطاق واسع ...

وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن المجرمين السياسيين ومن بينهم شيوعيون ذوو مكانة عالية يضيعون في غيبوبة طويلة شبيهة بالموت ، أو يدفعون للإدلاء باعترافات عصبية ، أو يتضرّعون لإنزال عقوبة الإعدام فيهم عقاباً لهم على جرائمهم .

لقد فوجىء المتهمون الشيوعيون أنفسهم بادىء ذي بدء مفاجأة عنيفة ، حين تعرضوا لأشرس ضروب الظلم والعنف والتعذيب البعيدة كل البعد عن المفاهيم الأخلاقية ، أو جوبهوا بالاتهامات الكاذبة التي وصموا بها من قبل زعامة الحزب ، لدرجة لم يستطيعوا معها إدراك أن هذه الأساليب التي تتبعها الزعامة الشيوعية خالية من القيم الأخلاقية ، وموغلة في الانحطاط ، ولم يستطيعوا أن يميّزوا فسادها وبطلانها الكامل . إلا أن موقفهم المشدوه لم يدم طويلاً ، إذ سرعان ما وجد المتهمون أنفسهم وقد أقصوا عن مراكزهم ، وأدركوا أنّ طبقتهم المتجسّدة في الزعامة الشيوعية قد تخلّت عنهم نهائيّاً ، عندها توضّحت لهم الأمور ، وظهر لهم أن الزعامة الشيوعية قد كشفت القناع عن وجهها ، فلم تتلكأ عن صَلبهم على محارق الإجرام والكفر والخيانة ، وهم الأبرياء . وبذلك وجدوا أنفسهم خارج الحركة الشيوعية وبعيداً عن آرائها الضيقة ، مهشمين ضائعين بلا مستقبل ، لاسيما بعد أن أبعدوا عن مجال نشاطهم السياسي الذي أفنوا فيه عمرهم ... » .

- ٢ -

نكبات المسلمين على أيدي الشيوعيين

(١) بعد نجاح الثورة الماركسية البلشفية في روسيا ، وقبل أن يستتب الأمر تماماً للشيوعيين ، أرادوا استمالة المسلمين في البلاد ، واستثارتهم ضدّ الحكم القيصري الذي كان يضطهدهم ويعتدي على حرماتهم ، ليكونوا قوة مساندة للشيوعيين الثائرين ضدّ قوى المعارضة النصرانية الموالية للحكم السابق ، فأصدر مجلس فوميسيري الشعب البلشفي نداء موجّهاً للمسلمين سنة (١٩١٧م) جاء فيه :

« إنّ امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار ، والأرض التي تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل ناراً .

وفي وجه هذه الأحداث الجسام تتجه بأنظارنا إليكم أنتم يا مسلمي روسيا والشرق ، أنتم يا من تشقَوْن وتكدحون ، وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كلّ حقّ أنتم له أهل .

أيها المسلمون في روسيا ، أيها التتر على شواطىء الفولجا وفي القرم ، أيها الكرغيز والسارتيون في سيبيريا والتركستان ، أيّها التتر والأتراك في القوقاز ، أيها التشيشيين ، أيها الجبليون في أنحاء القوقاز ، أنتم يامن انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم ، واعتدي على عقائدكم وعاداتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم .

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم وحرية نظمكم القومية ، ومنظماتكم الثقافية مكفولةً لكم منذ اليوم ، لايطغى عليها طاغ ، ولا يعتدي عليها معتدٍ .

هبّوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشتهون حائل . إن ذلك من حقكم إن كنتم فاعلين .

واعلموا أن حقوقكم شأنها شأن حقوق سائر أفراد الشعب الروسي ، تحميها الثورة بكل ما أوتيت من عزم وقوة ، وبكل ما يتوافر لهامن وسائل ، جند أشداء ، ومجالس للعمال ، ومندوبين عن الفلاحين .

وإذن فشدّوا أزر هذه الثورة ، وخذوا بساعد حكومتها الشرعية .

أيها المسلمون في الشرق ، أيها الفرس والأتراك والعرب والهندوس ، أنتم جميعاً يامن وطئ الأوربيّون القراصنة أرضكم ، وتاجروا بأرواحكم وأملاككم وحرّياتكم قرناً بعد قرن ، أنتم جميعاً يامن يحاول اللصوص الذين أشعلوا نار الحرب أن يقتسموا بلادكم بينهم ... اخلعوا عن أعناقكم نير هؤلاء اللصوص .

أولئك الذين يستعبدون أهلكم ، ويستبيحون دماءكم وأرواحكم ، فان من المستحيل عليكم بعد الآن أن تظلوا قابعين لاتحركون ساكناً ، في وقت تهزّ فيه الحرب عرش النظام القديم ، وتشتعل فيه نفوس العالم كلّه حنقاً على الغاصبين المستعمرين، وتمتد فيه شرارة الغضب فتصبح ثورة تأتي على كل شيء .

حذار أن تضيعوا وقتكم دون أن تلقوا عن كاهلكم نير المستبدين والظالمين الذين استبدوا بكم وبأوطانكم .

إياكم أن تدعوهم يسلبونكم ما أوتيتم من خير بعد اليوم . وعليكم من اليوم أن تشيّدوا صرح كيانكم بأنفسكم وبطريقتكم الخاصة،وفق ما تحبّون وماتختارون. فان من حقكم أن تفعلوا وإنكم لفاعلون ، وها هو مستقبلكم في أيديكم .

أيها الرفاق ، أيها الأخوة . لنتقدّم سويّاً في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطي . إنّ رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في أرجاء العالم .

أيها المسلمون في روسيا ، أيها المسلمون في الشرق ، إننا ونحن نسير في الطريق الذي يؤدّي بالعالم إلى بعث جديد تتطلّع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون ».

وكان هذا النداء خداعاً للمسلمين ، ليدعموا الثورة الشيوعية التي كانت تخشى على نفسها من الانهيار ، وتحتاج إلى قوى شعبية تدعمها .

* * *

(٢) وأسرع المسلمون حين سمعوا هذا النداء يجمعون قواهم ، وبادرت شعوب إسلامية كانت مستعمرة مضطهدة تحت الحكم الروسي القيصري فأعلنت استقلالها ، واستعادت سيادتها على أرضها ، وقامت جمهوريّات إسلامية عديدة ، لكنّها بالطبع لم تكن شيوعية ، ولم تكن خاضعة خضوعاً كليّاً للشيوعيين الذين أقاموا الثورة في روسيا ، وما كان باستطاعة هذه الدول وهي ملتزمة باسلامها وعقائدها ومفاهيمها الاسلامية أن تتحوّل إلى الشيوعية ، لأنها تتناقض مع الاسلام تناقضاً كليّاً في جذورها الاعتقادية ، وفي تطبيقاتها ونظمها الحياتية .

* * *

(٣) ولم تمض فترة وجيزة حتى ثبت الشيوعيون أقدامهم ، وملكوا قوتهم ، وشعروا بأن الحكم استقر في أيديهم ، عندئذٍ توجّهوا بجيشهم المعروف بالجيش الأحمر ، يحصدون الجمهوريّات الاسلامية التي قامت من شاطىء المحيط الهادي إلى جبال أورال،وكان هجوم الجيش الأحمر لها مباغتة لم تعدّ بعدُ لها عدتها ، فهي دول ما زالت فتية في طور نشأتها الأولى ، وفي مدى ثلاث سنين استولى الشيوعيون على هذه الجمهوريات الاسلامية ، بعد أن قدم المسلمون في حرب المعتدين تضحيات جسيمة ، ولكن قواهم كانت أضعف من أن تقاوم جيشاً مدرباً مزوّداً بأحدث الأسلحة من طائرات ودبّابات وسيارات مصفحة ومدافع بعيدة المدى . في حين أنها كانت لا تملك شيئاً من مثل هذه الأسلحة ، لقد كانت شعوباً مستعمرة للحكم القيصري النصراني ، ثم ما ملكت أنفاسها حتى عاد المستعمرون السابقون بوجه شيوعي أكثر شراسة وعنفاً لفرض سلطانهم الأحمر .

وفيما يلي وصف موجز لزحف الشيوعيين على الجمهوريات الاسلامية (١) :

في نيسان سنة (١٩١٨ م) أصدر « لينين » أمراً بالزحف على البلدان الاسلامية دون إنذار سابق ، فأخذت الدبّابات تحصد المدن حصداً ، وتدك

---

(١) أخذاً من كتاب « الاسلام في وجه الزحف الأحمر » للكاتب الاسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي .

الحصون والقلاع ، وأخذت الطائرات تمطر البلاد سيلاً من قنابلها دون تمييز بين عسكريين ومدنيين .

وفي نهاية عام (١٩١٨ م) كان الشيوعيون الروس قد استولوا على جمهورية « ايديل أورال » وشمال القوقاز ، وحكومة « خوقند » في تركستان ، وتأخر الاستيلاء على شبه جزيرة القرم لعنف المقاومة فيها .

وفي سنة (١٩١٩ م) استولى الشيوعيون الروس على جمهورية « ألاش » .

وفي نيسان من سنة (١٩٢٠ م) انتهوا من احتلال القرم ، ثمّ استأنفوا الهجوم على جمهورية « أذربيجان » وأخضعوها .

ثم حاصروا جمهورية « خيوه » من ثلاث جهات فدافع عنها أهلها التركمان دفاع المستميت ، ولكنها سقطت في نهاية سنة (١٩٢٠ م) .

وفي سنة (١٩٢١ م) توجّه الجيش الأحمر لاحتلال جمهورية « بخارى » الاسلامية ، ودار بين الشيوعيين وبين مسلمي بخارى قتال مرير . ولمّا انهزمت جيوشهم النظامية شنّوا على الشيوعيين حرب العصابات ، واستمرت هذه الحرب قرابة عشر سنين ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحرزوا النصر ، لضعف قواتهم العسكرية القادرة على مواجهة الجيوش الروسية ، وعدم وجود أية مساعدات خارجية لهم من العالم الاسلامي .

* * *

(٤) وبعد أن استولى الشيوعيون الروس على هذه البلدان الاسلامية شرعوا يخضعونها وأهلها للنظام الشيوعي ، ويفرضون عليها العقائد الكافرة ، والأعمال الفاجرة ، وبدأت النكبات القاسيات والكوارث الشداد ، تتساقط على رؤوس المسلمين ، بكل عنفها وقسوتها ، والجلاّد اليوم هو الروسي الأحمر وكل الشيوعيين التابعين لهم ، الذين يدينون بدينهم ويخضعون لقيادتهم ، بعد أن كان جلادهم بالأمس الروسي القيصري النصراني المستعمر لبلادهم ، والناهب لخيراتهم .

لقد قرّر الروس الشيوعيون أن يغيروا البلاد الاسلامية تغييراً كليّاً ، ويحوّلوا تاريخها كلّه من مجرى إلى مجرى آخر .

فكانت الأوامر تصدر بنقل سكان البلاد نقلاً جماعيّاً من أوطانهم العامرة ذات الخيرات الوفيرة ، إلى مواطن أخرى لايجدون فيها إلا الذل والجوع والحرمان والتشرد . وتم بذلك تغيير معالم البلاد الاسلامية ، وقطع الصلات بين حاضرها وماضيها ، ووقعت بذلك مجاعات هلك فيها ملايين من الناس المنكوبين .

وفي خطة التهجير القسري طرد السكان المسلمون من أذربيجان وتركستان والقرم إلى فيافي سيبيريا وأواسط آسيا ، وقاوم المسلمون دون أرضهم وأموالهم ، وفي هذه المقاومة فني منهم خلق كثير ، على أيدي الشيوعيين الكفرة .

واستقدم لاحتلال بلدان المسلمين هذه روسيون ، وسلافيون ، وأوكرانيون .

واستولت روسيا على خيرات هذه البلاد ذات الثروات الضخمة ، فمن جمهورية « أذربيجان » الاسلامية شرعت روسيا تستخرج البترول بالكميات الضخمة التي تغنيها . ومن جمهورية « تركستان » الاسلامية ، شرعت تستخرج المعادن المختلفة ، وقد ذكر الباحثون أنه يوجد في هذه الجمهورية الاسلامية وحدها ما يلي :

٢٥ منجماً للذهب و ١٦ منجماً للفضة و ٤٦ منجماً للحديد و ٣٢ للرصاص و ٢٤ للبترول و ٧٠ للفحم و ١٣ للكبريت و ٦٣ للصوديوم . عدا مناجم المعادن الأخرى .

* * *

(٥) ومن صور النكبات التي أنزلها الشيوعيون الروس بالمسلمين ما حل بسكان شبه جزيرة القرم .

تقع شبه جزيرة القرم على الشاطىء الشمالي للبحر الأسود ، وكان سكانها المسلمون يبلغون خمسة ملايين ، وقد ظفروا باستقلالهم بعد النداء الشيوعي للمسلمين ، وإبّان الثورة الشيوعية في روسيا .

ثم إن الزحف الروسي الشيوعي على البلدان الاسلامية قد شمل شبه جزيرة القرم ، وقاوم أهلها العدوان الروسي الجديد ببسالة عظيمة، واعتصم جيشها بالجبال ، ودافع دفاع الأبطال ، وكانت جماهير المسلمين تؤازر المقاتلين بما تستطيع من مؤازرة ، ولمّا رأى الروس الشيوعيون أن المقاومة عنيدة شديدة ، لجأوا إلى حرب التجويع ، فنقلوا ما في الجزيرة من أقوات ، وحاصروها ومنعوا الأرزاق أن تصل إليها •

وتعرّض أهل البلاد لبلاء عظيم أشرف فيه العسكريون والمدنيون والأطفال والرجال على الهلاك من الجوع •

وقد نشرت جريدة « ازفستيا » في عددها الصادر في ١٥ تموز سنة (١٩٢٢م) تقريراً للرفيق « كالينين » عن مجاعة القرم جاء فيه ما يلي :

« بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في شهر « يناير » كانون الأول (٣٠٢٠٠٠) مات منهم (١٤٤١٣) وارتفع عددهم في شهر « مارس » آذار ، إلى (٣٧٩٠٠٠) مات منهم (١٩٩٠٢) ، وبلغ في « إبريل » نيسان (٣٧٧٠٠٠) مات منهم (١٢٧٥٤) ، وفي شهر « يونيه » حزيران بلغ (٣٩٢٠٧٢) • ولم يذكر هنا عدد الموتى !!

وجاء في التقرير أن أكل لحم الانسان لم يكن من الحوادث المستغربة ، أو تبدو عجيبة في بابها •

وجرّد الشيوعيون الروس المسلمين من أملاكهم وثرواتهم ، وشرعوا يهدمون مساجدهم ومعاهدهم الدينية ، حتى لم يبق من (١٥٥٨) مسجداً بالقرم إلاّ عدد قليل جداً يعد بالآحاد ، أما سائر المساجد فقد أزيلت ، أو حولت إلى أندية ومقاهي ودور لهو واصطبلات للخيل ، وحظائر للماشية •

وكان سكان القرم في سنة (١٩١٧) قرابة خمسة ملايين مسلم ، فأمسوا في سنة (١٩٤٠ م) تنيجة أعمال الإبادة والنفي والتهجيرات الشيوعية (٤٠٠ر٠٠٠) مسلم فقط ، وكان المفروض في أحوال طبيعية أن يتكاثروا ويصلوا إلى قرابة عشرة ملايين •

أين ذهب هذا الجمّ الغفير والعدد الوفير من المسلمين ؟! ما هـذه المبادىء الانسانية التي قمتم من أجلها أيّها الشيوعيـون ؟ أهكـذا تريـدون أن تسعدوا الانسانية بإبادة شعوبها ، وكل هذه الشعوب التي تبيدونها مـن الفقراء والعمال والكادحين ؟

ما أتعس العمال والكادحين وكل الناس على أيدي الشيوعيين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر !!

* * *

(٦) كتب بعض المهاجرين من الطغيان الشيوعي شكوى إلى سكرتير الأمـم المتحدة مستر « تريجفلي » وقدموها إليـه عن طريق وكيل الأزهر الأسبق الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ، وفيما يلي نص الشكوى [١] :

« تتشرف برفع هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقرة ، باسم الشعوب الاسلامية التي ترسف في أغلال الذلّ والعبودية ، تحت وطأة الحكم الشيوعي الذي امتدت سلطاته حتى شملت البلاد الواقعة بين جزيرة البلقان ، والمحيط الهادي .

ويقيم على هذه الرقعة أكثر من مائة مليون من المسلمين في أحوال وظروف تفوق فظاعتها وقسوتها أظلم عصور التاريخ الغابرة .

حتى إن الأجيال المقبلة ستستحي وتخجل من مدنيتنا الحديثة المعاصرة ، ومن نظمنا السياسية والخلقية والفلسفية جميعاً ، عندما تذكر هذه الظروف القاسية التي يعيش فيها مائة مليون من بني الانسان ، دون أن تتحرك الهيئات العالمية لنجدتهم .

تلك الهيئات التي أسست لحماية الكرامة الانسانية ، ولضمان أبسط الحرّيات التي نؤمن وتؤمنون معنا بوجوب توافرها للناس أجمعين ، من غير نظر إلى دينهم أو جنسهم أو لونهم أو لغتهم ...

فإن هناك قاسماً مشتركاً بين بني البشر جميعاً ، وهو الانسانية .

---

(١) نقلاً من كتاب « الاسلام في وجه الزحف الاحمر » للشيخ محمد الغزالي .

إننا نجأر بالشكوى لدى هيئتكم الموقرة ضدّ نظام الحكم المفروض بقوة السلاح على هؤلاء الناس ..

وهو نوع من الحكم يسعى إلى هدم كل ما بنته يد الانسان منذ آلاف السنين ، ويحاول أن يدوس بأقدامه كلّ ما قدسته الانسانية منذ القدم ، ليخلق عالماً جديداً خالياً من الاعتقاد بالله ! لا عبادة فيه إلاّ للقوة الغاشمة والمادّة الفانية ..!!

وخليق بنا في هذا المقام أن نذكر أن التجارب والحوادث الواقعة أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن لا فرق بتاتاً بين الشيوعية القومية والشيوعية العالمية ، وأن الدول التي تفرق بين هذين النوعين من الحكم ، إنما تزعزع إيمان الأحرار في كل مكان ، وتخلق بلبلة عامة في الأفكار ، لأنها بإظهار سخطها على الشيوعية العالمية ، ومساعدتها غير المشروعة للشيوعية القومية ، تظهر للعالم بأسره أنّها لا تناوىء الشيوعية لمبدأ هدام ، وإنما تعارضها كحكم سياسي ينافسها في السيادة العالمية .

إن أكثر من مائة مليون من المسلمين مهدد كيانهم في بلاد كانت يوماً ما مركزاً للحضارة الاسلامية ، بل الحضارة العالمية جمعاء .

وسنوجز هنا الطرق التي دأبت الشيوعية على سلوكها في سبيل اضطهاد المسلمين ، ومحو معالم دينهم ومدنيتهم ، مدعمين كل طريقة منها بالأمثلة الحية من الوقائع والحوادث الثابتة :

١ ـ الإبادة الجماعية أو نفي جزء من الشعب ، أو الشعب كلّه من وطن آبائه وأجداده إلى سيبيريا ، أو إلى مناطق أخرى حيث يفقدون الصلة بوطنهم الأصلي ويضيعون بمرور الزمن .

ونستدل على ذلك بالوقائع الآتية :

(أ) قتل الشيوعيون في التركستان وحدها سنة (١٩٣٤ م) مائة ألف مسلم من أعضاء الحكومة المحلية والعلماء والمثقفين والتجار والمزارعين .

وفيما بين سنة (١٩٣٧/١٩٣٩ م) ألقت روسيا القبض على (٥٠٠) ألف مسلم ، وعدد من الذين استخدمتهم في الوظائف الحكومية، ثم أعدمت فريقاً وأرسلت فريقاً آخر إلى مجاهل سيبيريا .

وقتلوا سنة (١٩٥٠ م) سبعة آلاف مسلم ، ونفوا من التركستان سنة (١٩٣٤ م) ثلاثمائة ألف مسلم .

وقد هرب من التركستان منذ سنة (١٩١٩ م) حتى اليوم مليونان ونصف مليون من المسلمين .

وفي سنة (١٩٤٩ م) هرب ألفان من التركستان الشرقية ، ولاقى حتفه من هذا الفريق الهارب (١٢٠٠) وهم في الطريق إلى الهند .

وفي سنة (١٩٥٠ م) هرب من التركستان (٢٠ر٠٠٠) من المسلمين التجؤوا إلى البلاد الاسلامية في الشرق الادنى .

ومن سنة (١٩٣٢ إلى ١٩٣٤ م) مات ثلاثة ملايين تركستاني جوعاً ، تنيجة استيلاء الروس على محاصيل البلاد ، وتقديمها إلى الصينيين الذين أدخلوهم إلى تركستان .

وتنيجة لقانون مزج الشعوب في الاتحاد السوفياتي نفت روسيا (٤٠٠ر٠٠٠) مسلم تركستاني إلى أوكرانيا وأواسط روسيا ، فاندمجوا في تلك الشعوب ، وفقدوا وطنهم الأصلي .

وفي سنة (١٩٥١ م) ألقي القبض على (١٣٥٦٥) مسلم في التركستان وأودعوا المعتقلات .

(ب) أبادوا في القرم سنة (١٩٢١ م) مائة ألف مسلم بالجوع ،وأرغموا خمسين ألف مسلم على الهجرة في عهد بلاكون الشيوعي الهنغاري الذي نصبوه رئيساً للجمهورية القرمية الاسلامية .

وفي سنة (١٩٤٦ م) نفوا شعبين إسلاميين كاملين ، وهما شعب جمهوريتي القرم وتشيس ، إلى مجاهل سيبيريا ، وأحلوا محلهم الروس .

وقد قلد الشيوعيون في شرق أوربا رفاقهم في الاتحاد السوڤياتي ، فأبادوا في يوغسلاڤيا بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة (٢٤) ألف مسلم ، (١٥ ألف من مقاطعة طوزلا ، وثلاثة آلاف من مدينة سراييفو ، وستة آلاف من ماكيدونيا وكوسوفا) أتوا بهم إلى مدينة « دويرونيك » ثم أبادوهم .

٢ ـ هدم المساجد وتحويلها إلى دور للهو ، واستخدامها في غايات أخرى وإقفال المدارس الدينية .

(أ) قد بلغ مجموع المساجد التي هدمت أو حوّلت إلى غايات أخرى في التركستان وحدها (٦٦٨٢) جامعاً ومسجداً ، منها أعظم المساجد الأثرية ، مثل : « منارة مسجد كالان » في مدينة بخارى ، و « كته جامع » في مدينة قوقان ، و « جامع ابن قتيبة » و « جامع الأمير فضل بن يحيى » و « جامع خوجه أحرار » في مدينة طشقند .

ومجموع عدد المدارس والكتاتيب التي أقفلوها في التركستان يبلغ (٧٠٥٢) مدرسة ، منها : « ديوان بيكي مدرسة » في مدينة بخارى ، و « بكلريك مدرسة » و « بران حان مدرسة » في مدينة طشقند ، وغيرها من المدارس التاريخية التي كانت يوماً ما مناهل للعلم والعرفان .

(ب) وفي القرم طمسوا معالم الاسلام ، بما فيها الجوامع الأثرية في مدينة « باغجه سراي » عاصمة القرم الجميلة ، مثل « جامع حان » وجامع « طوزيازار » و « جامع أصماقويو » وغيرها جميعاً .

(جـ) وهدموا في مدينة « زغرب » في يوغوسلاڤيا جامعاً عظيماً شيد رمزاً لوحدة عنصري الشعب الكرواتي المسلمين والكاثوليك .

وأغلقوا في مدينة سراييفو « الأكاديمية » الاسلامية العليا للشريعة الاسلامية ، وجميع المدارس الدينية ، باستثناء واحدة فقط ، أبقوا عليها للدعاية !

٣ ـ قتل رجال الدين ، أو نفيهم ، أو الحكم عليهم بالأشغال الشاقة ، أو منعهم من الحقوق السياسية ، بل والحقوق الانسانية ، وإيجاد أية عقبة أخرى تحول بينهم وبين مزاولتهم لمهنتهم .

(أ) لقد قامت روسيا بعدة حملات على رجال الدين المسلمين في التركستان وغيرها من المناطق الاسلامية الشاسعة ، المندمجة في امبراطوريتها الحمراء ، وقتلت كثيراً منهم ، ومن ضمنهم : فضيلة الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة ، وفضيلة الشيخ خان مروان خان مفتي بخارى ، والشيخ الجليل عبد المطلب داملا ، والشيخ محسوم متولّي ، والشيخ عبد الأحد دادخان ، والشيخ الحاج ملاّ يعقوب ، والشيخ مُلا عبد الكريم ، وغيرهم كثيرون .

(ب) وكذلك عملوا في القرم ، حيث أضافوا إلى وحشيتهم مع رجال الدين ، حرق المصاحف الكريمة في الميادين العامّة .

(جـ) وفي يوغوسلافيا قتلوا مفتي « كرواتيا » فضيلة الشيخ عصمت مفتيتش ، والعالم الفاضل الشيخ مصطفى يوصو لاجيتش .

وحكموا بالأشغال الشاقة مدداً مختلفة على (١٢) عالماً دينياً بعد محاكمة صورية في مدينة «سرايفو» منهم فضيلة الشيخ قاسم دوراجا شيخ علماء البوسنة والهرسك، وفضيلة الشيخ عبد الله دروبسيوفتش ، وكلاهما من علماء الأزهر الشريف .

٤ ـــ قتل الزعماء السياسيين أو نفيهم ، من أمثال ذلك أن الشيوعيين :

(أ) قتلوا في التركستان الشرقية سنة (١٩٣٤ م) الحاج خوجه نياز رئيس الجمهورية ، ومولانا ثابت رئيس مجلس الوزراء ، وشريف حاج قائد مقاطعة « آلتاء » ، وعثمان أوراز قائد مقاطعة « كاشغر »، ويونس بك وزير الدولة ،والحاج أبو الحسن وزير التجارة ، وطاهر بك رئيس مجلس النواب ، وعبد الله داملا وزير الأشغال ، وغيرهم كثيرين لا يتسع هذا المقام لذكر أسمائهم .

وكلّما أحسّ الشيوعيون ببوادر أية حركة قومية أو اسلامية بين التركستانيين قاموا بحملة التصفية ، وهي حملة يراد بها القضاء على كلّ من تحدّثه نفسه بما قد يخالف تعاليم آلهة الشيوعيين : « ماركس » و « لينين » و « ستالين » .

(ب) وفي القرم قتلوا سنة (١٩٢٨ م) ولي إبراهيم رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه وفي سنة (١٩٣٠ م) قتلوا محمد قوباي رئيس جمهورية القرم مع

هيئة وزرائه جميعاً • وفي سنة (١٩٣٧ م) استدعوا إلى موسكو الياس طرحان رئيس جمهورية القرم أثناء محاكمة المارشال تحاتشيفسكي ، وأعدموه رمياً بالرصاص مع أعضاء حكومته •

(جـ) وفي يوغوسلافيا حكمت محكمة « أسكوب » في ماكيدونيا سنة (١٩٤٧م) على سبعة عشر زعيماً ألبانياً ، من الألبانيين المقيمين في يوغسلافيا ، وفي السنة نفسها حكمت المحكمة « بريشتينا » على (٣٧) من الأعيان الألبانيين ، ثلاثة منهم بالاعدام، والباقي بالأشغال الشاقة • وفي سنة (١٩٤٩ م) أي بعد انفصال يوغوسلافيا من دول « الكومنفورم » حكمت محكمة سراييفو على (١٣) زعيماً من المنتمين إلى « جمعية الشبان المسلمين » المنحلة ، أربعة منهم بالاعدام ، والباقي بالأشغال الشاقة•

٥ ــ منع المسلمين من التمتع بالنظم الاسلامية في دائرة الأحوال الشخصية ، فقد ألغيت المحاكم الشرعية في جميع أنحاء الاتحاد السوڤياتي ، وفي يوغسلافيا نشرت جريدة Novodobe الصادرة في سراييفو بتاريخ (٢٢ آذار سنة ١٩٤٦ م) قانوناً بإلغاء المحاكم الشرعية في جميع أنحاء يوغوسلافيا ، ومعنى ذلك خروج الأسرة الاسلامية من دائرة توجيه الشريعة الاسلامية ، إلى دائرة القوانين الشيوعية ، التي تنادي بالاباحية التامة ، وبانحلال الروابط الطبيعية بين أعضاء الأسرة الواحدة •

هذا إلى جانب نهب البلاد الاسلامية ونقل ثرواتها إلى مقاطعات أخرى ، وتمزيق أوصال كل بلد إسلامي واحد ، وخلق قوميات مستقلة على أساس لهجات لغة واحدة ، بقصد تشتيت المسلمين من نفس الجنس واللغة ، وخلق منازعات مصطنعة بينهم، كما قسموا تركستان إلى ست جمهوريات على هذا الأساس الواهي•

ثم نذكر أن الشيوعيين يقومون بشتى أنواع الدعاية اللادينية من غير أن يسمحوا بالدعاية الدينية •

من أمثال ذلك : قيام الشبيبة الشيوعية وجماعة الملحدين الرواد بمظاهرات لا دينية صاخبة في مواسم الأعياد الاسلامية ، وإهانة كل ما يقدسه المسلمون •

بناء على كل ما سبق تتشرف برفع هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقرة ، رجاء بحثها واتخاذ قرار فيها ، يردّ لمائة مليون مسلم حقوقهم الطبيعية والانسانية ويرفع عنهم هذه المظالم البشعة، ليتمكنوا من الاشتراك مع غيرهم من بني الانسان في بناء عالم أفضل يسوده العدل والحريّة والمساواة ، ويكون أساسه تمتع كلّ شعب بحق تقرير مصيره .

هذا وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » .

* * *

(٧) كانت التركستان الشرقية الاسلامية تحت سيطرة الحكم الصيني الذي امتلكها بالقوة خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، ولكن المسلمين ثاروا على الحكم الصيني ثورة عارمة انتهت باستقلالهم ، إلاّ أنّ هذا الاستقلال لم يدم أكثر من أربع سنوات ، إذْ غزاها الصينيون من جديد ، وفي سنة (١٨٨٤ م) جعلوها محافظة صينية ، واضطهد المسلمون في هذا العهد . ولمّا قامت الثورة الوطنية ضدّ الحكم الامبراطوري المنشوري ، وجاءت الجمهورية الجديدة برئاسة الدكتور « سون يات سن » سنة (١٩١١ م) استعاد المسلمون دورهم القيادي ومركزهم الصحيح ، وكان حكام مناطق متعدّدة في الصين من المسلمين منها تركستان الشرقية .

ثم قامت الثورة الشيوعية الصينية ، وظفرت بالاستيلاء على حكم الصين سنة (١٩٤٨ م) ، وكان المسلمون من العناصر غير الموالية للثورة الشيوعية .

ومع أواخر سنة (١٩٤٩ م) مدّ الصينيون الشيوعيون سلطانهم إلى تركستان الشرقية ، وأخذوا ينزلون بالمسلمين فيها أشنع الجرائم الوحشية ، وأبشع ألوان القمع والإذلال .

ومن جرائمهم الوحشية [١] ما ذكره العميل الروسي الشيوعي الخائن لبلاده

---

(١) اقتباساً من « د. غريب جمعة » في مقال له بعنوان « هذا نذير » نشر في مجلة رابطة العالم الاسلامي العدد (٢) للسنة (١٧)

وأمنه « برهان شهيدي » في بيان أذاعه صباح اليوم الأول من كانون الثاني عـام (١٩٥٣ م) جاء فيه ما يلي :

١ ــ تمّ إعدام أكثر من (١٣٠٫٠٠٠) شخص من أعداء النظام الشيوعي •

٢ ــ عدد المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة (٢٦٨٫٠٠٠) منهم :

أ ــ « ٤٥٫٠٠٠ » لانشاء الطرق الداخلية •

ب ــ « ١٣٫٠٠٠ » لانشاء طرق تركستان إلى التيبت •

جـ ــ « ٣٠٫٠٠٠ » لانشاء السّكك الحديدية بين الصين وروسيا •

د ــ « ٥٠٫٠٠٠ » لانشاء مدينة ذريّة وسط الصحراء •

هـ ــ « ١٣٠٫٠٠٠ » لحفر القنوات والبحث عن المعادن •

ومن جرائمهم الوحشية صور التعذيب وأفانينه العجيب ، فمن صور التعذيب التي حلّت بمسلمي « تركستان الشرقية » على أيدي الشيوعيين الصور التالية :

١ ــ دقّ مسامير طويلة في رأس المعذب حتى تصل مُخّه •

٢ ــ صبّ البترول على المعذّب ثم إشعال النار فيه حتى يحترق •

٣ ــ جعل المسجون المعذّب هدفـاً لرصـاص الجنود الذين يتمرنون على تسديد الأهداف •

٤ ــ حبس المعتقلين في سجون لا تدخل إليها شمس ، و لاينفذ منها هواء ، وتجويعهم حتى الموت •

٥ ــ وضع خوذات معدنية على رأس المعذّب ، وإمرار تيار كهربائي فيها لاقتلاع العيون •

٦ ــ ربط رأس المعذّب في طرف آلة ميكانيكية ، وربط باقي الجسم في آلة أخرى ، ثمّ تحريك كلٍّ من الآلتين في تباعدٍ وتقارب شدّاً وضغطاً على المعذّب ، حتى يعترف على نفسه وغيره ، أو يموت •

٧ ــ كيّ كلّ عضوٍ من الجسم بقطعة من الحديد المحمي إلى درجة الاحمرار •

٨ ــ صبّ زيت مغليّ على الجسم •

٩ ــ دقّ مسامير حديدية أو إبر في أجسام المعذّبين •

١٠ ــ إجلاس المعذّبين جلسات خاصة فيها ألم شديد ، إذ يستطيع فيها المشرفون على التعذيب الضرب على الأعضاء التناسلية •

١١ ــ إدخال شعر الخنزير في الإحليل « فتحة العضو التناسلي » •

١٢ ــ إدخال قضيب من الحديد المحمي في مكان شديد الحساسية من الجسم •

١٣ ــ دقّ المسامير في رؤوس الأصابع حتى تخرج من الجانب الآخر •

١٤ ــ ربط المسجون المعذّب على سرير حديدي ربطاً محكماً لا يستطيع معه التحرّك ، وذلك لعدّة أيام قد يتفطّر بها جسمه •

١٥ ــ إجبار المسجون المعذّب على أن يمدّ جسمه عارياً على قطعة من الثلج أيام الشتاء والبرد القارس •

١٦ ــ وضع لوح من الخشب فوق رقبة المعذّب وكتفيه ، ليظلّ منحنياً لا يستطيع حركة •

١٧ ــ تنف خصل من شعر الرأس بعنفٍ يسبّب اقتلاع جزء من جلد الرأس •

١٨ ــ تمشيط جسم المسجون المعذّب بأمشاط حديدية حادّة •

١٩ ــ صبّ الموادّ الكيماوية الكاوية في أنوف المسجونين المعذبين وفي أعينهم ، بعد ربطهم ربطاً محكماً •

٢٠ ــ وضع صخرة ثقيلة على ظهر المسجون المعذّب بعد ربط يديه وراء ظهره •

٢١ ــ ربط يدي المسجون وشدهما إلى أعلى ، وتعليقه منهما حتى يكون متدلّياً في الهواء بثقل جسمه ، وتركه كذلك ليلة كاملة أو أكثر •

٢٢ ــ ضرب المتهم بعصا بها مسامير حادة •

٢٣ ـ سجن المتهم في سجن انفرادي ضيق •

٢٤ ـ ضرب المعذّب بالكرباج ، وهو شيء يشبه أذناب البقر ، حتى يتفطّر جسمه ، وتسيل الدماء منه •

٢٥ ـ تقطيع جسم المعذّب إلى قطع صغرى بالسكاكين •

٢٦ ـ إحداث ثقب في مكان ما من الجسم ، وإدخال حبل ذي عقد فيه ، ثمّ استعمال هذا الحبل بعد يومين كمنشار لقطع أطراف الجلد المتآكل •

٢٧ ـ تثبيت المعذب واقفاً إلى جدار بمسامير تُدَقّ في أذنيه على الجدار ، ليظلّ واقفاً معذباً أطول مدة •

٢٨ ـ وضع المسجون المعذّب في برميل مملوء بالماء في فصل الشتاء •

٢٩ ـ خياطة أصابع اليدين والقدمين ، ووصل بعضهما ببعض •

إلى غير ذلك من فنون تعذيب مستحدثة ، لا تخطر على بال أخبث المجرمين وأقذرهم •

* * *

(٨) وتعرض مسلمو « القوقاز » التي تشتمل على « أذربيجان » و «داغستان» و « شيشان » و « أوسيت » و « قيرطاي » و « بلقار » و « قاراجاي » و « شركستان » ـ من قبل الحكم الشيوعي في روسيا لحرب شعواء ، فقد شنوا حرباً ضارية ضدّ الدين الاسلامي في مختلف مناطق القوقاز ، كغيرها من مناطق المسلمين في الاتحاد السوفياتي ، ونهب الشيوعيون الروس ثروات البلاد وخصصوا أفضل وأغنى مناطق القوقاز لسكنى المهاجرين الروس •

ولمّا خرجَ الحلفاء منتصرين في الحرب العالمية الثانية بدأت روسيا في إبادة أو تشتيت شعب شمال القوقاز نهائيّاً ، فأصدرت في (١٣ شباط ١٩٤٤ م) قراراً رسميّاً بإبعاد قبائل « القاراجاي » و « البلقار » و « شيشان » و « الأنجوش »

وتمّ ترحيلهم هم وآخرون إلى سيبيريا وآسيا الوسطى ، وقد بلغ هؤلاء المنكوبون قرابة مليونين ونصف المليون ، وتعرّض كثير منهم لعمليّات الإبادة الجماعية [١] .

* * *

(٩) من أحداث عام (١٩٧٨ م) ما يلي [٢] :

أ ـ اصطدم المسلمون في جمهورية «تزاكستان» في أواسط آسيا مع السوفيات اصطدامات عنيفة ، استخدمت السلطات السوفياتية فيها قوات من الفرقة الميكانيكية الحادية والعشرين لقمعه .

ب ـ أغلق الشيوعيون في « بلغاريا » مساجد المسلمين ومدارسهم ، وسلّطوا وسائل إعلامهم على الاسلام يريدون تشويهه وإبادته .

جـ ـ أعلن الحكم الشيوعي في « أفغانستان » بقيادة نور محمد تراقي حرباً ضارية ضدّ الاسلام والمسلمين .

د ـ يواجه المسلمون في « كمبوديا » الشيوعية تصفية جسدية رهيبة .

* * *

(١٠) صرّح الأمير « سيهانوك » في معرض حديثه عمّا حدث في « كمبوديا » بعد استيلاء الشيوعيين عليها بأن المسلمين يبادون فيها إبادة جماعية منظمة [٣] .

وقال : إنّ المسلمين في « كمبوديا » يعدون (٦٠٠ر٠٠٠) نسمة ، من أصل سبعة ملايين نسمة ، وهم يشكلون الطائفة الثانية في البلاد ، ولا أخفي أنّ « الخمير الحمر » انقضوا على المسلمين بحقد لا مثيل له ، محاولين إفناء معالم الاسلام ، ذلك الدين السماوي الحنيف في البلاد . وقد ارتكبت مجازر جماعية بحقّ كثيرين منهم،

---

(١) من مقال « د. غريب جمعة » نشر في مجلة رابطة العالم الاسلامي العدد (٣) السنة (١٧) .

(٢) من مجلة المجتمع العدد ٤٢٢ ، ولعل « تزاكستان » هي « تاجكستان » .

(٣) من مجلة البلاغ العدد ٤٩٣ .

لا لشيء إلاّ لأنهم مسلمون ، وهـذه المجازر مستمرة ، أو سوف تستمرّ في كـلّ مكان يتواجد فيه الشيوعيون هناك حاضراً أو مستقبلاً ، وقد شهدت بنفسي آثار هذه المجازر • لقد قتلوا الزعماء المسلمين ورجال الافتاء ، ثمّ تحوّلوا إلى المواطنين المسلمين العاديين ، وهـذه الجرائم لا يمكن التكفير عنها ، وكانت المساجد كثـيرة ومنتشرة في معظم الأحياء ، لكن « الخمير الحمر » حوّلوا المساجد الجميلة إلـى مدارس للتوجيه السياسي ، أمّا المساجد القديمة فقد حوّلوها إلى زرائب للخنازير •

* * *

(١١) طردت الصين الشيوعية مسلمي « التيبت » منذ أواخر الخمسينـات وأوائل الستينات ، وخربت بعض مساجدهم ومدارسهم ، وفرضت الحظر على بقية المساجد والمدارس، وعاملت المسلمين الباقين بمنتهى العنف والقسوة ووسائل الابادة ، ولجأ كثير من هؤلاء المسلمين إلى منطقة « سرينغو » بكشمير[١] •

* * *

(١٢) في الفترة ما بين الأعوام من (١٩٤٧ إلى ١٩٦٥ م) قتلت القيادة الاشتراكية الهندية (نصف مليون) امرأة •

وفي عام (١٩٦١ م) قامت منظمتا « جان سانج » و « راشتريا سيوك سانج » بقيادة مستشارين شيوعيين من روسيا بإكراه (٢٠٠) امرأة مسلمة على خلع ثيابهن، ثم إجبارهنّ على السير في شوارع المدينة عاريات ، ثم باغتصابهن وهتك أعراضهنّ أمام المتفرجين الهندوس وأصدقائهم الشيوعيين •

وعند المساء جمعت كميات كبيرة من الحطب وأشعلت فيهـا النيران ، وشرع الهندوس أمام البوليس الحكومي الاشتراكي في إلقـاء النساء المسلمات في النـار واحدة تلو الأخرى بين الضحك والسخرية[٢] •

* * *

---

(١) من مجلة البلاغ العدد ٤٩٣ .

(٢) انظر جريدة الندوة بمكة المكرمة تاريخ ٨ مارس سنة ١٩٦٧ م نقـلاً عـن « يوكوهاما تايمز » .

- ٣ -

تَعريفٌ عَام بالارهَاب الكبَير المذهل وَجذوره

تحت عنوان « الإرهاب الكبير » كتب الكاتب الباحث الانكليزي « روبرت كونكوست » كتاباً تتبع فيه قصة تصفيات « ستالين » في الثلاثينات ، والتي ذهب ضحيتها الملايين داخل الاتحاد السوفياتي من أعضاء الحزب الشيوعي ، ومن غيرهم ، وقامت بها عمليات إرهابية عجيبة لم يشهد مثلها تاريخ الانسان في مختلف العصور ، حتى عصور الظلم الهمجي القائم على نظام الاسترقاق المتوحش •

وفي هذه الفقرة التي تستحق أن تكون فصلاً متميزاً في هذا الكتاب ؛ أقتبس من « روبرت كونكوست » المعلومات التالية المذهلة ، وقد قسمتها إلى عدة فقرات :

- أ -

مقدمة :

التطهير الكبير المرعب الذي أقام به « ستالين » نفسه طاغيةً مستبداً لا يسمح لأحد داخل الاتحاد السوفياتي مهما كان شأنه أن يرى رأياً غير رأيه هو ، ولا أن يعمل عملاً ما على خلاف أوامره ونواهيه ، وإلاّ حلّ به الانتقام الأليم حتى الموت • هذا التطهير الكبير العجيب في تاريخ البشرية ، يتميّز بثلاثة أمور :

الأمر الأول : سعة نطاقه ، إذْ أبيدت به الملايين ، وعاش به كلّ مواطن تحت وطأة الوعيد المباشر •

الأمر الثاني : وسائله التي منها وسيلة محاكمات الاعتراف الناشىء عن عمليات التعذيب ، التي يرى فيها المعذب الاعتراف الذي ينتهي به إلى القتل أهون عليه ممّا يعانيه من آلام التعذيب ، لذلك فهو قد يعترف على نفسه كاذباً ليقتل ويتخلّص مما

هو فيه • وفي هذه الاعترافات كان منتقدو السلطة يعترفون على أنفسهم بالخيانة الوطنية أو خيانة الحزب ، وكان كثير منهم من قادة الحزب الشيوعي ، ومن الذين أقاموا الثورة الشيوعية ، وقاتلوا لإسقاط الحكم القيصري السابق •

الأمر الثالث : سرّية التطهير ، إذْ لم يكن يصدر شيء عن الدولة يكشف عمليات التطهير الواسعة ، وقد بقيت الحقائق عن هذا الارهاب العظيم أمداً طويلاً في الكتمان ، واستمرت لعدّة سنوات مصدراً رئيسيّاً للشكوك والأباطيل •

وقد استمرّ الروس طوال عشرين سنة لا يعرفون عن التصفيات في عهد « ستالين » إلا على الشكل التالي :

مؤامرة واسعة قادها أعضاء خائنون من قيادة الحزب ، دبّرت بالتعاون مع الدول الرأسمالية ، لاغتيال القيادة السوڤياتية ، وإلحاق الهزيمة بالاتحاد السوڤياتي في الحرب ، وتجزئة البلاد ، وإعادة النظام الرأسمالي ، وتخريب كلّ مرافق الحياة القومية ، بدءاً بالمناجم ، ووصولاً إلى الوزارات • وقد اكتشفت المؤامرة ، وقبض على زعمائها الذين اعترفوا بما نُسب إليهم ، فجرت محاكمة عادلة لهم ، وأنزل بهم القصاص الذي يستحقونه ، فلاقى ذلك ارتياح الشعب السوڤياتي كلّه •

مع أنّ المؤامرة المزعومة التي تعطى صيغتها بهذا الشكل على ألسنة الناطقين باسم الدولة ليست سوى حلقة واسعة من الاختلاقات والأكاذيب التي لفقها « ستالين » وحاشيته •

والارهاب قد اجتاح البلاد كلها مخلفاً فيها نقمة لم يسبق لها مثيل • والاعدام الجماعي قد عُزز بنظام واسع من معسكرات العمل في المناطق النائية من البلاد ، ونزلاء هذه المعسكرات أرقاء مستذلّون مستعبدون ، وحالهم أسوأ من حال أي مجموعة من رقيق العصور الهمجية المظلمة •

وقد ظهرت هذه الحقائق عن طريق الذين خرجوا على الحزب والحكم فيما بعد ، أو عن طريق الذين فرّوا من نظام الاتحاد السوڤياتي •

وخلال عهد « خروتشوف » لا سيما في الأعوام من (١٩٦١ إلى ١٩٦٤ م) نشرت في الاتحاد السوفياتي مقادير كبيرة من المعلومات المتعلقة بالموضوع •

لقد ثبت وجود « فترة اضطهاد جماعي » ذهب ضحيته العديد من الأبريـاء ، واتضح أن بعض الاعترافات كانت باطلـة تماماً ، وتأكد وجود نظـام معسكرات العمل على نطاق واسع بما فيها من أحوال مريعة .

إنّ كلّ هدر للمبادىء الانسانية قد تمّ باسم المصالح الحقيقية للانسانية ، ولا سبيل إلى مقارنة إرهاب الثورة الفرنسية بالارهاب الشيوعي « الستاليني » . إنّ إرهاب « ستالين » كان شيئاً مختلفاً جدّاً ، إنّ أساليبه كانت أساليب الجريمة الوقحة ،وإجراءاته كانت تمثّل حكم الأكذوبة ، إذ لا تفرض على الشعب مجرّد أفكار خاطئة ، بل تفرض مزاعم بحق المعارضة مفضوحة البطلان ، يدركهـا كلّ ناظر أو سامع .

إنّ مذابح الثلاثينات الرهيبة لم تكن مثل إرهاب « لينين » أو « روبيسبيير » ترتكب في أوقات أزمات ، في زمن ثورة أو في زمن حرب ، بل على العكس من ذلك تماماً ، لقد كان الارهاب الستاليني في منتهى التصميم البارد ، وحين كانت روسيا قد وصلت إلى حالة هادئة نسبيّاً ، ومزدهرة نوعاً ما .

إنّ الدماء التي سفحت كان يمكن تبريرها لو أنّها أدّت أو أسهمت في إقامة نظـام اجتماعي يتفوّق دون جدل على أي نظام بديل ، غير أن الذي بـات اليوم حقيقة مقبولة في كلّ مكان تقريباً ، هو أنّ الاتحاد السوفياتي ليس كذلك ، كما أنه لا يقوم أيّ أمل خاص يبشر بامكان صيرورته في يوم ما هو المجتمع المتفوّق تفوّقاً لا يرقى إليه الجدل ، والذي في سبيل تحقيقه تسهل وتهون التضحيات .

أقول : إنّ النظام الشيوعي غير مؤهل إطلاقـاً لتكوين المجتمع الأفضل ، مادام قائماً على الالحاد ، وعدم الأخلاق ، والاستبداد المطلق ، فهذه عوامل لـن تنتهي جرائمها وآثامهـا في أيّ مجتمع بشري كانت أساساً لبنائه ، حتى ولو أراد حاكموه إقامة ذلك المجتمع الأفضل المنشود ، لأنهم لا يستطيعـون أن يكبحـوا جماح أنفسهم ، ولا أن يكبحوا جماح الآخرين أمثالهم .

ومكلّف الأشياء فوق طباعهـا ... متطلب في الماء جذوة نـار

ـ ب ـ

جذور الارهاب :

إن المبادىء الشيوعية القائمة على إنكار وجود الخالق العليم الحكيم ، وإنكار اليوم الآخر ، وعدم الاعتراف بالأخلاق ومبادئها المطلقة ، وضرورتها الاجتماعية ، وعلى الاستبداد المطلق ـ لابد أن تنتهي بمعتنقيها إلى ما وصلت إليه من فظائع إجرامية بصفة حتمية •

هذا ما يقرره البرهان النظري المستند إلى دراسة طبائع الناس ، وهو أيضاً ما أثبتته التجارب المتكررة في كل مجتمع حكمته الشيوعية القائمة على هذه المبادىء أو حكمته نظم أخرى قائمة على هذه المبادىء نفسها ، سواء أكانت رأسمالية أو اقطاعية ، أو ملكية طاغية ، أو ديمقراطية باغية ، أو غير ذلك من أسماء •

هذه هي الجذور العامة ، فلننظر نظرة أخرى إلى الجذور الخاصة بالنظام الشيوعي الذي جرى تطبيقه في الواقع •

١ ـ نستطيع أن نكتشف عدة حقائق من أقوال « لينين » التالية :

● « لقد فشلنا في إقناع الجماهير » •

● « ليس من حركة شعبية وجذرية في التاريخ إلا كان لها نصيبها من القذارات، فكان فيها المغامرون والمحتالون ، كما كان فيها المتشاوفون والصخابون ••••

إن الحزب الحاكم يجذب دون ريب المحترفين من طلاب المنفعة » •

● « إننا نعيش في بحر من عدم الشرعية » •

● « إن النواة الشيوعية تفتقر إلى الثقافة العامة ، لقد كانت ثقافة الطبقات الوسطى في روسيا عقيمة وسقيمة ، ولكنها على أي حال أفضل من ثقافة المسؤولين الشيوعيين في صفوفنا » •

● « نحن تنقصنا أسباب الحضارة الضرورية التي تؤهلنا للانتقال رأساً إلى الاشتراكية ، رغم أننا نملك المتطلبات السياسية لمثل هذا الانتقال » •

● « إننا لانعترف بحرية ولا بمساواة ولا بديمقراطية عمالية إذا كانت تتناقض مع مصلحة تحرير العمال من مظالم رأس المال » •

● لمّا قال « لينين » : « إن العنف الثوري هو ضروري أيضاً ضد العناصر المترددة غير المنضبطة من جماهير الكادحين أنفسهم » •

سأله الشيوعي « ربازانوف » : « إذا كانت « البروليتاريا » مثقلة بعناصر لايوثق بها فعلى من سوف نعتمد ؟ » •

فأجابه « لينين » : « على الحزب وحده » •

٢ ــ ونستطيع أن نكتشف أيضاً عدة حقائق مما يلي :

● في أوائل عام (١٩٢١ م) بدا واضحاً أن العمال يعارضون الحزب ، فألقى « كارل راديك » خطاباً في طلبة الكلية الحربية جاء فيه ما يلي :

« إن الحزب هو طليعة الطبقة العاملة سياسياً • إننا الآن في النقطة التي بلغ فيها العمل نهاية مابإستطاعتهم احتماله ، وهم يرفضون الاستمرار في السير وراء الطليعة ، التي تقودهم إلى المعركة والتضحية ، فهل يتوجب علينا أن نخضع لمطالب العمال الذين وصلوا إلى حدود صبرهم ، رغم أنهم لايفهمون مصالحهم الحقيقية كما نفهمها نحن ؟ • إن حالتهم العقلية هي الآن بصراحة رجعية ، غير أن الحزب قرر أن لايخضع ، بل أن يفرض إرادته حتى ننتصر على أنصارنا المرهقين المنكسرة نفوسهم » •

● كانت الجماهير الكبيرة من الفلاحين تقف ضد الشيوعيين ، وما أن انتهت الحرب الأهلية حتى بدأ المنشفيك والاشتراكيون الثوريون في توطيد موقفهم بسرعة وتحول أفراد الاتحادات العمالية عن البلاشفة •

وكان في داخل الحزب الشيوعي نفسه أوساط ناقمة متصلة إلى حدٍ ما بشعور العمال •

هـذا ما جعل القادة البلشفيك يوجهون ضربتهم إلى منافسيهم بكل عنف ، فلاقى حزب المنشفيك مصيره بالتصفية النهائية ، وتبعه الثوريون الاشتراكيون الذين تلقوا الضربة القاتلة في محاكمات زعمائهم عام (١٩٢٢ م) .

ولمّا رفض كثير من أعضاء الحزب الموالين للقادة البلشفيك أداء الشهادة ضد رفاقهم الذين ينتقدون قيادة الحزب ، أصدر المكتب السياسي قراراً رسمياً يقضي بأن من واجب كل عضو في الحزب الابلاغ أو الوشاية بأي عضو آخر ، إذا أقدم على التحريض ضد القيادة .

وقال « تروتسكي »[1] : « إن من الطبيعي أن تكون من واجبات العضو الأولية ، الملتزم بها ، الابلاغ عن أية عناصر عدائية في فروع الحزب » .

● إن « لينين » بتحطيمه الميول الديمقراطية داخل الحزب الشيوعي قد سلم الزمام للمختصين بادارة الجهاز الحزبي . ومنذ ذلك الحين أخذ الجهاز الحزبي يتحول من القوة الرئيسية إلى القوة الوحيدة داخل الحزب ، وغدا الجواب عن السؤال : من يحكم روسيا ؟ . إنه بكل بساطة : « الذي ينتصر في نضالٍ حزبي يقتصر على قلة من الزعماء » .

* * *

من هذه الأمور نكتشف أن المذهب الشيوعي بطبيعته مرفوض من قبل جماهير العمال والكادحين حينما يراد وضعه موضع التنفيذ ، ومرفوض من قِبل جماهير الفلاحين ، فضلاً عن البورجوازيين والرأسماليين والإقطاعيين ــ وهم الأعداء الطبيعيّون ــ ، فهو غير مؤهلٍ بطبيعته لأن يقوم في مجتمع ما إلا بالإكراه والقهر ، وذلك لايكون عن طريق الاختيار الشعبي وحرية الجماهير ، والديمقراطية الصحيحة، بل لايكون إلا عن طريق الاستبداد المطلق « الدكتاتورية المتناهية » لأن مصالح

(١) اغتيل سنة (١٩٤٠ م) في مكسيكو بتدبير ستالين ورجاله .

الجماهير تتناقض معه • ومع التصميم على تطبيق المذهب يغدو الإرهـاب العنيف المجرم هو الوسيلة الوحيدة لتطبيقه ، ومـع تسلسل الأحداث وتعاظم النقمة ضد عمليات الارهاب للجماهير بما فيهم العمال والفلاحـون وصغار الكسبة ، لابد أن تسري عدوى النقمة الجماهيرية إلى داخل الحزب •

وهنا تأتي الطامة الكبرى ضد العناصر الحزبية التي بدأت تقول كلمة « لا »• ويخشى القائد المستبد على مركزه القيادي فينزل نقمته الشديدة بلا هوادة ولا رحمة على رؤوس زملائه ورفاقه الحزبيين ، لئلا يتخذوا من النقمة العامة مبرراً لإزاحته عن ربوبيته المطلقة ، وعندئذ تتعاظم الأمـور حتى تصل إلى مستوى تراه الأوهـام ـ فضلاً عن العقول الحصيفة ـ من المستحيلات التي لايمكن أن تحدث ، أو تخطر على بال أحد •

وهذا ما حدث فعلاً في الارهاب « الستاليني » الكبير •



- ٤ -

ملخص عام لإرهاب عهد « ستالين »

١ ـ لمّا تولى « ستالين » السلطة خلفاً لـ « لينين » عمل بمناوراته وألاعيبه الحزبية على سحق رفاقه في المكتب السياسي للحزب ، كيما يصفو له الجو ، ويستبد بكل شيء ، وتخلو له وحده « الدكتاتورية » المطلقة •

إن الرفاق لقوا حتفهم على يد الرفيق « ستالين » ومنهم « تروتسكي » و « كريستينسكي » و « زينوفيف » و « بوخارين » و « ريكوف »و« تومسكي » و « رودزوتاك » و « أوكلانوف » و « كيروف » و « شوبار » و « كوسير » وغيرهم •

لقد كان « ستالين » بمناوراته وألاعيبه الحزبية شيطاناً شديد المهارة ، فمن أجل أن يحقق أهدافه في التصفية كان يبدأ بالخلاف مع بعض العناصر ، ثم يوجه أنصاره للقيام بأشرس الحملات الدعائية ضده ، مع تظاهره هو بمظهر الاعتدال ، ثم يدفع خصمه حتى يتورط بعمل ما ، ثم يقوم بتصفيته بوسيلة ما ، أشدها المحاكمات الصورية التي كان يجريها •

وفي الوقت نفسه كان يجمع حوله أنصاراً جدداً ، ويرفعهم إلى مراكز عالية في الحزب والقيادة ، ولكن يختارهم من النوع الذي لايملك القدرة الفكرية على أن يبصر إلا ما يمليه عليه الزعيم الأوحد « ستالين » وكانوا جميعاً من قدماء البلشفيك، ومؤهلاتهم تتلخص بالعناد والاستعداد للعمل ، لاسيما في التفاصيل الإدارية المملة ، وكان بينهم رجال ذوو اقتدار وإن لم يكونوا أصحاب ذكاء متألق ، وفي طليعتهم « مولوتوف » •

* * *

٢ ــ أخذ « ستالين » منذ العشرينات في تكوين جماعة من العملاء الشخصيين، الذين وقع اختياره عليهم لاعتمادهم الكلي عليه ، وانصياعهم الكلي لأوامره •

قال « تروتسكي » : إن ستالين كان مولعاً بالاستشهاد بالمثل الروسي : « من الأقذار تستطيع أن تصنع أميراً » •

ولقد كان أولئك الرجال الذين اعتمدهم ستالين جماعة شخصية تابعة لـه ، تبحث عن الشر ، ومستعدة لارتكاب أي عمل من أعمال العنف أو التزوير تلبية لأوامر زعيمها •

ومن هؤلاء الرجال القزم « يزهوف » المتعطش لشرب الدماء ، والذي لايزيد طوله عن متر ونصف ، فقد جاء به « ستالين » إلى أمانة السر « السكرتيرية » بعد أن عثر عليه في احدى الوظائف الاقليمية ، وفي عام (١٩٢٧ م) صار « يزهوف » هذا عضواً في اللجنة المركزية • وقد وصف شيوعي قديم « يزهوف » بقوله : « في حياتي الطويلة لم أر شخصية أكره من يزهوف • إنه أعاد إلى ذاكرتي واحداً من أولئك الأولاد الذين كان أحب عمل لديهم احضار قصاصة ورق مبللة بالبارافين ووضعها تحت ذيل السيارة ، وإضرام النار فيها • والحقيقة أن ذلك هو ما كان يفعله يزهوف على شكل آخر » •

وغدا من أبرز العناصر الارهابية التي اعتمد عليها « ستالين » الارهابي « أندريه فيشنسكي » الذي كان مثقفاً وذكياً وخنوعاً رعديداً في الوقت نفسه ، لقد كان من جماعة المنشفيك حتى عام (١٩٢١ م) وجاء انضمامه إلى البلشفيك بعد انتصارهم • كان « فيشنسكي » مكروهاً ، وكان كثيراً ما يعامل باحتقار من قبل العاملين في الحزب ، ثم تفوق عليهم بعد تاريخ من الاكاذيب والفضائح •

* * *

٣ ــ لمّا انتهى « ستالين » من منافسيه توجه ضد حلفائه ، وكان أبعدهم نفوذاً « نيقولاي بوخارين » وكان هذا حسب وصف « لينين » أكثر النظريين فائدة للحزب وكان أشهرهم بالرغم من أنه لم يفهم الماركسية فهماً صحيحاً •

* * *

٤ ـ اتجه « ستالين » للضغط على الفلاحين في أواخر العشرينات بعد أن كان موقفه معاكساً ، وكان في جبهة المعارضة لهذا الاتجاه « بوخارين » و « ريكوف » و « تومسكي » . فأخذ « ستالين » يهاجمهم ويعمل على تقويض دعائمهم في الحزب والدولة ، فقدموا استقالاتهم ، لكن هذه الاستقالات جاءت مبكرة أكثر مما كان يريد « ستالين » ، فبادر إلى اعـلان تنازلاته الشفوية كعـادته ، إلا أنه لم يوقف حملته ضد المعارضين مع عدم ذكر أسمائهم .

وفي كانون الثاني (١٩٢٩ م) عرض « بوخارين » بياناً على المكتب السياسي احتج فيه على مشاريع الضغط على الفلاحين، واتنقد بشدة عدم وجود «الديمقراطية» داخل الحزب وختم بيانه بالملاحظة التالية : « إننا ضد قرارات رجل واحد في قضايا القيادة الحزبية » .

ولكن « ستالين » بحيله وألاعيبه وترتيباته التنظيمية انتصر على معارضيه ، وانتهت الأمور باقالة « بوخارين » من وظيفة رئيس تحرير جريدة « البرافدا » ومن رئاسة « الكومنترون » وبعزل « تومسكي » من زعامة اتحاد العمال .

وبعد طرد المعارضة من الحزب اتجه « ستالين » إلى استخدام القـوة لفرض التجميع الزراعي ضد مصلحة الفلاحين ، ورغبة باستثمار الجهد للتصنيع ، وبذلك وجد الحزب نفسه يخوض حرباً أهلية في الريف ، وكان هذا بداية عهد شامل من الارهاب ، إذ أحل « ستالين » الأساليب الادارية وأعمال القمع بعنف شديد محل التخطيط والاقناع .

لقد جاء دور الريف الآن بعد أن تم تحطيم طبقة أصحاب المشاريع في الصناعة وتم القضاء على الاقتصاديين الأكفاء في الحزب .

كان « بوخارين » وأنصاره قد اشترطوا قبل قيـام التجميع الزراعي توافر الأساليب الزراعية المتقدمة . بينما كان هدف المشروع الستاليني القاضي بالتجميع الزراعي في الريف مجرد الاستيـلاء على ما يفيض لدى الفـلاحين ، لتسديد ثمن التراكتورات التي يبدأ وصولها فيما بعد .

وقد تم إنشاء المزارع الجماعية على أسس التجويع ، وباعتماد القوة ، وأتلف الفلاحون الناقمون على المشروع جزءاً كبيراً من ثروة روسيا الزراعية •

وصعّد « ستالين » تطبيق السياسة الجديدة ، وخلال أسابيع قليلة ارتفع عدد الفلاحين الذين أكرهوا على جلبهم هم ومزارعهم إلى المزارع الجماعية «الكولخوزات» من أربعة ملايين إلى أربعة عشر مليوناً •

وأدى هذا إلى إفلات الزمام ، إذ وصل الحزب إلى حافة الكارثة ، وكان الفلاحون في المناطق الريفية يقاتلون ببنادق الصيد ، وبالفؤوس والخناجر والمدى • وأتلفوا مواشيهم في الوقت ذاته لمنع سقوطها في أيدي الدولة •

وكان باستطاعة المعارضين استغلال الموقف المتأزم ، إلا أن « بوخارين » و « تومسكي » و « ريكوف » أحجموا عن قيادة تيار المعارضة ، لأنه من وجهة نظرهم لا يجوز الخروج ضد الحزب ، خاصة بتأييد الفلاحين •

فكان هذا نصراً لستالين ، ولم يلبث أن أقال « تومسكي » من عضوية المكتب السياسي في تموز عام (١٩٣٠ م) ثم أقال « ريكوف » في كانون الاول عام (١٩٣٠م) وبذلك صار المكتب السياسي ستالينياً بحتاً •

* * *

٥ ــ وتابع « ستالين » عملية التجميع الزراعي في الريف ، بخطة جمعت بين استخدام القوة والتدابير الاقتصادية المدروسة • وأدت هذه الاجراءات إلى مجاعة عامة وعلى نطاق واسع ، وقد مات بسببها خمسة ملايين ونصف المليون ، كان الرجال يموتون أولاً ثم الأطفال وأخيراً النساء •

وصحب المجاعة حكم إرهابي عنيف ، فقد لعب الاعدام بالجملة دوره ، كما أن أحكاماً بالنفي والسجن كانت تصدر لأقل مخالفة •

وقد قال « ستالين » إبان الحرب العالمية الثانية لـ « تشرشل »[١] : « يوجد

---

(١) رئيس وزراء بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية •

عشرة ملايين مـن الكولاك ينبغي التخلص منهم ، وإن القسم الأكبر منهم قـد تم محوهم تماماً ، والباقين نقلوا إلى سيبيريا وانتهى حوالي ثلاثة ملايين إلى مخيمات العمل التي تم توسيعها من جديد » •

ويبدو أن القصد الرئيسي كان بكل بساطة سحق الفلاحين مهما كلف ذلك من ضحايا • قـال أحد كبار الموظفين لأحد الأوكرانيين : « إن حصاد (١٩٣٣ م) كان محكاً لمقدرتنا ولتحمل الفلاحين ، وكان لابد من المجاعة ليتأكدوا من هو السيد هنا • لقد كان الثمن فادحاً جداً ، ملايين الأنفس التي أزهقت ، ولكن مشروع المزارع الجماعية وجد ليبقى ، ولقد ربحنا الحرب » •

وهكذا أمسى الارهاب الشامل بؤساً قاسياً في الأرياف ، وشقاءً تمس ناره الفلاحين ، وتمرس الألـوف من رجـال الشرطة وموظفي الحزب بأشنع وأفظـع الاختبارات العملية في الإرهاب ، وأعمـال الظلم وإذلال الكادحين الذين يموتون مـن الجوع •

وتنيجة تطبيق نظام المزارع الجماعية حصل نقص كبير جداً في الانتاج الزراعي، ولكن لجأ الحزب الشيوعي الحاكم إلى تغطية هذا النقص الكبير إعلامياً بالاحصاءات المزورة الكاذبة •

* * *

٦ ـ مصادرة القطاع الزراعي وتعريض الفلاحين للمجاعة الكبرى كان مـن أهدافه إيجاد الامكانيات اللازمة لإقامة الصناعة الثقيلة ، التي تحمي الحكم والثورة•

وفعلاً بدأت ترتفع مصانـع الفولاذ الكبرى بين مجموعة مـن المعسكرات المزدحمة بالعمل الذين كانوا لايحصلون إلا على تغذية سيئة •

لقد كان كل شيء يعالج على أساس الخرافة والارغام ، بدل اعتمـاد الأسس العلمية والعقلية ، وبدل اعتماد التعاون بين الدولة والعمال وأهـل الاختصاص في كل موضوع •

إن الطبقة العاملة الكادحة « البروليتاريا » الجديدة في ظل الحكم الذي قام باسمها ومن أجل مصلحتها ، أمست أسوأ حالاً من الطبقة القديمة في ظل الحكم السابق الذي سحقته الثورة الشيوعية .

ولمّا كان نظام الإلزام للعمال لم يقترن بما يحقق للعمال مصلحة حقيقية ، بل كان يستغل جهدهم دون مقابل ، أخذ العمال يتباطؤون عن القيام بالأعمال التي تفرض عليهم ، وشعروا بأنفسهم أرقاء ، عليهم أن يبذلوا كل ماعندهم من جهد ، مقابل أدنى مستوى من العيش الرديء .

ولم يتدارك النظام الأمر بما يشجع العمال تشجيعاً حقيقياً ، بل لجأ إلى إصدار المراسيم والقرارات الاكراهية الارهابية .

ففي تشرين الأول لسنة (١٩٣٠ م) صدر المرسوم الأول الذي يمنع تنقلات العمال بحرية .

وبعد شهرين صدر مرسوم آخر يحرم على المصانع استخدام الاشخاص الذين تركوا مكان عملهم السابق دون إذن .

ثم ألغيت إعانات البطالة .

ثم صدرت بين سنتي (١٩٣١ ــ ١٩٣٢ م) سلسلة من القوانين والقرارات : منها ما يفرض عقوبة السجن لمخالفة نظام العمل ، ومنها ما يفرض إحراز دفاتر العمل بصورة إلزامية ، ومنها ما يفرض تدابير تأديبية ضد الاهمال ، ومنها ما يجعل العمال مسؤولين عن الأضرار التي تلحق بالآلات والمواد ، ومنها ما يفرض عقوبة الاعدام لسرقة ممتلكات الدولة أو المزارع الجماعية ، وهذا القانون جرى تطبيقه على نطاق واسع .

ومنذ تشرين الثاني عام (١٩٣٢ م) صار التغيب يوماً واحداً عن العمل يعاقب عليه بالطرد المعجل .

وفي كانون الاول عام (١٩٣٢ م) أعيد فرض جوازات السفر الداخلية ، التي كان « ستالين » قد ندد بها قائلاً : إنهـا من أسـوأ مظاهر الرجعية القيصرية والاستبداد •

وصار نظام النقابات ذيلاً للدولة •

* * *

٧ ــ إن المعركة المستمرة ضد الشعب قد حقق بها « ستالين » هدفاً سياسياً ، إذ أن هذه المعركة لم تفسح مجالاً للعضو الحزبي أن يقف موقف الحياد ، بل عبىء بالولاء الحزبي في حـميّا الكفاح المندلع •

كان جو الحرب الأهلية شبيهـا بجو الحروب الخارجية ، لإخمـاد أصوات الانتقاد ، وللقضاء على المترددين •

لم تكن القضية قضية مصيب أو مخطىء ، حزبياً كان أو غير حزبي ، إنما كانت القضية دائماً قضية « حزبي مصيباً كان أو مخطئاً » •

قال « بوخارين » في حديث خاص : « إنه شاهد خلال الثورة ما لم يكن يريد أن يشاهده حتى من الأعداء ، ومع ذلك فان عام (١٩١٩م) لا يمكن أن يقارن بمـا حدث بين عامي (١٩٣٠ ــ ١٩٣٢ م) ففي عام (١٩١٩ م) كنا نقاتل في سبيل بقائنا، وقد أعدمنا أناساً ، غير أننا خلال تنفيذ العمل كنا نحمل أرواحنا على أكفنا • أمـا الآن فإن ما يجري هو إبادة جماعية لرجال عزل مع زوجاتهم وأطفالهم » •

وكان « بوخارين » أكثر اهتماماً بتأثير ذلك كله على الحزب ، فلقد زعزعت الأحداث الأخيرة عدداً مـن الشيوعيين ، وانتحر بعضهم ، وجن آخرون • إلا أن أسوأ نتائج الارهاب والمجاعة في رأي بوخارين لم تكن ما عاناه الفلاحون مع أنه كان رهيباً جداً ، بل كان في هذا التبدل العميق في التركيب لأولئك الشيوعيين ، الذين أسهموا في الحملة ، إذ بدل أن يصابوا بمس من الجنون تحولوا إلى جهاز موظفين « بيروقراطيين » يحترفون الإرهاب ، حتى أصبح لديهم مجرد أسلـوب

إداري عادي ، وباتت كل فضيلة لديهم منحصرة في طاعة أي أمر يصدر من الأعلى ، ووصف « بوخارين » ما حدث بأنه : « تجرد العاملين في الجهاز السوفياتي من النزعة الإنسانية » .

أقول : لقد استطاع « بوخارين » أن يحس بالظاهرة لأنه كان يراقب الأحداث وهو خارج عن إدارة دفة الحكم ، وما ندري كيف تكون رؤيته لو كان داخل الإدارة . ومع ذلك فقد غفل عن السبب الحقيقي لهذه الظاهرة ، والذي يكمن في المبادىء الشيوعية نفسها ، والتي لابد أن تنتهي بمعتنقيها إلى ما انتهت إليه حتماً ، والدليل على ذلك تكرر هذه الظاهرة نفسها عند كل الشيوعيين ، متى وصل أمرهم إلى ما وصلوا إليه في الاتحاد السوفياتي .

كما لا تعطي شجرة الحنظل إلا حنظلاً ، ولا يعطي القتاد إلا شوكاً ، ولا ينتج الثعبان إلا ثعباناً ، فإن المادية الالحادية والأحقاد الطبقية ، لا يمكن أن تنتهي إلا إلى ما انتهى إليه شيوعيو الاتحاد السوفياتي .

*   *   *

٨ ـ بينما كان « ستالين » يحرز انتصاره في الريف أخذ باجتياز الخطوات الأولى باتجاه نمط جديد من الإرهاب ، وهذا النمط أضحى فيما بعد طابع مرحلة التصفيات الكبرى .

لقد وقف المعارضون الحزبيون القدماء « بوخارين » ورفاقه موقفاً جامداً غير متحرك ضد تصرفات « ستالين » الارهابية والاستبدادية .

ولكن أقدم أشخاص دونهم في الحزب على خطوات أكثر جسارة وحسماً ، فقد انطلقت ثلاث حركات ضد « ستالين » في الفترة الممتدة بين الأعوام (١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ م) :

الحركة الأولى : ظهرت سنة (١٩٣٠ م) وقد قادها « سيرتوف » و «لوميناذز» مع آخرين ، وفيها حاولوا حصر سلطات « ستالين » منتقدين الحكم المتسلط في الحزب والدولة ، فضلاً عن السياسات الاقتصادية الخطيرة .

واطلع « ستالين » على خطط هذه الجماعة ، فطردها عام (١٩٣٠ م) ثم انتحر « لوميناذز » أما الباقون فقد جرت تصفيتهم في التطهير •

الحركة الثانية : وقد ظهرت في صيف عام (١٩٣٢ م) ، وكانت الحركة الحاسمة التي جعلت « ستالين » يقدم على تصفياته الكبرى داخل الحزب •

قاد هذه الحركة « ريوتين » و « سليبكوف » ، وكان مما فعله رجال هذه الحركة نشرهم لوثيقة عرفت « بمنهاج ريوتين » ، وهو منهاج من مئتي صفحة جرى توزيعه بشكل واسع على الأوساط القيادية في الحزب • وقد تضمن هذا المنهاج إدانة « ستالين » والدعوة إلى إقالته من القيادة • ووصف « ستالين » بأنه : «عبقري الثورة الروسية الشرير ، الذي أوصل الثورة إلى شفير الهاوية بدافع من المطامع الفردية في السلطة والرغبة بالانتقام » •

وأظهر المنهاج أنه لا سبيل لضبط « ستالين » أو الحد من صلاحياته ، كما كانت تعتقد المعارضة ، بل إن الموضوع ينحصر في الخضوع له أو الثورة عليه •

وأراد « ستالين » الإسراع بالانتقام من المعارضين بالإعدام ، إلا أن المكتب السياسي رفض الموافقة على الاعدام •

وفي (٢ تشرين الأول عام ١٩٣٢ م) اتخذت اللجنة المركزية سلسلة من القرارات، اشتملت على طرد « ريوتين » وجماعته من الحزب، بوصفهم « قد تحولوا إلى أعداء للشيوعية والنظام السوفياتي » •

وفي « ١٢ كانون الأول عام ١٩٣٣ م » اتخذ في اجتماع عال للجنة المركزية بكامل هيئتها قرار له طابع التطهير الجماعي ، تم بموجبه طرد أكثر من ثمانمائة ألف عضو ، ثم لحق ذلك طرد (٣٤٠) ألف عضو آخر من أعضاء الحزب الشيوعي •

الحركة الثالثة : وقد ظهرت بعد الثانية وقادها « سميرنوف » وهو عضو بلشفي قديم ، وعاونه « ايسمونت » و « تولماشيف » من قدماء البلاشفة ، وكان هدفها الإطاحة بحكم « ستالين » •

وأراد « ستالين » إعدام عناصر الحركة ، إلا أن المكتب السياسي رفض موافقة « ستالين » على الاعدام ، باستثناء « مولوتوف » الذي تردد ، و « كاغانوفيتش » الذي أيد ستالين حتى النهاية .

وأقيل في هذه الحركة « سميرنوف » ثم طرد من الحزب ، وطرد من الحزب أيضاً « إيسمونت » و « تولماشيف » .

وفي شتاء عام (١٩٣٣ م) صدرت أحكام بسجن « إيسمونت » و «تولماشيف» و « ريوتين » و « اغلانوف » وغيرهم .

* * *

٩ ــ واستطاع « ستالين » خلال حربه للفلاحين من أجل تطبيق نظام التجميع الزراعي إقامة أجهزة على هامش الحزب وقيادته .

من هذه الأجهزة جهاز البوليس السري ، أو « جهاز المباحث » ، وشعاره الأفعى التي اخترقها سيف ، وهذا الجهاز مرتبط بستالين ارتباطاً مباشراً ، ويخضع له ، وهو مسلط على أفراد الحزب وعلى غيرهم دون تفريق .

واستطاع « ستالين » تأليف لجنة التطهير المركزية المرتبطة به مباشرة . وإيجاد « القطاع الخاص » في اللجنة المركزية ، وهو هيئة تابعة له مباشرة ، وتعمل على تنفيذ أوامره السرية ، وهي التي أشرفت على اغتيال « تروتسكي » .

وفي (٢٠ حزيران ١٩٣٣ م) أقيمت نيابة عامة للاتحاد السوفياتي احتل فيها مركز الصدارة « أندريه فيشنسكي » وقد عهد إلى هذه الهيئة أمر التغطية القانونية لأعمال المباحث .

وهكذا أقام « ستالين » أجهزة الارهاب خارج سيطرة الأجهزة السياسية ومستقلة عنها ، وأجهزة الإرهاب هذه تتحرك ضد أفراد الحزب وغيرهم على حد سواء ، ويهيمن عليها « ستالين » مباشرة ، ويسيرها وفق إرادته المطلقة .

* * *

١٠ ــ وكان « كيروف » ضحيته الأولى ، مع أنه ليس من المفروض في التصور حلوله محل « ستالين » فيما لو أزيح هذا عن السلطة ، إلا أنه كان يتمتع بشعبية واسعة ومتزايدة في القاعدة الحزبية ، وكان خطيباً مفوهاً ، بـل كان أفصح الخطباء السوفيات بعد تروتسكي •

ولعل « ستالين » لاحظ في « كيروف » أنه قوة يمكن أن تقف في طريـق سلطانه المطلق ، فهو الرفيق القديم ، وسكرتير اللجنـة المركزية ، وعضو المكتب السياسي ، والسكرتير الأول لمنظمة الحزب في « لينغراد » فقرر التخلص منـه بالاغتيال •

ودبر قضية اغتياله باحكام ، حتى يتخلص منه من جهـة ، ويلقي التهمة على خصومه الآخرين من جهة أخرى ، ويتخلص منهم أخيراً •

لقد واجه « ستالين » عام (١٩٣٤ م) معضلة لم يجد لها حلاً سياسياً ، وهي : كيف يتخلص من « كيروف » المعارض العنيد في المكتب السياسي ، ويتخذ في الوقت نفسه من مقتله ذريعة لحكم إرهابي ، يشدد به قبضته على الشعب السوفياتي ، وتجري خلاله تصفية جميع خصومه ومعارضيه •

وقد تأثر « ستالين » كثيراً بالأسلوب « التكتيك » النازي القائل : عندمـا تنقض على فئة من الخصوم لتصفيتها ، فبامكانك اتهام سائر الخصوم بأنهم وراء المؤامرة ، للخلاص منهم جميعاً دفعة واحدة •

وقد اعتمد « ستالين » على « ياغودا » رئيس المباحث لتنفيذ المؤامرة ، لأنه أمسك عليه أنه كان عميلاً للمباحث القيصرية ، فاستخدم تلك الفضيحة ليجعـل « ياغودا » تحت رحمته الشخصية الدائمة ، ينفذ له مايريد دون تردد ، واستعان « ياغودا » بالمسؤول الثاني في رئاسة مباحث لينغراد « زبوروزيت » لتدبير أمـر التنفيذ •

وبعد ظهر الأول من كانون الأول لسنة (١٩٣٤ م) دخل القاتل المدفـوع الشاب « ليونيد نيكولايف » مركز الحزب الشيوعي ، في لينغراد ، وحين فتشه الحارس الخارجي وتفحص جوازه وجده حسب الأصول ، فسمح له بالدخول دون متاعب •

أما في الداخل فقد بدا أن الحرس قد تغيب عن مركزه ، فأخذ « نيكولايف » يتجول في الممرات ، إلى أن وجد باب ممر الطابق الثالث الذي ينفتح على مكتب « سيرجي كيروف » وهناك وقف ينتظر في الخارج •

وفي الرابعة والنصف غادر « كيروف » مكتبه متجهاً نحو مكتب معاونه السكرتير الثاني للفرع « ميخائيل شودوف » ، وما أن خطا خطوات قليلة حتى أصابه طلق ناري من خلف •

وفي محاكمات (١٩٣٨ م) اعترف « ياغودا » أمام النائب « فيشنسكي » بأنه سهل للقاتل دخول القاعة ، والتربص لـ « كيروف » ، إلا أنه أخفى مَنْ أمره بتدبير قتله وهو « ستالين » ، كما أخفى أمر « ستالين » له بتدبير مقتل آخرين عن طريق الطبيب « لغين » والطبيب « كازاكوف » بدس السم لهم بوسائل طبية • إلا أنه قال كلمة تدل على الحقيقة ، وتدل على شعوره بالاثم تجاه الله ، لما وجد أن « ستالين » الذي أمره بارتكاب جرائمه لم ينصره ، بل دفعه إلى المحاكمة ليتخلص منه ، ويدفن معه ما كان قد أمره به من جرائم ، لقد قال : « لا بد بعد كل هذا أن يكون الله موجوداً ، فمن « ستالين » قد أستحق الشكر فقط ، أما من الله فقد أستحق المصير الذي حل فعلاً بي » •

وفور وقوع حادثة قتل « كيروف » سافر « ستالين » من موسكو ، إلى « لينتغراد » بالقطار ، على رأس وفد مركزي من الحزب والدولة ، فوصلها في الثاني من كانون الأول ، أي صبيحة اليوم التالي •

لكن مرسوم إعلان الأحكام العرفية والمباشرة بالتطهير كان مؤرخاً قبل ذلك بيوم • وقد نص المرسوم على ما يلي :

أولاً : تعليمات للتعجيل بالتحقيق في جرائم الإرهاب ضد الدولة •

ثانياً : توجيه الأمر للدوائر القضائية بعدم تأخير تنفيذ أحكام الإعدام بانتظار البت بطلبات الاسترحام أو العفو ، لأن رئاسة اللجنة التنفيذية المركزية لن تقبل طلبات من هذا النوع •

ثالثاً : توجيه الأمر لدوائر وزارة الداخليـة بتنفيذ أحكام الاعدام فـور صدورها •

وأشرف « ستالين » على التحقيق منذ اللحظات الأولى ، فرأى أن يتخلص من « بوريسوف » رئيس حرس « كيروف » الشخصي ، والمعروف بشدة ولائـه للقتيل • فدبر قتله بحادث صدام مفتعل في اليوم التالي ، وكان ذلك من قبل رجال المباحث •

أما قتلة « بوريسوف » فقد أعدموا فيما بعد تخلصاً من كل آثار الجريمة ، وحتى لا يكشفوا من دفعهم لقتله •

واتخذ « ستالين » وأنصاره هـذه الحادثة ذريعة للتخلص من كل المنافسين والخصوم من أعضاء الحزب وغيرهم ، وجرت لهم محاكمات سرية أعدموا عـلى إثرها فوراً • كما أن القاتل « نيكولايف » قد جرى قتله فور مقابلته لستالين في التحقيق •

وأما رجال المباحث الذين دبروا مقتل « كيروف » فقد جرت لهم محاكمات خفيفة، وعوملوا في المعتقل معاملة تكريمية خاصة ، إلا أنهم في سنة (١٩٣٧ م) أعدموا رمياً بالرصاص ، حتى لا يبوح واحد منهم بالسر الحقيقي الموصول بستالين •

واستولى الستالينيون على فرع لينغراد بعد أن أنزل « ستالين » النفـي الجماعي والاعدام الجماعي ، بكل المعارضين له ، ليصفو له جو الاستبداد المطلق •

* * *

١١ ــ ثم دبر « ستالين » عـن طريق المباحث ، والمحاكمات الصوريـة ، والاغتيالات الطبية ، وغيرها ، مقتل معظم الرفاق ، ليتخلص من منافستهم ومـن معارضتهم لسلطانه المطلق ، حتى إنه تخلص من كثير من الموالين له ولاءً مطلقاً لأنه كان يحتقرهم •

وكان هذا ديدنه مع كل الذين يتوهم فيهم المنافسة ، أو الخصومة ، أو يلاحظ لهم شعبية في الحزب ، أو يحتقرهم ، مهما كانوا أصدقاء له ، وموالين لسياسته ، حتى غدا كل حزبي وغير حزبي يترقب احتمال تعرضه لنقمة الزعيم الأوحد ، بسبب أو بغير سبب ، وعرضة لاتهامه بأي شيء وقتله بسببه ، أو قتله بطريقة تبدو طبيعية دون توجيه تهمة له •

* * *

١٢ ــ وتفاقمت إجراءات الارهاب التعسفية ، فصدرت المراسيم والأوامر التالية :

آ ــ في (٣٠ آذار سنة ١٩٣٥ م) صدر مرسوم يقضي بأن يعاقب بالسجن خمس سنوات من نقل سكنه •

ب ــ وفي (٩ حزيران سنة ١٩٣٥ م) صدر مرسوم يقضي بأن يعاقب بالموت من فر إلى الخارج من العسكريين أو المدنيين ، لذلك فمن عثر عليه يفر قتل رميا بالرصاص •

أما ذوو الفار العسكري فيعاقبون بالسجن حتى عشر سنوات إذا كانوا عالمين بفراره ، وبالنفي خمس سنوات إذا كانوا غير عالمين بفراره •

ج ــ وفي (٧ نيسان سنة ١٩٣٥ م) صدر مرسوم شديد الغرابة ، وهو يتضمن إمكان إنزال جميع العقوبات حتى عقوبة الموت ، بالأطفال في سن الثانية عشرة فما فوق ، فغدا سن التكليف الكامل عند الشيوعيين (١٢) سنة فما فوق •

د ــ وفي (٢٥ أيار سنة ١٩٣٥ م) صدر أمر بحل جمعية البلاشفة القدماء ، لإيقاف اعتراضاتهم على تصرفات ستالين ، وهم الرفاق الأقدمون في الحزب •

هـ ــ وفي (٢٥ حزيران سنة ١٩٣٥ م) صدر أمر بحل جمعية السجناء السياسيين القدماء •

* * *

١٣ ــ ومرت فترة ركود من (تموز ١٩٣٥ حتى ١٩٣٦ م) زعم في أواخرها بعض الرفاق الشيوعيين الكبار أن عهداً من الانفتاح الجاد قد بدأ فعلاً •

إلا أن « ستالين » كان خلال هذه الفترة يعد الترتيبات اللازمة لعهد إرهابي جديد أشد قسوة من الإرهاب السابق •

فأقام الأجهزة اللازمة لاحداث عملية تطهير واسع داخل الحزب ، وفق أهوائه ، وبغية توطيد زعامته الخاصة المطلقة ، فسيطر بشكل مباشر على دوائر البوليس السري ، وأقام آلة « بيروقراطية » تنفذ خططه دون مناقشة أو اعتراض •

ثم أخذ يلفق الاتهامات ضد منافسيه وخصومه ومعارضي استبداديته المطلقة عن طريق أجهزته التي ترتبط به وحده ، وأعد الشهود المأجورين ليشهدوا ضدهم أمام المحكمة العميلة له ، والتي ألفها من أنصاره •

وجرت المحاكمات الصورية في الوقت الذي كانت أجهزة الاعلام تلفت الأنظار إلى أمجاد « ستالين » وإلى تقدم طيران الاتحاد السوفياتي في ظل حكمه •

وأدلى المتهمون باعترافات على أنفسهم بناء على وعد من « ستالين » لهم بأنهم إذا اعترفوا بما أراد منهم رجال المباحث أن يعترفوا به فسيعفو عنهم ، وكانوا يعتقدون بأن « ستالين » لم يكن ليعدمهم وهم الرفاق القدماء القادة ، وأصحاب الأمجاد في تكوين الحزب ، وإقامة الثورة الشيوعية ، إلا أنهم لمّا نطقوا بما أمروا به لم يف لهم رفيقهم « ستالين » بوعده • لقد كان في إجازته السنوية إبان المحاكمة ، وخاب ظنهم بستالين •

يضاف إلى ذلك وسائل التحقيق المقرونة بالتعذيب الذي لايحتمل ، والتي تجعل المعذَّب يعترف على نفسه بأي شيء ، ليتخلص من آلام التعذيب الذي ينزل به على أيدي المحققين وجلاديهم •

وما أظن أن الدوافع الحزبية كافية ليعترفوا على أنفسهم لولا شدة وطأة العذاب والإرهاب •

وكانت الأوامر صادرة من « ستالين » بتنفيذ أحكام الاعدام دون تأخير ، ودون الرجوع إليه ، وهكذا تخلص « ستالين » من كبار منتقدي سياسته من رفاق الدرب القدماء من حزب البلشفيك •

ولما تم إعدام المحكومين أمر « ستالين » برمي (خمسة آلاف) معتقل من أنصار المعارضة بالرصاص •

ومن ذلك الوقت حتى نهاية سنة (١٩٣٨ م) كان لايمر أسبوع إلا ويجري قتل أربعين أو خمسين شخصاً •

وقد مات عدد من المعتقلين في المعسكرات ، وهم مضربون عن الطعام ، احتجاجاً على معاملتهم غير الانسانية ، واختفى الآخرون جميعاً •

* * *

١٤ ــ وقد اعترف القادة الشيوعيون أنفسهم بأن الاعترافات كانت تنتزع من المتهمين عن طريق الضغط الجسدي ، وممارسة فنون التعذيب ، كما أن التعليمات الرسمية تثبت ذلك •

فقد لاحظ « خروتشوف » سنة (١٩٥٦ م) : « كيف أن بامكان المرء أن يعترف بارتكاب جرائم لم يرتكبها ، فذلك يحصل نتيجة أمر واحد ، هو الضغط الجسدي الناجم عن التعذيب والغياب عن الوعي ، وفقدان القدرة على القرار ، وتمريغ الكرامة الشخصية ، بهذه الأساليب انتزعت الاعترافات » •

ولقد ثبت بما لايدع مجالاً للشك مطلقاً أن المباحث السوفياتية قد مارست التعذيب الشديد ، حتى كان كثير من الذين يراد انتزاع اعترافاتهم يموتون في السجن نتيجة ضربهم في أماكن قاتلة ، وقد شمل التعذيب الصغار والنساء أيضاً •

وفي سنة (١٩٣٦ م) أعطيت تعليمات رسمية سرية لأول مرة باستخدامه في روسيا البيضاء ، ثم أمسى هو الأسلوب السائد في التحقيق بعدما فوضت المباحث من اللجنة المركزية باستخدامه •

وفي (٢٠ كانون الثاني ١٩٣٩ م) صدر تعميم عن اللجنة المركزية يبرر استخدام التعذيب الجسدي بفلسفة قائمة على أسس طبقية وعقائدية ، ويعلن أنه مستخدم منذ سنة (١٩٣٧ م) بصورة مشروعة ، وقد جاء في التعميم ما يلي :

« إن اللجنة المركزية للحزب توضح بأن اعتماد أساليب الضغط الجسدي من قبل المباحث كان مأذوناً به منذ سنة (١٩٣٧ م) من قبل اللجنة المركزية ، فمن المعروف أن جميع أجهزة الاستخبارات البورجوازية تستخدم أساليب الضغط الجسدي ضد ممثلي (البروليتاريا) الاشتراكية ، وبأشكال مفضوحة ورهيبة . هنا يُطرح السؤال : لماذا على الاستخبارات الاشتراكية أن تكون أكثر إنسانية ورأفة من عملاء البرجوازية الحمقاء ، ومع أعداء الطبقة العاملة ، وعمال المزارع الجماعية ؟ . إن اللجنة المركزية ترى لزوم استخدام الضغط الجسدي كاستثناء ، ضد أعداء الشعب المعروفين والعنيدين ، وكذلك اعتباره وسيلة مبررة مناسبة » .

* * *

١٥ ـ يروي جنرال سوفياتي أن بعض نزلاء زنزاته عام (١٩٣٨ م) اعترفوا بجرائم وهمية ، بعضهم نتيجة التعذيب الجسدي ، وبعضهم الآخر نتيجة خوفهم من الخضوع لعمليات التعذيب الذي رويت لهم عنه .

وجاء في كتاب « آثرت الحرية » وصف مسهب للمآسي التي جرت في الاتحاد السوفياتي [١] .

كتب الكتاب هذا « فكتور كرافتشنكو » وهو شيوعي روسي ، ومهندس كبير ممن أقاموا الصناعة في الاتحاد السوفياتي ، وكان والده من الذين اشتركوا في الحركة الثورية الشيوعية ، وأمضى شطراً كبيراً من عمره سجيناً على عهد القياصرة، وقد بلغ « كرافتشنكو » الابن مكانة مرموقة في روسيا إلا أنه سئم العبودية

---

(١) نقلا عن كتاب « الاسلام في وجه الزحف الأحمر » للكاتب الكبير الشيخ محمد الغزالي .

الاجتماعية والسياسية التي تسود بلاده ، وتبرم بالنفوذ الهائل الذي تملكه دائرة المخابرات السرية ، فانتهز فرصة إيفاده إلى الولايات المتحدة في مهمة تجارية ، وقرر بعد إنجازها الالتجاء السياسي إلى أمريكا ، وكتب كتابه « آثرت الحرية » .

ومما جاء في هذا الكتاب قوله بعد ذكر عودته من المزارع الجماعية ، ومشاهدته ما يعانيه فلاحوها من بأساء وضراء :

« بدأت في طوية نفسي وثنايا ضميري فكرة أن أعتزل الحزب ، فالمفزعات التي شهدتها في الريف تركت في نفسي جروحاً هيهات أن تندمل ..!

ومع ذلك فلهذا السبب نفسه أخذ عقلي الواعي يتلمس تلمس اليأس طريقاً يهادن به ضميري . وما أحسب أن قد كان أمامي طريق آخر في ظروف تحتم عليك إذا أردت أن تعيش أن تذعن للأمر الواقع الذي لم يكن منه مهرب لهارب ..

إنه ليس في مقدور إنسان أن يترك الحزب حين يشاء ، بل ليس في مقدور إنسان أن يتراخى في نشاطه إزاء الحزب ، أو أن يبدي من الأمارات ماينم عن ضعف إيمانه به ..

فاذا ما التحق إنسان بالحزب فقد وقع في الفخ إلى الأبد . نعم يجوز للحزب أن يطرده ، ويكون معنى ذلك أن تنزل به الكوارث ، لكن ليس في وسعه هو أن يتنحى منشقاً عليه .

فلو كنت أظهرت ما يدور في صدري من عواطف على حقيقتها لكانت النتيجة إبعادي عن المدرسة ، ووصمي بالعار ، وتعقبي بألوان الاضطهاد ، بل ربما كانت النهاية المحتومة أن يزج بي في معسكرات الاعتقال ، أو ماهو شر من ذلك وبالاً ..

كان لزاماً عليَّ أن أكتم عواطفي بين جوانحي ، وكان لزاماً علي أن أدسها دساً في أعماق فؤادي ، هذا إلى ما بذلته جاهداً أن أستعيد للحزب ولائي .

فلئن كان ذلك ضرورة في الظروف المعتادة ، فلقد كان عندئذٍ أشد ضرورة ، لأن حركة التطهير قد نشرت قلاعها للريح .

عينت مئات من لجان التطهير ، ولم يكن ليمضي طويل وقت قبل أن تعقد تلك اللجان اجتماعاتها العلنية في المصانع والمكاتب ودور الحكومة والمعاهد . وكان على كل شيوعي في البلاد أن يذعن لما يطالب به من محاكمة واعتراف ..

واشتد شعورنا عندئذٍ بأننا محاطون من كل جانب بالعيون الرواصد ، والآذان المنصتة . تلك العيون والآذان التي تخفى عن النظر ، لكنك تحس بوجودها في كل مكان .

وكذلك اشتد شعورنا بالأضابير الضخمة التي سجلت في أوراقها دخائل حياتنا الخاصة ، ومكنون أفكارنا ، وبأعدائنا الذين قد ينتهزون الفرصة ، فيبرزون ما لنا من سقطات ، ما هو حقيقي منها ، وما هو من نسج الخيال .

كان السؤال الذي يسبق إلى ذهني وإلى ذهن كل شيوعي إذ ذاك هو هذا : ترى هل تمضي عني موجة هذه المحنة سالماً ؟.

هذا سؤال رن صداه في كل وجه من وجوه نشاطنا ، وفي كل عبارة من أحاديثنا .

لم نعد ندبر للمستقبل سبيلاً ، فلا مستقبل هناك إلا إذا اجتزنا في سلام تلك العقبة الكأداء .

ثم قال : الشرط الأول لاحتفاظك بعضوية الحزب هو أن تكنّ للقادة ولاءً لاذبذبة فيه ، وأن يكون ولاؤك ناصعاً لاتشوبه شائبة لستالين بوجه خاص . (أي على عهد ستالين) .

وإنه ليكفي أن يشيع عنك فلان عن فلان تلميحاً خفيفاً يفيد انحرافك عن جادة الولاء الخالص لكي تورد مورد الهلاك .

بل إن أخص خصائص الحياة الداخلية لمن وقع عليه التطهير ، وما يدور في رأسه من خواطر في كل الشؤون كائنة ما كانت ، مستهدف لهجمات الناس علانية دون أن يروا في ذلك ما يعاب .

وكانت إجراءات التحقيق تحتوي على أفظع الفظائع التي عرفت في حمل المتهم على الاعتراف ، وفي جعله عرضة لشهادة الزور ، وفريسة لألوان التعذيب على أيدي الشيوعيين •

أما الفريسة القنيصة فقد كانت ترى ــ وقت المحاكمة ــ محنة رهيبة •

وأما النظارة فكانوا في أغلب الأحيان كأنما يشاهدون مسرحاً لترويض الوحوش •

وكان حضور هذه المحاكمات خلال أسابيع التطهير كلها إلزاماً محتوماً على كل من ينتمي إلى الحزب ، وأما من ليسوا في الحزب أعضاء فيغرونهم بالحضور بشتى وسائل التشجيع •

ولم يكن أحد من الشيوعيين ليُخْطَرَ قبل محاكمته بالتهم التي يكون في النية توجيهها إليه ، فكانت هذه القلقلة أشد ما يحرج الصدور من عناصر المأساة •

إذ كان عليك أن تتحسس طريقك في الظلام لتكون على أهبة لما عسى أن يفاجئك من مباغتات ، فتستعرض ماضيك مرة بعد مرة متسائلاً : ترى من أين يأتي الخطر ؟

ألم يحدث مرة أنك أفرطت في الحديث ذات مساء منذ ثلاثة أعوام ، مدفوعاً في حديثك بما بعثته روح الزمالة في نفسك من طمأنينة •

فقد يكون واحد من هؤلاء الزملاء ــ الذين ركنت إلى حسن طويتهم ــ وشى بك منبئاً بما أفرطت به من ملاحظات •

وطبيعي أن تكون ألوف الشرطة السرية والعلنية هي القوائم التي يعتمد عليها النظام •

وتلك حال ينتفي معها الأمان ، وتتلاشى الطمأنينة ، فنصف الأمة جاسوس على نصفها الآخر ، ويكفي أن يتنفس امرؤ بكلمة ــ لاتعجب ــ حتى تحسب عليه وربما كانت القاضية ••!!

وقد تستغل عثرة العاثر ، أو حاجة المحتاج ليكون عيناً على من حوله ، وإلا ..
فالويل له .. » .

وجاء أيضاً في كتاب « آثرت الحرية » على لسان فتاة اعتقل أبوها ، وكان استاذاً كبيراً في الجامعة ، وكانت تريد زيارته ، فقالت لرئيس مكتب الشرطة : أرجوك أرجوك أن تأذن بزيارتي إياه ، فأنت إنسان من البشر ، أياً ما كانت الحال ...

ـ ليس من هنا ناس من البشر يا ... بل هنا رعاة الثورة . ليس هنا مكان لعاطفة ، وما أدواتنا التي نقاتل بها أعداء الدولة سوى العذاب والموت . وخير لك أن تتبيني هذه الحقيقة عاجلاً والشر في التسويف !!

سآذن لك برؤية أبيك على أساس واحد ، وهو أني أريد معونتك ، اذهبي إلى السجن ففي طريقك إليه سأرسل أمري بذلك ، وفكري في الأمر الذي أعرضه عليك ، ودعي عنك هذه البلاهة الحمقاء .

ساروا بي إلى عنبر حيث كان أبي وحده في غرفة نقلوه إليها استعداداً لزيارتي، كان راقداً على سرير من الحديد ، ساكناً سكون الموت ، وقد طالت له لحية بيضاء في هذه الشهور التي افترقنا خلالها ، لم يبق له من جسده إلا جلد وعظام .

ورأيت على جبهته وعلى صدغيه الغائرين أشرطة قبيحة من الجلد ، كما رأيت أربطة على أصابعه وذراعيه .

دنوت من سريره فلم يكن لديه من العافية ما يعينه على ابتسامة الترحيب .. ولمّا أخذ في الحديث رأيت ما راعني ، إذ رأيت أن أسنانه الامامية قد خلعت عن فكه خلعاً .

قال بصوت منكسر : لاتبكي يا ... وناداني بالاسم الذي كان يدللني به منذ طفولتي . لقد كنت أوصيت أن أتحدث في أمور عائلية ، وألا أعرج بالحديث على شؤون السياسة ، لكن الحارس الذي صحبني هاله ما رأى ، فأدار وجهه عنا تلميحاً لنا بأنه لن ينصت إلى الحديث .

وأشار أبي إلي بأصبعه أن أنحني إليه ، ثم همس في أذني : ها أنت ذي تشهدين حالي يا ••• !! لقد جعلوا يضربونني يوماً بعد يوم ، فأداتهم هي التعذيب •• ومئات ممن سجنوا في الحجر المنفردة هاهنا يجلدون بالقطائل المبتلة ، ولا يخلى بينهم وبين النوم أسابيع متوالية • أو هم يوضعون في غرف هي الجليد في بردها •

لقد ضربوني في غير رحمة ، لأسمي لهم شركائي في المؤامرة ، فماذا أقول إن لم تكن هناك مؤامرة ؟ لم يكن هناك مؤامرة إلا في خيالهم الجامح ، إنهم بمثابة من يرى أشباحاً •

لطالما تمنيت أن يكون هناك ما أعترف به ، ولقد تذكرت أخطاءً ليست بذات خطر واعترفت بها على أنها ضرب من أفعال التخريب •

ما نسجت لهم بخيالي كان من السذاجة بحيث لم يستقم أمام عقولهم •

وفيم استرسالي معك في هذا الحديث ؟ لقد كنت سمعت عن الشرطة السرية وأساليبها ، لكن أسوأ ما كان يصوره لي خيالي لم يكن إلى جانب الواقع شيئاً مذكوراً •

ليس هؤلاء بشراً إنما هم نفر من الشياطين ، أواه يا ابنتي •• إن ما صنعه هؤلاء •• ! هـ • » •

نعم وهكذا الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر ، هذه هي ثمرة المادية الملحدة•

* * *

١٦ ــ تزعم المبادىء الماركسية اللينينية أن الشيوعيين لايغتال بعضهم بعضاً ، نظراً إلى أن مبدأ الاغتيال يتناقض معها ، ولكن قام الدليل العملي على بطلان هذا الزعم ، فقد قتل « ستالين » الرفيق « كيروف » وقتل أيضاً جميع منافسيه وخصومه الحزبيين ، وهو شيوعي قديم ، ويمثل القداسة عند الشيوعيين •



— ٥ —

تفصيلات حول الارهاب الستاليني الكبير

(١) الخطة المتبعة من قبل رجال مباحث « ستالين » أن لا يعلم المعتقل الذاهب إلى التحقيق سبب اعتقاله ، حتى إذا برهن عن تصلب وعناد بعد استجوابات قليلة فعندئذ توضح له حقيقة الاتهام .

إن المادة (١٢٨) من قانون الاجراءات الجزائية تنص على أن التهمة ضد شخص قيد الاستجواب يجب أن تبلغ له في مدة أقصاها (٤٨) ساعة بعد اعتقاله .

لكن هذه المادة لم يكن يعمل بها لتناقضها مع أساليب المباحث الأساسية ، فقد تمر شهور أو سنين دون أن يعلم المعتقلون التهم الموجهة لهم ، وقد يفرج عنهم أو يموتون وهم يجهلون لماذا اعتقلوا .

وكان من وسائل انتزاع الاعترافات الإكراهية التحقيقات المتواصلة ليلاً نهاراً، بتكرير الأسئلة نفسها دون سأم ، حتى تتحطم إرادة المتهم .

ويمهد للاستجواب من قبل رجال المباحث بتعريض المنكوب لسلسلة من الارهاب النفسي ، والتعذيب ، مع الارهاق الجسدي والنفسي الطويل ، وامتهان الكرامة ، وإثارة الانفعالات التي تحركها المبادىء والمعتقدات ، حتى يجد المنكوب نفسه أمام عذاب لاقِبلَ له بتحمله .

ومن الصور التي تتم بها عمليات الإرهاق ، الحجز الطويل في غرفة صغيرة حارة توقد فيها المدافىء في الصيف ، أو في غرفة شديدة البرودة كأنها الثلج في الشتاء البارد . أو في حمام أرضه ماء ، ولا شيء يمكن الجلوس عليه إلا الماء والأرض الباردة الرطبة . ومنها أيضاً الوقوف على رؤوس الأصابع إلى جانب جدارٍ عدة ساعات . والمنع من النوم . والايقاظ السريع بعد النوم مع التعريض للأنوار الشديدة المرهقة للأعصاب .

وبمواصلة هذه الأساليب يعترف المنكوب على نفسه ولو كان كاذباً باعترافه ، وهذا ما حدث فعلاً ، إذ ثبت بعد حين أن معظم الذين اعترفوا على أنفسهم كانوا أبرياء مما اتهموا به ، وأن اعترافاتهم كانت كاذبة ، إذ كانت وسيلتهم الوحيدة للتخلص من العذاب الذي هم فيه .

وفي سلسلة الأعمال التمهيدية التي يتعرض لها المنكوبون لانتزاع اعترافاتهم على أنفسهم ، كان يصاب الكثير منهم بأمراض وعاهات مزمنة لا أمل بالشفاء منها ، منها (الشلل ــ الروماتيزم ــ فقد التوازن العقلي ــ السل ــ الربو ــ أمراض جلدية مختلفة ــ فقد بعض القوى العضوية) إلى غير ذلك من أمراض وعاهات دائمة .

وعند الاستجواب يتعرض المنكوب لإهانات وشتائم قذرة ، وحركات إرهابية وحشية لئيمة .

وضباط المباحث يعاملون السجناء كأنهم بهائم غير جديرة بأدنى مراتب العطف والشفقة .

وكان من الوسائل احتجاز ذوي القربى كرهائن ، أو إعدامهم ، أو تعريضهم للعذاب الشديد أمام المتهم .

ويحدث أن يسحب المعترف اعترافه بعد رفع وسائل الاكراه والتعذيب عنه ، لكن العملية تستأنف معه من جديد ، فيتعرض لمثل ماكان تعرض له من قبل أو لأقسى منه .

ومن أمثلة الاعترافات التي طلبت من المتهمين ما يلي :

أ ــ موظف كبير سابق في صناعة الخشب باوكرانيا ، كان قد أدلى باعتراف في أوائل الثلاثينات بمحاكمات الحزب الصناعية ، قال فيه : إنه قد قلل من كميات الأخشاب المقطوعة ، لكي يوفر الغابات لأصحابها الأصليين الذين كان يهدف إلى إعادة حقوقهم لهم ، وقد حكم عليه بالسجن عشر سنين ، لكنه أخلي سبيله بعد سنة

واحدة ، وأعيد إلى وظيفته العالية مثل كثيرين من المشتركين بهذه المؤامرة المزعومة. ثم اعتقل مرة ثانية وطُلب إليه أن يعترف بأنه قطع مقادير كثيرة من الأخشاب ، لكي يلحق الضرر بالغابات ويخربها .

ب ــ اتهم البروفسور « بيلين » الأستاذ في جامعة « كييف » بالتجسس ، لأنه ذكر في درس ألقاه عمق نهر « دنيبر » في مواضع مختلفة .

جـ ــ حكم على بلشفي قديم بالسجن (١٥) سنة ، بتهمة ارتكابه أعمالاً إرهابية ، وهي أنه أراد أن يتخلص من ذاته فسرق أوراق رجل ميت ووضع نفسه مكانه .

وطلب المتهم من رجال المباحث دعوة شاهد يعرفه منذ طفولته ، ولمّا حضر الشاهد وتعرف عليه حالاً ، طردوا الشاهد وأصروا على الحكم عليه رغم ثبوت براءته .

د ــ اتهم خمسون طالباً أوكرانياً بتأليف جمعية لاغتيال « كوسير » وأمضى المحققون سنة كاملة في العمل بهذه القضية ، ثم عرف في سنة (١٩٣٨ م) أن « كوسير » نفسه قد اعتقل بوصفه من « التروتسكيين » . فظن الجميع أن الطلبة سوف يطلق سراحهم ، غير أن تحقيقاً جديداً بوشر به حالاً معهم ، وضربوا لأنهم كذبوا على رجال المباحث ، وبعد أيام جاء من أسرّ لهم بالذي يجب عليهم أن يعترفوا به ، وأن يضعوا اسم « كاغانوفتش » بدل اسم « كوسير » .

* * *

(٢) وكان إصرار السلطة على انتزاع الاعترافات من المتهمين ، لأنه لاتوجد لديها أدلة ضدهم إلا بأن يدينوا أنفسهم ، ولأن في إعلان اعترافاتهم ما يبرر أمام الجماهير قتلهم والتخلص منهم .

لقد كان باستطاعة السلطة قتلهم سراً دون اعتراف منهم ، لكن هذا يجعل السلطة هي المتهمة شعبياً بالفتك بمن تريد الفتك به ، دون أي مبرر لذلك .

ويبدو أن « ستالين » وحاشيته وأنصاره ، كانوا يخشون أن لايصدّق الناس الاعترافات الشفهية التي كان المتهمون يعترفون بها بالضغط والإكراه والتعذيب ، فحرصوا على توثيق هذه الاعترافات بالأدلة الثبوتية ، كخطّ المتهم وتوقيعه ، الأمر الذي أدّى إلى إخضاع الألوف من الناس لعذاب جسدي وعقلي ونفسي ، حتى تنتزع منهم اعترافاتهم المكتوبة والموقعة من قبلهم .

* * *

(٣) لقد تابع « ستالين » تدابيره باصرار عنيد لتصفية كلّ الذين لا يذعنون لإرادته إذعاناً مطلقاً ، ولا يمجدون أعماله مهما كان شأنها ، من أعضاء المكتب السياسي المهيمن على سياسة الدولة والحزب ، ومن رجال المباحث الذين يمكن أن تكون لهم ولاءات جزئية لغيره .

ففي (١٨ آذار ١٩٣٧ م) خطب الارهابي « يزهوف » الرجل الأول في البوليس السري ، واليد الطيعة لستالين ، في كبار ضباط المباحث في نادي الشرطة السرّية ، فوصف « ياغودا » عضو اللجنة المركزية ، والذي يحتل منصب مفوض للمواصلات ، وكان سابقاً رئيساً للمباحث ، وقد اعتمد عليه « ستالين » في تصفياته الأولى . لقد وصفه بأنه جاسوس قيصري سابق ، وبأنه لص ومختلس . ثم تحدث عن جواسيس « ياغودا » في المباحث ، واتجه فوراً للتخلص من جماعة « ياغودا » الباقين ، فاعتقلوا في مكاتبهم نهاراً ، أو في منازلهم ليلاً . وألقى بعضهم بنفسه من شقته منتحراً وأطلق ضباط آخرون الرصاص على أنفسهم ، أو انتحروا بالقفز من مكاتبهم .

وقيل : إن مجموع الذين أعدموا من مباحث « ياغودا » في عام (١٩٣٧ م) قد بلغ (ثلاثة آلاف) ضابط .

وفي (٣ نيسان ١٩٣٧ م) اعتقل « ياغودا » .

* * *

(٤) وفي (١١ حزيران سنة ١٩٣٧ م) أعلن أن تهمة الخيانة قد وجهت لصفوة قيادة الجيش الأحمر • وفي اليوم التالي حوكموا وأعدموا ،وكان فيهم كبار الجنرالات الذين أسّسوا الجيش الأحمر وجعلوه فعلاً قوة ذات شأن •

وفي (١١ أيار سنة ١٩٣٧ م) وجّهت الضربة الأولى إلى جيش الشرق الأقصى، باعتقال قائد الفيلق « لابين » رئيس هيئة أركان الحرب هناك ، والذي قيل : إنه انتحر بعد التعذيب في سجن « خاباروفسك » • وباعتقال القائد « كروك » الذي اعتبر القبض عليه أمراً عظيماً ، لأنه من كبار القادة الذين لهم وزنهم الخطير فيما لو انقلبوا على « ستالين » • إلى غيرهما من ضباط كبار •

وكانت التصفيات تشمل كبار الضباط ، ثم تشمل زوجاتهم وأولادهم ثانياً بأمر من « ستالين » حتى لا يبقى أي أثر لهم •

وبينما كان أفضل جنرالات الجيش الأحمر يساقون إلى الإعدام وسط حملة واسعة النطاق من التشهير ، أطلق « ستالين » ورجل مباحثه « يزهوف » رجال المباحث على فريق الضباط لتصفيتهم •

فأعدم القائدان « غاركافي » و « جكير » رمياً بالرصاص • وأعدم عشرون جنرالاً من مقر القيادة في موسكو • واعتقل جميع أفراد القيادة في مدرسة « الكرملين » العسكرية • وأقفلت أكاديمية « فرونز » العسكرية التي كان يرأسها « كورك » بعد ما اعتقل جميع رجالها • واعتقل « نيروف » رئيس الدائرة السياسية فيها بتهمة التجسس • ولم يمرّ يوم واحد دون أن يتمّ فيه اعتقال أحد أعضاء هيئة أركان الحرب • وأرسل جميع المدرسين تقريباً إلى السجون •

وفي منطقة « كييف » اعتقل قرابة (٧٠٠) ضابط •

وفي أوائل شهر آب (١٩٣٧ م) خطب « ستالين » في اجتماع للعمّال السياسيين في الجيش ، هاجم فيه من جديد بمنتهى العنف أعداء الشعب •

ثم شمل التطهير الادارة السياسية ، وتمّ اعدام جميع المفوضين العسكريين ، وعددهم سبعة عشر • وتم إعدام (٢٥) من أصل (٢٨) من مفوضي الفيالق • وتمّ إعدام (٣٤) من أصل (٣٦) ممن هم في مستوى مفوضي الألوية •

ومع أوائل عام (١٩٣٨ م) كان قد تمّ إعدام ما لايقل عن (عشرين ألف) من العمّال السياسيين الحزبيين •

وما أن جاء صيف (١٩٣٨ م) حتى تمّ تطهير جميع الذين كانوا يتقلّدون مناصب القيادة العسكرية في عام (١٩٣٧ م) •

وكان الضبّاط يعترفون على أنفسهم ليحكموا بالاعدام تخلّصاً من التعذيب الذي يلاقونه على أيدي رجال المباحث ، الذين لا يعرفون إنسانية ولا رحمة •

وهكذا عمل الرفاق بالرفاق ، فهنيئاً للشيوعيين هذا المصير الأسود على أيدي رفاقهم ، ولعذاب الآخرة أشق وأخزى !! فليكفروا بالله وليتحدّوا ربوبيته وقهره مهما شاؤوا ، إنهم لن يضروا الله شيئاً ، إنما يضرون أنفسهم ويشقونها شقاءً أبدياً •

* * *

(٥) وعندما اعتقل « توخاشفسكي » استدعي جميع عملاء الاستخبارات العسكرية تقريباً من الخارج وأعدموا • وكان منهم « أورتسكي » رئيس الاستخبارات السوفياتية العسكرية ـ المكتب الرابع ـ منذ عام (١٩٣٥ م) •

وأرسل « برزين » إلى جيش الشرق الأقصى ، ثمّ نقل إلى اسبانيا قائداً عامّاً للجيوش الجمهورية باسم « غريش » وفي اسبانيا اصطدم مع المباحث ، ولما عاد إلى الاتحاد السوفياتي أعدم رمياً بالرصاص •

وأعدم في « اسبانيا » الجنرال « كليبر » الضابط السوفياتي وقائد اللواء الدولي بأمر من موسكو • وكذلك كان مصير آخرين من الضباط القادة ، وكانت اسبانيا على العموم شؤماً على جميع الموظفين السوفيات عسكريين ومدنيين •

* * *

(٦) وتعرّض ضباط البحرية لما تعرّض له ضبّاط السلاح البرّي ، بل كان التخوف منهم أشدّ ، لطبيعة عملهم التي تسمح لهم أن يتّصلوا بالأجانب •

وقد أعدم عدد كبير من « الأميرالات » دون سبب ظاهر ، بل لمجرّد أن طبيعة عملهم تسمح لهم بأن يتصلوا بغير الشيوعيين من خارج البلاد .

ومن الطريف العجيب ما يرويه الأميرال « إيزاكوف » في مذكراته التي نشرت سنة (١٩٦١ م) عن قصة ضابط من معارفه هو « أوزاروفسكي » : إنّ هذا الضابطقد تحطّم زورقه الشراعي الصغير في مواجهة الساحل ، على مقربة من « كرونستادت » فاقتربت منه باخرة نروجية وأنزلت زورقاً لإنقاذه ، فرفض « أوزاروفسكي » قبول المساعدة ، مع أنّ وضعه كان يدعو إلى اليأس . ووصف الراوي شعور « أوزاروفسكي » الذي كان سوف ينقذ حتماً لو قبل المساعدة ، وذكر أنه زاره في المستشفى وسأله : لماذا لم يسمح بنقله إلى لينينغراد بواسطة الباخرة النروجية ، فأجاب قائلاً :

« لقد كان عليّ لوفعلت ذلك أن أعطي إيضاحات عن متى ، وكيف جرى تدبير هذا اللقاء مع العملاء الأجانب ، وما هو المبلغ الذي بعت به خططنا الحربية ؟! بينما كانت السفينة تمرّ بالقنال » !!

ورغم ذلك ، فإن « أوزاروفسكي » لم ينج ، بل اعتقل واستجوب وعذّب للأسباب ذاتها التي كان قد أبداها .

* * *

(٧) وفي لينينغراد أبيد كثيرون من الموظفين الحزبيين دون محاكمة وكان يجري لهم تحقيق على أساس اتهامات كاذبة ملفقة .

وكانت الابادة تشمل عائلاتهم حتى الأطفال الأبرياء ، وكانت أعمال القمع تنفّذ بأوامر من « ستالين » ، أو بمعرفته وموافقته .

وكانت عمليّات التطهير في « لينينغراد » مقرونة بالعنف الذي تجاوز ما اعتاده السوفيات .

وقد تناول هذا التطهير قادة القوات المقاتلة ، وكبار الصناعيين ، ورؤساء بقية المشاريع الكبيرة .

* * *

(٨) وفي أوائل عام (١٩٣٨ م) أصدر « ستالين » تعليمات تدعو إلى تطهير جديد في القوات المسلحة ، من الذين لزموا الصمت ، ولم يقوموا بنصيب عملي في التطهير السابق .

وبدأت الحملة بإقالة واعتقال عدد من كبار الضبّاط الجدد الذين حلّوا محلّ الضباط السابقين ، الذين تمت تصفيتهم في عام (١٩٣٧ م) .

وفي أواخر تموز (١٩٣٨ م) حدثت مجزرة تناولت عدداً من القادة العسكريين الكبار ، وكانت هذه العملية واسعة النطاق ، مثل العملية التي جرت في حزيران (١٩٣٧ م) وتناولت أيضاً إعدام كبار شخصيات الحزب .

إن « ستالين » بقضائه على ما اعتبره خطراً يهدّد سلطانه قد ألحق ضرراً عظيماً بالدفاع السوفياتي .

وكان يكفي ليقرر « ستالين » إعدام أقرب الرفاق إليه ، وأعظم الشخصيات لمجرّد مخالفته في الرأي ، فاذا قرّر إعدامه سلّط عليه جهاز المباحث فلفقت له تهمة يتمّ على إثرها إعدامه ، كما حصل لـ « يوسف فارسيكيس » الذي كان موضع ثقة « ستالين » وسكرتيراً أولاً في « فورونزه » و « ستالينغراد » ثم غدا سكرتيراً أولاً في الشرق الأقصى ، إذْ لفقت له المباحث تهمة سيق بها إلى الاعدام ، لأنه استوضح من « ستالين » عن أسباب اعتقال بعض الشيوعيين في محادثة تليفونية .

ومتى صار العضو الحزبي ــ مهما كانت مكانته ــ غير مرغوب فيه من قبل « ستالين » توجهت له التّهم ، وأطلق عليه وصف « عدو الشعب » .

وكانت تتم إعدامات كثيرة دون محاكمة ، ودون القيام بالتحقيقات الضرورية .

* * *

(٩) أمّا التطهير في الجمهوريات والأقاليم فقد أخذ أسلوباً يتلخص بما يلي :

أ ــ توضع خطة العملية في موسكو .

ب ــ يجري التنفيذ بمعرفة بعثات من المركز .

وكان الهدف تحطيم الحزب القديم كليّاً ، وإنشاء نخبة مختارة جديدة ، تؤلف منظمة جديدة من الإرهابيين والوشاة .

وهكذا اجتاح « الإعصار الأسود » في الأقاليم منظمات الحزب الستالينية القديمة من جذورها .

فليْهنأ الشيوعيون بما يحدث لهم على أيدي رفاقهم ، وليظلّوا على ولائهم الغبيّ للشيطان .

وفي « أوكرانيا » تمت تصفية المكتب السياسي المحلّي عام (١٩٣٧ م) وجميع أعضاء الحكومة الأوكرانية السبعة عشر . واكتسح التطهير الستاليني جميع المنشآت في الجمهورية ، فمشاريع الدولة الصناعية ، والمجالس البلدية ، والهيئات التربوية والعلمية جميعها ، فقدت المئات من زعمائها .

واتحاد المؤلفين الأوكرانيين أبيد عن آخره .

قال « ستالين » لـ « روزفلت » في اجتماعهما في « مالطا » : إنّ مركزه في « أوكرانيا » كان صعباً وغير مأمون .

وقد أبدى أسفه فيما بعد لأنه لم يتمكّن من نفي الأمة بأسرها .

* * *

(١٠) خلال العامين (١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ م) أرسل رئيس المباحث « يزهوف » إلى « ستالين » لوائح بلغ عددها (٣٨٣) لائحة تحتوي على ألوف من الشخصيات المهمة ، ليوافق على إعدامهم . وكانت اللائحة توضع على مثال الصيغة التالية :

الرفيق ستالين :

أرسل إليك مع هـذا للموافقة أربع لوائح بأسماء أشخاص سيقدمون إلى المحاكمة أمام القضاء العسكري :

اللائحة الأولى : « جنرالات » .

اللائحة الثانية : « موظفون عسكريون سابقاً »

اللائحة الثالثة : « موظفون في إدارة المباحث سابقاً » •

اللائحة الرابعة : « زوجات أعداء الشعب » •

أرجو التصديق على إدانتهم جميعاً بجرائم من الدرجة الأولى •

والمعروف أن أحكام الدرجة الأولى تعني الاعدام رمياً بالرصاص •

وكان « ستالين » و « مولوتوف » يفحصان تلك اللوائح ، ويكتبان على كلّ منها العبارة التالية :

صُدّق ج• ستالين •

ف • مولوتوف •

أما قرارات الاعتقال ومذكرات الاعتقال فكانت كثيراً ما توقع قبل شهور من تنفيذ الاعتقال • وبالأسلوب ذاته كان كبار الشخصيات قد يمنحون الأوسمة ضمن أعمالهم الوظيفية ، ثم يعتقلون في اليوم نفسه بموجب قرار اعتقال، أو مذكرةاعتقال، موقع عليها سابقاً ، ولكنّ أحداً لا يعرفها إلاّ جهاز المباحث وستالين ورجاله •

* * *

(١١) يصف « فتزروي » الرفيق « ستالين » وهو على منصة العرض في الميدان الأحمر ،ومن حوله باقي أعضاء المكتب السياسي يتحركون بعصبية متناسين العرض ، والمناصب العالية التي يشغلونها • فسرورهم الظاهر ممتزج بحذر ورعب عندما يتحدث ستالين إليهم • وأي غائب عن الاحتفال فمعنى غيابه أن مصير تصفيته يتقرر على يد المستبد الأول وعصابته •

أمّا مظهر « ستالين » فهو مزيج من الرأفة والضجر •

* * *

(١٢) ثمّ اتخذ « ستالين » الاستعدادات لتصفية أنصاره الذين لا يرضى عنهم •

ففي شهر تشرين الثاني سنة (١٩٣٧ م) صدرت وثيقة بتوقيع « ستالين » و « مولوتوف » و « كاغانوفيتش » توافق على محاكمة عدد كبير من الرفاق من صفوف البارزين في الحزب ، وعمّال الدولة ، والجيش ، أمام القضاء العسكري •

ثم جرى إعدام أكثرهم رمياً بالرصاص • وقد أعيد اعتبار بعضهم بعد موتهم لأنهم كانوا أبرياء ، حتى في نظر المتطرفين في الاتهام •

ثم وضع « ستالين » خطّة يستهلك بها معاونيه في الإرهاب ، وبموجب هذه الخطّة تمّ القضاء على « ياغودا » رجل المباحث المطيع لأوامر « ستالين » بالجرائم التي ارتكبها بموجب أوامر سيده ثم اختفى أيضاً خلفه رجل المباحث الارهابي « يزهوف » الذي كان كلّ فرد في عهده يشعر بأنه يمكن أن يكون هو الضحية التالية •

وعن طريق « يزهوف » تم قبْلاً تصفية الشيوعيين المشكوك في ولائهم الكامل للرفيق « ستالين » والذين يعملون في الخارج ، وكانت تصفيتهم تتمّ عن طريق استدعائهم وإعدامهم ، أو عن طريق اغتيالهم في الخارج بوسائل مختلفة ، وقد شكّلت لهذه الغاية « إدارة المهمات الخاصة » ووضع تحت إمرتها جهاز أطلق عليه اسم « الجماعات المتحركة » •

* * *

(١٣) وكانت الوشاية هي الصفة السائدة التي اعتمدتها المباحث، ودرّبت عليها •

أمّا من يلزم الصمت ولا يشي بغيره فهو مشبوه قد تقع عليه الوشاية ، فيكون ضحيّة ، أو قد يعتبر من أعداء الشعب لأنه لا يبلّغ عن أعداء الشعب ، إذْ هل يعقل في منطق الشيوعيين أن لا يكون في محيط أي إنسان أعداء للشعب ، حتى ولو كان محيطه القمة السياسية للحزب الشيوعي ، باستثناء الزعيم القائد ، الذي هو الشعب كلّه •

وكل من يتفوّه بكلمة نقد هو أيضاً يصنّف في فئة « أعداء الشعب » •

قال « غومولكا » : « لقد كانت المباحث السوفياتية تستطيع ان تدخل في فئة « عدو الشعب » كل من يجرؤ على التفوه بكلمة نقد » .

والشعب في مفهوم السلطة مكثف في شخص الزعيم القائد ، حتى لو خالف جميع أفراد الشعب إرادة الزعيم، لكان كلّ فرد من أفراد الشعب هو من فئة «أعداء الشعب» .

كما أن أي فرد من أفراد الشعب يخالف الحزب الشيوعي وإرادته وسياسته ، مهما كانت سياسة خرقاء بلهاء ، أو سياسة ظالمة طاغية غاشمة ـ هو من فئة « أعداء الشعب » .

وكان كلّ رجل يعتقل يتعرّض للضغط الشديد حتى يبلّغ عن المتواطئين معه، ويشي بشركائه في التهمة المزعومة الموجهة ضده . وفي جميع الحالات كان جميع معارفه يصيرون تلقائيّاً مشبوهين ومتهمين .

ويلجأ المحققون مع المتهمين إلى حمل كلّ من يستدعونه إلى الاستجواب على أن يذكر أسماء آخرين شركاء له في الجريمة المراد إلصاقها به .! فيضطر تحت أساليب الضغط التعذيبي أن يذكر أشخاصاً من الذين يعرفهم ، ليرفع عن نفسه شدّة العذاب ، وحين يستدعى هؤلاء يلجأ المحققون معهم إلى الأسلوب نفسه ، وهكذا .

وتتكاثر سلسلة المتهمين وفق سلسلة هندسية ، فكلّ إنسان له معارف ، وكلّ معذب مضطرّ أن يخفف عن نفسه العذاب بذكر أسماء بعض معارفه ، ولو استمرّ الأمر على هذا الشكل لربما شمل كلّ الشعب .

وقد أدى هذا أحياناً إلى تناقض بين اندفاع المحقق الصغير ومخططات التحقيق المركزي .

وقد بلغ تكاثر الأدلة والاتهامات أنّ نصف سكان المدن على الأقلّ كانت أسماؤهم مسجّلة في لوائح إدارة المباحث .

ولمّا لم يكن من المستطاع اعتقالهم جميعاً فقد جرت تصفية الفئات القديمة أوّلاً ، مثل البلاشفة القدماء ، والمعارضين ...

وفي سنة (١٩٣٨ م) صارت الحالة حتى في رأي « ستالين » نفسه غير محتملة ، ومن المستحيل الاستمرار فيها اقتصادياً وسياسياً ، ثم طبيعياً أيضاً •

* * *

(١٤) واستطاع « ستالين » ظاهرياً أن يخدع الكثيرين من أصحاب العقول الراجحة ، لأنه استطاع بمهارة فائقة أن يبقى وراء الستار ، في كل أعمال القمع والإرهاب التي يجريها عن طريق رجال المباحث ، الذين يحركهم كالدمى في الحقيقة ، إلاّ أنهم في الظاهر يعملون بحكم وظائفهم •

وهذا هو أسلوب المستبدين « الدكتاتوريين » الأذكياء ، إلاّ أنّ من الثابت في تاريخ جميع المستبدين استبداداً مطلقاً ، أنّ المستبدّ هو المسؤول الحقيقي عن كلّ الأعمال الاجرامية التي تجريها أجهزته ، مهما حاول إلقاء مسؤوليتها على غيره ، فرداً كان أو جهازاً ، أو حزباً ، وكلّ الذرائع التي يتخذها لستر نفسه ذرائع كاذبة ، لا تغطي الحقيقة الرهيبة الواضحة عند أهل البصر ، وذوي الخبرة ، إنّما قد تنطلي على البسطاء من الدهماء ، صغار العقول ، وقد يتقبلها الجبناء الذين يخشون نقمة الطاغية المستبد •

كما أنّ من الثابت في تاريخ جميع المستبدين المجرمين أنهم متى استنفدوا أغراضهم من الرجال الذين يستخدمونهم لتنفيذ جرائمهم تخلصوا منهم ، ليدفنوا معهم أسرار جرائمهم ، وليظهروا أمام الناس بوجه آخر غير الوجه الحقيقي الذي ارتكبوا به الجرائم عن طريق عملائهم •

* * *

(١٥) كان رجال المباحث في كل مكان ، وفي جميع المنظمات العامة ، تحت ضغط مستمرّ ، لاظهار جدارتهم في اجتثاث أعداء الشعب من جذورهم ، أي أعداء الزعيم الأوحد •

ونتج عن ذلك أن أمسى القسم الأكبر من الشعب مصنفاً على لوائح في ملفات القسم الخاص من إدارة المباحث وفروعها المحلية ، تحت عناوين مختلفة يرمز إليها بحروف معينة ، هي :

١ ـ عناصر مضادة للسوفيات •

٢ ـ عضو عامل في الكنيسة •

٣ ـ عضو في طائفة دينية •

٤ ـ ثائر •

٥ ـ صاحب اتصالات في الخارج •

وفي الاتحاد السوفياتي أمسى كثيرون من المنتمين إلى هذه الفئات من أهل القبور ، أو مهاجرين ، أمّا الباقون فقد دخلوا تلقائيّاً في نطاق المشبوهين • وهكذا أمسى المواطنون في معظم فئاتهم علفاً للتطهير ، ومن لم تحرقه نار التطهير يتساءل متى سيأتي دوره •

إن امتداد موجة التطهير إلى جميع أنحاء البلاد كان نتيجة إصرار السلطات المركزية •

وفي عمليات التطهير المسعورة كان كثيراً ما يعتقل أفراد لمجرد أن أسماءهم تشبه أسماء مطلوبين آخرين ، وقد يعترفون عن طريق الضغط بجرائم لا علاقة لهم بها مطلقاً ، تخلصاً من التعذيب ، ثم يظهر بعد ذلك أن الأمر كان نتيجة خطأ في هويّة الرجل ، فيفرج عنه بعد أسابيع أو شهور •

وكانت أحكام الاعدام الجماعية والاعتقالات الجماعية هي السمة البارزة لعهد التطهير بوجه عامّ •

وفي كلّ مؤسسة سوفياتية « إدارة سرّية » تراقب الولاء السياسي لدى الموظفين والعمال ، وتراقب الأسرار الفنية ، ويودع في خزائنها كلّ مساء تقرير سري •

وقد ذكر أنه كان في عـام (١٩٣٩ م) في مجاميع العمال البالـغ عددهم (٧٨٫٨١١٫٠٠٠) عاملاً ، مالايقل عن (٢٫١٢٦٫٠٠٠) مـن الحراس والمراقبين عدا رجال المباحث .

وقال ضابط مباحث اعتقل في شهر تشرين الثاني سنة (١٩٣٨ م) : إنّه اتضح في غضون ستة شهور لرجال المباحث : أنّ عملية التطهير يتعذّر استمرارها بشكلها الحالي ، لأنّ إدارة المباحث قد تجمّع لديها ملفّات تثبت أنّ كلّ موظف كبير في أي مكان كان هو جاسوس ، وكثيرون منهم لم يعتقلوا بعد .

* * *

(١٦) حالة السجون في الاتحاد السوڤياتي كريهة سيئة التغذية ، وفي الغرفة التي لا تتسع مثلاً لأكثر من عشرين شخصاً ، يحشر ستون أو أكثر ، أي بنسبة ثلاثة أضعاف ما يحتمله المكان ، مع المضايقات الكثيرة التي يفضل فيها بعض المساجين الانتحار على البقاء ، ولو مع الأمل بالخلاص والافراج عنه .

أما زنزانات التعذيب الخاص فقلّما يخرج منها أحد" إلا ميتاً : ظلمة" دامسة ، وهواء معدوم ، ورطوبة قاتلة ، وبرد شديد ، أو حر شديد ، وأرض قاسية صلدة لا شيء عليها ، ومنع من الخروج ، وقضاء الحاجة الطبيعية داخلها .

* * *

(١٧) أسباب الاعتقال : عدا الأخذ بالظنّ الضعيف ، والرغبة بتصفية المنافسين والناقدين ، وعدم الراضين عن سياسة « ستالين » ، والذين يمكن أن يكونوا في المستقبل كذلك ، والذين لهم نشاط في منظمات سوفياتية معينة ـ عدا كل هذا فإن للاعتقالات أسباباً ترجع إلى الجذور الاجتماعية للمعتقل ، أو كونه يتسلّم حاليّاً إحدى الوظائف التي يراد صرفه عنها ، أو وظائف سابقة يعرف عن طريقها أشياء ، أو له بالدوائر التي كان يعمل فيها معارف ، أو ترجع إلى صداقته لشخص من غير المرغوب فيهم ، أوترجع إلى جنسيته وقوميته ، أو أنه اتصل ببلاد أجنبية ، أو نحو

ذلك من أسباب لا تذكر مطلقاً في تبرير الاعتقالات والتصفيات ، لأنّ مثل هـذه الأسباب لا تصلح مطلقاً مبرّراً في نظر المذهبية الشيوعية ، ولا في نظر القوانين المرعية .

وكان من المحتمل أن تؤدي الاتصالات المباشرة بالقنصليات إلى الهلاك .

فقد جرى في أوكرانيا اعتقال الأطباء الذين تولّوا معالجة القناصل الألمان . واعتقال البياطرة الذين كانوا قد عالجوا كلاب القنصليات ، وحتى الذين ليس لهم علاقات مباشرة بذلك مثل نجل الطبيب البيطري .

واعتقل رجل لأنه شقيق امرأة كانت تبيع الحليب للقنصل الألماني . وسجن آخر لأنه كان قد نقل التكهنات الجوية عن اللوحة المعلقة في الحديقة العامة وأعطاها للقنصل البولوني .

ووضعت راقصة أوبرا في معسكر العمل لأنها أطالت في حفلة راقصة رسمية الرقص أكثر من المدة المسموح بها مع سفير ياباني .

وكتب طبيب يوناني إلى بعض أقاربه في « سالونيك » واصفاً لهم مميّزات نوع من السمك يربّى بقصد القضاء على البعوض الذي ينقل جرثومة الملاريا ، فاتهم بالتجسّس ، واعتقل اليونانيون في كلّ مكان في شهر كانون الأول سنـة (١٩٣٧ م) . ثم طهرت منطقـة « ماريوبول » على البحر الأسود من اليونانيين تطهيراً كاملاً بتهمة تدبير مؤامرة يونانية قومية ، لتأسيس جمهورية يونانية في قسم كبير من أوكرانيا .

واعتقل شاب" عمره عشرون سنة متخصص بالرياضيات ، ولا علاقة له بالسياسة على الاطلاق ، لمجرد أن والدته كانت اشتراكية ثورية قديمة .

ثم إن الأقليات القومية في المدن الروسية أبيدت عن آخرها .

والملاحظ أنّ الغالبية العظمى من الذين اتهموا زمن التطهير الستاليني الكبير ، كانت التهم ضدّهم بسبب علاقتهم بالمنشفيك ، الجناح الشيوعي الآخر المنشق قبل قيام الثورة الشيوعية ، وانتصار البلشفيك فيها . أو بسبب علاقتهم بالمنظمة الأرمنية

التقدمية الوطنية «داشناك» أو بسبب علاقتهم بالثوار الاشتراكيين، أو جماعات الشيوعيين المنحرفين • أو بسبب كونهم عملوا خارج الاتحاد السوفياتي ، وقد كان الاتحاد السوفياتي قد سلّم سكك حديد الصين إلى اليابانيين ، وكان العمال الروس الذين يعملون عليها والذين عادوا إلى الاتحاد السوفياتي هم الموظفون الوحيدون غير الدبلوماسيين الذين كانوا يعيشون في الخارج ، وعند عودتهم اعتبروا تلقائياً مشبوهين من الفئة الأولى ، ويبلغ عددهم مع أفراد عائلاتهم نحواً من أربعين ألفاً •

وتعرضت المرأة للعذاب وأنواع التصفية كما تعرض الرجل حتى إن « سوتيلانا » ابنة « ستالين » احتجت وصرخت وهربت من روسيا للعذاب الذي وقع على المرأة فيها[1] •

وكانت أسر المعتقلين إذا لم تعتقل تعاني متاعب كثيرة ، وتتعرّض لإهانات ومشقات لا حدّ لها •

وكان العمال وعائلاتهم ضحايا التطهير •

وفي زمن التطهير كان كلّ الذين لهم علاقة بالانتاج يعتبرون تلقائياً موضع شبهة ، لا سيّما المهندسون ، فهؤلاء كانوا يعتبرون مخرّبين بلا استثناء ، ولو كانت لهم خدمات عظيمة ، وتاريخ في العمل ممتاز • والرأي فيهم جميعاً ما أفصح عنه « ستالين » بقوله :

« ما من مخرّب يدأب على التخريب كلّ الوقت إذا لم يكن يريد أن يفتضح أمره سريعاً ، بل بالعكس ، المخرّب الحقيقي يظهر تفوّقاً في عمله من وقت لآخر ، لأنّ ذلك هو الوسيلة الوحيدة للاحتفاظ بوظيفته ، ولاكتساب ثقة رؤسائه ، والاستمرار في نشاطه التخريبي » •

وكان كل تقصير وكل حادث يقع في المجال الاقتصادي يعتبر تلقائياً عملاً تخريباً •

---

(١) انظر : Oniyoneyear 1969 (London)

ومن أمثلة التطهير في عمال السكك الحديدية ما يلي :

في (١٠ آب١٩٣٧ م) كتب « كاغانوفيتش » إلى المباحث طالباً إلقاء القبض على عشرة من الموظفين المسؤولين في مفوضية الشعب للنقل ، وكان السبب الوحيد الذي ذكره هو سلوكهم المشبوه ، وقد اعتقلوا جميعاً بوصفهم من المخربين وأعدموا .

* * *

(١٨) ومن الجرائم التي يعاقب عليها القيام بأي نشاط ديني ، فقد عانى رجال الدين في ظلّ الحكم السوفياتي اضطهاداً كبيراً . وكانت محاكمات رجال الدين تذاع في جميع أنحاء الاتحاد .

وكانت إحدى المحاكمات التي جرت في صيف عام (١٩٣٧ م) قد تناولت أسقفاً و (١٢) كاهناً ، وآخرين اتهموا بطبع صلاة باللّغة السلافية القديمة .

وحكم على ثلاثة أساقفة في شباط (١٩٣٨ م) بتهمة التحريض على فتح كنائس كانت قد أغلقت ، ووجهت إليهم تهمة التخريب أيضاً .

* * *

(١٩) من أمثلة الجرائم وعقوباتها ما يلي :

آ ــ في (٧ آب سنة ١٩٣٢ م) صدر قانون ينصّ على عقوبة الاعدام لسلسلة واسعة النطاق ، من الجرائم المرتكبة ضدّ أملاك الدولة[١] .

ب ــ في (٧ تموز سنة ١٩٣٥ م) صدر قانون يعتبر من أنواع التخريب قيام النساء الفلاّحات بالتقاط بقايا الحصاد من الحقول ، وهي السنابل التي تتساقط في الأرض بعد الحصاد .

---

(١) هذا مع انهم ينتقدون نظام الاسلام في عقوبة السرقة ، لكن يبدو أن قطع الرقبة في تصورهم اهون من قطع اليد ، واكثر رحمة وإنسانية ، علماً بأن عقوبة الاعدام عندهم قد تكون ضد أعمال لا تعتبر في مفهوم كل القانونيين جريمة .

ومن المعلوم أنّ العرف لدى كلّ الشعوب جارٍ على الإذن للطوّافين والطوافات بالتقاطها ، لأنّ أصحاب الزراعة يهملونها لقلّتها ، وزيادة نفقة التقاطها على ثمنها ، ولا يجمعها إلا ذوو الحاجات ، لكن الأنظمة الشيوعية والنفسية الشيوعية ترى أنّ هذا العمل من التخريب ، لأنه استغلال للثروة القومية بغير حق • أو إذا كان لدى الفلاحات وقت لالتقاط هذه السنابل فينبغي أن يصرف في خدمة مصالح الدولة ، إذْ طاقة العمل التي لدى الأفراد هي ملك للدولة ، فمن تصرّف بها لنفسه فهو عدوّ للشعب •

جـ ـ عدم التبليغ يعتبر تواطؤاً أو مشاركة في الجريمة ، ويعاقب عليه عقوبة صارمة ، حتى ولو كان ذا قرابة قريبة •

* * *

(٢٠) المحاكمات : لأجل الاسراع باصدار الأحكام جرى تخفيف الإجراءات القانونية بقرار أصدره « فيشنسكي » ، وهو يقضي بعدم لزوم تكرار ما سبق إثباته في التحقيقات التمهيدية ، وقد نتج عنه أحكام ومحاكمات غريبة ، منها ما يلي :

آ ـ حكم على امرأة بالسجن عشر سنين ، بمقتضى الفقرة العاشرة من المادة (٥٨) لأنها قالت عن « توخا شفسكي » بعد اعتقاله : إنه رجل جميل الصورة •

ب ـ حكم على رجل بالسجن ثلاث سنين ، لأنه ابتسم بينما كان بعض السكارى على مائدة أخرى في « أوديسا » يروون بعض النكات عن السوفيات •

جـ ـ ومن عجيب الأمر أن زوجة قائد حرس « ستالين » حكم عليها بالسجن ثماني سنين ، لأن زوجها ذكر تحت وطأة التعذيب ، أنّها قالت : سوف تتخلّص من صورة « ستالين » في منزلها الجديد •

د ـ وكان يعدم كثيرون دون محاكمة أو تحقيق •

* * *

(٢١) جهات إصدار الأحكام : لا يقتصر إصدار الأحكام بالسجن على المحاكم التي تشكّل لهذه الغاية ، بل تتولّى إصدار الأحكام أيضاً هيئة إدارية تتألف من المجلس الخاصّ التابع للمباحث المشكّل بمقتضى قانون (١٠ تموز و ٥ تشرين الثاني لعام ١٩٣٤ م) • وهو يتألف من نائب رئيس المباحث ، ومفوض المباحث للجمهوريات السوفياتية ، ورئيس إدارة المليشيا ، ورئيس مباحث الاتحاد الجمهوري حيث نشأت القضية ، ويشترك النائب العام في الاتحاد السوفياتي ونائبه •

وكانت النسبة العظمى من الأحكام تصدر عن هذا المجلس ، وباستطاعة هذا المجلس أن يحكم بالسجن إلى عشر سنوات ، وليس للمتّهم حق الدفاع عن نفسه أمام هذا المجلس •

وتتولّى إصدار الأحكام أيضاً في الأقاليم هيئة قضائية فوق العادة ، يطلق عليها اسم « ترويكا » تشبه محاكم الطوارىء التي كانت قائمة أثناء الحرب الأهلية ، وهي مؤلفة من سكرتير الحزب الأول ، وممثل عن المباحث ، والنائب العام •

وباستطاعة هذه الهيئة أن تصدر كلّ أحكام العقوبات حتى الإعدام •

* * *

(٢٢) التصفية في صفوف المثقفين ورجال العلم :

لقد كان المثقفون الروس هم المستودع التقليدي للآراء الداعية إلى مقاومة الاستبداد ، لا سيما محاولات إخضاع الفكر ، أو إلجامه بلجام الصمت وعدم التحرك •

لذلك كان من الطبيعي أن يوجّه التطهير إليهم أشدّ ضرباته لتصفيتهم ، لأنّ الشيوعيين شديدو التعصب لآرائهم ، ولا يقبلون غيرها ، حتى في حقول العلوم والفنون ، ومن ذلك الأمثلة التالية :

آ ـ كان علماء الاقتصاد قد اشتركوا في لجان التخطيط الحكومية ، ولكن تمت تصفية النسبة العظمى منهم في أوائل الثلاثينات •

ب ــ ناشد أستاذ في مفوضية الشؤون الخارجية « مولوتوف » في عريضة أن يتدخّل لمصلحة والده الذي جرى اعتقاله من جرّاء سوء تفاهم في الرأي ، فكتب « مولوتوف » على العريضة ما يلي :

« إلى « يزهوف » : هل يمكن أن يكون هذا البروفسور لا يزال في مفوضية الشعب للشؤون الخارجية وليس في المباحث » .

وعلى إثر ذلك اعتقل كاتب العريضة بدون مسوّغ قانوني ، وظهرت مقالات تهاجم الانحراف في التاريخ والاقتصاد ، وبين صفوف رجال الأدب ، وظهر مقال خاص بقلم « مولوتوف » يشدّد فيه الحملة .

جـ ــ جميع المؤرخين الحزبيين الذين كانوا قد تبعوا « بوكروفسكي » قد اعتقلوا ، ووصفوا بأنهم إرهابيون ، وكثير من عصابات الإرهاب الكبرى نسبت رئاستها إلى المؤرخين .

د ــ وحلّت النقمة بالبروفسور « كونستنطين شتيبا » أستاذ التاريخ القديم ، لأنه في حديثه عن « جان دارك » وصفها بأنّها عصبية متوترة . وكان ذلك لأن السياسة في روسيا يومئذ أخذت تذكر بأنّ « جان دارك » بطلة في حركة المقاومة الوطنية ، إثر ظهور الجبهة الشعبية في فرنسا ، واحتلال الشيوعيين فيها مركزاً فعالاً ، فاعتبر وصف البروفسور لها بأنّها عصبيّة متوتّرة انحرافاً عن السياسة الحزبية .

وتعرّض مرّة أخرى للنقمة ، بسبب قوله : إنّ سكان الأرياف هم دائماً متأخرون .

وعلّق البروفسور « كونستنطين شتيبا » على اعتقال عدد من زملائه في ذلك الوقت بقوله :

« لقد كنت بالطبع حزيناً لما أصاب أصدقائي ، غير أني لم أكن فقط حزيناً لما أصابهم ، بل أيضاً خائفاً مذعوراً منهم ، فان باستطاعتهم أن يقولوا أشياء كثيرة عن أحاديث كانت بيننا ، لم نكن فيها دائماً نعبّر عن وجهة النظر الرسمية ، رغم أن تلك الأحاديث لم تحتوِ أي انتقاد أو تهجّم على السلطة السوفياتية ، أو أي شيء

يدين جزائياً ، غير أنّ أقلّ انتقاد أو تذمّر أو تعبير عن شيء من الامتعاض وخيبة الأمل ، يمرّ في سياق الأحاديث ، كان من شأنه أن يجعل كلّ سوڤياتي يشعر بأنه مذنب » .

أي من وجهة نظر السلطة المستبدة .

ثم اعتقل البروفسور « شتيبا » في شهر آذار سنة (١٩٣٨ م) وبعد استجواب شديد استمر خمسين يوماً تولاه بالتناوب (١٣) محققاً ، وجّهت له تهمة الاشتراك في مؤامرة لاغتيال « كوسير » .

ثم أدى سقوط « كوسير » عند « ستالين » إلى سحب التهمة في قضية«شتيبا» وقضايا أخرى كثيرة ، ونزلت بدلها تهمة التجسّس لليابان .

هـ ـ وشمل التطهير معهد العلوم الطبيعية في « خاركوف » فاعتقل مؤسسه البروفسور « أوبرينوف » واعتقل أوّل مدير له البروفسور « ليبونسكي » والبروفسور « ليف دافيد » و «فسن لندو» كبير علماء النظريّات الطبيعية في الاتحاد السوڤياتي ، الذي أشرف مع البروفسور « كابتزا » على بناء مختبر متدني الحرارة ، واعتقل كذلك خلفه « كوماروف » .

و ـ ظهرت في الستينات مطبوعات سوفياتية تحدثت عن الاعتقالات في أوساط العلماء ، منها ما كتبه العالم « برغ » إذْ يقول :

« لقد مرّت بعد ذلك أوقات صعبة ، فقد الانسان فيها أعز أصدقائه ، ثم أنا كذلك لم ألبث أن اعتقلتُ على أساس وشايات مضحكة سخيفة . وقد قضيت (٩٠٠) يوم في السجن . وأطلق سراحي قبل الحرب بفترة قصيرة . وفي أثناء هذه السنين عانت تكنولوجية (تقنية) البث الإذاعي خسائر فادحة ، ذلك لأن المعاهد والمختبرات أغلقت ، والناس اختفوا » .

ز ـ وكان علم الحياة « البيولوجيا » ميداناً حسّاساً جدّاً ، وبدأ يشهد في أوائل الثلاثينات نزاعاً عقائديّاً شديداً . وكان « لفيتسكي » و « أفدولوف » الاخصائيان في علم الحيوان والنبات قد اعتقلا . واعتقل آخرون غيرهم من علماء الأحياء « البيولوجيين » .

وفي سنة (١٩٣٥ م) اعتقل الاستاذ الكبير « أغول » بتهمة انتمائه إلى التروتسكيين ، ويبدو أنه لم يلبث أن أعدم .

وفي كانون الأول سنة (١٩٣٦ م) أقيل البروفسور « لفيت » رئيس معهد الطب التناسلي من منصبه ، وطرد من الحزب ، بحجة أن آراءه « البيولوجية » ـ أي في علم الأحياء ـ كانت تميل إلى النازية .

وحتى عام (١٩٣٩ م) كانت قد اختفت سلسلة طويلة من علماء الأحياء « البيولوجيين » [1] .

وأخيراً اعتقل « فافيلوف » العالم العظيم في الطبّ التناسلي ، وصديق « لينين » الأثير لديه .

وكان « فافيلوف » قد تعرّض لمتاعب بسبب جدل حول السياسة الزراعية التي يرى من الأفضل اتباعها في الأراضي التي ضُمت من « فنلندا » في أوائل عام « ١٩٤٠ م » ووقع خصام مكشوف بينه وبين « لسنكو » بعد ذلك .

وفي شهر آب كان « فافيلوف » يطوف في أوكرانيا الغربية ، وبينما هو في « سيرنوتي » استدعي فجأة إلى موسكو ، وقد ذكر أنه حكم عليه بالاعدام بتهمة أنه جاسوس بريطاني . غير أن حكم الإعدام خفّض فيما بعد ، ومع أن مساعي كثيرة بذلت لمساعدته فقد أرسل إلى معسكر العمل . ثم نقل إلى أحد سجون موسكو ، وقيل : إنه توفي في « ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ م » .

ح ـ وكان أكثر الضحايا في أوساط الكتّاب والمؤلفين من الأدباء الذين اشتركوا في مؤتمرهم الأول عام (١٩٣٤ م) وعددهم (٧٠٠) إذْ لم يبق منهم على

---

(١) يظهر أن آراء علماء الأحياء وفق الشواهد العلمية كانت تتناقض مع الداروينية، والعقيدة التي يلتزم بها المذهب الشيوعي القائمة على أن المادة تتحول ذاتياً إلى كائنات حيّة ، مع أن الحقائق العلمية قد أثبتت أن الحياة لا تنشأ إلاّ من حياة سابقة ، خلافاً للعقيدة الشيوعية لكن الشيوعيين لا يقبلون الحقائق العلمية متى خالفت عقائدهم المتحجرة .

قيد الحياة سوى (٥٠) شخصاً فقط حضروا المؤتمر الثاني الذي انعقد في سنة (١٩٥٤ م) •

واتضح أخيراً بعد المؤتمر الحزبي العشرين الذي عقد في سنة (١٩٥٦ م) أنه حصل الاعتراف سرّاً بأنّ أكثر من (٦٠٠) أديب من الأدباء الذين لم يرتكبوا جريمة قد قضي عليهم •

وقد قال « الكسندر سولجنتسين » الذي روى هذا النبأ : إنّ عددهم في الحقيقة كان أكثر كثيراً من ذلك •

وتم القضاء على كثيرين من أفضل شعراء روسيا ، ولا يعرف شيء عن التهم التي وجهت للشعراء الذين لقوا حتفهم •

وأعدم أكثر الشعراء الأوكرانيين لأسباب عقائدية في سنة (١٩٣٤ م) • وحكم على شاعرة شابّة بالسجن ثماني سنين في معسكر « كاراغاند » لأنها وضعت ترنيمة عنوانها «ترنيمة إلى الحرّية » وقد فُسّر عملها هذا بأنه إعداد للارهاب •

وقد وصف الشاعر الأرمني « غورجين ماري » الذي بقي حيّاً وعاد إلى «أريفان» في عام (١٩٥٤ م) مشاهداته فقال :

« إن محاكمته كانت سرية ، وقد استغرقت ثلاث دقائق، حكم عليه فيها بالسجن عشر سنين • وبينما كان السجّان يقوده إلى السجن سأله همساً :

كم حكموا عليك ؟

قال غورجين : عشر سنين •

قال السجّان : ارفع الشكر لله ، فقد نلت حكماً خفيفاً •

قال غورجين : قلتُ لك : عشر سنين !!

قال السجّان همساً : للمرّة الثالثة من هذا اللّيل ، كان الذين يطلبونهم للمثول أمام المحكمة يعدمون حالاً » •

وقال هذا الشاعر أيضاً :

إن الأربعين الذين كانوا معه في غرفته كان بينهم مهندسان معماريّان ، وثلاثة من المؤلفين ، وأربعة مهندسين ميكانيكيين ، وواحد من مفوضي الشعب . وكان الرأي السائد بينهم أنّ الحكم عليهم بالسجن عشر سنين ، وعشرين سنة ، أوخمساً وعشرين سنة ، كان أمراً شكلياً ، وأنهم سوف يعدمون على كلّ حال . وفي خريف عام (١٩٣٨ م) شحنوا فيسيارات نقل كبيرة غطيت بمشمّعات كأنهم بضاعة ممنوعة. ونقلوا إلى المحطة ، وعندما وصلت السيارات إلى المحطة لم يكن في داخلها حيّ غير الجنود .

وعندما أطلق سراح الشاعر « غورجين ماري » عام (١٩٤٧ م) لم يسمح له بأن ينشر شيئاً باسمه ، لأن حقوقه المدنية لم تكن أعيدت له .

وفي عام (١٩٤٨ م) أعيد اعتقاله ، وكان السجن في هذه المرّة مملوءاً بالجنود العائدين من الأسر في ألمانيا ، وصنف هو ورفاقه بأنهم منفيون مدى الحياة .

وهكذا كان حالمعظم الشعراء والأدباء ، وكذلك كان الأمر بالنسبة إلى إلى المشتغلين بالفن(١) .

* * *

(٢٣) وشمل التطهير الشيوعيين الأجانب في الاتحاد السوفياتي : فقد تعرض الشيوعيون الأجانب الموجودون في الاتحاد السوفياتي على أيدي الرفاق بقيادة الرفيق « ستالين » ــ لعمليات تطهير واسعة النطاق .

---

(١) أترى هذا الذي جرى في الاتحاد السوفياتي على يد « لينين » ثم على يد « ستالين » تنفيذاً حرفياً لتعاليم ما يسمى « بروتوكولات صهيون » وبالنسبة إلى عمليات القتل ما جاء في « البروتوكول الخامس عشر » خاصة ؟!. ربما أثبتت الأيام ذلك بعد حين ، فالتنفيذ مطابق للمخطط ، فلتراجع « بروتوكولات صهيون » مع دراسة كلّ عمل تخريبي في العالم .

وأكثر الذين تحمّلوا وطأة الصدمة على أشدّها الأحزاب الشيوعية الممنوعة في بلدانها الأصلية ، والتي كانت زعامتها موجودة في موسكو ، كالشيوعيين الألمانيين، واليوغسلافيين ، والايطاليين ،والبولونيين .

وفي عام (١٩٣٧ م) هبت العاصفة على الهيئة الرئيسية للشيوعيين الأجانب واجتاحتها كلّهـا .

وكان أكثر المعرضين بداهة للتطهير من الشيوعيين الأجانب ، هم الشيوعيون في جهاز « الكومنترن »[١] .

والأحزاب الشيوعية التابعة للكومنترن يجري اختيار زعاماتها من قبل الحكومة في موسكو ، وتخضع تصرفاتها لما تمليه عليها إرادة هذه الحكومة ، والمتمثلة بالزعيم الأوحد . وكان ذلك يؤدي إلى إلحاق أضرار بالغة بهذه الأحزاب .

وكانت عناصر « الكومنترن » بطبيعة عملها عرضة بنوع خاص لتهمة الاتصال بالبلدان الأجنبية .

وكان موظفو « الكومنترن » يعيشون في أروقة فندق « لوكس » المعتمة حياة بوهيمية[٢] لأنّ الفندق المزدحم بالأجانب الذين لا يوجد مكان آخر يذهبون إليه ، قد صار بمثابة قرية على الحدود ، تغزوها العصابات في مساء كلّ يوم .

وقد حدث مرّة أنّ أحد الشيوعيين البولونيين أسقط برصاصه عدداً من رجال المباحث قبل أن يتسنّى لهم التغلّب عليه .

ففي (٢٨ نيسان سنة ١٩٣٧ م) جرى اعتقال « هينزنيومان » العضو السابق في المكتب السياسي الألماني ، بعد ما كان أحد الأقطاب الأجانب في مجلس المقاطعة ،

---

(١) « الكومنترن » جهاز شيوعي دولي قيادي ، أنشأه « لينين » وجعله تحت سيطرة السوفيات الفعالة ، ثم غدا عنصراً من العناصر العاملة في جهاز « ستالين » السياسي ، وفي أيام التطهير الستاليني تمّت تصفية أعضائه تقريباً ، باستثناء حفنة صغيرة خضعت لستالين خضوعاً تاماً .

(٢) أي إباحية لاتدين بدين .

ثم اختفى ، واختفى في الوقت ذاته ثلاثة أعضاء آخرين من المكتب السياسي الألماني • ثم تمت تصفية عناصر أخرى كثيرة من أمثال هؤلاء القياديين •

وبعد الميثاق النازي ـ السوفياتي سنة (١٩٣٩ م) سلّم الروس لألمانيا عدداً من الشيوعيين الألمانيين اللاجئين إلى الاتحاد السوفياتي •

وكانت الضحايا من الشيوعيين المجريين والايطاليين كثيرة في عمليات التطهير ، وكذلك حصل بالنسبة إلى الشيوعيين اليوغسلافيين • وجاء « تيتو » في ذلك الوقت إلى موسكو ، ونزل في فندق « لوكس » وقد قال بعد ذلك : إنّه لم يكن أبداً يعلم بأنه سوف يخرج حيّاً •

وذكر السكرتير الأول للحزب الشيوعي « الفنلندي » واسمه « أفوتومينين » أن جميع الفنلنديين تقريباً الذين كانوا يقطنون الاتحاد السوفياتي قد وصموا بأنهم « أعداء الشعب » وأعطى قائمة بأسماء زعمائهم الذين أعدموا رمياً بالرصاص •

وأكبر الخسائر وقعت في صفوف البولونيين ، إذْ يقدّر أنّ عدد الذين أعدموا منهم في موسكو وحدها قد بلغ (عشـرة آلاف) بولوني • وأنّ قرابة (خمسين ألفاً) من البولونيين قد أعدموا في روسيا كلّها • ثمّ جرت تصفية جميع الشيوعيين البولونيين تقريباً بوسائل مختلفة،وذلك بقصد أن يحكم بولونيا موظفون بولونيون عملاء للروس تماماً ، دون أن يكون لهم رأي خاصّ في حكم بلادهم •

وتعرّض الحزب الشيوعي الأوكراني لمثل ما تعرّض له الحـزب الشيوعي البولوني على أيدي الروس •

وعانت زوجات الأجانب المعتقلين ما عانته زوجات الضحايا الروس ، غير أنهنّ كنّ غريبات ، ليس لهنّ أقارب يلجأن إليهم ، فتعرّضوا لأسوأ الأحوال • ثمّ أنّ أكثرهنّ قد اعتقلن بعد ذلك ، وحكم عليهن بالسجن •

* * *

(٢٤) وشمل التطهير الأحزاب الشيوعية التي تنتقد « ستالين » في غير الاتحاد السوفياتي •

منهــا الحزب الشيوعي الاسباني « بوم » فقد عمل « ستالين » بوسائل شتى للقضاء عليه •

وحين سقط الحكم الجمهوري الذي تمكن الشيوعيون من المشاركة فيه في إسبانيا ، تمكن إسبانيون سياسيون كثيرون من الإفــلات من المعركة النهائيــة ، وفرّوا إلى موسكو ، وحين وصلوا إلى سادتهم في موسكو وجدوا لديهم أخطاراً أشدّ من الأخطار التي فرّوا منها •

وبعد هزيمة الثورة الاشتراكية في « ڤيينا » عام (١٩٣٤ م) لجأ إلى روسيــا عدد كبير من الاشتراكيين ، إلاّ أنهم تعرّضوا فيهاللعذاب والتطهير الواســع عام (١٩٣٧ م) •

* * *

(٢٥) الارهاب في سلك الديبلوماسيين : لقد كان من السهل جداً على رئيس المباحث الارهابي « يزهوف » رجل ستالين في جهاز الارهاب الكبير ، أن يقيــم الدليل ضدّ أي ديبلوماسي ، بعلاقته مع الأجانب ، لأنّ طبيعة عمل الديبلوماسيين تفرض عليهم مثل هذه الاتصالات •

فكان عدد من السفراء والديبلوماسيين من الاتحاد السوڤياتي يستدعون من الخارج ، ويُعدَمون عقب وصولهم إلى وطنهم •

ويذكر « إيليا اهرنبورغ » في مذكراته أنّ قلّة منهــم نجت مــن إعــدام « ستالين » لهم •

* * *

(٢٦) التطهير في قادة وضباط جيش الشرق الاقصى : في أواخر عام (١٩٣٨ م) وأوائل عام (١٩٣٩ م) تمت تصفية قيادات جيش الشرق الأقصى ، الذي كان يحارب اليابانيين مع الصيني الشيوعي « تشان كاي شك » •

وذلك لأنّ « ستالين » كان على حذر من أنّ الانتصارات التي أحرزها قائده المشير « بلوخير » وتزايد نفوذه حتى غدا عضواً مرشحاًللجنة المركزية ، قد تطمعه بأن يكون منافساً قوياً للزعيم الأوحد .

لذلك أراد أن يتخلّص منه ومن مئات الضباط في جيشه بتهمة أنهم شركاء في مؤامرة ضدّ القيادة السوفياتية .

* * *

(٢٧) تصفية الموالين المؤيدين لستالين : وما أن انتهت محاكمة « بوخارين » حتى تحول اهتمام « ستالين » ورجل مباحثه « يزهوف » إلى بقايا المعارضة في القمة.

ثم جاء دور رجل المباحث « يزهوف » الذي خدم « ستالين » في تصفياته الكبرى خدمة الكلب لسيده ، وحقق له أغراضه ، ففي كانون الثاني سنة (١٩٣٨م) أعلن أنّ حكم « يزهوف » الدموي الارهابي قد انتهى . وعين « ستالين » شخصاً آخر خلفاً له يدعى « بيريا » .

وتوقفت المحاكمات العلنية ، وصارت المحاكمات سرّية ، تنتهي الأحكام فيها مع تنفيذ الاعدام بعشرين دقيقة .

وحدد « ستالين » اتجاه حملة التصفية الأخيرة ضدّ مؤيديه بالذات ، وذلك في تعميم أصدره في شهر نيسان سنة (١٩٣٨ م) معلناً فيه وجوب تصفية : « الصامتين سياسياً ، الذين لا يجوز التغاضي عنهم أو تجاهلهم » .

وسارع « بيريا » إلى تطهير جديد في أجهزة المباحث ، قضى فيه على من بقي من أيام « ياغودا » وعلى جميع رجال « يزهوف » الذين أعدموا أو اختفوا .

وجرت تصفية في صفوف الصامتين سياسيّاً ، تمّ فيها إعدام مجموعة من الكبار العاملين في الولاء الكامل لستالين .

ويبدو أن الذين تمت تصفيتهم فيها هم أنصار « ستالين » ورجاله في تصفياته السابقة ، وتصفيتهم من الأمور التي يرتاح لها الرأي العامّ حزبيّاً كان أو غيرحزبي،

لأنّ الشعب كلّه قد كان منكوباً على أيديهم ، فلا حاجة لإعلان محاكماتهم، يضاف إلى ذلك أنّ سرّية المحاكمات تستر رئيس العصابة المحرّض والموجّه والحاكم بأمره المطلق ، وهو « ستالين » صاحب القدسية والزعامة الفذّة .

أما « يزهوف » فلم يعرف مصيره بعد سقوطه ، لقد مات في ظروف غامضة ، لكن الإطاحة به قد كانت تدبيراً ستالينياً ماكراً ، إذْ جعل « ستالين » منه كبش فداء التطهير ، بعد ما تفاقمت النقمة بشأنه .

كما سبق أن سقط « ياغودا » كبش فداء قبل « يزهوف » .

إن قاعدة « من أعـان ظالماً سُلّط عليه » هي من سنن الله في خلقه ، وهي تنطبق كلّ الانطباق على كلّ الشيوعيين الذين عذّبوا وأبيدوا على أيدي قادتهم أنفسهم ، وتنطبق على كل الذين نفـذوا أوامر « ستالـين » الطغيانية الدمويـة المتوحشة . لقد ذبحهم « ستالين » بمثل السكّين التي أمرهم أن يذبحـوا بهـا خصوماً منافسين له ، ومن يمكن في المستقبل أن يكونوا منافسين له ، مع أنصار لهم وأقرباء وأصدقاء ، وكذلك من يمكن أن يكونوا أنصاراً لهم ولو على سبيل الظنّ الضعيف . ومع هؤلاء جميعاً حشدٌ كبير من الذين لا يصحّ أن يوضعوا في الحساب لا من قريب ولا من بعيد . ومعظم هؤلاء الأصنـاف برءاء من التّهم التي نسبت إليهم ، وإن اعترفوا بها تحت ضغط التعذيب الذي لا يحتمل ، أو الوعد الكاذب بالعفو عن عقوبة الإعدام .

وقبل كلّ هؤلاء الأصناف الشعب المنكوب ، الـذي لقي العـذاب والموت الزؤام على أيدي الشيوعيين جميعاً ، قيادات متفاوتة الدرجات ، وقواعد حزبية .

ولو قـدّر للحزبيين الذين حلّ بهم العذاب والموت أن يكونوا محل جلاديهم من رفاقهم ، لقاموا هم أنفسهم بدور المعذّب الطاغي نفسه، وصدق الله القائل في كتابه:

« وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

* * *

(٢٨) واستمرت عمليات التصفيات الكبرى حتى عـام (١٩٤١ م) وبهـذه التصفيات تخلّص « ستالين » من كلّ العناصر التي يمكن احتمـالاً أن تكـون منافسة له ، وكذلك من كلّ شخص يمكن أن يكون مناصراً لهذه العناصر ، وصفا الجو كله له وحده كما فكر وقدّر .

وأمسى الشعب الروسي بأسره حزباً وشعباً مسحوقاً بالاذلال ، مرتعداً مـن الرعب ، خاضعاً لإرادة الفرد المستبد الذي جعل نفسه إلهاً مطاعاً ، لا رادّ لأمره ، ولا معقب لحكمه الآثم الظالم الفاجر .

وتحوّلت الدولة والشعب في الاتحاد السوڤياتي إلى آلة طيّعة ، تستمرّ في حركتها دون حاجة إلى عناء كبير .



- ٦ -

احصاءات تقريبيّة للمنكوبين
في عهد الإرهاب الستاليني

(١) استناداً إلى مختلف المصادر توصل « روبرت كونكوست » إلى الإحصاءات التـالية :

أ ــ منذ كانون الأول لعام (١٩٣٧ م) كانت السجون ومعسكرات العمل الاجباري تحتوي على (خمسة ملايين) ٠

وخلال المدة من كانون الاول عام (١٩٣٧ م) حتى كانون الثاني عام (١٩٣٨م) كان في المعتقلات قرابة (سبعة ملايين) ٠

فالمجموع (١٢) مليوناً ٠

قتل منهم ما لا يقل عن (مليون) ، ومات منهم في المعسكرات بسبب سـوء الأحوال ما لا يقل عن (مليونين) ٠

ب ــ في أواخرعام (١٩٣٨ م) كان فيالسجون قرابة (مليون) وفي معسكرات العمل قرابة (ثمانية ملايين) فالمجموع (تسعة ملايين) ٠

جـ ــ تقدّر حصيلة حصاد حكم « ستالين » من عام (١٩٣٠ م) حتى عـام (١٩٥٣ م) بما لا يقلّ عن (ثلاثين مليون) ضحيّة ٠

* * *

(٢) التصفيات في القيادات العسكرية :

أ ــ أعلن « مخليس » في تقريره إلى المؤتمر الثامن عشر الذي انعقد في آذار عام (١٩٣٩ م) ــ أسفه لأن يكون الجيش في الاتحاد السوفياتي قد تعرض لحالات

من الطرد غير صحيحة ، حصلت في المدة من عام (١٩٣٥م إلى عام ١٩٣٧ م) تنيجة الوشايات بدل اعتماد الوثائق والحقائق .

لكن الاعتقالات استمرت في صفوف الجيش دون توقف ، وهــذا أدى إلى ضعف كفاية الجيش الروسي في الحرب الفنلندية عام (١٩٣٩ م) وعام (١٩٤٠ م) .

ب ــ تنيجة للارهاب الشامل شهدت روسيا في حروبها ــ لأوّل مــرّة ــ قوةً كبرى من مواطنيها تنضمّ إلى العدوّ .

جـ ــ لم يوقف « ستالين » عمليات التطهير حتى آخر سني حياته .

د ــ تقدر التصفيات في القيادات العسكرية بما يلي :

- (٣) مشيرين من أصل (٥) .
- (١٤) قائد جيش من الفئة الأولى والثانية من أصل (١٦) .
- (٨) قادة في الأسطول ، وهم جميع قادة الأسطول .
- (٦٠) قائد فيلق من أصل (٦٧) .
- (١٣٦) قائد فرقة من أصل (١٩٩) .
- (١١) نائباً لوزير الدفاع .
- (٧٥) من أعضاء الهيئة العسكرية العليا من أصل (٨٠) .
- (٣٥٫٠٠٠) خمسة وثلاثون ألفاً من الضباط ، وهم نصف مجموع الضباط، أعدموا أو اعتقلوا .

* * *

(٣) تساقط القياديين الحزبيين على يد ((ستالين)) :

أ ــ في المؤتمر الثامن عشر الذي انعقد في آذار سنة (١٩٣٩ م) ظهر تساقط (١١٠٨) مندوب كانوا قد اعتقلوا بتهمة ارتكاب جرائم مضادّة للثورة ، من أصل (١٩٦٦) مندوب كانوا قد حضروا في المؤتمر السابق له .

ب ــ كان أعضاء اللجنة المركزية في عام (١٩٣٤ م) واحداً وسبعين عضواً ، ولم يبق منهم في عام (١٩٣٩) سوى (١٦) عضواً ، أمّا الأعضاء الباقون وقدرهم (٥٥) عضواً فقد تمت تصفيتهم تصفية جسدية •

وكان الأعضاء المرشحون (٦٨) عضواً ، لم يبق منهم سوى (ثمانية) أعضاء فقط ، أمّا الباقون الستون فقد تمت تصفيتهم •

وجاء في بيان سرّي « لخروتشوف » عام (١٩٥٦ م) أن (٨٩) عضواً قد أعدموا رمياً بالرصاص ، من أصل الـ (١١٥) الذين غابوا ، والباقون ماتوا موتاً طبيعيّاً •

جـ ــ أمّا المكتب السياسي فقد تساقط من أعضائه ما بين عضو كامل وعضو مرشح : (١٩) عضواً من أصل (٣٣) •

لقد تمّ إعدام (١٣) عضواً ، واغتيل عضوان ، وانتحر (٣) أعضاء ، ومات في السجن عضو واحد •

عدا الذين تداركوا أنفسهم بالموت الطبيعي ، وما كنا ندري لو لم يموتوا موتاً طبيعيّاً فهل كانوا سيتعرضون للتصفية أو لا ؟!

وفيمايلي أسماء الذين سقطوا من المكتب السياسي بالتصفية التي قام بها ستالين •

١ ــ « كيروف » اغتيل سنة (١٩٣٤ م) بتدبير « ستالين » وتنفيذ رجال المباحث •

٢ ــ « كامنيف » أعدم سنة (١٩٣٦ م) •

٣ ــ « تروتسكي » اغتيل سنة (١٩٤٠ م) خارج البلاد بتدبير ستالين •

٤ ــ « كريستينسكي » أعدم سنة (١٩٣٨ م) •

٥ ــ « زينوفييف » أعدم سنة (١٩٣٦ م) •

٦ ــ « بوخارين » أعدم سنة (١٩٣٨ م) •

٧ ـ « ريكوف » أعدم سنة (١٩٣٨ م) •

٨ ـ « تومسكي » انتحر سنة (١٩٣٦ م) •

٩ ـ « سوكولينكوف » مات في السجن سنة (١٩٣٩ م) •

١٠ ـ « رودزوتاك » أعدم سنة (١٩٣٨ م) •

١١ ـ « أوكلانوف » أعدم سنة (١٩٤٠ م) •

١٢ ـ « أوردزهونيكيدز » انتحر سنة (١٩٣٧ م) •

١٣ ـ « شوبار » أعدم سنة (١٩٤١ م) •

١٤ ـ « كوسير » أعدم سنة (١٩٣٨ م) •

١٥ ـ « بومان » أعدم سنة (١٩٣٧ م) •

١٦ ـ « سيرتلوف » أعدم أو مات في السجن ؟

١٧ ـ « بوستيشيف » انتحر كما قيل سنة (١٩٣٨ م) •

١٨ ـ « أيخ » أعدم سنة (١٩٤٠ م) •

١٩ ـ « يزهوف » اختفى في ظروف غامضة ، لقد تخلص ستالين منه ومن تبعة جرائمه في رئاسة المباحث •

وهكذا يكون مصير العصابات الظالمة المجرمة •

أمّا الذين أبقى عليهم « ستالين » لطاعتهم العمياء له فهم :

١ ـ مولوتوف • ٢ ـ فورشيلوف • ٣ ـ أندريياسف •

٤ ـ ميكويان • ٥ ـ كاغانوفتش ٦ ـ خروتشوف •

* * *

- ٧ -

معسكرات العمل الاجباري

وهي مخيّمات اعتقال مقرونة بالتكليف الإلزامي بالأعمال

(١) معسكرات العمل هي أحد الأعمدة التي قام عليها جهاز « ستالين » كله • وكان إخفاء نوعه وصفته عن الغرب من أهم انتصاراته العجيبة •

*　*　*

(٢) تنقسم معسكرات العمل الاجباري في الاتحاد السوفياتي إلى فئات ثلاث :

الأولى : المصانع والمستعمرات الزراعية ، حيث « الأشخاص المحرومون من الحرية » يدربون على العمل وعلى المحافظة على النظام •

وهذه الفئة مخصصة لمرتكبي المخالفات الصغيرة ضدّ نظام المصانع ، ولأصحاب السرقات التافهة •

الثانية : المعسكرات المعدّة للعمل الجماعي ، وهي تضمّ أولئك الذين هم من أقاليم بعيدة ، وهي العناصر الخطرة طبقياً ، والتي تحتاج إلى نظام أكثر قسوة •

وهذه الفئة مخصّصة للمحكومين بمقتضى المادة (٣٨) أو من قبل المجلس الخاص (وهو المجلس التابع للمباحث لا للقضاء) •

الثالثة : معسكرات التأديب المعدّة لعزل الذين أوقفوا قبلاً في معسكرات أخرى ، وأظهروا إصراراً على عدم التعاون •

*　*　*

(٣) كان مصير السجناء الذين ساعدهم حسن الحظ على النجاة من زنزانات الموت ، هو إرسالهم إلى معسكرات العمل الاصلاحية ، كما يسمونها •

وكل ما قيل عن معسكرات العمل في أواخر الأربعينات كان حقيقياً ، ومستنداً إلى التفاصيل • فالروايات التي نقلها ألوف النزلاء فيها كانت مؤيدة بكثير من المستندات الثبوتية •

* * *

(٤) صدرت مراسيم إنشاء معسكرات العمل في أيلول سنة (١٩١٨ م) وفي نيسان سنة (١٩١٩ م) •

ويبدو أن أول معسكرات الموت كان المعسكر الذي أنشىء في «خلو فمورجين» على مقربة من « أركا نكل » سنة (١٩٢١ م) •

وفي معسكرات « سولوتفسكي » كانت الأحوال الصحية سيئة جداً ، وقد قللت الأمراض السارية أعداد النزلاء فيها من (١٤٫٠٠٠) إلى (٨٫٠٠٠) في سنة (١٩٢٩ م) •

وقد قدر أن قرابة (ثلاثة ملايين ونصف) قد أرسلوا إلى معسكرات العمل ، من أصل ملايين الكولاك العشرة الذين تحدث عنهم « ستالين » لرئيس وزراء بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية « تشرشل » ، وذكر له أنه قد جرت معالجتهم بطريقة الارهاب الجماعي •

وفي المدة من سنة (١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٥ م) قدر عدد الفلاحين في المعسكرات بثلاثة ملايين ونصف •

وفيما يلي جدول بنزلاء معسكرات العمل وفق أدق التقديرات :

العدد	الزمن
٣٠٫٠٠٠	سنة (١٩٢٨ م)
٦٠٫٠٠٠	سنة (١٩٣٠ م)
قرابة مليون	سنة (١٩٣١ وسنة ١٩٣٢ م)
خمسة ملايين	سنة (١٩٣٣ وسنة ١٩٣٤ م)
ستة ملايين	في السنوات من (١٩٣٥ إلى ١٩٣٧ م)

* * *

(٥) يحشر المقرر إرسالهم إلى معسكرات العمل حشر الأنعام ، وينقلون في المركبات المعدة لنقل المواشي ، وتقدم لهم كمية غير كافية من الطعام والماء أثناء الرحلة التي تستغرق (٤٧) يوماً من « لينينغراد » إلى « فلادويغوستوك » • وكانت التدابير الصحية تسبب للسجناء آلاماً كثيرة ، وتؤدي إلى موت الكثيرين •

وكان حراس مركبات النقل من رجال المباحث المتفوقين في وحشيتهم وإهمالهم•

* * *

(٦) وصفت كاتبة سوڤياتية ما كان يعانيه السجناء من الآلام والمتاعب ، بسبب نقص الماء الذي يقدم إليهم منه فنجان واحد في اليوم لقضاء جميع الحاجات •

وقد أيدت المصادر السوڤياتية الآن كل ذلك •

وقال الجنرال « غور باتوف » في وصف ما قاساه في معسكرات العمل : « عندما كنا في « أرخونسك » دخل علي اثنان من الحراس وأنا نصف نائم ، وانتزعا حذائي الذي كنت وضعته كوسادة تحت رأسي ، ثم انهال أحدهما بالضرب على صدري ، ثم على رأسي ، ثم قال للآخر : انظر إليه ، لقد باعني حذاءه منذ يومين وقبض الثمن نقداً ، ثم رفض أن يسلمه إلي ، ثم انصرفا • فلحقت به طالباً إعادة حذائي لي ، فوقف الحارس الآخر متفرجاً ، وهو يقهقه ضاحكاً ، وقال : كفى صراخاً ، إن الحذاء ليس لك الآن » •

وروى « غور باتوف » قصة سجين بترت أنامل يده،لأنه كان قد أضاع ملابس أحد الرقباء السياسيين • وقصة سجين آخر أطفئت عيناه بالابرة • وقصة سجين آخر حوكم لأنه خسر حصته من الخبز في القمار ، وحكم عليه بتقطيع جسمه إرباً إرباً •

وكان الاعتداء على عفاف السجينات من قبل موظفي المعسكرات أمراً عادياً ، أما اللواتي لا يستجبن فيكلفن أثقل الأعمال ، ويعهد إليهن بأشقها حتى يستجبن •

وذكر أن امرأة شابة في أحد معسكرات البلطيق رفضت أن تستسلم لأحد الموظفين ، فأرسلها للعمل مع فريق من المجرمين الذين كمّوا فمها ، وربطوا عينيها في ذلك المساء بالذات ، واعتدوا عليها ، وانتزعوا من فمها عدداً من أسنان الذهب ،

ولم يكن هنالك من تشكو له ما أصابها ، لأن المعروف عن رئيس المعسكر ذاته أنه قد اعتدى على عدد كبير من السجينات •

وفي تشرين الثاني سنة (١٩٣٧ م) حكم على امرأة فلاحة فرنسية كانت زوجة لرجل روسي ، وطلقت منه ، ولم تستطع أن تغادر البلاد ، حكم عليها بالسجن ثماني سنين ، بصفتها كانت زوجة رجل خائن • وفي معسكرات العمل أرغمت هذه المرأة على المشي (٢٥) ميلاً ، ثم تركت تحت المطر المنهمر خارج الأسلاك الشائكة المحيطة بالمعسكر مدة ساعتين ، بينما كان موظفو المعسكر ينظرون إلى فيلم سينمائي جديد•

وفي سنة (١٩٣٧ م) أنشىء معسكر خاص حوى نحو (٧٠٠٠) من زوجات وشقيقات أعداء الشعب •

* * *

(٧) يستخدم النزلاء في معسكرات العمل لجر قطع الحطب، وجذوع الأشجار الضخمة ، بدل الخيول أو التركتورات ، ويجمع كل خمسة رجال ويربطون لعملية الجر ، أو كل سبع نسوة •

والازدحام في معسكرات العمل شديد للغاية • وينام في ثكنات معسكرات العمل كل (٢٠٠) من نزلائها في خمسين مرقداً من ألواح الخشب ، أو من حشايا حشيت بنشارة الخشب •

* * *

(٨) لمعسكرات العمل أنظمة شديدة القسوة ، يمكن تلخيص وصفها في الفقرات التالية :

أ ـ الاستيقاظ من النوم عادة يكون في الساعة الخامسة صباحاً ، وكل من يتأخر بضع دقائق في النهوض يحكم عليه حالاً بأن يوضع خمسة أيام في سجن خاص بالمعزولين •

ب ـ أكثر المعسكرات كانت تعتمد على الكلاب في إيقاظ السجناء ومطاردتهم•

جـ ـ بعد الافطار الذي يخصص له عشر دقائق فقط ، يساقون إلى العمل في جماعات من (٢٠) أو (٣٠) شخصاً .

د ـ ثم تصدر الأوامر على الشكل التالي :

اتبهوا أيها السجناء ، إنكم تسيرون في نظام تام ، فلا تميلوا يمنة أو يسرة ، ولا تتوقفوا على الاطلاق . ولا تبدلوا مواقعكم من صف إلى آخر ، ولا تتحدثوا أو تتجهوا بأنظاركم إلى هذا الجانب أو ذاك . واحتفظوا بأذرعكم وراء ظهوركم ، وأية خطوة إلى اليمين أو إلى اليسار تعتبر محاولة للفرار ، وللحراس أن يطلقوا النار دون إنذار .

الصف الأول : إلى الأمام سر ...

وهكذا دواليك .

هـ ـ تمر أوقات كثيرة ينتقل فيها السجناء طوال فصل الشتاء بدون أحذية من الفلين على الاطلاق . وتمر أوقات لايرون فيها حذاءً عادياً ، إذْ تكون أحذيتهم مصنوعة من قشور جذوع الأشجار ، أو من قطع مقصوصة من دواليب السيارات المطاط القديمة .

و ـ ملابس نزلاء معسكرات العمل قديمة جداً وبالية ومرقعة بخرق من مختلف جوانبها . ويغطي النزلاء وجوههم بالخرق للوقاية من البرد القارس . والقروح شائعة فيهم بسبب قذارة الملابس .

ز ـ يسمح بالاغتسال في الحمام مرة واحدة كل اسبوعين ، وفي الغالب لايكون في الحمام صابون للاستحمام ولا لغسل الملابس .

ح ـ غدا الشعور العام تجاه نزلاء معسكرات العمل أنهم مخلوقات من طبيعة دنيا ، حتى صار مجرد الاتصال بالسجين منهم يعتبر إهانة للرجل الحر . وكلمة « أعداء الشعب » هي الكلمة التي تطلق عليهم بصورة عادية تلقائية .

ومن غير الجائز أن يعيش حرٌ مع السجين منهم تحت سقف واحد ، أو تكون له أية علاقة ودية به ، أو صداقة معه . حتى وبخ رئيس أحد المعسكرات الرجل

المسؤول عن غرفة تطهير الملابس وعاقبه ، لأنه وضع قميصاً لميكانيكي حر ، يعمل في مولد الكهرباء مع ملابس السجناء نزلاء معسكرات العمل ، للتطهير •

وصار موظفو المعسكرات ينظرون إلى النزلاء فيها كأنهم عبيد أرقاء مملوكون لهم شخصياً •

ط ــ قال أحد النقاد السوفياتيين : إن نظام المعسكرات كان كما لو أن القصد منه خنق كل شعور بالعدالة ، وحقوق الإنسان ، والقضاء عليه بلا رحمة أو شفقة ، مع استعمال كل تعسف واستبداد بالعقاب ، وعدم مبالاة بأية قيمة ، حتى يتحطم أي نوع من الجرأة والنبل وروح الثورة للحق •

ي ــ أما إجراءات العنف والانتقام الجسدي ضد نزلاء هذه المعسكرات فهي كثيرة لاتحصى ، وهي تفوق الوصف •

وعقوبة رفض السجين العمل في مناطق الشرق الاقصى هي الاعدام رمياً بالرصاص • أما في مناطق أخرى فقد كانت عقوبته أن تنزع ثيابه ويعرى ، ويوقف في الثلج حتى يطيع الأوامر • أو أن يحجز في مكان منفرد معزول لايقدم له فيه من الطعام سوى (٢٠٠) غرام من الخبز ، وإذا تكرر رفضه للعمل فعقوبته الموت حتماً •

ك ــ أية شكوى يبديها السجين نزيل هذه المعسكرات ، وأية محاولة منه للالتجاء إلى القانون ، من الأمور التي تعتبر تمرداً متعمداً •

وفي أواخر عام (١٩٣٨ م) أضرب نزلاء معسكر قرب « كيميروف » عن تناول الطعام الفاسد ، فكانت النتيجة أن (١٤) من زعماء المضربين بينهم امرأتان أعدموا رمياً بالرصاص ، وكان ذلك على مشهد باقي السجناء الذين أرغموا على حفر القبور للقتلى •

والقتل لأسباب تأديبية قد كان شائعاً في معسكرات العمل ، وكانت تذاع أنباؤه بقصد إرهاب الباقين •

ل ــ بنيت في كل معسكر من معسكرات العمل غرفة صغيرة للسجن التأديبي ، وهي عبارة عن جدران من الحجر ، وأرض من الاسمنت المسلح ، لا نوافذ لها ،

ولا يدخلها نور ولا هواء ، ينام السجين فيها وأسنانه تصطك من شدة البرد عشرة أيـــام .

وكان السجين الذي لايموت فيها يخرج ليمضي بقية عمره عاجزاً محطماً ، أو مصاباً بداء السل .

م ــ إذا حدث أن استطاع سجين الفرار من معسكرات العمل الاجباري ، فان الحراس كانوا يتهمون بالتواطؤ معه ، ويعاقبون بالسجن سنتين ، مع الاستمرار في الخدمة دون راتب . وهذا يحمل الحراس على شدة الحذر ، وتكرار إحصاء السجناء مرة بعد مرة .

ن ــ في سجن « كوليما » من سجون معسكرات العمل الاجباري كانت نسبة الوفيات عالية جداً ، إذْ دلت أكثر الاحصاءات دقة على أن عدد الذين ماتوا فيه خلال المدة من عام (١٩٣٧ حتى ١٩٤١ م) قد زاد على المليون ، مـع أن نزلاءه بشكل مستمر لايزيدون على نصف مليون ، لكن الذين يدخلون يقبر منهم الكثير ليأتي بدلهم آخرون .

ولم ينج مديرو هذا السجن كغيره من السجون من تعرضهم لنقمة « جهـاز المباحث » ، سواء من كان منهم معتدلاً نسبياً في معاملته للسجناء ، مثل « برزين » و « موروز » ومن كان منهم إرهابياً بشكل جنوني مثل « غارانين » و«كاشكاتين» .

س ــ إن ما سجله التاريخ من قصص التعذيب الوحشي ، والارهاب الجنوني ، والقسوة المذهلة ، داخل معسكرات العمل ، وفي الطريق إليها ــ يعتبر بحقٍّ لطخات عار في تاريخ الانسان على وجه الأرض .

القتل الجماعي الوحشي ــ ترك المسجونين تلتهمهم النار دون مبالاة بهم ــ طرح المسجونين في مناطق البرد القارس التي تصل درجة البرودة فيها إلى (٧٠ درجة تحت الصفر) دون أن يسمح لهم بارتداء مـا يقيهم شدة البرد ، وبذلك يتعرض معظمهم للموت في مدة وجيزة .

وقد وصف « غورباتوف » و « واليس » و « لاتمور » وغيرهم الفظائع التي كانت ترتكب في السجون وصفاً تقشعر لهوله الأبدان .

ع ــ نزلاء معسكرات العمل الاجباري أسوأ حالاً ، وأكثر عذاباً ، وأتعس عيشاً ، وأذل مكانة ، من الرقيق في العالم القديم ، مع أن الشعب كله لايخرج عن كونه مستعبداً فاقــداً لحرياته تحت وطأة النظام الشيوعي ، إلا أن السجنــاء في معسكرات العمل أرقاء من درجة بالغة القسوة ، قد لاتخطر على بال إنسان يعيش في ظل غير النظام الشيوعي •

ف ــ الملايين من نزلاء معسكرات العمل الاجباري قد كان لهم دور مهم جداً في الاقتصاد السوفياتي ، لأن طاقاتهم كانت تستغل استغلالاً من الدرجة القصوى، دون أن يكون لهم حظ من ذلك إلا أسوأ الغذاء ، مع الحرمان من معظم ضرورات الحياة الاخرى ، فهم مكنات عمل ذليلة بنفقات ضئيلة •

أما الذين يصلون إلى حالة يكونون فيها غير مجدين اقتصادياً لمرضهم أو كبر سنهم فإنهم يهملون حتى يلاقوا حتفهم ، دون أن يجدوا من يرحمهم ، ويتعرضون بالاهمال لعملية القتل السلبي المقرون بالآلام وعذاب الحرمان •

وكان في سجن « كوتلاس » مجموعة من السجناء المرضى والمتقدمين في السن، الذين لم يكن أي معسكر من معسكرات العمل يقبلهم لأسباب اقتصادية ، وظلوا فيه أكثر من سنة إلى أن حلت مشكلتهم بموتهم •

لقد كانت الدول في القديم (اليونانية ــ والرومانية ــ والفرعونية ــ وغيرها) تمتلك العبيد ، وتستخدمهم في منشآتها ومشاريعها الاقتصادية •

لكن الاتحاد السوفياتي بتطبيقاته للنظام الشيوعي قد فاق هذه الدول كلها ، في استخدام السجناء الذين هم في معسكرات العمل الاجباري •

ص ــ طلب رئيس دائرة التسليح الحربي بضع مئات من السجناء لأعمــال مستعجلة أثناء الحرب ، فأجابه المسؤولون من رجال المباحث بما يلي :

« إن لدينا نقصاً في السجناء ، فمالنكوف ، وفوسينزسكي ، يطلبان عمالاً ، وفورشيلوف يطلب العمال لبناء الطرق ، فماذا نستطيع أن نفعل ؟ والواقع أننا حتى الآن لم تتمم خطتنا لزيادة السجناء ، والطلب يزيد عن الموجود » !!

مع أن قرابة « ثمانية مــلايين » سجين قد كان تقدير متوسط نسبة السجناء نزلاء معسكرات العمل الاجباري سنوياً ، في المدة الواقعة ما بين سنة (١٩٣٦ م) وسنة (١٩٥٠ م) •

أي إن العمال المسخرين أرقاء في يد الدولة قد كانوا (ثمانية ملايين) وهم لم يكونوا يكفون ، إذ كانت أجهزة الدولة تطلب المزيد دائماً ، وكان رجــال المباحث يلفقون المؤامرات للاعتقال ، ولزج المعتقلين بعد الحكم عليهم في معسكرات العمل الاجباري ، فالمطلوب إذن عمال أرقاء ، والطريق الذي يورد منه هؤلاء هي السجون، والسجون تحتاج إلى مبررات شكلية ، وهذه في أيدي رجال المباحث •

فهلم يا رجال المباحث إلى اعتقال الأبرياء بأية تهمة ، ثم دفعهم إلى معسكرات العمل الاجباري ، فالحاكم المالك المستبد يحتاج عمالاً عبيداً ، لايكلفون اقتصاده غير رغيف الخبز الأسود •

نعم أيها العمال ، لقد حلت بكم نقمة النداء الشيوعي « يا عمال العالم اتحدوا » ، لتكونوا تحت الأباطرة الشيوعيين أسوا ارقاء أذلاء عرفهم التاريخ •

ق ــ لقد كان نظام معسكرات العمل الاجباري ينفذ عن طريق الضغط مــن الأعلى ككل شيء في عهد « ستالين » ، وكان لكل معسكر مشاريعه ، ولكل معسكر رئيسه الذي يعمل بمقتضى نظام العقوبات والمكافآت •

تعقيب :

لست أدري هل كان هذا الذي جرى للعمال في ظل النظام الشيوعي تطبيقاً أميناً لما جاء في البروتوكول الثالث من بروتوكولات قادة صهيون ، ربما كان الأمر كذلك، والقوى الخفية تسير الأمور وفق مخططاتها ، لقد جاء فيه ما يلي :

« إننا نقصد أن نظهر كما لوكنا محررين للعمال ، جئنا لنحررهم من هذا الظلم، حينما ننصحهم بأن يلتحقوا بطبقــات جيوشنا من الاشتــراكيين والفــوضويين ، والشيوعيين ، ونحن على الدوام تتبنى الشيوعية ونحتضنها ، متظاهرين بأننا نساعد

العمال طوعاً لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للانسانية ، وهـذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية .

إن الارستقراطية التي تقاسم الطبقات العاملة عملها ، قد أفادها أن هذه الطبقات طيبة الغذاء ، جيدة الصحة ، قوية الأجسام ، غير أن فائدتنا نحن في ذبول الأمميين وضعفهم ، وأن قوتنا تكمن في أن يبقى العامل في فقر ومرض دائمين ، لأننا بذلك سنبقيه عبداً لارادتنا ، ولن يجد فيمن يحيطون به قوة ولا عزماً للوقوف ضدنا ، وإن الجوع سيخول رأس المال حقوقاً على العامل أكثر مما تستطيع سلطة الحاكم الشرعية أن تخول الارستقراطية من الحقوق .

ونحن نحكم الطوائف باستغلال مشاعر الحسد والبغضاء التي يؤججها الضيق والفقر ، وهذه المشاعر هي وسائلنا التي نكتسح بهـا بعيداً كل من يصدوننـا عن سبيلنـا .

وحينما يأتي أوان تتويج حاكمنا العالمي سنتمسك بهذه الوسائل نفسها ، أي: نستغل الغوغاء كيما نحطم كل شيء قد يثبت أنه عقبة في طريقنا » .

* * *

الفصل السّادس

حول مبادئ الماركسيّة المادّيّة



- ١ -

خطّة واضعي المذاهب الضّالّة الهدّامة

ومنهج الباحث المسلم تجاهها

لايستلزم رفض مذهب من المذاهب الهدامة للفضائل أو الحقائق ، أن تكون كل عناصر المذهب ، وكل أفكاره ووسائله باطلة غير صحيحة ، وفاسدة مفسدة ، غير صالحة ولا مصلحة ، فقد يكون فيها صحيح كثير ، ونسبٌ صالحة لو أخذت وحدها دون أن تكون مقترنة بسائر عناصر المذهب أو بأسسه الفاسدة ، لكن مجموعها الكلي مقترن بأسس وعناصر باطلة وفاسدة ، وهذا الاقتران يجعلها كلها ضارة غير صالحة ، وقاتلة لسعادة الناس ، ودافعة بهم إلى درك الشقاء •

إن أي مضلل بفكرة ما ، أو مذهب فاسد ، أو طريقة باطلة ، لايستطيع التأثير في مجموعة من الناس ، ولا أن يكون لآرائه مسارٌ في الأفكار ، مالم يدُس مايريد التضليل به ضمن مجموعة من الأفكار الصحيحة ، والأفكار المقبولة إجمالاً ، أو التي لها حظ من النظر ، ولو كانت غير صحيحة ، ليغطي الباطل البين بها ، ويغشّي بما يزخرف من أقوال على أنظار الناس ، حتى لاينكشف زيفه ، ويتضح باطله ، فالجماهير من الناس ترفض بمنطقها التلقائي ما تراه باطلاً أو تعتقد بطلانه •

وتلجأ خطة التضليل إلى حشد كبير من الأكاذيب والمغالطات ، منها المغالطات التعميمية ، التي تقرر قوانين كلية استناداً إلى مثال واحد ، أو عدد قليل من الأمثلة ، وقد تكون هذه الأمثلة غير صحيحة أو لا يجوز تفسيرها على أنها أثرٌ للقانون الكلي المدّعى •

والباطل في مجموع البناء الفكري لمذاهب المضلّلين قد يكون بمثابة الأساس الخفي عن الأنظار ، والذي يكون كشفا جرف هار ، وقد يكون بمثابة قضبان من

الورق المقوى مدهونة بلون الحديد ، توضع بدل قضبان الحديد ، في سقف من (البيتون) المسلح • وقد يكون الباطل بمثابة قطرات قاتلات من السم الزعاف ، مدسوسة في كأس شراب من الماء والعسل •

ومقاومة الباطل لا تعني ولا تقتضي إبطال كل أجزاء النظرية ، أو الفكرة الكلية ، أو المذهب ، أو الطريقة التي يضعها المبطلون ، أو يتوصل إليها الباحثون ويروجها المبطلون ليستغلوها في تحقيق أغراضهم • إنما تعني وتقتضي الموضوعية التامة في إبطال الباطل من النظرية ، أو من الفكرة الكلية ، أو من المذهب ، أو من الطريقة التي يضعها المبطلون أو يتبنّونها ، أو بيان أنها باطلة في مجموعها الكلي ، بسبب الباطل المندسّ فيها ، والمفسد لها ، كما يُحكم على كأس شراب مسموم بأنه يجب الامتناع عن تناول أي مقدار منه ، لأنه قاتل • هذا إذا لم نستطع التمييز والفصل بين الحقّ والباطل في عناصر النظرية أو الفكرة الكلية ، أو المذهب ، أو الطريقة • أمّا إن استطعنا الفصل والتمييز بين الحق والباطل في عناصر المذهب فهو الأحق بأن يكون هو المنهج ، إلا أن هذا العمل من وظائف المتفوقين من أهل البحث والنظر العلمي ، فما كلّ إنسان باحث بقادر على مثل هذا الفصل والتمييز بين الحقّ والباطل ، في عناصر المذاهب الباطلة الفاسدة في مجموعها الكلي ، والتي يراد التضليل بها •

وكم يسقط أناس في شَرَك الشياطين وحيل تضليلاتهم الكثيرة الخفية وهم لايشعرون ، وكانوا من قبل حين أرادوا دخول غمار ضلالات المضلّلين مصممين على أن يكشفوا ما لديهم من زيف ، ولكنّ كثرة الحبائل الخفية لم تدع لهم مجالاً للتحرك الكثير ، فسقطوا في بعضها وهم لا يشعرون ، وكان ذلك نتيجة غفلة تعرضوا لها ، أو أنهم لم يكونوا محصنين حصانة علمية كافية ، ولامزودين بالقدرات الفكرية اللازمة لكشف حيل الذكاء الشيطاني •

من أجل ذلك كان على الجماهير التي تأخذ المذاهب اتباعاً تقليدياً ولا تستطيع التمييز بين الحق والباطل فيها ، أن تكون شديدة الحذر ، فتجتنب المذاهب الباطلة اجتناباً كليّاً ، خشية أن تتأثر بالباطل المندسّ فيها من حيث لا تشعر •

والسطحيّون الذين يندفعون مع بادىء الرأي دون تفكير عميق ، وينخدعون بالأصباغ والألوان الظاهرة دون فحص دقيق لجوهر ما يعرض عليهم الشياطين فحصاً مجهرياً — يسقطون في مكيدة الزيف ، ويسلّمون أعنّتهم لجزاريهم ، ويندفعون كالقطعان إلى حتوفهم وحتوف أمتهم ، وطعم قطع الحلوى التي تقدّم لهم وهم يتسابقون في الطريق يشغل ساحة تفكيرهم ، بتأثير من شهواتهم الحاضرة ، فلا يفكّرون فيما هم إليه سائرون ، ويتسابقون وهم يتضاحكون ، ومئات القتلى منهم يتساقطون على أيدي سائقيهم إلى مذابحهم . وبسذاجة تامّة وغباء مطبق يفسرون تساقط المتساقطين منهم بكل تفسير إلاّ التفسير الحقيقي الذي يكشف أنهم منخدعون بقادتهم ، وأئمة الضلال الذين يدفعون بهم في الطريق التي هم فيها يتراكضون ، وإلى هلاكهم يتسابقون .

وقد يرون أئمتهم يجلدونهم ويذبحون رفاقهم ، فيعتذرون عنهم بأنهم مخدوعون من جهة ثالثة ، لكنّهم في حقيقة أمرهم رفاق أوفياء، ولمبادئهم مخلصون .

هذا ما قاله قادة إحدى الجبهات المتصدية لنضال تحرري في أفريقيا ، حين انحاز سادتهم الشرقيون لصفّ أعدائهم ، وأخذوا يضربونهم بعنف ، قالوا : إنّ الامبريالية العالمية خدعتهم .

وأعيد هنا ما كنت قلته في فصل سابق : ما أشد غباء ضحايا الزيف ، ترى من زعم لها أنه الرفيق المخلص يجلدها ، ويجرّد سكّينه ليذبحها ، وتظلّ غافلة عن مكيدته ، وتصطنع له المعاذير من عند أنفسها ، أو يوحي لها بها الشياطين من أجراء أئمة الضلال .

المذهب ووسائله :

لا بد أن نَفْصِلَ أيضاً بين أسس المذهب الباطل في مجموعه الكلّي وبين الوسائل التي يتخذها مؤسسوه وأنصاره لنشره ، والتعريف به ، والوسائل المقرّرة فيه أو المتبعة من قبل مؤيّديه ورافعي لوائه ، كالوسائل المتخذة لايجاد مجتمع على أساسه ، أو لنمو اقتصاد ، أو الاستفادة من طاقات ، وما إلى ذلك .

فكثير من الوسائل لا علاقة لها بأسس المذهب ، ولا بمفاهيمه ، وإنما هي مشتركة عامة بين كلّ المذاهب الصحيحة والباطلة ، الصالحة والفاسدة (شيوعية ـ رأسمالية ـ إسلام ـ وغيرها) .

وصغار العقول هم الذين ينخدعون بوجود مفاهيم وأساليب صحيحة في الوسائل ، أو في بعض التطبيقات الإدارية والتنظيمية ، لبناء المجتمع ، فيتوهم صحة الأسس النظرية . وقد تكثر المفردات الصحيحة في الوسائل وفي التطبيقات الادارية ، وقد تتم انجازات مادّية نافعة في مجالات مختلفة تتصل بالاقتصاد أو بتقدّم القوة العسكرية ، أو ببعض الظواهر الحضارية ، فيتوهّم صحة الأسس النظرية . وقد تكثر المفردات الصحيحة في الوسائل ، والمفردات النافعة في التطبيقات الادارية والإنجازات المادية ، فيخفي ذلك زيف الأهداف والغايات ، وزيف الأسس الكلّية للنظرية أو المذهب أو الطريقة .

إنّ كثيراً من الوسائل والأساليب التطبيقية والإنجازات المادّية التي يستخدمها أو يقوم بها الشياطين للافساد ، ولتحقيق غايات شريرة ، يستخدمها أو يقوم بها أيضاً جنود الله ، ودعاة الحق للإصلاح ، ولتحقيق غايات خيّرة نبيلة ، ولإسعاد البشرية إسعاداً حقيقيّاً .

إنّ كثيراً من الوسائل والتنظيمات التي يستخدمها المجرمون لربط عصابتهم المجرمة ، هي نفسها يستخدمها المصلحون لربط الجماعة المصلحة المؤمنة .

إنّ معظم الأسلحة التي يستخدمها الطواغيت الجبّارون في الأرض ، يستخدمها الصالحون المؤمنون لإقامة شريعة الله وإحقاق الحقّ والعدل .

لكن توجد وسائل يستخدمها أصحاب المذاهب الضالة ، والشياطين في الأرض من الإنس والجن ، ولا يستطيع المؤمنون الصالحون استخدامها ، وكذلك توجد تطبيقات إدارية لا يستطيع المؤمنون الصالحون تطبيقها ، وكذلك توجد إنجازات مادية لايستطيع المؤمنون الصالحون إنجازها ، لأنّها بحدّ ذاتها تشتمل على شرور ومضارّ تتصل بالعقيدة الايمانية ، أو تتنافى مع الأخلاق الفاضلة ، أو تتصادم مع أحكام الشريعة الربّانية للناس .

المؤمنون الصالحون ليس باستطاعتهم مثلاً أن يخونوا العهد وسيلة لتحقيق أهدافهم • ولا أن ينشروا المخدّرات في صفوف أعدائهم وسيلة لإضعافهم • ولا أن يسمحوا لبناتهم باستخدام الفحش وسيلة لأخذ المعلومات من الأعداء • ولا أن يبيدوا جموع الأعداء إبادة جماعية وفيهم الأبرياء ، وفيهم الأطفال والنساء والعبّاد في معابدهم الذين لم يقاتلوا ولم يساعدوا المقاتلين • ونحو ذلك •

منهج الباحث المسلم تجاه المذاهب الباطلة :

المنهج الذي يجب اتباعه تجاه كلّ المذاهب والنظريات والأفكار المشتملة على عناصر مناقضة لما هو ثابت ويقيني في الاسلام ـ يمكن إجماله بالبنود التالية :

أولاً : عدم قبول الأحكام التقريرية التي تقدمها هذه المذاهب والنظريات والأفكار على أنّها حقائق مسلّمة ، وإن تسترت باسم العلم ، والكشوفات العلمية ، ومناهج البحث المنطقي السليم ، وطرائق المعرفة الحديثة ، ومنجزات الحضارة ، وما أشبه هذه الألفاظ ، فالتستّر بهذه الألفاظ من وسائل التزييف التي مهرها مروجو مذاهب الضلال •

ثانياً : الحذر من التأثر بالأقوال المزخرفة المنمقة ، أو المرتبة ترتيباً متكاملاً يوحي بسلامتها من الزيف • والحذر من قبول كلّ المذهب تأثّراً بكثرة الصحيح المعروض فيه ، فربّ ألف فكرة صحيحة تفسدها فكرة باطلة تقع منها موقع الجذر ، أو أساس البناء وقاعدته الأولى • فكم سقط أذكياء في فخّ أصحاب الحيل من شياطين واضعي المذاهب الضالة ، تأثّراً بأفكار صحيحة عرضت عليهم ، حتى إذا سئموا من شدّة المراقبة ، وجاءتهم الغفلة أمرّ الشياطين الفكرة الباطلة بطريقة متسللة ، دون أن تثير ضجة ولا انتباهاً ، وتقبّلها الأذكياء دون محاكمة ولا نظر • يضاف إلى ذلك أنّ كثرة الصحيح تورث ثقة وطمأنينة في النفس ، ومع الثقة يكثر التسليم دون بحث ولا نظر ، ودون إجهاد للذهن بوزن كلّ جزئية لتمييز الحقّ من الباطل •

ثالثاً : التنبّه للمغالطات التي تشتمل عليها الأدلة المقدمة لإثبات المذهب الوافد، واليقظة التامة لدى فحص الأفكار ومناقشتها ، ويكون ذلك بتجزئة الأفكار إلى عناصرها ، والبحث عن جذورها ، وعدم قبولها جملة واحدة ، لأن بعضها صحيح مقبول ، فكم من أخطاء علمية وقع بها باحثون لعدم تفاصل عناصر الأفكار في أذهانهم، وعدم تمايزها ، وعدم معرفة حدود كلّ منها ، فيعطي أحدهم بعضها حكم الآخر ، مع أنّ له حكماً غير حكمه ، لمخالفته له في الحقيقة أو في كثير من الصفات • ومن هنا تأتي تعميمات فاسدات ، يظهر زيفها متى تمايزت حقائق الأشياء في الذهن ، وتفاصلت عن بعضها بهوّياتها الخاصة ، التي لها أحكامها الخاصة ، فالتلاعب بحدود دلالات الألفاظ ، وإطلاق الألفاظ على غير معانيها من أصول المغالطات الكبرى •

رابعاً : على الذين تخدعهم أفكار الشيوعيين ذات التطلعات الانسانية في ظاهرها، أن يعلموا أن خطة واضعي المكيدة من الرؤوس اليهودية العالمية ؛ تقضي بأن تصفّي الثورة الشيوعية عناصرها أولاً بأول ، وأن يأكل اللاحق منها السابق ، وأن يسحق منفذ المخطط اليهودي كلّ العناصر ذات الأهداف التي خدعتها التطلعات الانسانية الظاهرية ومثالياتها ، ولا يبقي منها أحداً مهما ضحّى في سبيل الحزب وقدّم خدماته العظيمة له ، وذلك لتبقى عناصر الثورة هياكل اعتبارية ودُمى يديرها أصحاب المصلحة الغائية المستورون عن الأنظار ، وهم مكتف يهودي مختبىء إلى حين قيام الدولة اليهودية العالمية الكبرى على مسرح الواقع المعلن الظاهر !!

* * *

- ٢ -

سُقوط خرافة الجَدَليّة « الديالكتيك » الماركسيّة

(١) كان في خطتي عند البدء بكتابة هذا الكتاب عن الشيوعية أن أكتب فصلاً موسّعاً ، لبيان خرافة المادّية الجدلية التي هي أساس العقيدة الشيوعية في الطبيعة وفي التاريخ •

إلاّ أنني رأيت أنّ صديقنا الكاتب الإسلاميّ الموفّق الباحث الدكتور «محمد سعيد رمضان البوطي » قد كتب كتاباً بعنوان « نقض أوهام المادية الجدلية » ولمّا اطلعت عليه وجدته كتاباً نفيساً قد أوفى الموضوع الذي عالجه بحثاً ودرساً ونقضاً ، فأغناني عن كتابة الفصل الموسع الذي كنت عزمت على كتابته وضمّه إلى كتابي هذا عن الشيوعية وأصولها النظرية وتطبيقاتها ، وإني أعتبر كتاب « نقض أوهام المادية الجدلية » متمماً لموضوع كتابي هذا ، فليرجع إليه من أراد استيفاء الموضوع ، وعليه أن يصبر على دقة البحث العلمي وعمقه •

وسأقتصر في كتابي هذا على تقديم خلاصة مبسّطة موجزة لأسس النظرية الماركسية المسمّاة : « المادّية الجدلية » وما يتصل بها •

* * *

(٢) لقد صار جلياً وواضحاً تماماً أن المخطط اليهودي العام قد رسم كل ما يلزم لتدمير الدول ، وتحطيم الشعوب ، تمهيداً لاقامة الدولة اليهودية الكبرى التي يحلمون بأن تحكم العالم كله دون منافس ولا منازع ، وأن هذا المخطط اليهودي قد وضع في منهجه للوصول إلى هذه الغاية ما يلي :

أ ــ تحطيم الأديان ، ونشر الالحاد بالله ، واعتبار الظواهر الكونية كلّها نتاج الحركة المادية الذاتية الآلية في الطبيعة ، وأنه ليس وراءها مدبّر خالق قادر عليم حكيم ، عدلٌ برٌّ رؤوف رحيم •

ومعلوم نظرياً وثابت تجريبياً أنّ الالحاد بالله الخالق جلّ وعلا جرثومة من شأنها تدمير الشعوب ، أو تسلّط الجبابرة الطغاة ، وإشاعة كلّ موبقة مهلكة للأفراد والجماعات •

ب ــ تحطيم الأخلاق التي هي قوام الروابط الاجتماعية ، ونظام السلوك السوي للأفراد ، ونشر الاباحية التي هي من لوازم إلغاء فكرة الجزاء الربّاني من العقائد والتصورات •

جـ ــ تأجيج نيران الفتنة بين الناس ، وتغذية جراثيم العداوة والبغضاء وتربيتها وتنميتها بينهم ، ليهلك بعضهم بعضاً بالنزاعات والصراعات التي لا تنتهي •

د ــ السيطرة على الفكر العام ، وتحريكه وتوجيهه وفق ما يريدون ، لأنّ المفاهيم متى استقرّ الاقتناع الجماهيري بها ، كانت هي المحرّكة لعواطف الجماهير، والموجهة لسلوكهم • وأنت خبير أن الفكر الفردي يصاب غالباً بالشلل والتعطل عن العمل ضمن غوغائية الفكر الجماهيري العام •

وضمن هذا المخطط الجهنمي التدميري ، دفع اليهود لكل عنصر من عناصر التدمير هذه شيطاناً أو أكثر من شياطينهم المزوّدين بالذكاء الكافي ، ليضع له مذهباً وفلسفة يزخرفها،ويزيّنها ، ويصطاد بها هو وجنوده من الشعوب من تخدعه الفلسفة الموضوعة ، أو يجذبه الطعم الموضوع على « سِنّارة » المذهب الجديد • فهو ينساق جسدياً لالتهام الطعم ، وفي غيبوبة اللّذة الجسدية أو الحلم بالحصول عليها، يقدِّم صفحة فكره ليطبع عليها مُقدِّم الطُعْم ما يريد ، دون أن يكون للغارق بلذة الطعم أو وَهْمِ الحصول عليه أيُّ نشاط ذاتي يزن به الأفكار ، ليكتشف منها ما هو حقٌّ وما هو باطل •

ضمن هذا المخطط الجهنمي الشيطاني المدمر ظهر :

● اليهودي « دوركايم » في علم الاجتماع ، فوضع فلسفة جعل فيها العقل الجمعي هو المسيطر على الأفراد ، وكاد يلغي فيها الفرد من حساب الفكر والسلوك ، والغرض من هذا تعطيل النشاط والنبوغ الفردي ، وتسيير الجماهير وهي معطلة التفكير بغوغائية عمياء إلى حتوفها ، أما المسيّر لها فشيطان خبيث مختبىء وراء الستار ، وله ضمن مسيرة الجماهير أجراء .

● واليهودي « فرويد » في علم النفس ، فوضع آراء الاباحية الجنسية الملحدة تحت ستار التحليل النفسي والمعالجات الطبية في هذا المجال .

● والدارونية الملحدة التي جعلت ظاهرات الأحياء نتيجة التطور الذاتيّ الارتقائي ، وألغت من التصور حقيقة وجود الخالق المهيمن العليم الحكيم القادر .

● وفكرة نسبية الأخلاق في علم الأخلاق .

● والوجودية الملحدة بقيادة اليهودي الصهيوني « سارتر » .

● والماركسية المادّية الشيوعية الملحدة ، بفلسفتها وجدلياتها، ومنهج ثوراتها، وأوهم زعيمها اليهودي الصهيوني « كارل ماركس » أنّ التاريخ الانساني إنما هو مظاهر للجذور الاقتصادية في حركة المجتمع البشري ، وتعثر في إثبات فكرته هذه ، لأنّه لم يجد حجّة يزخرفها ، ويزينها ، ويستند إليها ، ممّا يمكن أن يقبله متوسطو التفكير فضلاً عن أذكياء الناس .

* * *

(٣) لا بدّ إذن أن تؤسس الماركسية على فلسفة تنسجم والمخطط اليهوديّ العام .

● لا بدّ أن يكون الالحاد قاعدتها الجذرية .

● وأن تكون الاباحية سلوكها .

● وأن تكون الاستهانة بفضائل الأخلاق منهجها .

● وأن تكون إقامة الصراعات الانسانية بين الدول والشعوب هدفها .

● ولابدّ مع ذلك من أن يكون لكلّ شرّ مرادٍ غطاء" يغشّي على الأبصار ، ويخدع القطعان التي يراد افتراسها ، ثم تسخيرها ككلاب الصيد .

هنا وجد اليهودي الصهيوني « كارل ماركس » فلسفة « هيجل » الجدلية ، وفلسفة « فيورباخ » المادية ، فظفر منهما بصيد ثمين لما يريد .

* * *

(٤) إنّ الجدلية « = الديالكتيك » هي الأسلوب الجدلي عند سقراط بين فريقين متناظرين ، واستغلّه « أفلاطون » أسلوباً للوصول إلى الحقيقة من خلال بيانين متعارضين ، يكشف كلّ منهما ما يراه في الآخر محلاً لتوجيه النقد إليه أو الاعتراض عليه ، وارتقى عند المسلمين فصارت له قواعد وآداب .

لكنّه تحوّر عند « هيجل » فصار في تصوّره قانوناً لا يقتصر على العمليات المنطقية الفكرية ، بل يشمل عمليات العالم الطبيعي ،وعمليات التاريخ الانساني ، فالجدلية « = الديالكتيك » عند « هيجل » صارت شيئاً آخر ، ظنّ فيه أن سنّة الخالق جعلت التغيير في الطبيعة وفي التاريخ الانساني أيضاً يسير وفق دورات صاعدة ، كلّ دورة منها ذات ثلاث مراحل ، أسماها كما يلي :

الأولى : الطريحة . أو تسمى « أطروحة » .

الثانية : النقيضة . أو تسمى « نفياً » أو « طباقاً » .

الثالثة : الجميعة . أو تسمى « نفي النفي » أو « تركيباً » .

وبيان فكرته بصورة مبسّطة يتلخص بما يلي :

الحالة الأولى التي يكون عليها الكائن الطبيعي أو المجتمع الانساني هي ما أسماه : « الطريحة » . وهذه الحالة ضمن حركتها الزمنية تتفاعل مع أضدادها ، فينشأ من ردود الأفعال تغيير لها إلى الطرف الآخر الذي تقع فيه أضدادها ، وهذا التغيير أسماه : « النقيضة » أو ما يطلق عليه « نفي » أو « طباق » .

والحالة الثانية التي هي « النقيضة » تسير أيضاً ضمن حركتها الزمنية ، فتتفاعل مع أضدادها ، فينشأ من ردود الأفعال هذه تغيير لها ، ولكن لا إلى الطرف الذي سبق أن تركته في التغيير الأول ، بل إلى تغيير صاعد يجمع بين « الطريحة » و « النقيضة » جمعاً توفيقيّاً ، يسقط منه طبيعيّاً صفات وعناصر دنيا خسيسة . وهذه الحالة الثالثة هي ما أسماه : « الجميعة » ، أو ما يطلق عليه « نفي النفي » أو « التركيب » .

وهذه الحالة الثالثة هي في تصور « هيجل » دائماً أسمى من « الطريحة » ومن « النقيضة » ، لأنها تتخلّص من عناصر دنيا ، وتحتفظ بالأسمى والأرقى .

وهكذا تغدو « الجميعة » من جديد « طريحة » تتغيّر إلى « نقيضة » جديدة ، ثمّ إلى « جميعة » .

وتذهب الدورات صاعدة في تصور « هيجل » .

هذه هي فكرة « الديالكتيك » في الطبيعة و في التاريخ الإنساني عند «هيجل» .

وهي فكرة قد تصدق بمثال أو بعدد من الأمثلة ، ولكنّها لا تصلح أن تكون قانوناً شاملاً للطبيعة وللتاريخ الانساني .

ويلاحظ أن التغيير في التاريخ الانساني ليس دائماً صاعداً بل قد يكون مساوياً ، وقد يكون هابطاً منحدراً ، ومردوداً إلى أسفل سافلين .

ومن الأمثلة التي قد تنطبق عليها فكرة « هيجل » أنّ التطرّف في « الديكتاتورية » الفردية في المجتمع ، والإفراط فيها ، قد ينشأ عنه نقمة في المجتمع ، ويتولّد عنه ــ دون حتمية ــ ردّ فعل عنيف ، يدفع بالمجتمع إلى حرّية اجتماعية سمتها الفوضى ، ثمّ يتولّد عن هذه الفوضى الاجتماعية رجعة توفيقية بين « الديكتاتورية » والحريّة المسرفة ، وهي أفضل منهما ، فمن « الطريحة » و « النقيضة » تولّدت « الجميعة » ولكن من خلال وعي الناس ، ودون أن تكون ضرورة حتمية .

بيد أن الحالة الاجتماعية كثيراً ما تسوء بعد ذلك فترجع إليه « الديكتاتورية » المتطرفة ، ثمّ الحرية الاجتماعية المسرفة ، ثم « الديمقراطية » المعتدلة ، وهكـذا دواليـك .

وهذاينقض فكرة « هيجل » القائمة على اللولبيّة الصاعدة . كما أنّ ما زعم أنه قانون هو من أساسه لا يصلح أن يكون قانوناً اعتماداً على بعض الأمثلة التي ذكرهـا ، وضمن الشروط التي عيّنها ، فمن شأن القانون اطراده ، أو على أقـل تقدير ينبغي أن يكون قاعدة أغلبية .

وصـاد « كارل ماركس » فكرة « هيجـل » هذه ، وضمن المخطط المادي الإلحادي اليهودي قلبها ، فلم يجعلها أثراً لسنة من سنن القوة الخلاّقة المهيمنة على الكون ، بل جعل الدين والقانون والسياسة والأخلاق والنظم الاجتماعية والفلسفة والفنّ آثاراً في الوعي الإنساني لما أسماه « هيجل » بقانون « الديالكتيـك » . وجعل هذه كلّها صناعة إنسانية ، وزعم أنه بعمله هذا قد أوقف نظرية « هيجل » على قدميها بعد أن كانت عنده واقفة على رأسها .

وجعل « ماركس » هذه الفكرة أساساً لكلّ التغييرات في الطبيعة وفي التاريخ الانساني بصفة عامّة . واعتبرها أساساً تتغيّر على وفقه المجتمعـات الانسانية ، من مجتمع « إقطاعي » إلى مجتمع «بورجوازي » إلى مجتمع « اشتراكي » وأخيراً إلى مجتمع « شيوعي » تنتهي فيه كلّ الطبقات ولا حاجة فيه إلى سلطة حاكمـة . وأعطى هذه التغييرات صفة القانون الاجتماعي الحتمي ، ليقنع قطعان الجند مـن الشيوعيين بأنّ النهاية مضمونة لهم ، فهم الذين سيقبضون على ناصية الأمر في كلّ المجتمعـات .

إلاّ أنّ تراجع النظم الشيوعيـة في الـدول التي قامت على أساس المذهب الماركسي ، عن كثير من تعاليم المذهب ، والتباين الفاحش بين النظرية والتطبيق ، والتعاسة الكبرى التي حلّت بطبقة العمّال والكادحين والفلاحين نتيجة التطبيقات الاشتراكية ، كلّ ذلك قد أثبت ـ في نفوس أهل الوعي المنصفين من الشيوعيين ،

والذين صحوا من كابوس الوهم الكبير الذي انخدعوا به حقبة من الزمان ــ أن النظرية الماركسية من أساسها خرافة في خرافة ، وأنّ التاريخ الانساني لا يخضع لما زعم « ماركس » من أنه قانون حتمي يخضع التاريخ الانساني له •

وتوجّه الباحثون المتجرّدون لنقد « الديالكتيك » الذي ذكره « هيجل » ثم تلقفه عنه « ماركس » ومساعده النشيط « إنجلز » ـ فتبيّن لهم فساده من أصله وعدم صلاحيته مطلقاً لأن يكون نظرية فضلاً عن أن يكون قانوناً • وثبت بما لا يدع مجالاً للشك ــ حتى عند المنصفين من الاشتراكيين ــ أنّه خرافة صنعت للاقناع بحتمية التحوّل الاشتراكي ، بوصفه « الجميعة » بعد « النقيضة » التي هي الرأسمالية البورجوازية ، والتي جاءت بعد « الطريحة » التي هي الاقطاع •

وهكذا تمّت الحيلة الفكرية التي خدعت شعوباً ومفكرين وأذكياء ، وأقامت الدنيا وأقعدتها ، وما زالت تفعل أفاعيلها الماكرة المدمّرة • وما كان لها أن تبلغ ما بلغته لولا رعاية المنظمات اليهودية المختلفة لها ، ولولا إمدادها من قبل ملوك المال اليهود بما تحتاج إليه من مال لنشرها وتسخير الأجراء لذلك • ولمّا قامت في العالم الدول الشيوعية تولّت هذه الدول عمليات الدعاية اللازمة والنشر والتمويل ، واستخدام الأجراء لتزييف الحقائق ، وتبرير النظرية بأقوال تلبس زوراً أثواب الفلسفة حيناً ، وأثواب العلم حيناً آخر ، وتستخدم الأكاذيب والمغالطات في كلّ حين، ومع الأجراء الكثيرين متبرعون منخدعون واهمون كثيرون أيضاً • ودار دولاب اللّعبة التاريخية الكبرى ، وتمثّل بها أكبر دجّال عرفه تاريخ البشر حتى يوم الناس هذا ينظر بعين واحدة كليلة صغيرة •

* * *

(٥) « المادية الجدلية » هي النظرية العقائدية الجذرية العامة التي اتخذت ذريعة لتبرير أفكار ما يسمى بالاشتراكية العلمية ، أو الشيوعية •

وقد أطلق عليها وصف « المادية » لأن نظرتها مادية بحتة ، أي لا تنظر إلى الوجود كلّه إلاّ من خلال المادّة المدركة بالحسّ الظاهر ، أو يمكن إدراكها به •

وتعلّل حوادث الكون تعليلاً مادياً ، وترفض أي مؤثر غيبي أو خارج عن حدود المؤثرات المادّية •

وقد ذهب دعاة المادّية إلى هذا المذهب الذي لا ينظر إلاّ بعين واحدة ، لأنّ نفوسهم ورغباتهم الخاصة قد رفضت ابتداءً ـ دون أي مستند علمي أو عقلي ـ الإيمان بوجود الخالق العليم الحكيم القدير ، الذي خلق الكون ويخلق الأشياء بقدرته وفق علمه وحكمته ، ضمن خطّة قضاها وقدّرها باختياره •

وهذا الرفض من المادّيين الملاحدة قد جعلهم تلقائياً يلتزمون عدم حاجة الكون لعلم سابق وحكمة واختيار وقدرة ، رغم كلّ ظواهر الإبداع والاتقان ، وروائع الحكمة البادية فيه لكل متدبر مفكّر ، ورغم نظام الوحدة المسيطرة عليه الدالة على وحدة المنظم ، ورغم تصاريفه الهادفة إلى غاية مثالية عظيمة والتي لا يلاحظ فيها أية عشوائية أو تخبط على غير هُدى كما هو شأن المصادفات •

وبإصرار وعناد قائمين على هذه الرغبة النفسية الخاصة السابقة لكل بحث نظري ، ولكل بحث علمي ، شطب الماديون الملاحدة على كل برهان يثبت حقيقة وجود الخالق ، بقرار اعتباطي من عند أنفسهم ، يشبه قرارات الأحكام الثورية ، أو أوامر الأحكام العرفية ، وحولوا أنظارهم وأنظار أتباعهم عنها • وحذروا كل من ينظر من مفكريهم وباحثيهم بحرّيّة فكرية إلى الأدلة من أن ينساقوا وراء أية أدلة أو معارف قد تجرهم بالضرورة الفكرية إلى الإيمان بالله ، أو تدفع بهم إلى السقوط في براثن الدين • وهذا ماظهر في جملة من أقوال أئمتهم •

وأُطْلِق عليها وصف « الجدلية = الديالكتيك » لأنّ أسلوبها في النظر إلى الحوادث الكونية والتاريخ الإنساني مأخوذ من النظام الذي ظنّ الفيلسوف « هيجل » أنه قد اكتشف به سرّاً من أسرار الكون الكبرى ، وأطلق عليه عبارة « ديالكتيك » تشبيهاً له بما يجري بين خصمين متناظرين ، إذ رأى في تصوره أن حوادث الطبيعة تسير وفق صراع يكون بين المتناقضات أو المتضادات في الوجود ، فينتج عن صراعها ثالث أصلح منها وأرقى ، وهكذا • كما ينتج بين فكرتين متضادتين فكرة ثالثة هي أوفى منهما وأكمل وأصلح •

إلاّ أن « هيجل » يرى أن ذلك ثمرة نظام في الطبيعة وضعه خالـق الكون ومدبره • أمّا الماركسية من لدُن « ماركس » ورفيقه « انجلز » وأشياعهما من بعدهما « لينين ــ ستالين » حتى سائر الشيوعيين ، فيرون أنّ ذلك نتيجة حركة المادة في ذاتها ، انسجاماً مع أساس الفكرة التي حددتها رغبات نفوسهم وأهوائهم قبل البدء بأية عملية فكرية أو بحث علمي ، ولم توصل إليها براهين الفكر أو أدلته ، ولا مناهج البحث العلمي ، إنها فكرة رفض الايمان بالله بشكل سابق على أي بحث أو مناقشة أو نظر أو استدلال •

وكلمة « ديالكتيك » مأخوذة من الكلمة اليونانية « دياليغو » ومعناها المحادثه أو المجادلة والمناظرة •

وكان « الديالكتيك » يعني فنّ الوصول إلى الحقيقة باكتشاف المتناقضات التي يتضمّنها استدلال الخصم ، والتغلّب عليها •

وكان بعض الفلاسفة الأوّلين يعتبرون أنّ اكتشاف تناقضات الفكر ، والمصادمة بين الآراء ، هما خير وسيلة لاكتشاف الحقيقة •

فالمادّية الجدلية الماركسية تقرر أن مادة الكون الأولى تطوّرت تطوّراً ذاتيّاً ، حتى تكامل للكون نظامه الرائع ، ثم ظهرت في الأرض الحياة ، ثم بالتطور الذاتي ظهر الانسان ، وتدرج في كماله حتى بلغ وضعه الحالي المشاهد • وتقرر أن تطور المادة يخضع لعوامل ونظم من المادة نفسها ، يفهمها الانسان منها بعد وقوعها • وتقرّر أنّ تطوّرات الكون لاتخضع مطلقاً لخطّة فرضت عليها من خارج عنها مسيّر لها ، مدبّر لأمرها ، بل تخضع لقوانين حركة المادة • وبقرار غير مستند إلى أي دليل علمي يجزم أئمة المادية الجدلية الماركسية بأن الطبيعة تتطور نتيجة التناقضات الموجودة فيها ، والفعل المتبادل بين القوى المتضادة •

يقول « كارل ماركس » :

« إنّ طريقتي لا تختلف عن الطريقة الهيجلية من حيث الأساس فحسب ، بل

هي ضدها تماماً ، فالفكر في نظر هيجل سابق للوجود ، وهو خالق الواقع وصانعه ، فما الواقع إلا الشكل الحادثي للفكرة • أما في نظري فعلى العكس ، ليست حركة الفكر سوى انعكاس الحركة الواقعية ، منقولة إلى دماغ الانسان ومستقرة فيه » •

ويقول « فريدريك إنجلز » :

« إن الفهم المادي يعني بكل بساطة فهم الطبيعة كما هي ، دون أيـة اضافة غريبة » •

ويقول أيضاً :

« إنّ مسألة علاقة الفكر بالكائن وعلاقة العقل بالطبيعة ، هي المسألة العليا في كلّ فلسفة • وكان الفلاسفة تبعـاً لإجابتهم على هـذه المسـألة ينقسمـون إلى معسكرين كبيرين :

فأولئك الذين كانوا يؤكدون تقدّم العقل على الطبيعة يؤلفون معسكرالمثالية•

والآخرون الذين كانوا يقرّرون تقدّم الطبيعة ينتمون إلى مختلف المدارس المادّيـة » •

ثمّ يقول :

« إنّ العالم المادّي الذي تدركه حواسّنا والذي ننتمي إليه نحن أنفسنا هو الواقع الوحيد ، أما إدراكنا وفكرنا فهما مهما ظهرا رفيعين ساميين ، فليسا سوى نتاجٍ عضوي مادي جسدي هو الدماغ • إن المادة ليست من نتاج العقل ، بل إن العقل ليس سوى نتاج المادة الأعلى » •

وعرض « لينين » المفهوم المادّي عند الفيلسوف « هيراقليط » الذي جاء فيه « أن العالم هو واحد ، لم يخلقه أي إله أو إنسان ، وقد كان ولا يزال وسيكون شعلة حيّة إلى الأبد تشتعل وتنطفىء تبعاً لقوانين معيّنة » •

ثم علّق عليه قائلاً : « ياله من شرح رائع لمبادىء المادية الديالكتيكية » •

وتقول كتب الشيوعيين :

« تقوم المادّية الفلسفية الماركسية على أنّ المادّة ، والطبيعة ، والكائن ، هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الادراك وبصورة مستقلة عنه ، وإنّ المادّة هي عنصر أولي لأنها منبع الإحساسات والتصورات والإدراك . بينما الإدراك هو عنصر ثانٍ مشتق ، لأنه انعكاس المادة ، انعكاس الكائن ، وإن الفكر هو نتاج المادّة لمّا بلغت في تطوّرها درجة عالية من الكمال ، أو بتعبير أدقّ : إنّ الفكر هو نتاج الدماغ ، والدماغ هو عضو التفكير ، فلا يمكن بالتالي فصل الفكر عن المادّة دون الوقوع في خطأ كبير ... » .

وهذا بالطبع قائم على إنكار وجود الخالق العليم الحكيم القدير ، وإنكار الروح التي بها تكون المادة حية ، وعلى الزعم الذي لا دليل عليه غير مجرد الادعاء الباطل بأنّ الوجود كلّه هو الوجود المادّي وتطوّراته التي انتهت بالتفاعل الذاتي إلى أن أنتجت كائناً حياً مفكراً مبدعاً ، دون وساطة قدرة خلّاقة مبدعة خارجة عن المادّة .

وتلتقي الوجودية الملحدة التي حمل كبرها اليهودي « سارتر » مع الماركسية ، إذْ ترى هذه الوجودية أنّ الفكر هو انعكاس الواقع على الدماغ ، فالواقع موجود أولاً ، ثمّ ينعكس هذا الواقع على دماغ الانسان ، وانعكاسه هذا هو الفكر .

خلاصة آراء الماركسية في تطبيق المادية الجدلية على الطبيعة :

وتتلخّص آراء الماركسية في تطبيق « المادّية الجدلية » على الطبيعة والتغيّرات الكونية بنقاط أربع :

الأولى : أنّ الطبيعة كلٌّ واحدٌ متماسك ، ترتبط فيه الأشياء والحوادث فيما بينها ارتباطاً تامّاً .

الثانية : أنّ الطبيعة ليست في حالة سكون ، بل هي في تطور وتغيّر دائمين .

الثالثة : أن حركة التطور هي تطور ينتقل من تغيّرات كمية إلى تغيّرات كيفية بشكل سريع وفجائي وارتقائي من حالة أدنى إلى حالة أعلى ، وبشكل ذاتي دون حاجة إلى مؤثر خارجي عليم حكيم قدير .

الرابعة : أنّ كلّ الأشياء وحوادثها تحوي تناقضات داخليـة ، وبوساطـة الصراع بين المتناقضات تحدث التغيّرات الارتقائية حتماً .

ومجموع هذه النقاط الأربع يعطي الصورة الواضحة عن آرائهم في الطبيعة التي تسير في تطوّرها ضمن منهج ما يسمّونه بالمادّية الديالكتيكية .

ويرون أنّ التغيّرات التي تحدث في الكون تحدث بصفة حتمية ، فهم في هذا جبريّون ، ولكن هذه الجبرية نتيجة ما يطلقون عليه اسم قانون الديالكتيك .

* * *

(٦) « المادّية التاريخية » هي النظرية الماركسية المادّية للتاريخ الإنساني ، والقائمة على أن التاريخ الانساني يخضع في حوادثه لقانون الماديـة الجدلية التي تخضع له الطبيعة ، وتخضع له التغيّرات الكونية التي لا تتدخل إرادة الانسان فيها .

فالتاريخ الانساني ـ كما تزعم الماركسية ـ يسير وفق نظـام جبري ليس بمستطاع المجتمع الانساني التصرف فيه ، ولا التغيير من نتائجه ، لذلك فهي تقرر حتميات وضرورات سيتطور لها التاريخ الإنساني ، ضمن قانون المادّية الجدليـة المزعـوم .

لذلك ترى الماركسية أنّ الحياة الاجتماعية للناس ثمرة واقعهم المادّي ، وأنّ حياة المجتمع العقلية هي انعكاس هذا الواقع الموضوعي ، وعنـه تظهـر الأفكار الاجتماعية والتشريعية والسياسية وغيرها ، وليست الحياة الاجتماعية ثمرة أفكار سابقة للناس تحدد مفاهيمهم عـن الوجود والكون والحياة والانسان ، وما هي وسائل سعادتهم ونظم تعايشهم الأفضل .

يقول « ماركس » : « ليس إدراك الناس هو الذي يحدّد معيشتهم ، بل العكس من ذلك ، إنّ معيشتهم الاجتماعية هي التي تحدّد إدراكهم » .

هكذا حكم بطريقة تقريريّة غير مقرونة بأية حجّة .

وتقول كتب الشيوعيين : « إن الأفكار والنظريات الاجتماعية والأوضاع السياسية تتولّد من المهمّات العاجلة التي يضعها تطوّر الحياة المادّية للمجتمع ، ثمّ تؤثر هي نفسها فيما بعد بالمعيشة الاجتماعية ، وفي حياة المجتمع المادّية ، بخلقها الشروط اللازمة لحلّ المسائل العاجلة الملحّة في حياة المجتمع المادّية ، وجعل تطوّر المجتمع إلى الأمام ممكناً » .

وتقول أيضاً مع تنازل جزئي عن أساس الفكرة : « إن الأفكار والنظريات الاجتماعية الجديدة لا تبرز إلاّ عندما يضع تطوّر الحياة المادّية للمجتمع مهمّات جديدة أمام المجتمع ، لكنها إذا ما برزت أصبحت قوة ذات أهمية من الدرجة العليا ، تسهّل إنجاز المهمات الجديدة التي يضعها تطور الحياة المادية للمجتمع ، وتسهّل رقي المجتمع ، وتبدو إذْ ذاك خطورة الدور الذي تقوم به الأفكار والنظريّات الجديدة ، والآراء والأوضاع السياسية الجديدة ، من حيث هي قوة تنظيم وتعبئة وتحويل ، وفي الحقيقة إنّ الأفكار والنظريات الاجتماعية الجديدة ، إنما تظهر لأنها ضرورية للمجتمع ، فبدون عملها المنّظم والمعبّأ والمحوّل يستحيل حلّ المسائل العاجلة الملحّة التي يقتضيها تطوّر الحياة المادّية للمجتمع » .

ويظهر في هذا التنازل الجزئي عن أصل الجبرية المادّية الصانعة للتاريخ الإنساني ، والتي هي أساس العقيدة الماركسية ، مدى التحايل الّتولبي للتوفيق بين أساس العقيدة وحاجة التغيير الاجتماعي في واقع الأمر للتدخل الإنساني ، وإلاّ توقفت طاقات الشيوعيين عن التحرك ضمن خطط التنظيم المراد ، بدافع العقيدة الجبرية التي تقرّر حتميّاتها التي هي قادمة لا محالة بموجب تصوّراتها الخرافية ، وأوهامها التي لا سند لها من دلائل الفكر ، ولا من تجارب الواقع .

وتقرر المادية التاريخية الماركسية : أن كل نظـام اجتماعي ، وكل حركـة اجتماعية في التاريخ لاينبغي الحكم عليها من ناحية العدالة الأبدية ، أو من ناحية أية فكرة أخرى مقرّرة سلفاً كما يفعل المؤرخـون على الغالب ، بـل ينبغي أن تبنى الأحكام على أساس الظروف التي ولّدت هذا النظام ، وهذه الحركة الاجتماعية .

ويقول الماركسيون في هذا الصدد : لمّا كان التطور يجري بانبثاق التناقضات الداخلية ، وبالنزاع بين القوى المتضادة على أساس هذه التناقضات ، وأن غاية هذا النزاع هي قهر هذه التناقضات والتغلب عليها ــ فمن الواضح أن نضال«البروليتاريا» الطبقي هو حادث طبيعي تماماً ولا مناص منه ، وبالتالي لا ينبغي إخفاء تناقضات النظام الرأسمالي ، بل ينبغي إبرازها وعرضها ، وينبغي خلق النضال الطبقي والقيام به حتى النهاية ، ولذلك يجب اتباع سياسة « بروليتارية » طبقية حازمة ، لا سياسة إصلاحية تقول بالتناسق بين مصالح البروليتاريا ومصالـح البورجـوازية ، ولا سياسة تفاهمية تقول بدمج الرأسمالية في الاشتراكية .

ويقولون أيضاً : إن شروط الحيـاة المادية في المجتمع التي تحدد في النهايـة هيئة المجتمع وأفكاره وآراءه وأوضاعه السياسية وما إليهـا ــ هي : « الطبيعة » و « الوسط الجغرافي » و « ازدياد السـّكان » و « أسلوب الانتاج » .

ويقولون : أمّا الطبيعة التي تحيط بالمجتمع أو الوسط الجغرافي فانّها تؤلـّف أحد الشروط الضرورية الدائمة لحياة المجتمع المادّية ، وهي تؤثر ولا ريب فيتطوّر المجتمع ، ولكنّها لا تكوّن القوة الرئيسية التي تحدّد هيئة المجتمـع ، وتعيّن نظام الناس الذي يعيشون عليه ، وتقرّر الانتقال من نظام إلى آخر ، ولم يكن تأثير الوسط الجغرافي حاسماً ، لأن تطور المجتمع وتغيـّراته تجري بصورة أسرع بكثير من تطور الوسط الجغرافي وتغيـّراته .

ويقولون : إن نمو السكان وكثافتهم يؤلف أيضاً أحد الشروط لحياة المجتمع ، وبدون حدٍّ أدنى من الناس لا يمكن أن تكون هناك أية حياة مادّية للمجتمـع ، ولكن لا يكون القوة الأساسية التي تحدّد طابع نظام المجتمع . أمّا أسلوب الانتاج

فهو الذي يكون القوة الأساسية لتطـور المجتمع ، وهو القوة التي تحدد هيئـة المجتمع •

ويقول « ماركس » في البريمير الثامن عشر للوي بونابارت سنة (١٨٥٢ م) : « إنّ الناس يصنعون تاريخهم ، ولكن ليس بارادة جماعية ، ولا طبقاً لخطّة جماعية حتى الآن »[١] •

ويقول انجلز : « إنّ الناس يصنعون تاريخهم أيّاً كانت النتائج في ذلك التاريخ ، وذلك بأنّ كلّ فرد يتّبع غايته الواعية التي يرغب في تحقيقها ، وحصيلة هـذه الارادات المتباينة العديدة التي تعمل في اتجاهات مختلفة ، وتأثيراتها العديدة على العالم الخارجي هي بالضبط ما يشكّل التاريخ » •

ويرى أن الأسباب التاريخية هي : « صراع الطبقات لتحرير نفسها اقتصادياً » •

ومن تعاليم الماركسية الأساسية أنّ الدولة لا معنى ولا وجود لها إلاّ بوصفهـا أداة لسيطرة الطبقة[٢] •

* * *

(٧) خلاصة كشف الزيف في خرافة « المادية الجدلية في الطبيعة » و « الماديـة الجدلية في التاريخ » :

أضع بين يدي أهل الفكر في هذه الفقرة النقاط الأساسية المهمّة الدالة على الزيف الكبير الذي صنعت به أسس العقيدة الشيوعية وأبنيتها الفكريـة ، مـع الإلماح إلى المغالطات الكثيرة التي حاول بها أئمة الماركسية ومفلسفو آرائها وأفكارها سَتْرَ زيفها ، وإخفـاء تناقضاتها ، ومباينتها للطبيعة المادية من جهـة ، وللفطرة البشرية وطبيعة المجتمع الانساني من جهة أخرى ، وللدلائل والبراهـين العقليـة والعلمية من جهة ثالثة •

---

(١) انظر تاريخ الفكر الاشتراكي المعاصر صفحة ١٦٨ ترجمة يونس شاهين .

(٢) المرجع السابق صفحة ١٦٦ .

يضاف إلى ذلك أنّ الواقع التطبيقي قد أثبت بما لم يدع مجالاً للشك خرافتها، وأنّها إنّما صنعت لتحقيق أهداف يهوديّة ، وأنّ اليهود العالميين قد عرفوا كيف يدمرون بها شعوباً ، ويضعون بها دولاً كبرى تحت قبضتهم ، وبعض هذه الدول تقف في المعسكر المعادي للشيوعية ، إلاّ أنّ اليهود الموزعين في مختلف المعسكرات الدولية ، والذين لايمنحون ولاءهم الحقيقي إلاّ لملك اليهود المستور ، يعرفون كيف يستثمرون المعسكرات المتصارعة في العالم لمصالحهم ، ويخبئون قواهم في مواطن أمينة ليوم يرتقبونه ، ينهكون فيه العالم بحربٍ مدمّرة ، ثم ينقضون بقواهم التي لم يمسها التدمير فيفرضون بها سيطرتهم على العالم . هذه هي أحلامهم أخذاً من مقرراتهم السرية ، فهل يصلون إليها ؟

ما توصلوا إليه حتى الآن على أيدي كثيرٍ من الأميين « الجوييم » ينذر بقرب تحقق أحلامهم البعيدة .

ولكن ما تبشر به الأنباء الدينية في الاسلام تعطي الطمأنينة بأن عدل الله سيلاحقهم بنقمته ، على أيدي بعض عباده ، عقوبة لهم على الفساد الكبير الذي نشروه في الأرض . ونسأل الله أن يصلح الأمة الاسلامية حتى تكون في نظر الله مؤهلة لاكتساب شرف تأديب أعدائه وأعداء دينه .

وفيما يلي إجمال النقاط المشتملة على كواشف الزيف :

أولاً : تعتمد كتب الشيوعيين على المغالطات ، والأكاذيب ، وتحوير دلالات أقوال المخالفين عن مقاصدهم ، وذلك في معظم مناقشاتهم وجدلياتهم لمخالفي مذهبهم المادّي الإلحادي الشيوعي .

ثانياً : تعتمد العقيدة المادية الماركسية على ظاهرة الإنكار بدون دليل لكل ما يخالف مقرراتها ، لاسيما في موضوع الإيمان بالخالق جل وعلا ، أو ما يمكن أن يفضي إلى الإيمان به من دلائل علمية أو عقلية أو أمارات .

إنهم لا يقدمون أي دليل عقلي أو علمي لتبرير إنكارهم ، مع أن الإنكار والإثبات بالنسبة إلى الواقع كلٌ منهما لا يجوز منطقياً التزامه إلا بدليل .

إن الذي يقول : لا يوجد قطعاً عرق ذهبي في باطن هذا الجبل ، أو ماء بعد عمق (٥٠) متراً في باطن هذه الأرض ، إذا لم يستند إلى دليل علمي على ما يقول ، فهو انسان يقدم حكماً بالنفي رجماً بالغيب ، وهو يعتدي على الحقيقة عدواناً مداناً •

وكذلك الذي يثبت وجود عرقٍ ذهبي في باطن هذا الجبل أو وجود ماءٍ بعد عمق (٥٠) متراً في باطن هذه الأرض ، إذا لم يستند إلى دليل علمي على ما يقول ، فهو انسان يقدم حكماً بإثبات أمر رجماً بالغيب ، وهو يعتدي على الحقيقة عدواناً مداناً •

أما الاسلام فيقول كما جاء في القرآن الكريم : « قل : هاتوا برهانكم » ، ويقول : « ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم » •

فالمسلم الواعي الملتزم بالمنهج الاسلامي في المعرفة لا يثبت إلاّ بدليل، و لاينفي إلاّ بدليل ، وحين لا يوجد لدى المسلم دليل على الإثبات ، أو دليل على النفي فإنه يقول : « لا أعلم » • هذا كل ما يسمحُ به المنهج العلمي السليم في مثل هذه الحال ، ولا يتورط في أن يقول : هذا الشيء غير موجود ، لأنني لم أره ، أو لم اكتشف الدليل على وجوده ، لأنه يشعر بأنه يتجنّى على الحقيقة لو قال مثل هذا القول •

ثالثاً : يكتفي الماديون الملاحدة الشيوعيون ومن على شاكلتهم بمحاولة التشكيك بأدلة المثبتين لوجود الله ، أو لكل ما يخالف آراءهم ومقرّراتهم ، ضمن أساليب المغالطات الكثيرة التي لا تكاد تحصر •

وقد يتصيّدون بعض الأدلة الضعيفة عند بعض أوساط المتعلمين ، فيجعلونها هي المثل الوحيد لأدلة المثبتين ، ثم يوجهون لها مطاعنهم القوية ، تصوراً منهم أن هذه الأدلة الضعيفة متى سقطت سقطت معها فكرة الإيمان أو الأفكار الأخرى المخالفة لما يقرّرون سقوطاً كلياً •

وقديتلاعبون بصورة الدليل فيصوّرونه من عند أنفسهم كما يريدون ، ثمّ يظهرون بطلانه على ما يشتهون •

رابعاً : يبالـغ الشيوعيون في تظاهرهم بالعطف على الكـادحين والعمـال ، وفي تصوير حالة بؤسهم في ظـل الأنظمة الرأسمالية والاقطاعية ، بغية إثـارة حقدهم وضمهم إلى صفوفهم ، وتفجير هيجانهم ، حتى يندفعوا إلى القيام بالثورة المدمّرة التي يقودها الشيوعيون القياديّون ، حتى إذا ظفروا وتسلّموا السلطة ذبحوا العمّال والكادحين وتخلّصوا منهم ، ووضعوهم في موضع هو أذل وأحقر وأفقر وأكثـر استغلالاً لجهدهم وطاقاتهم تحت اسم الملكية الجماعية ، ممّا كانوا عليه في ظـلّ الأنظمة الجائرة التي عملوا للتخلّص من سلطانها وطغيانها .

والويل كلّ الويل لمن يعترض منهم على نظام الحكم الشيوعي الذي تسلّـم مقاليد الأمور ، إنّه عدوّ الشعب الذي لا دواء له إلاّ الموت الزؤام [١] ، أو التعذيب والأشغال الشاقة حتى الموت .

خامساً : من الملاحظ في كتب الشيوعيين أن نصوص « ماركس » و « إنجلز » و « لينين » وأحياناً « ستالين » تشبه النصوص التوراتية والانجيلية والقرآنيـة عند المؤمنين بهذه الكتب الربّانية ، لها صفة الحقائق المطلقة التي يجب التقيّد بها وبمفاهيمها ودلالاتها، وإلاّ خرج الشيوعي عن العقيدة الشيوعية التي تنادي بهـا الماركسية إلى الباطل والزيف والسخف والردّة والخيانة .

وعلى هذا الأساس يتّهم الملتزمون بها الخارجين عنها بأنهم تحريفيون وبأنهـم منحرفون ، وإذا خرجوا عنها خروجاً كلّياً فهم مرتّدون يقاتلـون بردّتهـم ، أو يحاكمون بالزندقة عن العقائد الشيوعية .

ما هذا الدين الجديد الذي يقدّم الولاء لأشخاص غدوا بحسب مفهوم هـذا الدين المادّي نفسه ، وبحسب مضمون عقائده ، عدماً محضاً ، إلاّ مادّة عـادت لأصلها حفنةً من التراب ، وغدوا قصّة سلفت في التاريخ لا رجعة لها مطلقاً إلى عالم الوجـود ؟

---

(١) الموت الزؤام : هو الموت الكريه .

أليست العقيدة الشيوعية من أساسها مادّية بحتة ، وأنه لا توجد قوة مهيمنة مراقبة ، وأنه لا رجعة لكائن حيّ بعد موته وخراب تركيب جسمه ، ولا روح له انفصلت عن جسمه فهي محتفظة بوجودها في عالم روحي ؟!

أليس هذا هو التعلّق بالأوهام نفسها ، مع الاعتقاد بأنها أوهام ؟!

إنّهم يعيبون على المؤمنين بالله بأنهم يتعلقون بمجردات غير مشاهدة ، مع أنّ المؤمنين بالله يؤمنون بوجوده خالقاً أزليّاً أبديّاً مهيمناً مراقباً محاسباً عليماً حكيماً ، لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير •

أمّا الشيوعيون والمادّيون فيؤمنون بأن أئمتهم وكلّ من سلف من الناس قد ذهبوا إلى طيّ العدم المطلق ، فما بالهم يقدّسون هذه الآلهة الوهمية التي انتقلت إلى طيّ العدم ؟!

أمّا الأجساد ورفاتها فهي أوثان لا قيمة لها •

وأما الآراء والأفكار فهي تطرح نفسها للمناقشة والبحث أياً كان قائلها ، إلا أن تكون صادرة عن معصوم عن الخطأ في اعتقاد الناظر فيها المؤمن بها •

سادساً : يعتمد الشيوعيون في كتاباتهم على الثرثرة الطويلة الخالية من مضامين فكرية ذات وزن ، يستطيع القارىء الواعي أن يقبض منها على شيء •

ويعتمدون على الغوغائية (الديماغوجية) كأنّ القضايا الفكرية صراعات حزبية زمنية لترجيح فريق على فريق في الانتخابات السياسية •

ويقصدون في ثرثراتهم وغوغائياتهم الإيهام بأنهم يقولون أقوالاً علمية عميقة ، مع أنها أقوال عقيمة وغير علمية •

ويعتمدون على إيراد أعلام من مختلف العلوم في غضون كلامهم ، وعلى توجيه عبارات ازدراء فلان ، والاستخفاف بفلان ، واستسخاف رأي هذا ، ورأي ذاك ، ورأي ذلك ، مع الهزء والسخرية وتوجيه الشتائم الغوغائية السفيهة ، للبورجوازية مرّة ، وللرأسمالية مرّة أخرى ، وللاقطاعية ثالثة ، وللفكر الديني بين كلّ ذلك •

ويعتمدون على تسمية عقائد الناس وأفكارهم ومذاهبهم أوهاماً ، واتهامها اعتباطاً بأنها تخدم مصالح طبقية ضدّ مصلحة طبقة (البروليتاريا) .

ويطلقون على كل ما يخالف مذهبهم اسم الرجعية العفنة ضمن سيل الشتائم التي أمست من صفاتهم اللاصقة بهم .

ويصدرون قراراتهم التحكميّة بأنّ القوانين والشرائع والحقّ والعدل وما إلى ذلك من قيم ، إنما هي نتاج أوضاع اجتماعية ، وأشكال من الوعي الاجتماعي الذي ولّدته ظروف مادية متغيّرة .

سابعاً : يصدّر الشيوعيون مبادئهم وافكارهم على أساس احكام تقريرية غير مقترنة بحججها ومبرراتها ، كأنها حقائق منزلة من لدن عليم حكيم عزيز قهّار .

ويحيطون مقرراتهم التي يزعمون أنها علمية بتمجيد آراء أئمتهم « ماركس ـ إنجلز ـ لينين ـ ستالين » تمجيداً اعتباطيّاً دون أي دليل علمي أو منطقي صحيح . ويقولون مع ذلك : هذه هي النظرة العلمية المدعمة بالبراهين .

ولكن أين هذه البراهين ؟! إنه لا وجود لها مطلقاً ولا في مخيلة مدعي وجودها .

وتقرأ ألف كتاب لهم فلا تخرج إلاّ بمتداخلات أفكار مختلطة ، ومصطلحات ، ومعمّيات ، وعموميّات ، وادّعاءات ، وشتائم ، وإثارة لأحقاد الطبقة العاملة ، وتحريض على الثورة ، ومزاعم أنّ الشيوعية هي التي تنصف الطبقة الكادحة المظلومة .

وفي غضون ذلك الاستشهاد بأقوال أئمتهم ، واستعراض آراء الفلاسفة المادّيين ، وآراء الفلاسفة المثاليين ، وتجريح المثالية بالزيف ، وتمجيد المادّية بالعلمية ، وحشو كلام كثير إذا نفضته تناثر منه مع الريّاح الفكرية معظمه ، مثل ما يتناثر من كيس مملوء بالغثاء ، ويبقى في الأرض حفنة من حبّ غير متجانس ، مع حصى ذي نسبة عالية جدّاً ضمن حَفنة الحبّ .

ثامناً : تقوم عملية إنكار الخالق لدى الماديين الملاحدة على أساس اصطناع الخلاف القوي بين المادّية والمثالية ، لأنّ المثالية تؤدّي بالمثاليين إلى براثن الإيمان بالخالق من وجهة نظر المادّيين ، وعلى إقامة الجدل الطويل بينهما لاثبات ضرورة

بناء المعرفة الانسانية على أساس اعتماد المادّة مصدراً لاكتساب المعرفة • ومع طول الجدل وإقامة الأدلة على ضرورة الاعتماد على المادّة ، وأنّ وجود المادّة سابق لوجود المعرفة الانسانية ، يحاول المادّيون إسقاط كلّ النتائج الفكرية التي تتوصّل إليها المثالية ، حين تسقط الطريقة من أساسها ، وعندئذٍ يقذفون بمقولة أنه لا معنى لافتراض وجود الخالق •

ولعبة المغالطة هنا تقوم على جعل الفكر الديني كلّه جزءاً من الفلسفة المثالية ، فحين تسقط المثالية يسقط معها الفكر الديني كلّه • مع أنّ القضية في الفكر الديني أو بتعبير أصح « في الفكر الاسلامي الصحيح » مختلفة تماماً عن المثالية التي يثير المادّيون جدلهم الطويل حولها ؛ فالفكر الاسلامي له منهجه المستقلّ في اكتساب المعرفة • إنه لا يلغي النظر إلى الطبيعة بوجه من الوجوه ، كيفما سميت : (مادة ــ طاقة ــ واقع موضوعي خارج عن وعي الانسان ــ أي شيء آخر) • ولايلغي مع ذلك قدرة الفكر على الانطلاق من حدود الطبيعة إلى ماوراءها ، بعد الاستفادة ممّا قدّمته الطبيعة للفكر عن طريق الحواس •

والفكر بانطلاقته هذه يثبت ببراهينه أنّ للطبيعة المدركة بالحواسّ ، وللطبيعة التي لم تدرك بعد بالحواس مما يحمل صفات ما أدرك بها من التغير والحدوث خالقاً خلقها ، لا تخضع صفاته ولا ذاته لمماثلة الطبيعة المتغيّرة الحادثة • وهنا تكمن روعة الفكر الاسلامي الفذّ •

ومغالطة المادّيين هنا قائمة على تعميم اسم المثالية والمثاليين الفلاسفة ، وجعله يشمل جميع المؤمنين بالله الخالق ، حتى المسلمين ، وذلك باستغلال فكرة أنّ الفلاسفة المثاليين تسوقهم مفاهيمهم المثالية إلى قضية الإيمان بالله ، أو على حد تعبيرات الأئمة الماركسيين : تسقطهم مفاهيمهم في براثن الإيمان بالله •

مع أنّ من الخطأ البيّن جدّاً إطلاق مثل هذا التعميم • إنّ واحداً أو عدداً من المثاليين لايصحّ جعلهم الممثلين لكلّ المثاليين ، فضلاً عن أن يكونوا هم الممثلين لكلّ المؤمنين بالله ، لأنهم اشتركوا معهم في التسليم بمبدأ من مبادىء العقيدة

الدينية ، رغم اختلاف الفريقين في بعض مناهج البحث ، وكثير من طرائق الاستدلال ، وفي أمور كثيرة أخرى •

تاسعاً : جلس المفكر المادي في القصر الذي ولد فيه ونشأ فيه ، فقال بسذاجة أو بمكر : أنا مرتبط بواقع ذي أوجه متعدّدة ، فأمامي طبيعة هذا القصر ، وما يجري فيه من حوادث وما يجري فيه من تحوّلات • ولديّ أفكاري الخاصة التي لم تكتسب معارفها إلاّ من حواسي التي لم تشاهد غير هذا القصر •ولديّ أخيراً علاقاتي الاجتماعية ، وتاريخ الناس الذين نشأوا في هذا القصر وعاشوا فيه مدّة ، ثمّ ماتوا ودفنوا في مقبرته • فكل دراسة فكرية تخرج عن نطاق هذا القصر تعتبر جرياً وراء الأوهام •

فما دمت قد ولدت أنا في هذا القصر ، وبعد أن كان القصر موجوداً وكذلك كلّ من سبقني من الناس أمثالي ، فلا بدّ أن أكون أنا ثمرة تطوّر عناصر ضمن هذا القصر • هذا كلّ ما يهديني إليه المنهج الصحيح لتحصيل المعرفة • وكلّ خروج عن هذه الحدود الفكرية فسوف يسوقني إلى الإيمان بوجود أشياء خارج هذا القصر •

فقال مفكر آخر: وهذا الضوء الذي تقذف به الكوّات الزجاجية في أعلى القصر، ألا تدلّ على منبع ضوئي خارج القصر يمدّ بنوره ؟ • وهذه الفتحات الملتوية في الجدران تمدّنا بالهواء من خارج القصر ، ألا تدلّ على مصدر يأتينا منه الهواء ؟• وهذا المطعم الذي يأتينا منه الطعام ، لا يمكن إلاّ أن يكون لأرزاقه مصدر خارجي•

فأجابه المادّي : هذا اندفاع وراء أوهام وتخيّلات ، إنّ كلّ ما تعطيني الدلائل العلمية، أنّ هذه الكوّات الزجاجية تمدّنا بالضوء ، فليكن ذلك من طبيعة هذه الكوّات (هذا ما تقدّمه الحقائق العلمية) مع تفخيم الكلمات عند النطق•

فقال المفكر المنطقي : لكنّ هذا الزجاج لا يملك أن يعطي ضوءاً من ذاته ، فعلينا أن نستعمل عقولنا في الأمر •

فأجابه المادّي : إننا إذا اتبعنا هذا التفكير فسوف يوصلنا إلى أن نؤمن بوجود عالم آخر غير هذا القصر الذي عشنا فيه وولدنا ، ومات من مات فيه من أجدادنا •

قال المفكر المنطقي : وماذا يضيرنا هذا الإيمان إذا كان هو الحقيقة ؟ ألا يجب علينا أن نصل إلى الحقيقة ؟

قال المادّي : وماذا نستفيد من إثبات هذا العالم الذي هو خارج القصر سوى مضاعفة الصعوبة ، باضافة منابع ضوئية ، ومنابع هوائية ، ومنابع مائية ، ومصادر للأرزاق ؟ . حسبنا أن نعلم أنّ الكوّات تمدّنا بالنور ، وأنّ الفتحات الملتوية في الجدران تمدّنا بالهواء ، وأنّ مطعم القصر يمدّنا بالأطعمة الكافية . وما لنا وللبحث عن أمور أخرى تنقلنا إلى صعوبات فكرية لا ضرورة لها . إننا إذا سرنا في هذا التفكير المتسلسل إلى ما وراء القصر فسوف لا نستطيع الافلات من الاعتقاد بوجود عالم وراء قصرنا هذا .

هذا كل ما احتج به المادي . فنظره القاصر قائم على رفض سابق وبدون دليل لعالم وراء القصر الذي عاش فيه، وكأنّ رفض هذا العالم حقيقة مسلّمة ابتداءً، لذلك كانت كل طريقة فكرية توصل إلى نقض هذه العقيدة يجب أن ترفض دون مناقشة أو أي نظر ، مهما كانت سليمة صحيحة ، لأنها تنقض المسلّمة الأولى التي لا يجوز التزحزح عنها ، مهما قدّم العقل والعلم من براهين .

هل في هذا النهج المادّي من الاستدلال دليل لذي حِجْر ؟! .

هل في هذا الاصرار على الخطأ البيّن إلاّ إقفال لنوافذ المعرفة عن الفكر ؟! .

هذه الصورة التي رسمتها في هذا المثال هي صورة مطابقة تماماً لصورة جدليات المادّيين ومناقشاتهم ، في رفض الأدلة الهادية إلى الإيمان بالله ، وراء الظواهر الكونية التي حصر المادّيون أنفسهم فيها . وهذه تبدو في جدليات « ماركس » و « انجلز » و « لينين » وسائر المجادلين عن المادّية ، وكذلك كلّ الوجوديين وفي مقدمتهم « سارتر » .

لقد عرف الشيوعي الفرنسي « روجيه غارودي » كيف يعرض النظرية الماركسية بصورة مغرية ، وبأسلوب بارع ، في كتابه « النظرية المادية في المعرفة » ، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يستر التهافت والنقص والضعف الجذري في أساس

النظرية ، رغم محاولاته البارعة • إذْ لا يستطيع أكثر الناس عبقرية أن يجعل الباطل حقّاً ، أو أن يخفي مواطن الضعف والتناقض في أدلته لجعل الباطل حقّاً وجعل الحقّ باطلاً •

إنه كسائر الماديين أثار مشكلة الجدال مع الفلاسفة المثاليين والفلاسفة اللاأدريين ، ليكشف مواطن الضعف في آرائهم ، على أساس أنه متى سقطت أدلتهم سقطت معها كل الأفكار التي انتهوا إليها • مع أن النتائج الصحيحة التي توصلوا إليها بأدلتهم لها أدلة أخرى تثبتها بطرائق غير طرائقهم ، وهي طرائق لا يستطيع المادّيون نقضها أو الوقوف في وجهها •

وتحت عنوان : « المادة هي الواقع الأول وليست إحساساتنا وفكرنا سوى نتاج وانعكاس لهذا الواقع » نقل « غارودي » كلاماً لانجلز جاء فيه :

« إنّ المسألة الأساسية الكبرى لكل فلسفةوللفلسفة الحديثة على وجه الخصوص ، هي مسألة العلاقة بين الفكر والكون • لقد كان الفلاسفة ينقسمون حسب الجواب الذي يعطونه على هذه المسألة إلى معسكرين هامّين :

فالذين كانوا يؤكّدون أسبقية الروح بالنسبة إلى الطبيعة ، وكانوا يقبلون في آخر الأمر وتبعاً لذلك خلق العالم من أي نوع كان ••• هؤلاء يشكلون معسكر المثالية •

والآخرون الذين كانوا يعتبرون الطبيعة سابقة ، ينتمون إلى مختلف مدارس المادية » •

ونقل كلاماً لماركس فقال : ويكتب « ماركس » :

« إنّ تسلسل الفكر لدى هيجل ، الذي يجعل منه ــ تحت اسم فكرة ــ موضوعاً مستقلاً ، هو خالق الواقع ، وهذا الواقع ليس سوى ظاهرة خارجية لذلك الخالق • أمّا أنا فأرى أنّ عالم الأفكار ليس سوى العالم المادّي منقولاً كما هو ومترجماً إلى الروح البشرية » •

ثم أخذ « غارودي » في شرح المادّية الماركسية ، وانتهى إلى مقرّراتها التالية :

١ ــ أنّ الفكر لا يمكن أن يوجد دون موضوع خارجي : الطبيعة •

٢ ــ أنّ الفكر لا يمكن أن يوجد دون شروطه المادّية : دماغ الانسان •

ويلاحظ أنّ المادّيين إذا أطلقوا الفكر أرادوا به الفكر الانساني ، وهنا يغالطون المثاليين الذين يطلقون الفكر ، ويقصدون به القدرة العليمة الحكيمة لموجود سابق لوجود المادة ، غير الانسان المتأخر وجوده حتماً عن وجود المادة •

ومع أننا لسنا مع المثاليين في كل آرائهم ، إلا أن هذه المغالطة عمل غير شريف في أصول البحث والمناظرة ، وغير مقبول •

فكلّ جدليّاتهم التي أثبتوا بها سبق الطبيعة للفكر الانساني جدليات في موطن هو محلّ اتفاق وليس محلّ خلاف ، ولكن المغالطة الكلامية قد أوهمت أنّ هذا هو محلّ الخلاف ، لتبرز المادّية عند عرض فكرتها في صورة متينة ، لكنّها متانة في غير محلّ النزاع مطلقاً •

ولئن وجد في المثاليين من يزعم سبق الفكر الانساني لواقع الكون الطبيعي ــ وما أظنه موجوداً ــ فهو سخيف بالغ السخافة •

لكن ليس من حقّ المادّيين أن يغالطوا في الحقائق بهذا الشكل ، إذا كانوا فعلاً باحثين جادّين عن الحقيقة ، ومنصفين لها •

وبعد بحث مستند إلى علم الحياة أثبت فيه « روجيه غارودي » سبق وجود المادّة للفكر الانساني ــ وكأنّ هذا الأمر هو محلّ الخلاف ــ وجد نفسه بمنطقيته أمام الحقيقة التي هي فعلاً محل الخلاف ، فقال :

« تعلّمنا العلوم أنّ الانسان ظهر متأخراً جدّاً عن الأرض ، وظهر معه الفكر• وللتأكيد على أن الفكر كان موجوداً قبل الأرض والمادة ، يجب إذن التأكيد على أنّ هذا الفكر لم يكن فكر الإنسان • فالمثالية بجميع أشكالها لا تستطيع الإفلات من اللاّهوت » •

وهنا نقول : وهل السقوط في اللاهـوت عـار" إذا كان الفكـر الصحيح والدراسات العلمية الرصينة تهدي إليه ؟!

هذا هو الرفض الذي لا مبرّر له إلا عداوة اللاّهوت دون مبرّر سـوى معاندة الحق والاصرار على الباطل •

ثم عرض « غارودي » المشكلة الأساسية على الوجه التالي :

« سيقال لنا : إنّ المادّة لم تستطع أن توجد على الدوام وإنه وجب خلقها ؟• أريد أن أكون واثقاً من أننا عندما نستعمل مثل هذا التعبير نعطي الكلمات مضموناً ، ونعرف عما نتكلّم لا يمكننا إدراك شيء ما قد وجد دوماً ، فالمادّة إذن لم توجد دوماً ، لقد خلقت من قِبَل إله ••• وجد على الدوام• ماذا نستفيد من هذا الحلقة سوى مضاعفة الصعوبة باضافة هذا المقطع غير المفهـوم لروح نقية تخلُق المادّة »•

إذن فحجة الرفض للإله الخالق رغم كل أدلة الاثبات تتلخص بكل بساطة بقول « روجيه غارودي » : « وماذا نستفيد من هذه الحلقة سوى مضاعفة الصعوبـة بإضافة هذا المقطع غير المفهوم لروح نقية تخلق المادة » •

هل الايمان برب خالق ذي صفات عظيمة أزلية أبدية أمر غير مفهوم ؟!

إذا كانت أدلة الاثبات البرهانية تقدم للفكر الانساني حقيقة وجود موجود خالق لهذا الكون ، له كل صفات الكمال ، وليس كمثله شيء ، فهل في إثبات هـذا الموجود العظيم الذي صدرت عنه الموجودات الحادثة صعوبة غير مفهومة ؟!

لقد استطاع أن يفهم هذه الصعوبة المزعومة كل المؤمنين بالله ، في كل عصر ،وفي كل قرية ومصر ، ومن مختلف مستويات الناس ، من العباقرة حتى العاديين المتوسطين في الذكاء ومن دونهم ، وكان هـذا الايمان سبباً لصيانة الحق والعدل والأمن بين الناس ، وسبباً لطمأنينة قلوبهم ، وسبباً لدفعهم إلى مرضاة الله بابتغاء الخير والابتعاد عن الشر •

وتحت عنوان « يمكن للمعرفة المثبتة بالتجربة وبالممارسة العملية أن تنفذ نفاذاً تاماً إلى العالم وقوانينه » قال « روجيه غارودي » :

« لايوجد خارج المادية سوى وحدانية الذات والدين ، أي لونين من المثالية : مثالية ذاتية ، ومثالية موضوعية •

فيجب على المرء أن يختار كالماديين الانطلاق من المادية إلى الوعي ، أو حبس نفسه في وعيه هو ، ولا يخرج إلا ليتجه إلى الله • » •

نقول : ولماذا لايتجه إلى الله إذا كان هـذا هو ما تقضي به المنطقية العقلية ، وتؤيده الدلائل العلمية ؟!

هل بلغ العداء لفكرة الإيمان بالله مبلغاً يعتبر معه رفض هـذا الإيمان هـو الفضيلة التي يجب الاعتصام بها ضد كل منهجٍ استدلالي صحيح ؟!

هل يقدم الماديون في أقوالهم هذه وأمثالها أي دليـل على عدم وجود الرب الخالق الأزلي الأبدي العليم الحكيم القدير ؟!

هذه هي قصة المادية الملحدة ، وهذا هو منطقها ، وهذه غاية أدلتها •

عاشراً : تقرر المادية الماركسية أن المعرفة الانسانية عن المادة التي هي الواقع الموضوعي المعطى لنا في الإحساس هي معرفة نسبية ، ولا تعطي وضعاً كاملاً ونهائياً للواقع ، فكل مرحلة من المعارف الانسانية تمثل خطوة جديدة في بناء المعرفة الكاملة التي تسعى إليها البشرية في تاريخها الطويل •

يقرر « روجيه غارودي » (١) هذا الكلام ، ثم يقول ويستشهد بكلام للينين : لنطرح المسألة بشكل ملموس في التاريخ ، أي بشكل (ديالكتيكي) فسيبرهن لنا أن « حدود تقريب معارفنا من الحقيقة الموضوعية حدود نسبية تاريخياً ، غير أن وجود هذه الحقيقة ذاته لاجدال فيه ، كما أنه لاجدال في أننا نقترب منها » •
لينين : « المادية والتجريبية الانتقادية » صفحة ١٠٨

نقول : لماذا يسلمون بمبدأ المعرفة الناقصة عن المادة والقابلة للتكامـل ، أو الخاضعة على مايزعمون لفكرة الديالكتيك ، ويقررون مـع ذلك وجود الواقـع

---

(١) في كتابه « النظرية المادية في المعرفة » .

الموضوعي الكامل خارج وعينا ! فإذا عرض المؤمنون قضية الايمان بالله ، واستنتجوا من ظواهر الكون دلائل وجوده ، بمقتضى حاجة الكون الحادث إلى موجود دائم أزلي أبدي ، له كل صفات الكمال ، منها كمال القدرة ، وكمال العلم ، وكمال الحكمة ــ قال الماديون : هذا تجريد ، وما دمنا لا نستطيع تحديد ذات هــذا الموجود فإننا لا نستطيع التسليم بوجوده ؟!

أفلم تستطع أفكارنا أن تدرك من صفاته ما تسمح لها به إمكاناتها الحالية ، وأن تنطلق في التصور إلى الكمال المطلق بمقتضى الضرورات العقلية ؟

إن مايبررون به معرفتهم الناقصة عن الواقع الكوني ، مــع إثباتهم الواقــع الموضوعي الكامــل للمادة ، هــو نفسه يكفيهم لتبرير المعرفة الناقصة عن حقيقة الموجود الدائم الأزلي الأبدي لو شاؤوا أن يكونوا منصفين تجاه الحقيقة ، غــير معادين ابتداءً وبدون أي مبرر لقضية الايمان بالله .

حادي عشر : يقرر الماركسيون ما يلي ــ والتعبير مأخوذ من « روجيه غارودي » في كتابه « النظرية المادية في المعرفة » صفحة (٤٥) ــ :

[يستطيع الفكر أن يعرف الطبيعة تمام المعرفة ، لأنه جزء منها ، لأنه تناجهــا وتعبيرها الأعلى ، إذ تعي الطبيعة ذاتها في وعي الانسان . ويكتب لينين : « العالم هو حركة المــادة خاضعة لنواميس ، ولا تستطيــع معرفتنا إلا أن تعكس هــذه النواميس ، لأنها ليست سوى تناج الطبيعة الأسمى » .

وأظهر «إنجلز» في كتابه « أنتي دوهرنغ» : «أن المادية الفلسفية تستطيع وحدها أن تشيد قيمة المعرفة على أساس متين ، عندما تتخذ من الوعي والفكر كشيء معطى لا يتعارض في كل زمن مع الكون والطبيعة،فإننا ننقاد حينئذٍ ــ بالضرورة ــ إلى أن نجد رائعاً جداً : أنوعي الطبيعة وانعكاس الكون ، وقوانين الطبيعة ، تتوافق معاً توافقاً جد قوي . غير أننا إذ تساءلنا : ما هو الفكر والوعي ؟ ومن أين يأتيان ؟ نجد أن الانسان هو نفسه نتاج الطبيعة ، هذا النتاج الذي نما في وسطه ، ومع وسطه ، وعندئذٍ يصير أمراً مفروغاً منه ألا تكون منتجات الدماغ البشري ــ التي هي في آخر الأمر منتجات الطبيعة ــ متناقضة ، بل متناسبة مع باقي الطبيعة في ترابطها »] .

هذه المقررات الماركسية تعتمد على أمور :

الأول : دراسة ظاهرة إنسانية محدودة •

الثاني : حكم تعميمي أخذاً من هذه الظاهرة المحدودة التي درست •

الثالث : تعليل تخيلي وهمي لادليل عليه مطلقاً لتفسير الظاهرة •

الرابع : إطلاق حكم كلي دون أي مستند حسي ، أو مستند نظري فكري ، أو أي دليل مقبول ، غير مجرد التحكم الوهمي •

● فالأمر الأول : الذي هو دراسة الظاهرة الانسانية المحدودة،فيتمثل بدراسة الفكر الانساني المستند إلى الحس الذي ينقل صوراً محدودة جداً عن واقع المادة في الكون •

وهذه نقطة يشترك فيها كل مثبتي المعرفة الانسانية •

● والأمر الثاني : الذي هو الحكم التعميمي المستند إلى الظاهرة المحدودة التي درست ، فيتمثل بقولهم : يستطيع الفكر أن يعرف الطبيعة تمام المعرفة •

إن هذا الحكم التعميمي لادليل عليه ، سواء أكان الواقع كذلك أو لم يكن كذلك •

إن القدرة على معرفة قدر محدود من الطبيعة لايستلزم قدرته على معرفة كل شيء في الطبيعة ، كما لا يستلزم العكس • لذلك فإن الحكم بأيٍّ من هذين يحتاج إلى دليل •

أما الاستدلال على ما قالوا : بأن الفكر جزء من الطبيعة ، وبأنه تناجها وتعبيرها الأعلى ، فهو لايصلح للاستدلال مطلقاً ، لأمرين :

أحدهما أن هذا الكلام نفسه ادعاءٌ غير مسلم به حتى ينفع في الاستدلال به على غيره ، بل هو محل خلاف •

ثانيهما أن الجزء من الشيء لايستلزم قدرته على وعي الكل ، ولا ينفع تغطية الموضوع بأن هذا الجزء هو النتاج الأعلى للكل • إن هذا تحايل لفظي ساقط فكرياً،

ولا يخرج الموضوع عن كونه ادعاءً لا دليل عليه • ما هو النظير في الوجود حتى نشبهه به ؟ وما هو القانون العام المسلم به حتى نعتبر هذه الظاهرة فرداً من أفراده ؟

● والأمر الثالث : الذي هو التعليل التخيلي الوهمي الذي لادليل عليه في تفسير الظاهرة ، فيتمثل بتعليلهم قدرة الفكر على معرفة الطبيعة تمام المعرفة بأن الفكر جزء من الطبيعة ، وتاجها وتعبيرها الأعلى ، إذ تعي الطبيعة نفسها في وعي الانسان •

وقد شرحنا سقوط هـذا التعليل عند بيان الأمر الثاني إذ اقتضت المناسبة شرحـه •

وظاهر من كلامهم في هـذا التعليل أنه يعتمد على الخيال الشاعري والأبنية الوهمية ، لا على مرتكزات علمية •

● والأمر الرابع : الذي هو إطلاق حكم كلي دون أي مستند حسي ، أو نظري فكري ، أو أي دليل مقبول غير مجرد التحكم الوهمي ، فيتمثل بقولهم : « العالم هو حركة المادة خاضعة لنواميس » وبقولهم عن القدرات الفكرية : « إنهـا ليست سوى تاج الطبيعة الأسمى » •

هذه أحكام كلية ليست أكثر من دعاوى تعوزها الأدلة ولو من الدرجات الدنيا • فأين الأدلة عليها من الحس أو من البراهين العقلية ؟

إنهم رفضوا قضايا الايمان بالله وبصفاته ، مع أن هذا الايمان يحل مشكلات الوجود كلها ، ومشكلات الفلسفة ، ومشكلات الفكر • فألجأتهم الضرورة بعد ذلك إلى أن يدوروا تائهين بغية أن يقبضوا على شيء يستطيعون الاعتماد عليه ، لكنهم لن يصلوا مهما عظمت نسبة ذكائهم ، فالذكاء مهما عظم لايستطيع أن يجعـل مـن اللاشيء شيئاً ، ولا يستطيع أن يجعل من الباطل حقاً في غير الأوهام • إنه ليس بعد الحق إلا الضلال •

إن من رفض الدخول إلى مدينة القدس ليرى مسجد الصخرة فيها ، لن يجد مسجد الصخرة الذي يريد رؤيته في أي مكان آخر من الكون ، ولو جند لذلك الطائرات والصواريخ عابرة القارات ، والاقمـار الصناعية الواصلة إلى كواكب السماء حتى المريخ وزحل •

جل ما يستطيعونه زخرف من القول ، ومغالطات ، وجدليات باطلة ، وأوهام شعرية ، وعبارات خطابية جوفاء ، وجعجعات وأصوات خلّبية •

ثاني عشر : يقرر الماركسيون ما يلي : « الديالكتيك بالنسبة إلى المادية التي تعتبر الفكرات انعكاسات للموضوعات الواقعية ، لا الموضوعات الواقعية انعكاسات لهذه الدرجة أو تلك من نمو الفكرة ، هو كما يقول « انجلز » : علم القوانين العامة للحركة ، سواء حركة العالم الخارجي ، أو حركة الفكر البشري •• وبذا لم يصر ديالكتيك الفكرة سوى الانعكاس الواعي لحركة العالم الواقعي الديالكتيكية »[1] •

تقرر هذه المادية أن الطبيعة العشوائية استطاعت أن تتطور من ذاتها حتى تصل إلى أرقى تنظيم ، وأن تكون كاملة الاتقان في خطة التطور الارتقائي ، دون علم ولا حكمة ، ثم استطاعت أن توجد الانسان الذي بدأ يدرك اتقانها العجيب المتفق هكذا بنفسه صدفة ، مع أدق مايمكن أن تعطيه صفات العلم والحكمة والقدرة • وحينما وجد هذا الانسان بدأت الطبيعة تدرك نفسها عن طريقه ، ولكن مع ذلك مازالت لا تدرك إلا النزر اليسير جداً من حركاتها المتقنة جداً ، والتي تسير إلى الارتقاء بالصدفة سيراً عشوائياً أعمى ، ولكنه محكم متقن عجيب الاتقان •

أليس هذا هو السخف بعينه ، ومعاندة الحق دون أي عذر إلا اتباع الهوى ؟

إن الوقوف عند حدود المادة ، ومحاولة تفسير الكون ومتقناته بما أسموه : « علم القوانين العامة للحركة » دون أن يكون لهذا العلم بنود منطقية تبرره أو تؤيد ذاتيته ، لاينتج عنه إلا دعاوى تفقد أبسط الأدلة •

إن من يفسر الظاهرة بأسباب هي من الظاهرة نفسها ، مثله كمثل من يرى الطائرة تطير من بعيد فيقول : إن الطائرة تطير بنفسها ، بموجب « علم القوانين العامة للحركة » وهذا هو كل مانراه فلا نثبت غيره ، ولسنا ملزمين بأن نثبت أن فيها طياراً يقود حركتها •

هل بين هذا وبين أمثلة السخف أي فرق ؟

---

(١) انظر كتاب « النظرية المادية في المعرفة » لروجيه غارودي صفحة (٥٢) .

ثالث عشر : تحت عنوان « هل الفيزياء الحديثة تدحض المادية » ترجم الدكتور منير مشابك موسى كلاماً للينين من « المادية والمذهب التجريبي النقدي » وفيه :

ناقش « لينين » الفيزيائيين المعاصرين له ، إذ دلتهم اكتشافاتهم الفيزيائية على أن المادة التي كانت جاثمة بحجمها وأبعادها في تصور الماديين ، قد تلاشت وتحولت في مفهوم العلم إلى مجموعة طاقات تتحرك وتتجمع في نظام معين ، فيظهر منها هـذا الشكل المادي الذي تدركه الحواس •

قال « لينـين » : « وعندما يقول الفيزيائيون : (إن المادة تتلاشى) فانهـم يقصدون بذلك أن علوم الطبيعة كانت ترجع حتى أيامنا هذه جميع نتائج الابحاث عن العالم الطبيعي إلى هذه المفاهيم الثلاثة النهائية : (المادة ، والكهرباء ، والأثير) في حين لم يبق من الآن فصاعداً سوى المفهومين الأخيرين وحدهما (أي : الكهرباء والأثير ، وسقطت المادة) ذلك أنه أصبح في الامكان إرجاع المادة إلى الكهرباء •••

إن العلوم الطبيعية تقود إذن إلى توحيد المادة • ذلك هـو المعنى الحقيقي للجملة عن تلاشي المادة ، وعن إقامة الكهرباء مقام المادة » •

ثم أبان « لينين » أن المادة التي تلاشى مفهومها عند الفيزيائيين ، قد انتقل عند الماديين إلى معنى أعمق مما كانت عليه ، فصـارت المـادة وفق معطيات العلم هي (الكهرباء ، والأثير) •

ثم تهرب من التزام أي مفهوم ثابت للمادة،بعد أن وجه نقاشه الحاد إلىضرورة وجود الواقع الموضوعي للكون بصورة مستقلة عن شعور الانسان الذي يعكسه ، وهذا بداهةً من الأمور الأولية في الفكر الاسلامي ، ولا يحتاج أصلاً إلى نقاش أو جدال ، إن الشيوعيين هنا يضربون في الهواء بعد أن ينسجوا منه بأوهامهم جسماً، والأصوات التي تحدث ليست شيئاً زائداً على الأصوات التي تنطلق من حناجرهم •

ثم قال « لينين » : « وهكذا فقد حسمت المسألة لصالح المادية ، لأن مفهوم المادة لايعني ــ كما قلنا سابقاً في نظرية المعرفة ــ غيرهذا : الواقع الموضوعيالموجود بصورة مستقلة عن شعور الانسان الذي يعكسه » •

ولكن ما قيمة هذا الكلام في القضية الأساسية التي بنى عليها الفكر الديني عقيدة الايمان بالله الخالق ، وهي من غير شك ليست كون عناصر الكون التي هي الواقع الموضوعي في الطبيعة سابقة لشعور الانسان ووعيه ، والذي هو في تصورهم مجرد انعكاس لما سبق وجوده في الكون ، إنما هي حاجة هذا الكون نفسه الذي هوفعلاً سابق لشعور الانسان ووعيه إلى واقع موضوعي آخر ، هو خالق أزلي أبدي ، بمقتضى أن صفات هذا الكون نفسه تدل على حدوثه ، والحدوث المسبوق بالعدم لابد له من محدث • وتدل أيضاً على أن الصور الإمكانية التي هو عليها تحتاج إلى عليم حكيم مختار اختارها من سائر الصور الممكنة • وتدل أيضاً على أن الاتقان الرائع البديع الموجود فيها لايمكن أن يتم على سبيل الصدفة ، بل لابد له من خالق أبدع وأحكم ، ودبر فأحسن التدبير •

فوجود الطبيعة أو العالم المادي مهما كان تفسيره قبل الانسان لا يستلزم أن تكون هذه الطبيعة أو هذا العالم المادي غير مسبوق بخالق خلقه وأتقنه ، وهو يدبر أمره بعلمه وحكمته ، وينفذ فيه مقاديره بقدرته •

وهكذا يتأكد لنا أن أصل اللعبة الجدلية في هذا الموضوع عند الماديين الملاحدة ، أنهم حصروا المسألة الفلسفية بين المثالية والمادية • وجعلوا المثالية تعني سبق الفكر للمادة ، والمادية سبق المادة للفكر ، ثم حصروا الفكر في الفكر الانساني لا في الفكر المطلق ، أو على الصحيح بدل كلمة الفكر المطلق (العلم الأزلي لموجود خالق عليم حكيم) وهو الأمر الذي تقتضيه منطقية الإتقان في الكون •

من هنا استطاعوا أن يقولوا : إن سبق المادة أياً كان تفسيرها حتى ولو صعد مفهومها إلى الكهرباء والأثير أو شيئاً فوق ذلك يسمى بالطاقة ، هو أساس الخلاف بين الماديين والمثاليين • ومناقشتهم حول سبق المادة تدور باستمرار حول سبقها للفكر الانساني •

وبهذا تمت لهم المغالطة على وجهها المرسوم ، لكنها عند الفاحصين من أهل الفكر مغالطة مكشوفة • إن الصراع هو في غير محل النزاع ، ومع قوم لا يمثلون

بحق أصل الموضوع المتنازع عليه ، ولإثبات أمر هو خارج تماماً عن الموضوعات التي تدور حولها المسائل الأساسية •

ما أعجب هذه الطرائق الجدلية لأئمة الفكر الماركسي ؟!

وما أكثر ما تجتر كتب الماركسيين هذه الفكرة بالذات ، وهذه الطريقة من الجدل بالذات ؟!

وينقل صغارهم عن أئمتهم هذه الصورة نفسها بطرق مختلفة •

إنها طريقة من يراهن على أن يقطع عشرين ميلاً بساعة ، فيأتي بساعة توقيت ذات طرف حاد ، ويقطع بها عشرين ميلاً خشبياً لعشرين مكحلة ،بحيلة تشابه الأسماء، ويقول : لقد ربحت الرهان ، إذ يجعل من نفسه حكماً وقاضياً •

أهذه هي مناهج البحث العلمي الجاد للوصول إلى الحق؟!أم هي طرائق المضلّين؟

وفي حيلة أخرى من حيل المغالطات يقول « لينين » تحت العنوان السابق نفسه ، في مناقشته للفيزيائيين المعاصرين له الذين قالوا : « ها هي الذرة مجردة من المادة ••• إن المادة تتلاشى » :

« إذا افترضنا أن الفكر (الفكرة ، الاحساس ، إلخ) لم يتلاش مع المادة ، فانكم تتبنون إذن خلسة وجهة نظر المثالية الفلسفية • وهذا ما يحصل دائماً لأولئك الذين يريدون لأسباب اقتصادية أن يتصوروا الحركة بدون مادة ، لأن مواصلتهم المناظرة يعني أنهم يسلمون ضمنياً بوجود الفكر بعد زوال المادة • وهذا يعني أن مثالية فلسفية بسيطة جداً أو معقدة جداً تؤخذ كأساس ، بسيطة جداً إذا كانت الحالة حالة تصورية صريحة (أنا موجود وليس العالم سوى احساسي) ومعقدة جداً إذا أقمنا محل أفكار الانسان الحي وتصوراته وإحساساته تجريداً ميتاً ، فكراً وتصوراً وإحساساً ، لا تخص كائناً من كان ، بل فكراً بصورة عامة (الفكرة المطلقة ، الادارة العمومية ، الخ) ••• » •

أولاً : ما علاقة الأسباب الاقتصادية في مسألة مفاهيم عن الطبيعة توصل إليها الفيزيائيون ؟ • إن هذا لتعليل عجيب !!

ثانياً : هكذا يقول « لينين » لعلماء الفيزياء ــ الذين دلتهم المعارف العلمية الحديثة على أن المادة لدى التحليل قدتبين أنها طاقة متجمعة بنظام معين ، وبذلك تلاشت مفاهيم المادة ــ يقول لهم : إذا قلتم إن المادة قد تلاشت في مفهوم العلم مع تسليمكم بأن الفكر لم يتلاشَ بتلاشي المادة ، فانكم بهذا الرأي تتبنون إذن خلسة وجهة نظر المثالية الفلسفية .

هذا يدل على أنه ليس المهم البحث عن الحقيقة ، إنما المهم رفض أي شيء يتلاقى مع وجهة نظر المثالية الفلسفية الموصلة إلى الايمان بالله ، ولو كانت العلوم تؤيده .

إن الأمر بعد تلاشي المادة التي كانت ماثلة في تصور الماديين ينحصر في احتمالات ثلاثة :

الاحتمال الأول : كون المادة في حقيقتها العميقة طاقة تخضع لنظام معين ، فتظهر بحجمها وثقلها وسائر صفاتها التي تدركها الحواس ، أي هذا النظام هو الذي جعلها تظهر بالصفات التي بسببها يطلق عليها اسم المادة . وهذا هو معنى تلاشي المادة على هذا الاحتمال ، فالفكر إذن صفة هذه الطاقة .

الاحتمال الثاني : كون المادة بعد تلاشيها في واقع الحال قد غدت سراباً تماماً ، ولا وجود لها إلا في الفكر الانساني ، ومعنى هذا بقاء الفكر الانساني بعد تلاشي المادة ، وهذا ما اعتبره « لينين » مثالية بسيطة .

الاحتمال الثالث : كون المادة بعد تلاشيها في واقع الحال قد غدت سراباً تماماً ، ولا وجود لها إلا في الفكر المطلق ، أي في علم موجود وجوده أزلي أبدي ، وهذا ما اعتبره « لينين » مثالية معقدة .

المناقشة :

أ ــ أما أن المادة ليس لها وجود بعد تلاشيها علمياً إلا في الفكر المطلق ، فهو الذي سماه « لينين » التجريد الميت ، أي هو أقرب إلى العدم منه إلى الوجود .

نقول أولاً : إن هذه النظرة مرفوضة عندنا حتماً ، فنحن لا نقول مطلقاً بأن الكون لا وجود له إلا في الفكر المطلق ، بل له وجود خاص به ، ناتج عن خطة وتنفيذ من ذي علم وحكمة وقدرة وهو واجب الوجود حتماً •

ونقول ثانياً: إن المغالطة في النظرة تتلخص بأن الماديين يعتبرون الايمان بالموجود الأزلي العليم الحكيم القدير إيماناً بشيء هو من قبيل التجريد الميت ، لأنهم يستغلون بعض أقوال المثاليين إذ يعبرون بالفكر المطلق ، مع أنه في عقيدة المؤمنين بالله الدينيين ، وعند معظم المثاليين ، ليس مجرد صفات ولا مجرد فكر مطلق أو إرادة مطلقة ، بل هو ذات أزلية لا نعرف كنهها ، وهذه الذات الأزلية موصوفة بصفات الكمال التي منها العلم والقدرة والحكمة والحياة وغير ذلك ، وليست صفات مجردة ليس لها موصوف ، بل لها موصوف وله ذات ولكن لا نعرف كنهها •

ب ـ وأما أن المادة بعد تلاشيها علمياً ليس لها وجود إلا في الفكر الانساني ، فهو احتمال مرفوض بداهة ، ولا يقول به من في رأسه دماغ يفكر بوجهٍ سليم •

وتوجيه المعركة نحو هذه النقطة كمقاتلة ميت ، أو معدوم ، وكالضرب في الهواء ، وفي هذا أيضاً حيلة من حيل المغالطات التي تعتمد على تحويل النظر عن دائرة المسألة الأساسية التي هي محل النزاع •

جـ ـ وأما أن المادة بعد تلاشيها لم تنعدم وإنما تحول مفهومها إلى معنى الطاقة ، فالبداهة تقول : إن ما كان من الصفات منسوباً إلى المادة بحسب التصور القديم ، هو بعينه منسوب إلى الطاقة التي تحول إليها مفهوم المادة ، كما دلتنا المعارف الحديثة • هذا مالابد للفيزيائيين من أن يقرروه بعد قولهم بتلاشي المادة ، الذي أوصلتهم إليه المعارف الحديثة •

ومغالطة « لينين » هنا قائمة على إغفال نقل الصفات التي كانت للمادة بحسب التصورات الأولى عنها ، إلى الطاقة بعد تلاشي المفاهيم الأولى للمادة • وبعد هذا الاغفال وضح أمامه أن ينقل الفيزيائيين إلى ما أسماه المثالية البسيطة أو المثالية

المعقدة • كل ذلك ليسلم له الاحتفاظ بمبدأ المادية للماديين ، وادعاء أن معنى المادة قد تعمق إلى الكهرباء والأثير ، فما للمادة من صفات انتقل تلقائياً إلى الكهرباء والأثير • ووضح أمام « لينين » أيضاً أن يبعد الأفكار عن المواطن التي تهدي إلى الايمان بالله الخالق •

وقد طوى عن قصدٍ أصلَ المشكلة التي اعترضت الفيزيائيين ، وهي أن أساس رفض الايمان بالله الخالق قائم على رفض وجود كائن غير خاضع للقياس المادي ، والادراك الحسي ، الأمر الذي بسببه يطلق الماديون تهمة التجريد • فإذا أثبتت العلوم الفيزيائية أن المادة نفسها ليست في واقع حالها سوى طاقة خضعت في حركتها لنظام معين فظهرت بشكلها المادي ، وظهر من صفاتها : (الحياة ، والفكر ، وسائر المعطيات العليا) فما الذي يجعلنا نرفض إذن وجود موجود له صفات العلم المحيط ، والقدرة القادرة على كل شيء، والحكمة العظيمة في الاختيار والتدبير، وهذا الموجود لا تدركه الأبصار ، ولا تخضع ذاته للقياس المادي ؟!

هنا بالتحديد أصل المشكلة ، وهو ما تهرب منه « لينين » وصرف الأنظار عنه إلى قضايا جانبية ، وتمت له حيلته الجدلية ، التي أصبحت الطابع المميز لكل جدليات أئمة مذاهب الضلال في الأرض وأتباعهم • وقد غدا أئمة هذه المذاهب أصحاب مهارة فائقة في نقل المعارك الجدلية من دوائر موضوعاتها إلى قضايا أخرى قد تكون جانبية ، وهي غير داخلة في صلب الموضوع ، ولا تتعرض لأصل الخلاف •

إن مثلهم كمثل ذلك المصارع الذي أراد أن يثبت أنه بطل في المصارعة الحرة ، فجاء إلى عازف كمان فألبسه لباس المصارع ، وأوهم النظارة أن هذا هو منافسه الذي تحداه ، ثم أخذ يصارعه ، مع أن عازف الكمان الغبي لم ينس أنه ما زال عازف كمان ، فأمسك بآلته الموسيقية وجعل يعزف عليها ، ويقول للمصارع : مالك ولي ؟ لماذا أنت تنافسني على هذه الطريقة بالضرب واللكم والرفس والنطح ؟ لمَ لمْ تحضر آلتك الموسيقية لنتسابق في مجال العزف الموسيقي ؟!

وأنهى المصارع اللعبة ، وطرح العازف على الأرض صريعاً ، وأعلن بنفسه انتصاره ، ورفع يده مزهواً ، وأخذ يصفق لنفسه بكل حرارة .

وهكذا تمت المصارعة بنجاح منقطع النظير . واعجب ما طاب لك العجب !!

إن لأئمة الضلال أن يفعلوا ما يشاؤون من حيل ، ولكن كيف يصل الغباء والسخف بالأتباع والجنود وكثير من الناس إلى مستوى يجعلهم يصدقون الأكاذيب المفضوحة ، وينخدعون بالحيل المكشوفة ، ثم يرددون أقوال أئمة الضلال ، كما تردد الببغاوات بعض الكلام الذي تسمعه من الناس . وكلما ناقشهم مفكر في أمر انتقلوا إلى مجموعة أقوال أخرى ، فرددوها كآلات التسجيل ، وهكذا دواليك .

وما أكثر الببغاوات في أشياع المذاهب الضالة !!

رابع عشر : يقرر الماركسيون أن الفكر والوعي انعكاس صور الأشياء إلى الدماغ ، والتفكير ليس إلا إعادة لانتاج الواقع منسوخاً على صفحة الذهن .

ثم يأتون بفكرة الحتميات الطبيعية والتاريخية ، بناء على فكرة (المادية الجدلية) ويفرضون هذه الفكرة على ما سيأتي به الواقع ، دون أن تصبح هذه الفكرة بذاتها انعكاساً للواقع ، مع أن مقتضى أساس مذهبهم في المعرفة يمنع من اتخاذ قرارات كلية سابقة لاختبار الطبيعة .

فكيف يقررون حتمياتهم ؟ وكيف يقررون خضوع المادة من الأزل إلى الأبد لفكرة المادية الجدلية ، وخضوع التاريخ الانساني للفكرة نفسها ، مع أن هذه الفكرة غير مأخوذة من انعكاس الواقع بصورة شاملة ؟

جل ما قدمه الواقع في الطبيعة حدوث عدد من الأمثلة ضمن شروط معينة لا تصلح للتعميم ، ولا لاتخاذ قانون كلي عند الاستقرائيين المثاليين الخياليين ، فضلاً عن الماديين الذين يعتبرون الأفكار انعكاساً للواقع السابق ، لا الواقع الذي سيأتي .

وبذلك يسقطون سقوطاً مفضوحاً في التناقض بين مقرراتهم وبين أسس نظريتهم ، فينقضون بما يقررون من حتميات أساس نظرية المعرفة لديهم .

خامس عشر :يقرر الماركسيون فكرة (وحدة الأضداد) و (وحدة المتناقضات)، ويخلطون خلطاً عجيباً بين المتغايرات والمتباينات والأضداد والمتناقضات ، ويكسرون الحدود بين معاني هذه الأصول الفكرية ، ليتسنى لهم التلاعب في الأفكار وصناعة المغالطات على ما يشتهون •

وفي كتاب « نقض أوهام المادية الجدلية »[1] تحليل كافٍ يثبت بطلان فكرة (وحدة الأضداد) التي تعتمد عليها نظرية تصارع الأضداد لدى المذهب الماركسي ؛ بطلاناً فاضحاً لهـذا الفكر ولأنصاره ، وفاضحاً لفلسفات الماركسيين القائمة على المغالطات • والمغالطة في فكرة (وحدة الأضداد) قائمة على استغلال الوهم الذي يصور المتجاورَيْن في زمانين أو مكانين بصورة الموجودين في زمان ومكان واحد • وقد ظهر ذلك في مثالهم المفصل لوحدة الأضداد بالحركة والسكون ، إذ زعم «لينين» أن الحركة المناقضة للسكون مجتمعة مع السكون في جوهر الشيء المتحرك ، وفي زمن التحرك نفسه •

وهذا منهم لعبة مغالطةٍ إيهامية منقوضة ببداهة الفكـر ، ورويـة العقـل ، ودلائل العلم •

سادس عشر : أثبت الواقع العلمي في الطبيعة أن التحولات فيها لا تسير بشكل ارتقائي صاعد ، بل تسير في كثير من صورها على العكس تماماً ، متنازلة إلى الأدنى، أو تسير بصورة دورات متشابهة كأنها تكرر نفسها •

فمزاعم اللولبية الصاعدة في الطبيعة بنظام حتمي قد أثبت الواقع العلمي في هذه الطبيعة بطلانها [2] •

ومزاعم اللولبية الصاعدة في التاريخ الانساني بنظام حتمي قد أثبت الواقـع التجريبي البشري بطلانها أيضاً [3] •

---

(١) لصديقنا الدكتور « محمد سعيد رمضان البوطي » .

(٢ ، ٣) انظر تفصيل الموضوع وشرحه في كتاب « نقض أوهام المادية الجدلية » للبوطي .

إن اللولبية الصاعدة قد تحدث بتدخل الوعي الانساني ، وما يقوم بهالانسان من أعمال ، تنيجة وجود الامكان في الطبيعة ، كما يحدث تنيجة أعمال التلقيح بين أصناف النبات والحيوان • وقد يحدث بعض ذلك إذا تلاقح صنفان من النبات حين يتلاصقان في غابة ، أو صنفان من الحيوان جمعتهما مناسبة من المناسبات •

سابع عشر : جاء في نقض الديالكتيك ما يلي :

١ ــ يجب على المادي الديالكتيكي أن ينتقي شروطه الخاصة كي يصل إلى النتائج الديالكتيكية •

وهذاكاف لنقض الادعاء بأن الديالكتيك متضمن في صلب الأساس لكل العمليات الطبيعية •

وكذلك الحال في تحول الكم إلى كيف •

٢ ــ الاكتشافات المختلفة التي استشهد بها (برنال) قد تمت دون تدخل الفكر الديالكتيكي ، كالجدول الدوري للعناصر لمندليف فانه لا يدين بشيء للنقيضة والجميعة •

٣ ــ مكتشف النظرية النسبية « أينشتاين » يقول :

« إن كتابات « انجلز » لم يكن لها أي أثر على علم الفيزياء في حاضره ، ولا على تاريخ الفيزياء في الماضي » •

٤ ــ استشهد « برنال » بنظرية الرغبات المكبوتة لـ « فرويد » وقال : إننا نجد الدولة الديالكتيكية أبعد ماتكون عن الحتمية فيها، فالغريزة هي الطريحة ، والكبت هو النقيضة ، والتسامي هو الجميعة • ثم يقول « برنال » : هذا جميل ، ولكن افرض أن المريض قد أصيب بالجنون بدلاً عن كونه قد استطاع أن يتسامى • افرض أنه قتل نفسه ، أين تكون إذن هذه المواءمة بين الأضداد في الجميعة ؟! أين يكون التقدم من الأدنى إلى الأعلى في هذه الحالة ؟!

٥ ـ مقررات علم الاجتماع البشري تختلف كل الاختلاف عن مقررات الماركسية التي تعتمد على فكرة « المادية التاريخية » . والأمثلة على ذلك كثيرة ، منهـا :

أ ـ نشوء الدين .

ب ـ نشوء الفن .

جـ ـ نشوء الفلسفة وكثير من العلوم .

ثامن عشر : لقد ظهر لكثير من الباحثين المنصفين ـ حتى ولو كانوا في الأصل من المخدوعين بالشيوعية ـ أن كثيراً من التعاليم الماركسية أمور مناقضة تماماً للعلم وللأصول المنطقية ، ولا يمكن التسليم بها إلا على طريقة التقليد الأعمى ، والاعتقاد التكليفي الذي توجبه آلهة الماركسية ، وتوجب معه الاعتقاد أيضاً بأن هذه التعاليم والمبادىء هي مبادىء علمية تجريبية ، وحقائق واقعية ، رغم أنف العلم والتجربة ، ورغم أنف الواقع .

أما قضية الايمان بالله وسائر القضايا التي يدعو الدين الصحيح إلى الايمان بها، فهي في العقيدة الماركسية عقائد بالية رجعية وسخيفة ، وأوهام تخدم مصالح طبقية ، مهما كانت الأدلة العقلية والعلمية والتجريبية مثبتة لهـا بما لايدع مجالاً للشك فيها .

هذه هي رغبات الآلهة الماركسيين ، فما على كل الشيوعيين وسائر الناس إلا التسليم والايمان بها ، والتسليم والايمان بكل ما يقذف به هؤلاء الآلهة من تعاليم باطلة ،وسخافات تلبس أثواب العلم زوراً وبهتاناً،وإن ثبت بالبراهين القاطعة مناقضتها للمنطق والواقع ودلائل العلم التجريبي .

ويتساءل العاقل البصير : ما هي ثمرات هذه العقائد الماركسية ؟

والجواب الواقعي يقول : إنه الشقاء الذي يعاني منه المنكوبون بالأنظمة

الشيوعية • وبعد ذلك يأتي الشقاء الأبدي والعذاب الخالد الذي يقرره الجزاء الربّاني يوم الدين •

تاسع عشر : أقتبس من « العقاد » رحمه الله ، في كتابه « الشيوعية والانسانية » فقرات النقد التالية للشيوعية ــ مع الاشارة إلى أنه قد سبق العقاد في توجيه النقد بها كثيرون من غربيين وشرقيين ، كما دلتني مطالعاتي في هذا الموضوع ــ :

١ ــ إن الثورة الشيوعية في روسيا لم تكن مظهراً لنظرية التفسير المادي للتاريخ، بل كانت وليدة ظروف سياسية وخطط مدبرة ،واقترن ظهورها بركوب الشيوعيين موجة الثورة ضد القيصرية الروسية ، وسرقتهم السلطة من أصحاب الثورة الحقيقيين، ورافق ذلك أعمال دعائية لنظرية « ماركس » ، فأعطى ذلك هذه النظرية اهتماماً خاصاً من قِبل الدارسين والباحثين ، ولولا ذلك ما حفل أحد بنظرية « ماركس » ولا بكتابه « رأس المال » المليء بالخلط والترقيع ، وغلبة أهواء الشر على قواعد التفكير •

أقول : والأعمال الدعائية قد تولتها الأجهزة والمنظمات اليهودية المختلفة ، ووسائل الاعلام الخاضعة لقبضة اليهود أو المستأجرة لهم •

٢ ــ النظرية الماركسية تقرر أن ثورة « البروليتاريا » ستكون وليدة النمو الصناعي ، وتركز رؤوس الأموال في أيدٍ قليلة من مالكي الصناعات الكبرى ، وأن النتيجة لهذه الثورة ظهور الشيوعية وتطبيقاتها •

لكن هذه النظرية لم تتحقق ، فالدول الصناعية المتقدمة في أوروبا الغربية لم تظهر فيها الثورات الاشتراكية أو الشيوعية،إنما ظفر الشيوعيون بالسيطرة على روسيا التي لم تكن فيها صناعات كبيرة ، ولا تركز لرؤوس الأموال في أيدٍ محدودة ، وكان هذا على خلاف المزاعم الحتمية للنظرية الماركسية ، فالبلاد الروسية كانت آخر البلاد الأوروبية التي يصدق عليها التطور الذي ذكرته النظرية (أو الخرافة التي تلبس في الادعاء ثوب نظرية) •

٣ ـ من العبارات الجارية مجرى المثل في مصطلحات الماركسيين أن مذهب « هيجل » قلب الحقيقة رأساً على عقب ، فأقامها على رأسها في التراب بدلاً من قدميها .

إن هذا الكلام ينطبق على مذهب « ماركس » نفسه .

٤ ـ إن المشاهد في الواقع والمعقول في التفكير المستقيم أن الأسباب المادية لا تغير حالة من حالات البشر إلا إذا تحولت إلى أسباب نفسية يشعرون بها ، وتؤثر فيهم إلى حد إرادة التغيير أو الاستجابة .

أما مذهب « ماركس » فهو يقلب هذه الحقيقة رأساً على عقب ، ويقيمها على رأسها بدلاً من قدميها ، فيقول : إن الأسباب النفسية لا تغير حالة من حالات البشر إلا إذا تحولت إلى أسباب مادية . ثم يضطرب في بيان هذه الأسباب المادية اضطراباً يترنح به بين النقيضين ، مع أن المذهب كله قائم على هذه الأسباب .

٥ ـ اضطرب الماركسيون في تحديد وسائل الانتاج ، هل هي الآلات الصناعية ؟ . أم الطبقة المشرفة عليها ؟ . وهل الطبقة هي التي تنشىء وسائل الانتاج ؟ أم وسائل الانتاج هي التي تنشىء الطبقة ؟.

مرة يقول « ماركس » : «إن طاحون الريح تعطيك مجتمعاً يتولاه سيد الاقطاع، وطاحون البخار يعطيك مجتمعاً يتولاه صاحب رأس المال في الصناعة » .

إذن فوسائل الانتاج هي التي تنتج الطبقة .

ومرة يقول : « إن الطبقة البورجوازية لا يمكن أن توجد بغير تطور دائم في أدوات الانتاج » .

إذن فالطبقة هي التي تنشىء وسائل الانتاج وتطورها .

هذا تضارب في أصل المذهب ، فهل طاحون الهواء هي التي تعطينا أرباب

الاقطاع ، وطاحون البخار هي التي تعطينا أرباب رأس المال ؟. أو أن الأمر على نقيض ذلك ، فالطبقة الاجتماعية هي التي تخلق آلاتها ، وتتطور بها حسب أطوارها؟.

٦ ـ البلاد التي تقدمت في الصناعة كالبلاد الانكليزية قلّتْ فيها الدعوة إلى الثورة ، وعظمت فيها الدعوة إلى الاصلاح عن طريق الوسائل الدستورية .

إن الدعوة إلى الثورة تشتد على حسب الشعور بالحاجة إلى الحرية ، والدعوة إلى الاصلاح السلمي تشتد على قدر التقدم في الصناعات الكبرى . خلافاً لما قرره « ماركس » وشيعته رأساً على عقب .

* * *



خاتمة

بعد معرفتنا للأسس العقدية التي تقوم عليها الشيوعية ، والوقائع التطبيقية التي يمارسها الشيوعيون ، والنظم التي يريدون تطبيقها عن طريق الثورة والعنف والاستبداد ، والأهداف البعيدة التي يرمي إليها المحركون والموجهون في الخفاء .

وبعد دراستنا لواقع الدول الشيوعية وأنظمتها الاستبدادية الظالمة الغاشمة .

وبعد استرجاعنا لتصور سنن الله في التاريخ ، وملاحظتنا لطبائع الأشياء .

فإن لنا أن نقدم الأحكام والاستنتاجات التالية :

أولاً :

كل من يجند نفسه في حزب شيوعي وهو يعلم مبادىء الشيوعية وأسسها العقدية ، فهو لم يجند نفسه في الحزب إلا بعد أن انسلخ من إيمانه بالله ومن دينه ، وارتد ملحداً كافراً بكل القيم ، إلا أوهام المبادىء الشيوعية .

ثانياً :

كل من يجند نفسه في حزب شيوعي وهو يعلم ارتباط الشيوعية بالجذور اليهودية ، ويعلم أن أهدافها تحقيق أحلام اليهود العالمية فهو إنسان قد انسلخ من قوميته ووطنه ، ورضي لنفسه بأن يكون مستعبداً لليهود ، مقابل ما يبذلونه له من شهوات ومنافع ووعود ، وما يهيئون له من مطامع ورغبات ، منها مطامع ورغبات التسلط .

ثالثاً :

كل من يوالي الشيوعيين وهو يعلم الحقائق السابقة عنهم فهو منهم ، وبعد البيان لا يُعذر الجاهل بجهله ، ولا يحميه من نقمة الله ادعاؤه بأنه مخدوع ، لأن عليه أن يبحث ليعرف الحقيقة ، والله تعالى يقول في سورة (الإسراء) :

[ولا تَقْفُ ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً (٣٦)] .

رابعاً :

إن دراسة سنن الله في كونه وملاحظة طبائع الأمور تسمحان للمتوسمين بأن يؤكدوا أن الشيوعية في دور هبوطها وانحسارها عالمياً ، فقد سقطت تجربتها واقعياً ، وسقطت أفكارها ومبادئها ، ولم يبق لها إلا أثقال قوى دولية متى سقطت هذه الأثقال أو تحولت أفكار الممسكين بها سقط المذهب الشيوعي كله ، في كل العالم .

خامساً :

إذا قامت الحرب العالمية الثالثة التي يخطط اليهود لها ليصلوا إلى حكم العالم كله ــ حمى الله العالم من ويلاتها ــ فستصبح الشيوعية قصة سلفت في التاريخ ، ويظهر عندئذٍ لكل الناس أنها لم تكن إلا مرحلة من المراحل التي أعدها اليهود لإقامة دولتهم العالمية الكبرى ، التي لا تسمح لدولة أخرى أن تكون منافسة لها ، بل لا تسمح لها بأن تكون موجودة على الطبيعة مطلقاً .

وعندئذ سينال الشيوعيون على أيدي سادتهم اليهود أنفسهم ماناله «سِنِمّار» من جزاء ــ إنها الإبادة التامة قتلاً وسحقاً ، وليفرح الشيوعيون يومئذٍ بجحيم أسيادهم ، ومن ورائها عذاب الله الشديد في جحيم يوم الدين ، لأنهم جندوا أنفسهم في كتائب الشياطين !!!

سادساً :

الأمارات تدل على أن صحوة عالمية ستظهر ، وستنزل باليهود ــ المخططين لخراب العالم من أجل تحقيق أهدافهم الأنانية ــ ما يستحقون ، فسيسومهم الناس

سوء العذاب ، كما هو شأنهم في التاريخ كلما كادوا الأمم والشعوب ، وأكثروا في الأرض الفساد •

وبذلك يتحقق إنذار الله الدائم لهم •

سابعاً :

الدلائل الدينية في الاسلام تدل على أن سحق مكايد اليهود العالمية ستكون على أيدي المسلمين المؤمنين بالله • وقد يكون ذلك بمساعدة أحرار الشعوب ومنصفي الدول ، ومن يصحو إلى نفسه من دول العالم ، ويعرف أن الخطر الأكبر يكمن في تمكين هؤلاء المجموعة اليهودية من الظفر بأثقال قوى عالمية ، بعد أن ظفرت بالمال ، والاعلام ، وتوجيه الفكر ، والتسلل إلى قمم سياسية خطيرة في كثير من دول العالم ، وإن لم يكونوا هم رأس القمة •

ثامناً :

بودّنا لو تعلم الدول الكبرى أن الاسلام لا خطر منه عليها ، ولا على شعوبها ، فالاسلام دين واضح ظاهر ، ليس له وجهان باطن وظاهر • إنما الخطر عليها من اليهودية ذات التنظيمات السرية الخفية ، والعناصر المنافقة في كل الدول وكل الشعوب • واليهود دائماً لهم ظاهر معانق ، وباطن مفارق •

وبودّنا لو يعلم النصارى أن اليهود هم أعداؤهم الحقيقيون لا المسلمون ، إذ لم يكن من المسلمين للنصارى في التاريخ كله أي كيد ، ولم يكن منهم لهم أي ظلم ، أما الصراعات فقد كانت واضحة علنية مقترنة بمبادىء الشرف والعدل والانسانية المثلى ، بخلاف حال النصارى مع اليهود خلال مختلف أحقاب التاريخ ، فقد تعرضت النصرانية للكيد اليهودي الذي لم ينقطع عبر التاريخ ، ومس جذورها وكل المؤمنين بها ، وكل كياناتها الدولية في الأرض •

تاسعاً :

نحن المسلمين ندعو شعوب العالم أجمع إلى خطة واضحة عادلة ، ليس فيها عدوان على أحد ، وليس فيها ظلم لأحد • وندعو شعوب العالم أجمع إلى اليقظة

الحقيقية ، حتى يعرفوا من يدبر ضدها المكايد ، ويمكر بها أيما مكر ، وهو مندس فيها ، وممسك بكثير من مقدراتها الكبرى •

*   *   *

وأخيراً نضرع إلى الله أن يحمينا ويحمي العالم كله شر المكايد اليهودية التي تدبر ضده في الخفاء ، وتستخدم الشيوعية من جهة ، والرأسمالية من جهة أخرى ، لتنفيذ برنامجها التدميري الشامل •

وكان الفراغ منه صباح يوم الثلاثاء التاسع من شهر شعبان سنة ١٣٩٩ هجرية الموافق للثالث من شهر تموز سنة ١٩٧٩ ميلادية •

وأسأل الله أن ينفع به ، ويجعله لي ذخراً ، ويحميني والمسلمين والعالم من مكايد المفسدين وشرور الظالمين والضالين •

مكة المكرمة

في ١٣٩٩/٨/٩ هـ

و ١٩٧٩/٧/٣ م

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني



مراجــع الكتاب

عنوان الكتاب	المؤلف والمترجم
١ ــ الارهاب الكبير (قصــة تصفيات ستالين في الثلاثينات)	روبرت كونكوست
٢ ــ الشيوعية عارية (بحث علمي مستند إلى الوثائق السرية الرسمية للحزب الشيوعي السوري)	؟
٣ ــ ستة من كتاب أوروبا الكبار كانوا شيوعيين ثم ارتدوا عنها ، وهم « رتشارد رايت ــ آرثر كستلر ــ اكناز سيلوني ــ أندريه جيد ــ ستيفن سيندر ــ لويس فيشر »	
٤ ــ تجربة عربي في الحزب الشيوعي	قدري قلعجي
٥ ــ الطبقة الجديدة	تأليف : ميلوفان دجيلاس تقديم : قدري قلعجي
٦ ــ مؤامرة الصهيونية على العالم	أحمد عبد الغفور العطار
٧ ــ الخطـر اليهودي (بروتوكولات حكمــاء صهيون)	محمد خليفة التونسي
٨ ــ الشيوعية والانسانية	عباس محمود العقاد
٩ ــ التاريخ الســري للعلاقــات الشيوعيــة الصهيونية	نهاد الغادري
١٠ــ نقض أوهام المادية الجدلية	د. محمد سعيد رمضان البوطي
١١ــ موسكو وإسرائيل	عمر حليق
١٢ــ الاسلام في وجه الزحف الأحمر	الشيخ محمد الغزالي

عنوان الكتاب	المؤلف والمترجم
١٣ـ تاريخ الفكر الاشتراكي المعاصر	تأليف : إدموند ولسون ترجمة : يونس شاهين
١٤ـ النظرية المادية في المعرفة	تأليف : روجيه غارودي تعريب : إبراهيم قريط
١٥ـ في الشيوعية العلمية	تأليف : ف . ك . أفانا سييف تعريب : عبد الرزاق الصافي
١٦ـ فلسفة الردة (ردّ ماركسيّ على غارودي)	تأليف : د. خاتشيك مومدجان تعريب وتقديم : محمد أبو خضور
١٧ـ ماركسية القرن العشرين	تأليف : روجيه غارودي ترجمة : نزيه الحكيم
١٨ـ مطالعات في الفلسفة الماركسية (نصوص مختارة)	اعداد : مهدي الحافظ
١٩ـ قراءات في المادية الجدلية (ماركس ـ انجلز ـ لينين ـ ستالين ـ بوخارين ـ التوسير ـ لوكاش ـ غرامشي ـ غودولييه)	تحرير : قيس الشامي
٢٠ـ أصول الفلسفة الماركسية	تأليف : جورج پوليتزر وچي بيس وموريس كاڤين تعريب : شعبان بركات
٢١ـ المادية والمذهب التجريبي النقدي	تأليف : لينين ترجمة : د. فؤاد أيوب
٢٢ـ مجموعة واسعة من المجلات والصحف	
٢٣ـ كتب أخرى كثيرة للشيوعيين	
٢٤ـ مكايد يهودية عبر التاريخ	تأليف : عبدالرحمن حبنكة الميداني
٢٥ـ احجار على رقعة الشطرنج	تأليف : الأميرال وليام غاي كار ترجمة : سعيد الجزائري
٢٦ـ اليهودية والصهيونية	أحمد عبد الغفور العطار

الفهرس

(الفصل الثاني)

(الفصل الثالث)

(الفصل الرابع)

الموضوع	الصفحة



آثــار المؤلف

ا ـ سلسلة (في طريق الاسلام) :

١ ـ العقيدة الاسلامية وأسسها (مجلد كبير)
٢ ـ الأخلاق الاسلامية وأسسها (مجلدان كبيران)
٣ ـ أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها (مجلد)

ب ـ في سلسلة أعـداء الاسلام :

١ ـ مكايد يهودية عبر التاريخ
٢ ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم
٣ ـ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير ـ الاستشراق ـ الاستعمار)
٤ ـ الكيد الأحمر

قيـد الاعـداد :

٥ ـ النفـاق والمنافقون

ج ـ كتب متنوعـة :

١ ـ ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة
٢ ـ تفسير سورة الرعد (دراسة أدبية وفكرية ولغوية)
٣ ـ روائع من أقوال الرسول ﷺ (دراسة أدبية وفكرية ولغوية)
٤ ـ قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل
٥ ـ الأمثـال القرآنية
٦ ـ آمنت بالله (شعر)
٧ ـ ترنيمات إسلامية (شعر)

تطلب جميع هذه الكتب من « دار القلم » دمشق ص.ب ٤٥٢٣ ـ هاتف ٢٢٩١٧٧